



رابطة الجامعات الإسلامية

الجامعة الإسلامية

(٤٥)

١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م

obeikandi.com

المحتويات

الصفحة	الموضوع
٧	تقديم
	القسم الأول : قسم الأبحاث
١٣	المواطنة حقوق وواجبات
	د / جعفر عبد السلام
	نظرات في الوقف ودوره في دعم الشباب ونهضة المجتمع في ضوء أحكام الفقه الإسلامي والقوانين الوضعية
٣٥	د / إسماعيل عبد النبي شاهين
	الإرهاب بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية دراسة مقارنة بالأنظمة السعودية
٦٣	د . محمد عبد الرحمن إسماعيل الصالحى
	د . جمال عباس أحمد عثمان
	السيرة النبوية في الاستشراق الإيطالي جوانب تاريخية ومنهجية مع دراسة خاصة بـ "دانتي، والمستشرقة الإيطالية لورا فيشيا فاغلييري"
١٢٣	د / محمد على البطة
	القسم الثاني : المقالات
١٨٧	الاستراتيجية الإسلامية في التنمية
	د . عبد الحميد الغزالي
١٩٥	التراث الإنساني في الحضارة العربية الإسلامية
	د / بديع العابد
٢٢٣	الإعلام والحوار والحضارة
	د / أسعد السحمراني

الصفحة	الموضوع
	القسم الثالث : الجامعات الأعضاء
٢٥٣	التعريف بكلية الدراسات الإسلامية في قطر إعداد : أ. مروة سلامة إبراهيم
	القسم الرابع : حقائق الإسلام وأبائيل خصومه
٢٧٩	خطاب من امرأة مسيحية إلى المرأة المسلمة ترجمة : أ. مصطفى أبو المجد
	القسم الخامس : ملف العدد عن مؤتمر نقل وتوطين التكنولوجيا والبيان الختامي له
٢٨٧	مؤقر نقل وتوطين التكنولوجيا يناقش إمكانية نقل التكنولوجيا وتوطينها في العالم الإسلامي بالدوحة إعداد : أ. عاطف مصطفى
	القسم السادس : عروض الكتب
٣١١	كتاب الصحوة الإسلامية
٣٢٥	عرض د. وفاء فاروق محمد حسنى كتاب المكون المعرفى ودوره فى توجيه الحضارات
	عرض : أ. أحمد على سليمان
	القسم السابع : الوثائق
٣٤٧	البيان الختامي للمؤقر الدولى حول دور الدولة العثمانية وتركيا الحديثة فى الحضارة والثقافة الإسلامية
٣٥١	البيان الختامي لمؤقر الدعوة الإسلامية الحاضر والمستقبل بمكة المكرمة

الصفحة	الموضوع
القسم الثامن : الإفرنجي	
1	Introduction
2	Religious self-socialization How are young people influenced by the peer-group and electronic media in their (non-) religious development? By: Manfred L. Pirner
18	The group of friends and its effect Upon youth's thoughts, notions & Conduct By: Dr. Nabil Al Samaloty
25	Islamic education of Muslim children at home and in the mosque By: Stella van de Wetering
37	Dynamic of Pondok Pesantren as Islamic Educational Institute in Indonesia By: Dihyatun Masqon, M.A., ph.D
49	Christian Education in Lebanon By: Rima Nasrallah
64	The Standards of the Content of Islamic Religious Education for Pre-College Education (Grades 1- 12) In Egypt By: Dr: Hussein Bashir Mahmoud

obeikandi.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

أ.د / جعفر عبد السلام

الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه وتبعه بإحسان إلى يوم الدين .
وبعد ...

فيطيب للأمانة العامة لرابطة الجامعات الإسلامية أن تقدم العدد رقم (٤٥) من مجلة (الجامعة الإسلامية) الذي يضم باقة متميزة ومتنوعة من الأبحاث والدراسات والتقارير العلمية المختلفة التي تطرق كثيراً من الموضوعات والقضايا الفكرية للعالم الإسلامي.

وهذا العدد الذي بين أيدينا بين دفتيه عدة دراسات منها (المواطنة حقوق وواجبات) حيث توضح هذه الدراسة مفهوم المواطنة وما للمواطنين من حقوق وواجبات على ضوء القانون والأعراف الدولية، ثم يأتي بحث آخر يتناول (الإرهاب بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية) دراسة مقارنة بالأنظمة السعودية.

وبحث ثالث عن السيرة النبوية في الاستشراق الإيطالي، جوانب تاريخية ومنهجية، مع دراسة خاصة بد(دانتى، والمستشرقة الإيطالية لورافيشيا فاغليرى) هذا ما يخص قسم البحوث والدراسات.

ثم يأتي بعد ذلك الجانب الخاص بالمقالات، حيث يبدأ بمقال للمفكر الراحل عبد الحميد الغزالي - رحمه الله - الاستراتيجية الإسلامية في التنمية، وفيه يتناول

طبيعة وخصائص وشروط الاستراتيجية الإسلامية فى التنمية، ثم مقال آخر عن التراث الإنسانى فى الحضارة العربية الإسلامية للمعمارى د. بديع العايد، كذلك مقال ثالث عن الإعلام والحوار والحضارة للدكتور - أسعد السحمرانى .

وفى القسم الثالث (الجامعات الأعضاء) فقد تناولنا فى هذا العدد التعريف بكلية الدراسات الإسلامية فى قطر من خلال أدبيات ووثائق رابطة الجامعات وأيضاً من خلال موقع كلية الدراسات الإسلامية فى قطر على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) .

أما القسم الرابع (حقائق الإسلام وأباطيل خصومه) فقد تناول خطاب من امرأة مسيحية إلى المرأة المسلمة، حيث تحاول من خلاله الكاتبة الصحفية النصرانية جوانا فرايسس - أن توضح للمرأة المسلمة ما يُحاك بها من مؤامرات ودسائس من أجل اهتزاز واختلال الدين فى عيون النساء المسلمات .

أما ملف العدد فقد خصصناه عن مؤتمر نقل وتوطين التكنولوجيا فى الدول الإسلامية والبيان الختامى له، والذى عقد بالدوحة فى ٢٢ نوفمبر ٢٠١١م بالتعاون بين الرابطة وكلية الدراسات الإسلامية بدولة قطر الشقيقة .

وتتوالى أقسام المجلة حيث نطالع فى القسم السادس المخصص لعروض الكتب عرض كتاب الصحوة الإسلامية للدكتور/ على أكبر ولايتى، وعرض آخر لكتاب المكون المعرفى ودوره فى توجيه الحضارات للدكتور/ إبراهيم أبو محمد - مفتى أستراليا .

ويأتى القسم السابع (الوثائق) وفيه نعرض للبيان الختامى للمؤتمر الدولى حول دور الدولة العثمانية وتركيا الحديثة فى الحضارة والثقافة الإسلامية، وأيضاً البيان الختامى لمؤتمر الدعوة الإسلامية - الحاضر والمستقبل - بمكة المكرمة .

أما القسم الإفرنجي فيتناول عدة موضوعات يُناقش من خلالها كيف يتأثر الشباب بوسائل الإعلام الحديثة ومدى تأثير ذلك على تعاملاته وأخلاقه، وكذلك موضوع مجموعات الأصدقاء وكيفية تأثيرها على أفكار ومعتقدات وسلوكيات الشباب، وكذلك موضوع بعنوان التربية الإسلامية للطفل المسلم من خلال المسجد والبيت، وكذلك أيضاً التعليم الإسلامى فى معهد بوندوك بإندونيسيا وغيرها من الموضوعات .

وبعد فإن رابطة الجامعات الإسلامية تسير قدماً على الدرب لإنارة الطريق أمام العالم الإسلامى، والتعرض لمشكلاته الرئيسية وهى تقدم فى كل عدد مزيداً من الدراسات المهمة النافعة لشخصيات علمية معروفة بقدرتها على إثراء البحث العلمى والحركة التنويرية للأمة الإسلامية، وندعو الله أن يكون هذا العدد إضافة متميزة وزاداً نافعاً لكل المهتمين والباحثين فى كل مكان فى العالم الإسلامى .

والله من وراء القصد

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العلمين ...

obeikandi.com



القسم الأول
الدراسات والبحوث

obeikandi.com

المواطنة حقوق وواجبات

للدكتور / جعفر عبد السلام

الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية

أستاذ ورئيس قسم القانون الدولي بجامعة الأزهر

ونائب رئيسها الأسبق

مقدمة :

تعنى المواطنة : الانتساب إلى وطن أو إلى جنسية بتعبير حديث، فالإنسان يبحث دائماً عن مكان يأوى إليه ويعيش فيه، يكتسب منه رزقه، ويكون فيه إخوانه وأصدقائه. لقد كان الوطن دائماً موئلاً للإنسان يجد فيه نفسه، ولطالما ارتبط الإنسان بوطن أحبه واشتاق إليه وحن إليه دائماً، بل إنه حتى ولو كان الوطن يتكون من عدة مدن وقرى، نجد الإنسان يكون أكثر ارتباطاً ببلده الذي وُلد فيه، ويكون منبته على أرضها.

والواقع أن الدول الحديثة تقوم على ما يُعرف قانوناً بالسيادة الإقليمية، أى أن كل دولة اختصت بمنطقة معينة على خريطة العالم، تبسط سيادتها عليها، وتمارس عليها سائر اختصاصاتها، كما أن شعبها له وحده حق القرار والحياة فيها، قد يسمح بوجود آخرين معه عليها، ولكنهم هنا يقرون عليها كضيوف ليس لهم دائماً الحق فى إقامة مستمرة عليها إلا بشروط تستقل كل دولة بوضعها.

إن مصطلح الجنسية The Nationality هو المصطلح الذى استقرت عليه الدول حديثاً لتنظيم العلاقة بين الدولة ومن يعيش على إقليمها، وتختلف الدول فى وضع

المعايير التي تؤسس عليها جنسيتها، ولكنها لا تخرج في ذلك عند التأسيس على أحد معيارين :

الأول : هو أن تثبت جنسيتها لكل من وُلد على إقليمها، وهو المعروف اصطلاحاً بحق الإقليم. ويقوم هذا المعيار على أن من وُلد على إقليم إحدى الدول، تتولد بينه وبين الإقليم علاقات وشيجة، وبالتالي فإنها تعطيه الحق في أن يحصل على جنسية الدولة فور ميلاده على إقليمها.

والثاني : لا يكتفى عادة بإعطاء الجنسية لكل من وُلد على إقليم الدولة، وإنما يشترط أن يولد لأب يكون حاملاً لجنسية الدولة، وهو ما يعرف بحق الدم، وهو معيار يصعب توافره في حق طائفة واسعة ممن يريدون الارتباط بالدولة.

إن رابطة الجنسية أياً كان الأساس الذي تبنى عليه تفترض توافر الولاء الكامل من الشخص للدولة التي يحمل جنسيتها؛ لذا إذا كانت القوانين تسمح بوجود صلات غير حق الدم وحق الإقليم، فإنها تضع شروطاً قاسية في العادة، يجب أن تتوافر فيمن يريد أن يحمل جنسيتها، كما هو الحال في نظام التجنس وزواج المواطن بغير مواطنة.

وسبب هذا التشدد في إقرار منح الجنسية إنما يرجع لعدة أسباب، منها: أن المواطن يعيش على إقليم الدولة بشكل دائم، ولا تستطيع أن نخرجه منها بحال، ومنها طائفة الحقوق الواسعة التي يحصل عليها المواطنون في بلادهم، وإن كانوا يلتزمون في المقابل بطائفة واسعة من الالتزامات التي تثبت لدولتهم عليهم في العادة.

لذا اخترنا أن نكتب هذا البحث عن الحقوق والواجبات المرتبطة بالمواطنة، وتنظم هذه الحقوق دساتير الدول وقوانينها، وعادة ما يتم التمييز بين المواطنين والأجانب في التمتع بكثير من الحقوق لصالح المواطنين بالطبع، وإن كان الترابط الدولي وكثرة تنقل الأشخاص من بلادهم للمعيشة في بلاد أخرى لأسباب عديدة، قد

جعلت الدول تمنح جنسيتها لفئات عديدة لا ترتبط برباط الميلاد على إقليمها أو الانتساب لأحد مواطنيها بالميلاد.

والواقع أن الأديان تشجع الإنسان على أن يكون مواطناً، والدين الإسلامي لا يخرج عن هذه القاعدة، ولطالما وجدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو في المدينة المنورة يحن لموطنه الذي عاش وولد فيه في مكة، كما إنه فور انتقاله إلى العيش في المدينة المنورة، قام بوضع دستور المدينة، وهي وثيقة سياسية على قدر كبير من الأهمية بينت حقوق وواجبات المواطنين - مسلمين وذميين ووثنيين - في دولة المدينة، وهي وثيقة في غاية الأهمية لأنها احتوت بالفعل المبادئ الدستورية المعروفة في القوانين الحديثة بشأن حقوق المواطن وواجباته^(١).

وسنقسم دراستنا إلى ثلاثة أقسام: نتناول في القسم الأول مدلول المواطنة من الناحية الفقهية والقانونية. أما القسم الثاني فسوف نتناول فيه الحقوق المرتبطة بالمواطنة. ونقدم في القسم الثالث الواجبات المرتبطة بالمواطنة.

علماً بأننا سنسير على منهج المقارنة بين أحكام الشريعة الإسلامية وأحكام القانون المقارن..

والله ولي التوفيق...

(١) راجع في التفاصيل للمؤلف:

- دروس الجنسية ومركز الأجانب"، كلية الشريعة والقانون جامعة الأزهر، القاهرة ١٩٧٠م.
- عز الدين عبد الله، القانون الدولي الخاص المصري، ج١، مكتبة النهضة المصرية، عام ١٩٩٥م.
- وللمؤلف: "نظام الدولة في الإسلام"، رابطة الجامعات الإسلامية، عام ٢٠٠٦م. "الإسلام وحقوق الإنسان"، رابطة الجامعات الإسلامية، عام ٢٠٠٣م. "المنظمات الدولية"، دار النهضة العربية، الطبعة

القسم الأول

مفهوم المواطنة

تتكون الدولة الحديثة من ثلاثة عناصر، هي: الإقليم، والشعب، والحكومة. فالإقليم هو النطاق الذي تتواجد فيه الدولة، ويعيش عليها شعبها، ولا يمكن وجود الدولة دون وجود الإقليم، وإذا زال الإقليم لأى سبب كان، زالت الدولة.

وتقوم الدولة بممارسة مجموعة من الأنشطة على الإقليم، يتم بعضها فى داخل الإقليم ذاته، ويتم بعضها الآخر فى التعامل مع الدول الأخرى (١).

والعنصر الثانى هو عنصر السيادة أو الحكومة، فلا يمكن وجود الدولة إلا إذا وجدت حكومة تمارس الاختصاصات على الإقليم ومن يوجد عليه من الناس.

أما العنصر الثالث، فهو عنصر الشعب. فبدون شعب أو مجموعة من الناس يعيشون على إقليم الدولة لا يمكن قيام الدولة.

المواطنون والأجانب:

ويقسم الفقه السكان الذين يوجدون على إقليم كل دولة بحسب مدى علاقتهم بها إلى قسمين: القسم الأول يتضمن الذين يرتبطون بالدولة برابطة ولاء ويعتمدون على إقليمها بشكل دائم، وهم المواطنون، وقد اصطلح على تسمية الرابطة بينهم وبين الدولة (رابطة الجنسية).

أما القسم الثانى: فيتضمن هؤلاء الذين لا تربطهم بالدولة رابطة ولاء، وإنما وجدوا على إقليمها بشكل عارض، وبعض هؤلاء تطول به الإقامة فى الدولة وتكون له رغبة فى استمرار هذه الإقامة، والبعض الآخر يأتى إليها لمهمة موقوتة فتنتهى إقامته

(١) راجع للمؤلف: "مبادئ القانون الدولى العام"، الطبعة السادسة ٢٠٠٥م، دار النهضة العربية، ص ٢٧٨.

بانتهائها (زيارة أو تجارة). ويسمى هؤلاء (الأجانب)، فهم ينتمون إلى جنسية دولة أخرى أو لا تكون لهم جنسية (١).

دائرة حقوق المواطنين :

المواطنون وحدهم العنصر الذي تعتمد عليه الدولة في مختلف شئونها، فهم محل التكاليف العامة، وهم كذلك يتمتعون بحقوق ثابتة على إقليم الدولة تتجاوز تلك التي يتمتع بها الأجانب عادة، فلهم وحدهم حق الإقامة الدائمة على الإقليم، في حين أن الأجنبي ليس له هذا الحق، كذلك يتمتعون وحدهم بما يسمى بالحقوق السياسية، وهي الحقوق الخاصة بالاشتراك في الحكم وتسيير شئون الدولة (حق الانتخاب، الترشيح، تولى الوظائف العامة).

وبالطبع يتمتع المواطنون بكافة الحقوق العامة والخاصة التي تقرها لهم مختلف قوانين الدولة.

وتضع الدولة المعايير المختلفة لتحديد من يرتبطون بها برابطة الجنسية. وعادة تأخذ بأحد معيارين لتحديد الجنسية الأصلية، أي الجنسية التي تثبت للشخص فور ميلاده، معيار حق الدم، ومعيار حق الإقليم، أي تمنح الجنسية لمن يولدون لأب وطني إذا كانت تأخذ بالمعيار الأول، وتمنحها لمن يولدون على إقليمها، إذا كانت تأخذ بالمعيار الثاني، وإن جرت العادة على تكملة أحد المعيارين بالآخر في حالات كثيرة.

كما تعطى الدول الفرصة للحصول على جنسيتها المكتسبة لمن يرغبون فيها ولمن ترغب هي فيهم أيضا، وتضع العديد من الشروط الواجب توافرها فيمن لزم الحق في الحصول على هذه الجنسية (٢).

(١) راجع للمؤلف: نظام الدولة في الإسلام وعلاقتها بالدول الأخرى، طبعة رابطة الجامعات الإسلامية، العدد (٢١)، سلسلة فكر المواجهة.

(٢) رُاجع تفضيلات واسعة في مؤلف أ. د/ فؤاد رياض: الوسيط في القانون الدولي الخاص، ص ١٦٠ وما بعدها.

معاملة الأجانب على إقليم الدولة :

تعتبر معاملة الأجانب في الدولة من المسائل التي تستقل الدول بتنظيمها ولها في ذلك سلطة تقديرية واسعة، في حدود القيود الاتفاقية أو العرفية التي تقيدتها في هذا الخصوص.

فالقيود الاتفاقية تكون في حالة ما إذا أبرمت دولة اتفاقية مع دولة أو دول أخرى تلزمها معاملة خاصة لرعايا تلك الدول أو بمجموعة من الأقليات. مثال ذلك ما تم في اتفاقيات فرساي من إبرام اتفاقيات تتضمن حداً أدنى في معاملة الأقليات في بعض الدول التي نشأت بعد الحرب العالمية الأولى وانتزعت من الإمبراطوريات المنهزمة.

كذلك يضع القانون الدولي ما يعرف بالحد الأدنى لحقوق الأجانب الذين يوجدون في أقاليم الدول الأخرى، هذا الحد الأدنى وضع في البداية لحماية ممتلكات الدول الاستعمارية واستثماراتها بالذات لدى الدول النامية، ونحن نرى أنه لا أهمية قانونية له في الظروف الحاضرة. ذلك أن ميثاق الأمم المتحدة، والممارسات العملية للمجتمع الدولي تعترف بضرورة احترام حقوق الإنسان وحرياته، ويمنع الدول من أن تجرى تمييزاً بين الأشخاص لأي سبب، حتى لو كان يتصل بالجنسية.

لذا فإن الوثيقة الدولية لحقوق الإنسان والتي تتكون من ثلاثة أجزاء: الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، اتفاقية الحقوق المدنية والسياسية، واتفاقية الحقوق الاقتصادية والاجتماعية، تمثل الحد الأدنى لهذه الحقوق، وهو يختلف في مفهومه القانوني عن النظرية القديمة للحد الأدنى للحقوق، فهذا الحد الأدنى وضعته وثيقة حقوق الإنسان تلك، ولا يجوز للدول أن تخرج عنها، وقد تكفلت هذه الوثيقة بوضع التدابير اللازمة لحماية هذه الحقوق على المستوى الدولي، حتى لا تظل العلاقة بين الدولة والفرد داخلها علاقة داخلية، وحتى يسمح للمجتمع الدولي بالتدخل في هذه العلاقة وحماية الطرف الأضعف فيها وهو الفرد^(١).

(١) انظر للمؤلف: نظام الدولة في الإسلام، مصدر سابق.

وتتمثل هذه التدابير في إعطاء حقوق للدول الأخرى في مراقبة تنفيذ الوثيقة وفي تشكيل لجنة حقوق الإنسان التي تختص بهذه المراقبة كذلك، وتلقى ملاحظات الدول على عدم تنفيذها لهذه الوثيقة، كما أن البروتوكول الملحق باتفاقية الحقوق المدنية والسياسية يعطى صلاحيات أوسع في هذه المراقبة، ويمنح الفرد العادى حق التظلم إلى اللجنة من أى عدوان يقع على حقوقه، وإن كان تنفيذ هذا البروتوكول لم يتم بعد؛ بسبب عدم تصديق الحد الأدنى لنفاذه من الدول الموقعة عليه حتى الآن.

والخلاصة أنه وإن كانت طريقة معاملة الأجانب من حقوق الدولة، إلا أن القانون الدولى الاتفاق والعرفى كذلك يضعان قيوداً على هذه المعاملة لا يجوز للدولة أن تخالفها، حيث ترسم وثيقة حقوق الإنسان دائرة الحد الأدنى من الحقوق الواجب توافرها للإنسان بشكل عام، وطنياً كان أم أجنبياً^(١).

الشعب والأمة :

يوجد اتجاه في الفقه إلى التسوية بين الشعب والأمة، نجد ذلك اتجاهاً معتاداً في فرنسا والمجترا، بل نجد أيضاً في المواثيق الدولية المهمة كعهد العصبة وميثاق الأمم المتحدة^(٢)، وهذا في الواقع يمثل خلطاً بين مفهوم الشعب كعنصر داخل الدولة ومفهوم مجموعة بشرية خاصة في الأمة. والواقع أن فكرة الأمة تطرح مشكلة مزدوجة، هي مشكلة تعريفها، ومشكلة علاقتها بفكرة الشعب، وهو ما نوضحه الآن :

فكرة الأمة :

توجد مدرستان فكريتان حول تحديد مدلول الأمة :

المدرسة الأولى : وهي المدرسة الموضوعية تعتبر المجتمع الوطنى محدد بعناصر من

(١) راجع للمؤلف : الحماية الدولية لحقوق الإنسان، أحد الدراسات التي قدمت لمؤتمر السلام من خلال

القانون، الذي عقد في القاهرة عام ١٩٨٣ م.

(2) Organisation des Nations Unies.

الواقع مثل الخصائص العرقية، واللغوية، والدينية ووحدها بين مجموعة من الأشخاص، هي التي تشكل الأمة.

المدرسة الثانية: المدرسة الشخصية، فهي تهتم بالعناصر الإرادية، وتنظر إلى المجتمع الوطني على أنه رابطة أساسية في الرغبة في العيش المشترك، وهذه هي النظرية التي وضع أساسها مانشيني مؤسس الفكرة القومية الحديثة، والذي يعرف الأمة بأنها: مجتمع طبيعي من البشر تربطه وحدة الإقليم والأصل والسلوك واللغة بما يؤدي إلى وحدة العيش والوعي الاجتماعي^(١).

ويركز الفقه الفرنسي في تناوله للأمة على عناصر الوحدة في أسلوب الحياة، والاختيار الحر للعيش المشترك على أنها العناصر الرئيسية لأي مجتمع قومي، فالأمة هي إرادة العيش المشترك، أو هي وحدة التفكير والإحساس.

والعنصر الأهم في تكوين الأمة لدى المدرسة الشخصية هو العنصر التاريخي، فالأمة تبدو كتعبير عن وعي قومي تكون بقوة عبر التاريخ.

علاقة الأمة بفكرة الشعب:

نجيب هنا على قضية قديمة طالما تجددت هي: هل من الضروري أن تشكل الأمة دولة، أو ما هو الفرق بين الشعب والأمة؟

في الواقع أن هذه المشكلة مشككة حديثة إلى حد ما، إذ لم تكن تثار في الماضي، فلقد كانت القوميات المختلفة تخضع لسلطات إمبراطورية لا تقوم على الأساس القومي، وتضم الدولة أمماً كثيرة، ويصدق ذلك على كافة الإمبراطوريات القديمة والمتوسطة، بل والحديث منها، مثل: الاتحاد السوفيتي مثلاً. كما كانت توجد العديد من الأمم التي لم تشكل دولة واحدة، ولا زال الأمر سائداً حتى الآن، فالأمة العربية موزعة بين عدة دول.

(١) نقلاً عن كولبارد: النظم الدولية، المرجع السابق، ص ٧٦، وهذه هي عبارته.

ولكن بعث القومية وظهور مبدأ القوميات طرح بشدة فكرة ضرورة قيام الدول على الأساس القومي، أي أن يكون لكل أمة أن تصير دولة، فقامت الدول الأوروبية الحديثة على هذا المبدأ (ألمانيا، إيطاليا، النمسا) كذلك قامت العديد من الدول بعد الحرب العالمية الأولى تطبيقاً له، قرر مؤتمر صلح فرساي استقلالها عن الإمبراطوريتين المنهزمتين في هذه الحرب، أي ألمانيا والدولة العثمانية^(١).

مع ذلك فلا يكون من السهل دائماً أن تتكون الدول على الأساس القومي، وحتى العديد من الدول التي قيل بأنها نشأت على أساس قومي في أعقاب الحرب العالمية الأولى ليست دولاً قومية، فيوغوسلافيا ضمت أكثر من قومية كذلك تشيكوسلوفاكيا، والأمة العربية رغم أنها أمة واحدة، وزعت بين عدة دول.

مع ذلك، من الحقائق التي لا تقبل الجدل أن أفضل الدول هي التي تقوم على أمة واحدة، وتبذل العديد من الجهود الدولية والداخلية لتحقيق هذا الهدف، فعلى المستوى الدولي نجد القانون الدولي - خاصة بعد قيام التنظيم الدولي - يعترف بمبدأ حق الشعب في تقرير مصيره، ويعنى هذا في نظر البعض إقرار شخصية دولية للأمة، ورغم أن هذه مسألة خلافية؛ لأن البعض يرى أن حق تقرير المصير يقرر للشعوب أو الأقاليم المستعمرة، أو للدول نفسها. إلا أنه من الواضح أنه يعنى ضرورة استطلاع إرادة السكان في النظام السياسي والاقتصادي الذي ترتضيه لنفسها، وبما يجعل للأمة أهمية كبيرة في تكوين الدولة^(٢).

وعلى المستوى الداخلي، تبذل الدول جهوداً قوية لتحقيق الوحدة الوطنية بين مختلف عناصر شعبها. وتستخدم الدولة سلطتها لتقوية عادات الاتصال والتعاون والتضامن بين أفراد الشعب، كما يمكن كذلك عن طريق محصلة هذا الاتصال

(١) محمد طلعت الغنيمي: الوسيط، مرجع سابق، ص ٣٤٦.

(٢) راجع للمؤلف: عرض وافى لحق تقرير المصير في مؤلفه المنظمات الدولية، بند ٤١٨، ص ٣٨٢.

والالتزام والتضامن الإيجابي زيادة قوة الدولة، وهذا هو أحد الأسباب الرئيسية في أن الاتحاد بين الشعب في الدولة الحديثة قد أثبت جدواه السياسية، وأكد سيادة الدول القومية في العالم خلال المائة وخمسين سنة الأخيرة.

مشكلة الأقليات :

من الحقائق الدولية التي لا سبيل إلى إنكارها، حقيقة أن الأمة لا تكون دائماً دولة، وبالتالي من المتصور وجود أقليات دينية (كالمسلمين في الفلبين والصين والاتحاد السوفيتي مثلاً أو أقليات جنسية مثل الزنوج في أمريكا) أو أقليات لغوية (سكان إقليم كوبيك الكندي).

والمفروض أن مركز الأقليات في الدول التي ينتمون بجنسيتهم إليها هو نفس مركز الأغلبية، لهم نفس الحقوق وعليهم نفس الالتزامات، ماداموا يشكلون - كغيرهم - عنصر الشعب في الدولة، ولكن العمل الدولي يشهد واقعاً مريراً في معاملة الأقليات في كثير من الدول، وجد في يوغوسلافيا السابقة حيث اضطهد المسلمون، وُعوملوا بقسوة بالغة حتى أقام مجلس الأمن محكمة جنائية خاصة لمعاملة مجرمي الحرب هناك، ولا تزال تعمل حتى الآن في لاهاي ..

وقد نص عهد عصبة الأمم على ضمانات معينة للأقليات التي وجدت في الأقاليم التي استقلت عن الإمبراطوريات القديمة، كذلك أبرمت مجموعة من الاتفاقيات في نطاق اتفاقيات صلح فرساي سميت باتفاقيات الأقليات مثل بولندا، تشيكوسلوفاكيا، اليونان، رومانيا، يوغوسلافيا، كما تمثل في كفالة حقوق المساواة بينها وبين بقية السكان مع وضعها تحت إشراف دولي مناسب يمكنها تقديم التظلمات والشكاوى إلى الهيئة الدولية، ويعطى للأخيرة حق التدخل لإصلاح الخلل^(١).

(١) للمؤلف: نظام الدولة في الإسلام، مرجع سابق، ص ٣٤.

ولا شك أن معاملة الدولة لرعابها هي من الأمور الداخلية التي لا يجوز لأحد أن يتدخل فيها؛ تطبيقاً للمادة ٢ / ٧ من ميثاق الأمم المتحدة، إلا أنه يرد على ذلك قيد مهم يتصل بضرورة احترام حقوق الإنسان وحرياته، وعدم التمييز بين الأشخاص لأي سبب من الأسباب. وأعتقد أن اهتمام ميثاق الأمم المتحدة بهذه المسألة هو الذي جعله لا يورد نصوص العهد المتعلقة بالأقليات؛ لأن أية معاملة لا تتفق مع الوثيقة الدولية لحقوق الإنسان (الإعلان العالمي، العهدين الدوليين للحقوق المدنية والسياسية والحقوق الاقتصادية) تسمح باتخاذ إجراءات من قبل اللجان العديدة التي أنشئت لرقابة احترام حقوق الإنسان وحرياته على المستوى الدولي.

القسم الثاني

حقوق المواطنين

تقرر دساتير مختلف الدول الحقوق التي يتمتع بها المواطنون على إقليم الدولة بشكل عام، ومع ذلك فإن الوثيقة الدولية لحقوق الإنسان تتناول هذه الحقوق بشكل مفصل؛ لكي تستهدى بها الدول في تقرير حقوق المواطنين من ناحية، ولكي تكون دستوراً دولياً يجب الالتزام به من قبل الدول كحد أدنى للتعامل مع مواطنيها. كذلك فإن الدول التي تصدق على الوثيقة الدولية لحقوق الإنسان تلتزم بتنفيذها، حتى لو تعارضت مع نصوص الدستور أو القوانين التي تقوم بإصدارها. ونستطيع أن نقسم هذه الحقوق بحسب طبيعتها إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: طائفة الحقوق السياسية، وهي ترتبط دائماً بالمواطنين، ونادراً ما يتمتع بها الأجانب، باستثناء بعض الدول التي تمنحها الآن لمجموعات تقيم على إقليمها لفترات طويلة، حتى ولو كانوا لا يتمتعون بجنسيتها. فقد حدث تطور إيجابي في العديد من الدول الأوروبية بهذا الشأن، حيث تسابقت الأحزاب السياسية إلى اجتذاب المقيمين من هذا النوع لتنال أصواتهم الانتخابية كما حدث في فرنسا وبلجيكا وغيرها. وأهم هذه الحقوق: حق الترشيح للانتخابات للمجالس التشريعية، وحق الانتخاب، وحق تولى الوظائف العامة.

والقسم الثاني: هو الحقوق العامة، وهي طائفة واسعة من الحقوق التي قررتها الوثيقة الدولية لحقوق الإنسان، وأهمها:

■ الحق في الحياة: حيث لا يجوز حرمان أى شخص من حياته بشكل تعسفي. وقد وضعت الوثيقة ضمانات عديدة بالنسبة إلى أحكام الإعدام وطريقة تنفيذها.

■ الحق في سلامة الجسد : وهو يتضمن عدم جواز إخضاع الفرد للتعذيب أو لعقوبة قاسية أو غير إنسانية، كما لا يجوز -إلا برضاه الحر- إخضاعه للتجارب الطبية.

■ حق التمتع بالشخصية القانونية وبالحرية : حيث اعتبرت الوثيقة أن الإنسان يولد حراً، وبالتالي لا يجوز استرقاقه أو تحديد شخصيته القانونية لأي سبب، وأكملت ذلك بعدم جواز فرض ممارسة العمل على أي فرد بالقوة أو الجبر .

وتأكيداً للحق في الحرية، وضعت الوثيقة مجموعة من المبادئ الأساسية، منها عدم جواز القبض على الأشخاص أو إيقافهم إلا بسبب قانوني وبناء على أمر قضائي، بل فرضت على الدول أن تعوّض من قبض عليه بدون وجه حق . ولكل إنسان الحق في محاكمة عادلة وعلنية أمام محكمة مختصة ومستقلة وحيادية . كما نصت الوثيقة على أن الإنسان يعتبر بريئاً حتى تثبت إدانته، وهناك ضمانات عديدة وضعتها الوثيقة لضمان المحاكمة العادلة .

ونصت الوثيقة على الحريات الأساسية المقررة للإنسان، مثل : حرية الفكر والعقيدة، والاشتراك في التجمعات العامة، كما أولت اهتماماً كبيراً بحرية التعبير .

وحرصت الوثيقة على تقرير المساواة بين كل الناس - كمبدأ عام وأمام القانون والدستور - في التمتع بكافة الحقوق والحريات والخدمات .

أما القسم الثالث : فهي الحقوق الخاصة وأهمها : حق الملكية، وحق العمل، والحق في الزواج وتكوين أسرة، والحق في الخصوصية، والحق في التعليم والثقافة والتأمين الصحي، والحق في مستوى معيشي مناسب للفرد ولعائلته .

وبالنسبة إلى الحقوق العامة، فهي تثبت لكافة الأشخاص بمجرد ميلادهم؛ لأنها ترتبط بالإنسان ذاته كأدمى، إذ لا يسمح على الإطلاق بالتمييز بين الأشخاص بصدد تمتعهم بها .

أما الحقوق الخاصة فإن الدول تختلف في منحها للأشخاص، فلا شك في ضرورة تمتع مواطنيها بهذه الحقوق، أما غير المواطنين، فإن الدول تختلف في منحها لهم وفقاً لاعتبارات منها: المعاملة من قبل دولهم لمواطنيها بالمثل، أو تقدمها في إقرار الحقوق والحريات العامة لكافة الشعوب بصرف النظر عن معاملة الدول الأخرى لغير مواطنيها، كذلك فإن الاتفاقات الدولية قد تلزم الدول بإعطاء رعايا الدول الكثير من هذه الحقوق. وكما أشرت من قبل، فإن الوثيقة الدولية لحقوق الإنسان تمثل حداً أدنى للحقوق التي يجب أن يتمتع به كافة البشر، ومن ثم تلزم الدول بمنحها لكل المواطنين والأجانب في نفس الوقت^(١).

المواطنة كما مارسها الرسول ﷺ في المدينة:

في السنة الأولى للهجرة، وفي منزل يهودية هي دمنة بنت الحارث، جمع الرسول محمد ﷺ كافة القبائل والبطون الموجودة في المدينة، وعاش معهم جميعاً في حوارات أنتجت أول عقد اجتماعي حقيقي، وأول دستور في تاريخ البشرية، هو: دستور المدينة.

لقد أدرك رسول الله ﷺ بعبقريته أن وضع نظام للحكم في المدينة يتطلب إجماع الأمة من خلال (جمعية تأسيسية)، ورغم أن هذا المصطلح حديث، إلا أن معناه قد تحقق في المدينة. وتوضح الوثيقة نفسها في الفقرات الثلاثة عشر الأولى من حضر من أهل المدينة بكامل طوائفها مناقشة هذا النظام أو هذا الدستور، حيث ذكرت الوثيقة أول هذه الطوائف وهم المهاجرون وبنو عوف، وبنو الحارث بن الخزرج، وبنو ساعدة، وبنو جشم، وبنو النجار، وبنو عمر بن عوف، وبنو الأوس، وبنو النبيت.

وضعت الصحيفة أركان المواطنة في الدولة الجديدة، وأساس تكوين عنصر الشعب في المدينة، فجعلته الإسلام، فالصحيفة أساساً وثيقة اتفاقية أو دستور مكتوب

(١) انظر للمؤلف: نظام الدولة في الإسلام، مرجع سابق، ص ٦١ وما بعدها.

يقوم بين المسلمين والمؤمنين، ثم من تبعهم ولحق بهم من أهل الصحيفة، وعلى ذلك فاليهود طالما قبلوا أحكام الصحيفة أعضاء في مجتمع المدينة، بل إنهم يكونون مع المسلمين أمة واحدة، وهو نفس الحكم بالنسبة للوثنيين الذين قبلوا أحكام الصحيفة. فالنصوص واضحة في هذا الشأن، وهي تقول: (إن اليهود يتفقون من المؤمنين، وإن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم...، وأن ليهود بنى النجار مثل ما ليهود بنى عوف، وإن ليهود بنى ساعدة ما ليهود بنى عوف...)، وهكذا عدت الصحيفة كافة بطون اليهود وأعطتهم حق المواطنة، وقررت لهم حرية العقيدة بشكل واضح وكامل^(١).

لذا فإن الصحيفة أسست الدولة على اعتبار سياسي وليس دينيا فحسب، وهذه من صور عبقرية الرسول الكريم ﷺ، الذي استفاد في تأسيس الدولة من كافة من يوجدون على إقليمها مع إعطائهم كافة الحقوق والتزامهم بكافة الواجبات.

إن دلالة عرض الوثيقة ومناقشتها وإقرارها من كافة بطون وطوائف المدينة واضحة في اقتناع الرسول ﷺ وأهل المدينة بمجمل أحكامها ويرجع أنه لأهميتها دُوِّنت على قطعة من جلد أو حجر، ووجدت كما كُتبت، وهي مسألة نادرة في عصر لم تكن المطابع قد ظهرت فيه بعد. وأهمية هذا الكتاب هو التوثيق؛ لذا تعد من قبيل الوثائق بالمفهوم الحديث.

أما عن المبادئ والأحكام التي قررتها الوثيقة فهي متقدمة جداً بالنسبة إلى الوقت الذي كُتبت فيه، وتدل على تبني الرسول ﷺ لقيم الديمقراطية الحديثة منذ هذا الوقت المبكر، وهو السنة الأولى للهجرة. وقد أشرنا إلى مبدأ حرية العقيدة، ونضيف أن هذه الوثيقة تضمنت كافة حقوق الإنسان الديمقراطية، وأولها الحق في الحياة، بل أرست مبدأ مهماً في تضامن كل القبائل المؤسسة للدولة في دفع دية المقتول، وفي فداء

(١) انظر نص الوثيقة: ص ٦٤، من نظام الدولة في الإسلام، مرجع سبق ذكره.

الأسير وإغاثة الملهوف. كما تضمنت الصحيفة أهم المبادئ الديمقراطية الحديثة، والتي تهتم بها كافة وثائق حقوق الإنسان، وهو مبدأ المساواة بين الناس، ونورد هنا نصاً في هذه الصحيفة يقول: (وإن جهود الأوس مواليتهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة).

ومما استحدثته هذه الصحيفة في ذلك الوقت المبكر مبدأ التضامن الاجتماعي، وتورده القوانين والدساتير الحديثة في حد أدنى له، وهو أن الدولة تعول العاطل والفقير بدفع مبلغ معين له يعينه على الحياة. أما الوثيقة التي نحن بصدد عرض أحكامها، فقد ورد فيها نص يقول: (أن المؤمنين لا يتركون مفرحاً - زى مثقلاً بالدين - أن يعطوه في فداء أو عقل). والمفرح هو المثقل بالدين سواء لكثرة العيال أو من عليه دية (العقل)، أو لأى سبب آخر، لا يمكن أن يتركه المجتمع وإنما هنا التزام على الجماعة المسلمة بأن تعطيه الأموال الكفيلة بإخراجه من محنته.

ويطول بنا المقام إذا أردنا أن نتناول المبادئ المتصلة بحقوق الإنسان التي قررها الإسلام في أحكام هذه الوثيقة الأولى، والتي تم بلورتها بعد ذلك في العديد من آيات الكتاب الكريم وأحكام السنة المطهرة، وإنما نريد أن نركز على أساس المواطنة في دولة الإسلام وهو الدين الإسلامي، والتقيّد بالحقوق والالتزام بالواجبات التي تضمنتها وثيقة إنشاء الدولة الإسلامية، بصرف النظر عن الدين أو الجنس^(١).

(١) المصدر السابق.

القسم الثالث

الواجبات المرتبطة بالمواطنة

لا يمكن قيام حقوق دون أن تقابلها واجبات معينة تُفرض على من يتمتع بهذه الحقوق، بل ينظر إلى الحقوق والواجبات على أنهما عادة وجهين لأى ميدالية: الوجه الأول الحق، والوجه الثانى الواجب.

لذا فإن الإعلان العالمى لحقوق الإنسان قد تضمن فى المادة ٢٩ منه مادة نصها:

١ - على كل فرد واجبات نحو المجتمع الذى يتاح فيه وحده لشخصيته أن تنمو نمواً حراً كاملاً.

٢ - يخضع الفرد فى ممارسة حقوقه وحرياته لتلك القيود التى يقرها القانون فقط؛ لضمان الاعتراف بحقوق الغير وحرياته واحترامها، ولتحقيق المقتضيات العادلة للنظام العام والمصلحة العامة والأخلاق فى مجتمع ديمقراطى.

٣ - لا يصح بحال من الأحوال أن تُمارس هذه الحقوق ممارسة تتناقض مع أغراض الأمم المتحدة ومبادئها.

ونستطيع أن نستنتج من هذا النص الحقائق الآتية:

١ - أنه لا حقوق بدون واجبات، وكما يجب أن تقرر هذه الحقوق للفرد بشكل متكامل فى وطنه، وبحماية المجتمع الدولى، فإن المجتمع الدولى يضع على عاتق الفرد العديد من الواجبات التى يجب أن يقوم بها نحو هذا المجتمع.

٢ - أن الفرد عندما يمارس حقوقه وحرياته الواردة بالوثيقة، فإنه يخضع للقيود التى يقرها القانون فقط. أى أنه لا يجوز لأية سلطة غير سلطة المجلس التشريعى فى

(١) انظر للمؤلف: مبادئ القانون الدولى العام، ط ٦، ص ٢٨٨ وما بعدها.

كل دولة أن تقيّد الحقوق والحريات العامة الواردة في الوثيقة. أما الأغراض التي يمكن للقانون أن يقيّد بها الحقوق، فإن المادة تحدّثت عنها وهي:

(أ) ضمان الاعتراف بحقوق الغير وحرياته واحترامها: فمن المبادئ المقررة في كافة القوانين والأنظمة التشريعية مبدأ (أنت حر طالما لا تضر)، وإن حريتك تتوقف عندما تصطدم مع حريات وحقوق الآخرين.

لذلك فإذا كانت حرية التعبير قد ورد نص يقررها بوضوح، فإن ممارسة هذه الحرية يجب أن تقف عند الاعتداء على حريات الآخرين، بل إن القوانين تعاقب على القذف في حق الآخرين، والشريعة الإسلامية تعاقب بأشد العقوبات على قذف المحصنات، وهناك عقوبة أيضاً على من يسب أو يهين الناس، أو يسىء إلى العقائد؛ لذا فقد قمنا دائماً بإدانة الصحيفة الداعية التي نشرت رسوماً تسيء إلى الرسول ﷺ، ولا يمكن قبول إهانة الأشخاص تحت دعوى حرية التعبير، فما بالنا إن كان من يهان هو رسول الله ﷺ والدين الإسلامي الحنيف الذي يدين به خمس سكان العالم.

(ب) تحقيق المقتضيات العادلة للنظام العام والمصلحة العامة والأخلاق في نظام ديمقراطي، وهذا هو الهدف الثاني الذي يمكن تقييد الحقوق الواردة في الوثيقة بناء عليه.

فيمكن للقوانين أن تضع قيوداً على ممارسة الحقوق؛ حماية للنظام العام أو الأخلاق أو الآداب. فالإنسان من حقه ممارسة حريته، بما في ذلك حريته الجنسية، ولكن ذلك يتطلب منه ألا يعتدى على شرف المواطنين والمواطنات وأعراضهم؛ لذا تعاقب القوانين على جرائم الاغتصاب أو هتك الأعراض أو حتى ممارسة الفعل الفاحش بشكل علني؛ حماية للآداب ولقيم المجتمع.

كذلك لا يمكن ممارسة حرية التعبير إذا تضمنت ما يمكن أن يسيء إلى المجتمع

ونظامه، كما لو تضمنت إشاعة أسرار عسكرية مثلاً. ومن حق أصحاب الديانات ممارسة شعائر دينهم، على ألا تتضمن هذه الممارسة الإساءة إلى الأديان الأخرى، بما فى ذلك الإساءة إلى الديانة الغالبة فى المجتمع.

إننا نشهد فى بلادنا خرق السكنية العامة بالأصوات العالية السيئة، والسكنية من أهداف النظام العام، ولا يمكن التذرع بالحرية لهدم السكنية العامة فى المجتمع. أما الفقرة الأخيرة فى هذه المادة، فتتضمن عدم جواز ممارسة الحقوق والحريات ممارسة تتناقض مع أهداف الأمم المتحدة ومبادئها^(١).

فمن مبادئ الأمم المتحدة حظر استخدام القوة أو التهديد به فى العلاقات الدولية، لذا فلا يجوز - تحت دعوى ممارسة الحرية- الدعوة إلى الحرب أو إلى استخدام القوة ضد دولة أو مجموعة إلا إذا كان ذلك فى إطار أحكام الميثاق، أو إذا كان لغرض الدفاع الشرعى عن النفس.

كذلك يمتنع - تحت دعوى ممارسة الحرية - الدعوة إلى هدم مؤسسة الأسرة، أو إلى التمييز العنصرى لصالح فئات أو ضد فئات فى أى مجتمع، كذلك استقر المجتمع الدولى على إدانة النازية، كما أن الأمم المتحدة أدانت الصهيونية باعتبارها دعوى عنصرية، ولكن إسرائيل والولايات المتحدة قد لجحت فى إلغاء هذا القرار.

والخلاصة أنه لا يمكن تقرير حقوق بدون واجبات تقابلها. والمواطن السوى هو الذى ينظر إلى الواجبات قبل أن ينظر إلى الحقوق؛ لأن الواجبات ترتبط بالمجتمع الذى يعيش فيه وبضرورة أن يعطيه كما يأخذ منه. وتوجد واجبات ترتبط على الخصوص بممارسة الحقوق السياسية وهى واجبات:

١ - أداء ضريبة الدم والدفاع عن الوطن ضد أى هجوم عليه، وهو - كما ذكرت - واجب رئيسى يرتبط بالمواطن ولا يلتزم به الأجنبى، إلا إذا وُجدت تشريعات تكلف به المقيم إلى جانب المواطن.

(١) المصدر السابق: نفس الموضوع.

٢ - دفع ضريبة المال : وهو واجب آخر مهم ؛ لأن الدولة تعتمد على ما تحصله من أموال المواطنين للإنفاق على المرافق العامة وتمويل ميزانية الدولة، وهو بدوره - وإن كان يرتبط بالمواطنة أساساً، إلا أن الدول تميل إلى التوسع في تقريره على كل من يعيش في الدولة ويكتسب منها .

لذا لا يمكن قبول مهاجمة نظام الجزية ؛ لأن ما كان يدفع وفقاً لهذا النظام من قبل أهل الكتاب يمثل نوعاً من الضرائب التي يلتزم بها من يعيش على إقليم الدولة، ويستفيد بما توفره له من أمن ومن خدمات مرافقها .

خاتمة

المواطنة هي العلاقة التي يجب أن تسود بين الدولة ومن يعيشون على إقليمها في الوقت الحاضر، انطلاقاً من مبدأ أساسى يحكم الدول الآن، وهو مبدأ المساواة بين كل من ينتمون إلى دولة معينة أمام القانون وفي كل الحقوق والمزايا، أو فى كل ما يمكن قسمته من أموال وجاه ومناصب فى الدولة، وما ينتفع به من مرافق ومنافع فى الدولة.

لم يعد هناك مواطنون ورعايا كما كان فى الماضى، ولا يمكن إسقاط الشخصية القانونية لأحد أو استبعاده لأى سبب كان. وقد نجح المجتمع الدولى فى صياغة ما يعرف بـ (الوثيقة الدولية لحقوق الإنسان) لتقرير الحد الأدنى من الحقوق التى يجب أن تتقرر للإنسان، بصرف النظر عن الدين أو اللون أو الجنس. وقد عرضنا لجمال هذه الحقوق والحريات، التى يتمتع بها - فى الجملة - المواطنون الذين يحملون جنسية الدولة، وسائر من يقيمون على الإقليم إقامة دائمة، بل والكثيرون غيرهم من الأجانب الذين قد يتمتعون بكثير من هذه الحقوق.

وفى المقابل، هناك التزامات يجب أن يقدمها كل فرد للدولة وللمجتمع الذى يعيش فيه؛ لأنه لا حقوق بغير التزامات، وهذه الالتزامات يرتبط بعضها بالمواطن الذى يحمل الجنسية، كواجب الدفاع عن الوطن ضد كل من يعتدى عليه، وواجب دفع الضرائب، وواجب الانتماء بما يفرضه من ولاء للدولة من الأفراد دائماً بما تقدمه لهم.

إن هذه الأوراق تقرر مدلول المواطنة وما تفرضه من حقوق وواجبات على كل إنسان اليوم تجاه دولته، كذلك فإن توسع العلاقات الدولية جعل الأجانب الذين يوجدون على إقليم دولة غير دولتهم الأصلية يتمتعون بالكثير من الحقوق ويلتزمون بالكثير من الالتزامات، فى حدود تتسع أو تضيق وفقاً لأنظمة وقوانين كل دولة.

ولقد عرف الرسول ﷺ كيف يمكن أن يقيم علاقات سوية بين كل من يوجدون على إقليم الدولة، حيث جعلهم أمة واحدة - بصرف النظر عن دينهم - بشرط الموافقة على نظام المدينة (الصحيفة)، والالتزام بما يفرضه من شروط على من يوجدون عليه. وبالنسبة للالتزامات فقد بحثناها في القسم الثالث من الدراسة؛ لنثبت أنه - وفقاً للوثائق الدولية - لا توجد حقوق لا تقابلها التزامات في أنظمة الدولة الحديثة وفي كل وقت وحين.

نظرات فى الوقف

ودوره فى دعم الشباب ونهضة المجتمع

فى ضوء أحكام الفقه الإسلامى والقوانين الوضعية

للدكتور / إسماعيل عبد النبى شاهين

أستاذ القانون الدولى - نائب رئيس جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ النبى المصطفى
الأمين وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين.
وبعد...

فلا شك أن الوقف قرينة من القربات وعبادة من العبادات، وهو يدل على صدق
إيمان الواقف، وحرصه على مصالح المسلمين - خاصة بالنسبة للوقف الخيرى - ووجه
لهم ولأجيالهم المتعاقبة، ومنافعهم المتلاحقة، ولقد ضرب المسلمون منذ عصر الرسول
ﷺ (أروع الأمثلة فى ميادين الوقف، فوقفوا أوقافا لا تحصى، وأموالا لا تعد، وشملت
أوقافهم جوانب كثيرة من الخير، ومرافق الحياة، ونواحي المعروف فأوقفوا على
المدارس، والمشافي (المستشفيات) والمساجد، والمجاهدين، والعلماء وطلاب العلم...
إلخ، وما تركوا ناحية من نواحي الحياة إلا وقفوا لها وقفا، وما من حاجة من حاجات
المجتمع إلا حبسوا لها أموالا، والعالم الإسلامى كله يذخر بالأوقاف التى وقفها المسلمون
الأوائل على كل مرافق الحياة.

ونظرة سريعة فى تاريخ الوقف نجده، قد وقع من الحكام والحكوميين، والتجار،
والصناع والزراع والعلماء والرجال والنساء، وكل فئات المجتمع حتى إذا فى كل بلد من

بلدان المسلمين أوقاف يقدر ريعها بمئات الملايين؛ بل والمليارات في بعض الدول (مثل جمهورية مصر العربية)، وأصبح لهذه الأوقاف في كل قطر من أقطارهم وزارة معنية بأموال الأوقاف واستثمارها وإنفاق ريعها على المصارف التي حددها الواقفون أو فرضتها المصلحة العامة للمسلمين، وهناك آلاف من الأسر تعيش من ريع هذه الأوقاف وثمارها، وغلاتها، وهناك أيضا مرافق كثيرة ومصالح عديدة استمرت ونمت في أحضان هذه الأوقاف وفي ربوع خيراتها، فجزي الله أولئك الصالحين خيرا، وأجزل الأجر والمثوبة.

ولا شك أن تجربة وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في الدول العربية في تطوير أجهزة الوقف، يأتي استجابة لفكرة الشخصية الاعتبارية للوقف، ذلك أن الهدف يعود أثره على الوقف باعتباره شخصا معنويا وذلك يتضح من حقيقة أن "الهدف من التطوير المنشود للوقف هو تحديث أدوات استثمار وتنمية الأموال الوقفية وتنويعها وتوظيف ريع ذلك الاستثمار في خدمة الأهداف التنموية من خلال مشاريع تستهدف النهوض بالمجتمع وتلبية احتياجات نموه ورقيه في المجالات الحضارية والثقافية والإنسانية والاجتماعية والاقتصادية" (١).

ويرتبط نظام الوقف أشد الارتباط بالسياسة المالية الإسلامية وبالاقتصاد الإسلامي، ففي المجال المالي فإن الوقف أداة مثلى للتنمية، والسياسة المالية الإسلامية، لها دور جوهري في تهيئة دعائم التنمية الاقتصادية في مجال الإنتاج والاستثمار والاستهلاك (٢) في ضوء ضوابط هامة أخصها ضابط أوليات الإنتاج وضابط أولويات

(١) التجربة الكويتية في إدارة وتنمية الأوقاف - ضمن أبحاث ندوة دور تنمى للوقف - الكويت سنة ١٩٩٣م، ص ٧، وانظر د/ نعمت عبد اللطيف مشهور، أثر الوقف مع تنمية المجتمع، سلسلة دراسات وبحوث اقتصادية، يصدرها مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي، ١٩٩٧م ص ٣٥ وما بعدها.

(٢) د. سيد عطية عبد الواحد، دور السياسة المالية الإسلامية في تحقيق التنمية الاقتصادية والتوزيع العادل للدخول والتنمية الاجتماعية، مصر دار النهضة العربية ص ٤٧٩ وما بعدها حتى ص ٧١٧، وانظر =

الاستهلاك وحدوده، كما أن هذه المخاطر العامة كالكوارث والبطالة والفقر، كما أن السياسة المالية للإسلام لها دور جوهري هو توفير حد الكفاية من خلال العدالة الاجتماعية والضمان الاجتماعي والتنمية الاجتماعية والتكافل الاجتماعي كما أن الوقف هو المدخل الأول والأقدم للإرادة المالية والتخطيط المالي والتنظيم المالي^(١) والإشراف المالي وتعبئة الموارد والرقابة المالية^(٢) في الدول الإسلامية وإنفاق المال^(٣) والنظام المحاسبي^(٤).

ومن الناحية الاقتصادية ساهم الوقف في الفكر الاقتصادي المعاصر^(٥) وفي

= إبراهيم دسوقي أباطة، الاقتصاد الإسلامي مقوماته ومناهجه، دار الشعب، بدون تاريخ نشر ص ١٢٥ وما بعدها، د يوسف إبراهيم: محاضرات في النظام الاقتصادي الإسلامي، كلية التجارة جامعة الأزهر ١٩٨٥، ص ٨٢ وما بعدها، عبد الله ناصح علوان، التكامل الاجتماعي في الإسلام، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٨٣ م، ص ١٥ وما بعدها.

(١) قطب إبراهيم محمد، النظم المالية في الإسلام ط ٢ الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩، ص ١٩١ وما بعدها، وانظر د. محمد عبد النعم خميس: الإدارة في صدر الإسلام، بدون ص ١١٢، د. محمد سعيد أحمد، الإدارة المالية والموازنة العامة للدولة، القاهرة ٧٢-١٩٧٣، ص ١١ وما بعدها.

(٢) انظر عيسى أيوب الباروني، الرقابة المالية في عهد الرسول (والخلفاء الراشدين، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ط ١-١٣٩٥ هـ/ ١٩٨٦ م طرابلس، ليبيا ابن القيم الجوزية، أعلام الموقعين ج ١ ط دار الجبل، لبنان ١٩٧٣ م، مراجعة طه عبد الرؤوف ص ٨٥ وما بعدها، علي عبد الرسول: المبادئ الاقتصادية في الإسلام، القاهرة ٦٤ دار الفكر العربي، ص ٢٦٠ وما بعدها، قطب إبراهيم محمد، السياسة المالية لعثمان بن عفان، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦ م، ص ٧٥ وما بعدها.

(٣) عبد الكريم الخطيب، السياسة المالية في الإسلام وصلتها بالمعاملات المعاصرة دار الفكر العربي ط ٢، ١٩٧٦ م وما بعدها ص ٢١٢ وما بعدها.

(٤) د. محمد المرسي لاشين، التنظيم المحاسبي للأموال العامة، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري ط ١، ١٩٧٧، ص ١٠٣ وما بعدها، د. محمد شتا أبو سعد "الشخصية الاعتبارية للوقف" دراسة مقارنة، بحث منشور بمجلة هيئة قضايا الدولة، العدد الأول ص ٣٦، ص ١٨.

(٥) د. رفعت العوضي، مرتكزات لتدريس الاقتصاد الإسلامي، أبحاث ندوة إسهام الفكر الإسلامي في الاقتصاد المعاصر، ط المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤٠١-١٩٨١ م، ص ١١ وما بعدها.

معالجة الأوضاع الاقتصادية للمجتمع الإسلامي^(١) وإثارة الفكر الاقتصادي وفتح الباب أمام دراسة أبعاد النظرية الاقتصادية^(٢) والحرية الاقتصادية^(٣). وتحدى الصيغة الاقتصادية التقليدية^(٤) وأصبح الوقف أساساً لمعالجة الخلل الاقتصادي في كثير من الأحوال، وقد أثار ذلك وجوب معالجة فكرة الجوانب الشرعية والقانونية للمسائل الوقفية المعاصرة إذ تعتبر دراسة هذه الجوانب من أهم الدراسات في مجال الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي وإذا كان العلامة (رينيه دافيد) قد اعتبر الشريعة الإسلامية أحد أهم الأنظمة القانونية الكبرى في العالم فإنه يجب على دارسى الشريعة والقانون تعميق بحوثهم لتكشف عن أهمية هذا التشريع في تحقيق التفاعل المتبادل بين الفكر الإسلامي والفكر القانوني المعاصر^(٥) وهو ما تؤكد به البحوث المأمولة في هذا الملتقى.

وفي هذا البحث الموجز نعرض عنه تاريخية عن الوقف ودوره في تحقيق مصالح المسلمين والدور الذي تلعبه الهيئات القائمة على الوقف في الدول الإسلامية معها هيئة الأوقاف المصرية والأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت ... إلخ .

(١) حول ظروف الناس في المجتمع، انظر محمد الغزالي، الإسلام والأوضاع الاقتصادية، دار الصحوة للنشر، حلوان ط٧، ١٤٠٧/١٩٨٧م، ص ٢٥ وما بعدها.

(٢) د. فاضل عباس: الحسبة في الفكر الاقتصادي الإسلامي، دراسة مقارنة عالم المعرفة، بيروت ط٢، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص ١٥ وما بعدها، د. محمود محمد بابلي، الاقتصاد في ضوء الشريعة، دار

الكتاب اللبناني بيروت ط٢، ١٩٨٠، ص ١٥٨ وما بعدها في أهمية الاقتصاد ومقوماته الأساسية.

(٣) انظر د. أحمد عبد العزيز النجار، المدخل إلى النظرية الاقتصادية في المنهج الإسلامي، ط٢ ١٤٠٠/١٩٨٠، ص ١٣.

(٤) انظر في ذلك د. محمد عمر شايرا، وترجمة د. محمد زهير السهموري، مراجعة د. أنس الزرقا، د. محمد سعيد النابلسي، عمان شوال ١٤١٦هـ (شباط ١٩٩٦م) ص ٢٧ وما بعدها، الشيخ حسن سري الاقتصاد الإسلامي، مبادئ وخصائص وأهداف مركز الإسكندرية للكتاب ١٩٩٨م، ص ١١ وما بعدها.

(٥) انظر د. محمد شتا أبو السعد - المصدر السابق ص ٢٢.

ومن ثم كان محور البحث حول كيفية استفادة الشباب من المنجزات الخيرية والتنموية لهذه الهيئات في البلدان الإسلامية.

وسنعالج في هذا البحث " دور الوقف في دعم الشباب ونهضة المجتمع " في ضوء أحكام الفقه الإسلامي والقوانين الوضعية في مبحثين :

المبحث الأول : ونخصه لـ "كلمة عامة عن الوقف وأنواعه".

المبحث الثاني : دور الوقف في دعم الشباب ونهضة المجتمع.

المبحث الأول

كلمة عامة عن الوقف وأنواعه

تعريف الوقف :

الوقف لغة : الحبس ، يقال وقفت كذا ، أى حبسته .

وهو شرعاً حبس مال يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه بقطع التصرف فى رقبته على مصرف مباح موجود ^(١) .

وهو مشروع بالكتاب والسنة :

فمن الكتاب : قول الله تبارك وتعالى : ﴿ لَنْ نَأْتِلُوا الْبِرُّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ

﴿ ٩٢ ﴾ ، آل عمران ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿ ١١٥ ﴾ ، آل عمران .

ومن السنة : أحاديث كثيرة ، ليجزئ منها قول الرسول ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » ^(٢) ، والصدقة الجارية محمولة عند العلماء على الوقف .

وعنه أيضاً قال : قال رسول الله ﷺ : « إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً علمه ونشره ، وولداً صالحاً تركه ، أو مصحفاً ورثه ، أو مسجداً بناه ، أو بيتاً لابن السبيل بناه ، أو نهراً أجراه ، أو صدقة أخرجها من ماله فى صحته وحياته ، تلحقه من بعد موته » ^(٣) .

(١) انظر فتح القدير ج ٥ ص ٣٧ ، والدار المختار ج ٣ ص ٣٧١ ، معنى المحتاج ج ٢ ، ص ٣٥٦ ، كشاف القناع ج ٤ ص ٢٦٧ .

(٢) رواه مسلم فى كتاب الوصية (١٦٣١) باب ما يلحق الانسان بعد وفاته .

(٣) حديث صحيح ، رواه البخارى وابن ماجه .

كما أن عمر بن الخطاب وقف أرضاً له بخيبر - بعد أن وجهه رسول الله ﷺ إلى ذلك، فوقفها على الفقراء، وفي سبيل الله، وابن السبيل والضعيف...، والمشهور أن وقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان أول وقف في الإسلام، وقد اشتهر الوقف بين الصحابة وانتشر بعد ذلك بين المسلمين.

شروط الوقف :

يشترط في الواقف إجمالاً :

(أ) صحة عبارته : بأن يكون بالغاً عاقلاً حراً .

(ب) أهليته للتبرع ، فلا يصح الوقف من الحجور عليه بسفه ، أو قلس .

شروط المال الموقوف :

(أ) أن يكون الموقوف عيناً معينة : فلا يصح وقف المنافع وحدها دون أعيانها .

(ب) أن يكون الموقوف ملكاً للواقف ، يقبل النقل ، ويحصل منه فائدة أو منفعة .

(ج) دوام الانتفاع بالموقوف ، فلا يصح وقف الطعام ونحوه لأنه يستهلك بالاستعمال .

(د) أن تكون منفعة الموقوف مباحة ، فلا يصح وقف آلات اللهو وما شابهها .

ويجوز وقف العقارات ، الأراضي ، والمتاجر ، والآبار ، والدور (١) ... إلخ .

والمنقولات كالذوابع ، والسيارات ، والثياب ، وآلات الحرب (٢) ، والأواني - والكتب

النافعة - ويصح وقف المشاع وهو الشيء المملوك المختلط بغيره الذي لا يتميز بعضه عن

بعض سواء كان منقولاً أو عقاراً ؛ لأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقف مائة سهم في

خيبر مشاعاً .

(١) انظر : الدر المختار ج ٣ ص ٤٠٨ ، فتح الباري ج ٥ ص ٤٨ ، والقوانين الفقهية لابن جزي ص ٣٦٩ ،

والغنى لابن قدامة ج ٥ ص ٥٨٥ .

(٢) انظر : الكتاب مع اللباب ج ٢ ص ١٨٢ ، والشرح الكبير ، والمهذب للشيرازي ج ١ ص ٤٤٠ ، والغنى

السابق ذكره .

ملكية الموقوف :

إذا وقف الواقف عيناً كعقار، أو سيارة، أو غير ذلك : انتقل ملك رغبة الموقوف إلى الله تعالى، فلا يكون الموقوف للواقف، ولا للموقوف عليه، وتكون منافع العين الموقوفة ملكاً للموقوف عليه، إذا كان الموقوف عليه معيناً، وله أن يستوفي هذه المنافع بنفسه وبغيره عن طريق الإجازة أو الإعارة، ويملك فوائد الوقف كثمرة الأشجار الموقوفة عليه .

أما إذا كان الموقوف عليه غير معين - كالفقراء مثلاً - فإنهم لا يملكون منفعة الموقوف بل يملكون حق الانتفاع بهذه العين فقط .

ولا يجوز التصرف في رغبة العين الموقوفة بيعاً أو شراءً أو هبةً أو إرثاً، لا من قبل الواقف ولا من قبل الموقوف عليه، سواء كان الموقوف عليه معيناً أو غير معين، بل تبقى على ملكية الله عز وجل، تصرف منافعها إلى من وقفت عليه، ويعمل بها ما أمكن بما نص عليه الواقف، ودليل ذلك وقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث روى أنه نص في وقفه على " أنه لا يباع ولا يوهب ولا يورث " .

أنواع الوقف - الوقف نوعان :

(أ) وقف أهلي : وهو ما جعل ابتداءً على معين سواء كان واحداً أو أكثر وسواء كانوا معينين بالذات كأحمد، وعلى، أم معينين بالوصف كأولاده، وسواء كانوا أقارب أم لا، ثم من بعد هؤلاء المعينين على جهة بر .

(ب) وقف خيري : وهو ما جعل ابتداءً على جهة من جهات البر^(١)، ولو لمدة معينة يكون بعدها على شخص أو أشخاص معينين، كمن يقف داره أو أرضه لينفق من

(١) انظر : سعد محمود أبو عزيز - الفقه الميسر وأدلته من القرآن والسنة ط : المكتبة التوفيقية ص ٤٣٢ .

غلقتها على الفقراء أو على مستشفى، وكذلك إذا جعلها وقفاً على جهة البر مدة معينة كعشرين سنة مثلاً ثم بعدها على أشخاص معينين كأولاده مثلاً.

فمدار التفرقة بين الوقف الأهلي والوقف الخيري هو الجهة الموقوف عليها أول

الأمر.

وكما يكون الوقف كله أهلياً فقط، أو خيرياً فقط، يكون متنوعاً بعضه خيرياً وبعضه أهلياً، فمن وقف ماله على فقراء بلده، وشرط لنفسه أو لذريته أو لشخص معين حصة معينة كخمس المال مثلاً، كان الوقف خيرياً في هذا الخمس وأهلياً في الباقي.

إلا أنه تجدر الإشارة إلى أن معظم دول العالم ألغت الوقف الأهلي لأنه كما قال البعض كان طريقاً لحرمان بعض الورثة من حقوقهم في التركات.

فألغت سوريا الوقف الأهلي عام ١٩٤٩م ومن قبلها لبنان التي أعادت تنظيم هذا النوع من الوقف عام ١٩٤٧م وبموجب هذا القانون اعتبر هذا الوقف منتهياً في حالات خاصة، وفي مصر تم إلغاء الوقف الأهلي بموجب القانون رقم ١٨٠ لسنة ١٩٥٢م وفي العراق صدر قانون سنة ١٩٥٥م ألغى الوقف الأهلي^(١). ويلاحظ أن الوقف الخيري ذاته لم يحل مشكلة اغتصاب الأراضي الموقوفة، كما أن قوانين الوقف الخيري ساعدت على تبيد أعيان هذا الوقف في كثير من الحالات وبذلك ضاعت أموال كانت تعود بالنفع على جهات البر التي شرطها الواقفون، وحمل كل هذا الناس على الإحجام عن الوقف الخيري وعزوفهم عنه، وبهذا انقطع الوقف بنوعيه الخيري والأهلي، والأهلي بصورة جزئية في العالم الإسلامي، وأصبح القاسم المشترك فيه: فتور الهمم عن الوقف^(٢)، وطغيان النظرة المادية والمنفعة الفردية في ظل أوضاع اجتماعية جعلت الصراع من أجل المال هو غاية الغايات للأفراد والجماعات بوجه عام.

(١) انظر: د / زهدى يكن - الوقف في الشريعة الإسلامية والقانون ط بيروت ص ٢٤٣ .

(٢) د. محمد الدسوقي - الوقف ودوره في تنمية المجتمع الإسلامي ص ٥٠ ط ٢٠٠٠م.

المدبحث الثانى

دور الوقف فى دعم الشباب ونهضة المجتمع

أهداف الوقف وأهميته العملية^(١) :

١ - فتح باب التقرب إلى الله تعالى فى تسبيل المال فى سبيل الله، وتحصيل الكثير من الأجر والثواب.

٢ - تحقيق رغبة المؤمن فى إظهار عبوديته لله تعالى، إذ إن محبة الله عز وجل لا تظهر واضحة إلا فى مجال العمل والتطبيق، قال تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (٩٢) آل عمران.

٣ - تحقيق رغبة المؤمن أيضاً فى بقاء الخير جارياً بعد وفاته، ووصول الثواب منهمراً إليه وهو فى قبره حين ينقطع عمله من الدنيا، ولا يبقى له إلا ما حبسه ووقفه فى سبيل الله حال حياته أو كان سبباً فى وجوده من ولد صالح يدعو له أو علم ينتفع به، وتظهر الأهمية العملية للوقف فى خدمة الفقر وتزويج شبابهم وحل مشكلات مجتمعهم وذلك من خلال الأعمال الآتية:

١ - المساهمة فى الوفاء بحاجات الفقراء :

مثل المأكل والملبس والسكن، فالوقف يوفر هذه الحاجات الأساسية للفقراء وهو بذلك يرفع عن طائفة من الأمة الكثير من الحرج والشدة، مع توفير العزة والكرامة لهم باتباع أسلوب متميز يسمح بتوصيل الأموال إليهم ويحميهم من التشرد والمرض.

وتساعد الأوقاف فى توفير حد أدنى من الحياة الكريمة للفقراء، إذ توفر لهم الخدمات الصحية والأمنية والتعليمية، ليواصلوا مسيرة الحياة مثل الأغنياء الذين

(١) د/ مصطفى عرجاوى: الوقف وأثره على الناحيتين الاجتماعية والثقافية فى الماضى والحاضر - مجلة البحوث الفقهية والقانونية - كلية الشريعة بدمنهور ط١٩٩٨، ص٥٠٩ - ٥٠٧.

يتمتعون بهذه المزايا لتوافر الأموال بين أيديهم، وهذه الخدمات العامة يعمل الوقف على توفيرها في أعماق البوادي مرضاة لله تعالى، واستجابة لرغبة الواقفين من أهل الخير على هذه الجوانب المهمة في حياة الفقراء .

٢ - زيادة عدد قنوات العون للمعوزين :

فالوقف بذل وعطاء وهو دليل على وجود المجتمع المتراحم والمتعاون ببذل المزيد من العون وبفتح المزيد من القنوات لمساعدة الفقراء في توفير فرص العمل المناسب للارتقاء بمستواهم الاجتماعي لينضموا إلى إخوانهم الأغنياء للدفاع عن قيم المجتمع، ولينخرطوا في صفوف الأمة بلا أحقاد أو ضغائن^(١) .

٣ - الوقف يعين الناس على تأدية العبادات :

فأحسنون من الواقفين يخصصون بعض الأعيان أو الأموال وحسبها للإنفاق من عوائدها لإعانة الفقراء على تأدية العبادات المفروضة كالصيام والحج وتمكين الفقراء من أداء العبادة بلا مشقة .

٤ - الوقف يساعد على تزويج الشباب :

إن الوقف من أجل تزويج الشباب والفتيات يسهل في حل مشكلات الانحراف داخل المجتمع . ولقد عالج الوقف الإسلامي هذا الداء قبل أن يستشري بأن منح الفتيان والفتيات المعسرین أو الفقراء الراغبين في النكاح المهور اللازمة والمساهمة في تزويجهم ، ليعيش المجتمع شريفاً عفيفاً نظيفاً مما تعاني منه مجتمعات أخرى من تحلل أخلاقي، وتفشي الأمراض مثل الإيدز وغيره من الأمراض التناسلية التي حلت بهذه المجتمعات بسبب التحلل والسفور وتعطيل أحكام الشريعة الغراء التي تدعو إلى تيسير أمر النكاح لقضاء الوطر .

(١) د / محمد أبو السعد - المصدر السابق ص ٩٠ .

وهكذا يساهم الوقف في حفظ النسل، وصيانة الأنساب، وبناء المجتمع المتكامل والمثالي.

٥ - الوقف لصالح المرضعات :

لقد ضاق الناس من الرضاع الصناعي، وآن الأوان للوقف على الرضاع الطبيعي وهذه الرضاعة الطبيعية كانت من بين المجالات الاجتماعية التي شملها الوقف، فكان بعض المحسنين يخصص عوائد وقف لإمداد الأمهات المرضعات بالحليب والسكر وغيرهما من المواد الغذائية اللازمة لإعانتهم على تغذية أطفالهن من خلال إرضاعهم القدر الكافي لنموهم في خلال فترة الرضاعة مع تشجيعهم على إتمام الرضاعة بمنحهم هذه المؤونة لمدة حولين كاملين.

٦ - وقف الأواني والقدور للمناسبات :

وقد راعى الوقف الإسلامي جانب الأفراح والأتراح فساعد على تجهيز الأواني اللازمة لها، وخصص بعض الوقف لإحلال وتجديد واستعاضة ما انكسر من الأواني بأيدي الخدم أو الأطفال، لتبقى العدة على أكمل وجه لهذه المناسبات.

٧ - الوقف للمناعة العامة :

اهتم الوقف بالمنافع العامة مثل إقامة الجسور والقناطر، وتعبيد الطرق للمشاة وإصلاحها ووضع العلامات عليها، وإنارتها بالليل، وإنشاء الحدائق والمنتزهات لعبري السبيل، ووقف السفن والعبارات لنقل الناس عبر الأنهار، وحفر الآبار في الفلوات ليستقي منها المسافرون، والواشي والزروع، وإنشاء الساقيات وتسجيل الماء في الطرقات العامة، وإقامة الحمامات العامة، ووقف الأفران لتسوية الأطعمة والخبز.

٨ - الوقف لمعاونة المعسرين :

وهذا النوع من الوقف يساعد على إشاعة الرحمة والتعاون وصيانة كرامة المدنيين من الدين بالليل وذلك طول النهار؛ لأن الوقف المخصص لسداد ديونهم يؤمن

لهم السبيل، وييسر لهم الطريق لبذل أقصى ما في الوسع والطاقة لتأدية الدين بلا خوف من ظروف طارئة أو حوائج سماوية أو عارضة.

٩ - الوقف لرعاية المرضى والمعاقين :

وهذا الوقف يسهم في حماية المرضى والمعاقين وأصحاب العاهات المستديمة الذين يفتقرون إلى الدواء عند نزول الداء، حيث الإنفاق عليهم من عوائده وثماره، إلى أن يقضى الله تعالى لهم بما شاء جل في علاه، فلا يعانون وأسرهم شظف العيش لتدبير نفقات وتكاليف العلاج الذي أصبح فوق طاقة أواسط الناس دخلا، وذلك في مجتمعات أصبح كل همها الريح حتى في المستشفيات التي تحولت إلى مستشفيات استثمارية.

١٠ - الوقف لرعاية المسجونين وأسرهم :

ونظام الوقف يخدم هذه الفئة من خلال الوقف المخصص عوائده لرعايتهم وأسرهم في خلال فترة سجن العائل أو حبسه بحكم قضائي، أو بصورة احتياطية أو مؤقتة وهذا الوقف يحمي هذه الأسر من الضياع والانحراف.

١١ - الوقف لتجهيز الموتى والمقابر :

يساهم الوقف في الإنفاق على تغسيل الموتى من المسلمين، وتكفينهم، والصلاة عليهم ومواراتهم الشرى في قبورهم، هذا الفرض يكون على سبيل الكفاية وليس على سبيل التعيين.

ولقد سبق أن خصص بعض المحسنين وقفاً حبسه لينفق من عوائده على تجهيز الميت وإحضار الكفن والحنوط، وإنشاء أو تعمير المقابر، وتخصيصها لدفن رفات الفقراء، وهذه المقابر تعرف في معظم الديار الإسلامية باسم مقابر الصدقة وهي ضرورة في هذا الزمن بوجه الخصوص.

١٢ - الوقف لرعاية الحيوانات والطيور :

وهذا الوقف هو قمة الإنسانية التي لا تكتفى برعاية الإنسان فحسب، وإنما تمتد رعايتها حتى للحيوانات والطيور لتدلل على أن الوقف الإسلامى على جهات البر والخير المتعدد فى المجال الاجتماعى كقبيلة بحفظ إنسانية الإنسان وكرامته وخدمة كل متعلقاته .

١٣ - الوقف على المجالات التربوية والعلمية :

من أهمها ما يلى (١) :

(أ) المسجد : إن المسجد هو المركز الأول للتربية والتعليم ؛ ولذلك شيده المصطفى ﷺ (بمجرد وصوله إلى المدينة المنورة، ولا يمكن أن ننسى دور الجامع الأزهر فى مصر وحلقاته التدريسية، والجامع الأموى بدمشق، وجامع القيروان، وجامع المهديّة بالزيتونة والقرويين، وجامع مراکش، ومساجد العدة القصوى بجامع قرطبة، وغير ذلك من المساجد والجامع التي لا يمكن حصرها (٢) ولذا فإن الوقف على المساجد ضرورى ويساعد استمرار الشخصية الاعتبارية للوقف وللمسجد أيضا .

(ب) الكتاتيب : كان الكتاب يقام لتعليم الطفل منذ نعومة أظفاره، القراءة والكتابة، وحفظ القرآن، وتلاوته وتجويده، وعلوم الفقه، واللغة والتفسير والحديث، والحساب وغيرها من العلوم الإنسانية ؛ ولذلك فإن الوقف عليها يجب أن يستمر وهذا الاستمرار يتأكد بفضل الشخصية الاعتبارية للوقف .

(ج) المدارس : كانت المدارس مؤسسات وافية تعلم الناس باحسان فأذابت بهذه الفوارق

(١) انظر د. يحيى محمود ساعاتى، فى الوقف وبنية المكتبة العربية ص ٩٥ د. محمد الحبيب، فى نخة عن

الوقف والتنمية فى الماضى والحاضر ص ١٧ .

(٢) د. محمد الحبيب، فى نخة عن الوقف والتنمية فى الماضى والحاضر، ص ١٨ .

بين الناس؛ ولذلك يجب الوقف عليها^(١) لتستمر في أداء رسالتها ويضمن ذلك الشخصية المعنوية المستقلة للوقف .

(د) المستشفيات العلاجية والتعليمية: في ظل العقيدة الإسلامية كان للتعليم الطبي أصوله المعتمدة، وكان المشفى يحتوى على الصيدليات التي تضم أحدث العقاقير الطبية في هذا الوقت، وكان المشفى يضم هيئة تريض متمرسه^(٢) وهذا التقدم الطبي^(٣) اعتمد على الوقف؛ فبدونه ما ازدهرت صناعة الطب والتمريض والصيدلة، ومراكز الدراسات المتنوعة والمتصلة بذلك كله .

(هـ) المكتبات: ولا شك أن المكتبات العامة والخاصة أثرت الحياة العلمية والثقافية عند المسلمين. فتحققت بفضل الله تعالى آمالهم، ووصلوا إلى ما يصبون إليه من درجات عالية، ومكانة علمية سامية، والوقف على المكتبات يتصف بالاستمرار بفضل الشخصية المعنوية للوقف؛ ولذا فإن هذه المكتبات تؤدي دوراً هاماً في هذا الصدد^(٤).

ومن هنا ظهرت في مصر حديثاً أوقاف متواضعة ولكنها ذات دلالة كبرى على عودة الوعي مثل وقف الفنجرى، وماتم في خلال شهر سبتمبر ١٩٩٧م من وقف مكتبة الشيخ محمود فايد لطلاب العلم بالأزهر الشريف، بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بمدينة دسوق التي يعود معهدها الدينى سنة ١٨٨٢م .

(١) د. مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا ط١ ص ١٣٢، وانظر كذلك د. ناجي معروف د. عبد العزيز الدوري، في الموجز في تاريخ الحضارة العربية، طبعة دار الثقافة، بيروت ص ٢٥٥ .

(٢) انظر: د. محمد الحبيب، في نحات عن الوقف والتنمية في الماضي والحاضر، ص ١٩ - ٢٣

(٣) انظر: بحث الدكتور عبد الملك أحمد السيد في الدور الاجتماعي للوقف ص ٢٨٩ - ٢٩٢، البنك الإسلامي للتنمية، الخلقة الدراسية، إدارة وتثمين الأوقاف جدة، المنعقد في الفترة من ٢٤ من ديسمبر ١٩٨٣ إلى ٥ يناير ١٩٨٤، د. مصطفى السباعي، في: من روائع حضارتنا ط١ ص ١٤١ .

(٤) انظر د/ يحيى محمود ساعاتي، الوقف وبنية المكتبة العربية ط١ ص ٩، حمادة محمد ماهر المكتبات في الإسلام الطبعة الثانية مؤسسة الرسالة بيروت ١٣٩٨ ١٩٧٨ ص ١٧٢ .

ويمكن للوقف كما يقول بعض ثقة الباحثين أن يحل مشكلة الفقر في الدول العربية ويحول دون اعتمادها على غير مواردها في تنمية مجتمعتها.

فالوقف الإسلامي يمكنه من خلال عوائده الكبيرة أن يساعد الدول الفقيرة على اجتياز عثراتها^(١).

دور الوقف في دعم النهضة الإسلامية :

إذا كان استثمار مال الوقف مهمة ليست هينة، إلا أن الأمانة العامة للأوقاف بالكويت استطاعت بفضل جهود القائمين عليها من استثمار مال الوقف بصورة جيدة باعتباره أمانة في أعناق القائمين عليه حيث إنها تستثمر هذا المال في أوجه النشاط المختلفة من زراعة وصناعة وتجارة... إلخ.

ويوزع ريعه على الموقوف عليه طبقاً لشروط الواقفين، سواء أكان ذلك على المحتاجين من الفقراء والمساكين واليتامى، والأرامل، والمطلقات، والمرضى وطلاب العلم في كل الدول الإسلامية، أم في مد الشباب بجزء من أموال الأوقاف لاستثماره، إذ إن الوقف يمكن أن يدعم النهضة الإسلامية ويجعل الدول الإسلامية في مصاف الدول الكبرى ثقافياً واقتصادياً وعسكرياً^(٢).

وهكذا يمكن للوقف أن يساعد على :

١ - إنشاء مؤسسات كبرى للبحث العلمي ؛ على غرار مؤسسة روكفلر للتقدم الصحي التي أنشأها رجل المال الأمريكي جون روكفلر (١٨٣٩ - ١٩٣٧م) في نيويورك عام ١٩١٣م.

٢ - تأسيس الجامعات والمعاهد العلمية ؛ وذلك مثل جامعة شيكاغو التي أنشأها

(١) راجع فيما سبق د/ محمد شتا أبو السعود - المصدر السابق ص ٩٠ - - ٤ .

(٢) انظر الدكتور/ عبد الهادي الفضلي - الوقف الإسلامي ١٩٩٦ - ص ٨ وما بعدها.

(روكفلر)، ومثل معهد كرينجى التكنولوجى الذى أسس فى مدينة بتسبرج بنسلفانيا، وافتتح عام ١٩٠٥م بمئة كبيرة من (أندرو كرينجى).

٣ - إقامة المؤسسات الإعلامية والثقافية، وهذا المجال هو بلا شك من أهم المجالات لتسخير الوقف الخيرى لحماية أرض الإسلام ولنشر شريعته بين الأنام بلا إفراط ولا تفريط.

٤ - إنشاء مراكز الحاسب الآلى والإحصاء، وذلك لخدمة علوم القرآن والسنة والفقہ الإسلامى، والشريعة الغراء، وكافة العلوم الإنسانية، لتدخل بهذا العمل عصر المعلومات.

٥ - تخصيص الجوائز فى كافة مجالات المعرفة، وذلك على غرار جوائز التقدم العلمى فى دولة الكويت ومسابقاتها الأدبية والعلمية، وعلى غرار جائزة نوبل العالمية، ومثل جائزة الملك فيصل حيث يمكن للوقف بفضل شخصيته الاعتبارية أن يسهم فى هذا المجال أعظم إسهام.

الشباب ونهضة المجتمع :

لا شك أن الشباب هم عنوان تقدم الأمة، ودعامة نهضتها، فالأمم تنهض على أكثاف أبناءها الأقوياء الذين تجرى فى عروقهم دماء الشباب، وتفويض قلوبهم بالشجاعة الوطنية، ويؤمنون بقضية تطور المجتمع وصولاً إلى تحقيق الكفاية والعدل، فى ظل الإيمان بالله ورسله ورسالاته المقدسة، ويجمعون فى نشاطهم بين النظرية والتطبيق، والفكر والعمل، ولهذا أثنى القرآن الكريم على مجموعة من الشباب فى سورة الكهف، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ (١٢) ﴿ والكهف،

وجاءت السنة النبوية الشريفة لتلقى الضوء على "الشباب" وأهميتهم فى كل

مجتمع^(١)، فيقول الرسول ﷺ: «يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة»^(٢)، ويقول عليه السلام: «سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في طاعة الله... إلخ»^(٣).

وقوله عليه السلام: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»^(٤)، ويقول عليه السلام: «ما أكرم شاب شيخاً لسنه إلا قبض الله له من يكرمه عند سنه»^(٥) إلى غير ذلك من الأحاديث التي تبين أهمية الشباب في المجتمع ودورهم في نهضته وتنميته. يمكن دعم الشباب وتشجيعهم والتأكيد على دورهم في نهضة المجتمع وتنميته بما يحقق شروط الواقفين الشرعية بوسائل عديدة أهمها:

أولاً - استثمار مال الوقف عن طريق بنك خاص بالأوقاف يعمل بواسطة الشباب:

يستطيع الشباب أن يستثمروا أموال الوقف في مجالات جديدة وعديدة، منها إنشاء بنك خاص بالأوقاف، والتوسع في المشروعات العقارية مثل مشروعات "إسكان الشباب" وهذا النوع من الاستثمار يلبي احتياجات المواطن، ويحل مشكلة البطالة بين الشباب، وفي نفس الوقت يراعى البعد الاجتماعي في المجتمعات الإسلامية، وهو استثمار يحقق مصلحة الموقوف عليهم؛ لأن ريع هذه المشروعات توزع وفقاً لشروط الواقفين الشرعية.

ثانياً - تحكير أموال الوقف للشباب:

حق الحكر من الأمور المقررة في معظم قوانين الدول الإسلامية، ومضمونة أنه حق

(١) انظر: الدين والحياة - مطبوعات وزارة الأوقاف المصرية - مجلد ١ ص ١٣.

(٢) رواه أحمد - والصورة: الهدى والميل عن طريق الحق.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه الترمذي.

(٥) رواه الترمذي بسند ضعيف.

غير بخول صاحبه (المحتكر) الانتفاع بأرض موقوفة بالبناء عليها أو الغراس فيها ، أو لأي غرض آخر لمدة معينة (لا تزيد على ستين عاماً في معظم القوانين الوضعية) مقابل أجرة الأرض أو الحقل .

فحق الحكر لا يتقرر إلا على الأراضي الموقوفة طبقاً لأحكام القانون المدني المصري والقانون المدني الكويتي ، وقد اشترط لجوازه في كلا القانونين أن يكون لضرورة أو مصلحة معينة ، كأن تكون الأرض خربة تحتاج إلى التعمير والإصلاح ، ولا يمكن بيعها (لأنها موقوفة) ويكون التحكير وسيلة إلى تحقيق المصلحة ، والشباب هم أقدر فئات المجتمع على استثمار هذه الأرض الخربة التي تحتاج إلى التعمير مقابل جعل معين ، وبذلك يكون هذا التحكير لعقارات الأوقاف الخربة وسيلة استثمار جيدة إذا أعطى للشباب لقوة سواعدهم ورغبتهم الجادة في العمل للقضاء على البطالة المتفشية بينهم ، وتكون بذلك مصدر دخل لهم وعاملاً هاماً في تنمية المجتمع ، واستثمار مال الوقف وفقاً لشروط الواقفين الشرعي ، خاصة إذا علمنا أن حق الحكر على النحو السابق بيانه في القوانين الوضعية نظام مستمد من فقه الشريعة الإسلامية ويتميز بأن المحتكر (الشباب) إذا بنى أو غرس على الأرض المحكرة ، فإن هذا البناء أو الغراس يكون ملكاً له ، وهو ما يشجع الشباب للإقبال على الحكر - وإن كانت ملكية مؤقتة ؛ لأن مآلها أن تنتهي بانتهاء الحكر - كما يتميز الحكر بأنه حق مؤقت ينتهي بانتهاء المدة المحددة في العقد ، أو زوال صفة الوقف عن الأرض المحكرة ، أو فسخ العقد ، أو عدم الاستعمال لمدة طويلة (١٥ سنة) .

فالشباب المسلم عليه أن يبذل الجهد في تنمية مال الوقف سواء كان عقاراً أو منقولاً ، وهذه التنمية ستعود عليه وعلى مجتمعه ، وعلى مال الوقف بالفائدة ، حيث يزداد دخل الفرد ، والمجتمع ، ويستثمر مال الوقف في نهضة الأمة ؛ وأبنائها على النحو السالف بيانه ، ولم لا والرسول ﷺ ضرب القدوة والمثل في العناية بالشباب لأنهم عدة

الحاضر وأمل المستقبل فيقول ﷺ : « لأن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع »^(١).

كما أن الإسلام يحتفى بالشباب كقوة دائبة لها فاعليتها وإيجابيتها فى رقى الأمم وسيادتها وفى ذلك يقول الله تعالى: ﴿ يَا بَنِيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (١٧) ﴿ لقمان. ».

ويقول الرسول ﷺ فيما رواه عقبه بن عامر قال : سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي .

ثالثا - الشباب والتنمية الإسلامية لئال الوقف (تطوير الوقف) :

المنهج الإسلامى فى التنمية يختلف عن كل المذاهب الوضعية فى أنه يقوم على الإيمان والتقوى وتكريم الإنسان واليقين الراسخ بأن المال مال الله والبشر مستخلفون فيه ، ويجب أن يعلم الشباب فى المجتمعات الإسلامية أن عليهم وجوب تحديث أساليب الوقف من خلال الحقائق الكبرى الآتية :

الحقيقة الأولى : أن تنمية الوقف هى تطوير حقيقى له : فكل تنمية فى الوقف تفضى لا محالة إلى تطوير الوقف وهذا المفهوم يحقق الأبعاد التنموية الآتية :

(أ) يشمل تطور الوقف التنموية بمفهومها الشامل ؛ فتنمية الوقف ترد على الموارد الاقتصادية والإمكانات المادية ، طبيعية ونقدية بغرض المساهمة فى رفع الدخل القومى بمعدل أكبر من معدل تزايد السكان^(٢).

(١) الترغيب والترهيب ج٣ ص ٦٧ .

(2) El ghazali (abdel hameid) planning for Economic Development. The modern cairo Book, Cairo 1977.p. 5.

كما يشمل التطوير العنصرى البشرى - وخاصة الشباب - وما يرتبط به من عوامل اجتماعية سواء تعلق الأمر بالهيكل الأساسى اللازم لقيام القطاعات الإنتاجية المختلفة بنشاطها، أو القطاع الزراعى أو القطاع التجارى وفقا للمفاهيم الحديثة، أو القطاع الصناعى أو قطاع الخدمات أو القطاع المصرفى أو الصحة أو التعليم مع ملاحظة أن التنمية فى المفهوم الإسلامى عملية عقائدية، فهى أداة الإنسان فى هذا الكون المشروطة بالالتزام بمنهج الله، وتحقيق عهد الاستخلاف الذى أخذه الله على الإنسان^(١).

كما أن تنمية مجتمع الاستخلاف عملية تتسم بالتوازن ويقيم بين الأجيال^(٢) المتعاقبة والمستفيدة من الوقف بفضل شخصيته الاعتبارية المستمرة.

كما أن غاية التنمية فى الإسلام تستند إلى معيار مستقل عن البشر، يجعل غاياته تتصف بالكمال والشمول؛ لأن الله عز وجل هو الذى يحددها وليس العقل البشرى المرتبط بالزمان والمكان^(٣).

(ب) تطور الوقف يؤدي إلى التطور الحضارى؛ لا شك أن العمل على تطوير الوقف يؤدي إلى إحداث تطور حضارى شامل من خلال تفاعل متوازن بين العوامل الاقتصادية والاجتماعية، والعقائدية، وأدى إلى رفع مستوى الكفاية لكل أفراد المجتمع بشكل تراكمى ومستمر^(٤) وتنمية الوقف وتطويره ضرورى لأن الوقف

(١) إسماعيل سيف الدين عبد الفتاح: التجديد السياسى والخبرة الإسلامية: نظرة فى الواقع العربى المعاصر - رسالة دكتوراه غير منشورة - كلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة سنة ١٩٨٧م - ٣٥٠.

(٢) شابرا: نحو نظام نقدى عادل ترجمة: سيد محمد عمر سكر - المعهد العالمى للفكر الإسلامى - واشنطن - سنة ١٩٨٧ ط١ ص ٤٨ - ٤٩.

(٣) سيد قطب: فى ظلال القرآن، ط١ مصر، المجلد الأول ص ٢٨١.

(٤) عبد المجيد عبد الفتاح عبد الرحمن: التنمية فى إطار العدل الاجتماعى، رؤية إسلامية فى المؤتمر العلمى =

من أهم المؤسسات التي كان لها دور فعال في عملية التطور والتنمية في مختلف عصور الإسلام .

وتنمية الفرد تنعكس على تنمية المجتمع التي هي النهوض بإمكاناته البشرية والمادية بصورة شاملة ومتوازنة، ذلك أن كل من العمل التطوعي للوقف، وواجب التنمية ينبع من عقيدة المسلم باستخلاف الحق سبحانه له في هذا الكون .

وإذا كانت العقبة الأساسية في سبيل تنمية الموارد البشرية والمادية - بالنسبة لمعظم اقتصاديات العالم - في عدم كفاية وكفاءة رؤوس الأموال النقدية اللازمة لحسن استثمار الموارد الطبيعية وتوفير الظروف الملائمة لتنمية الموارد البشرية، فإن الوقف الإسلامي ما هو إلا تيار دائم ومستمر ومتجدد في الموارد التمويلية، التي توجه إلى تنمية مختلف أوجه الحياة في المجتمع الإسلامي . وتشكل أداة أساسية في استكمال الموارد التمويلية اللازمة لحسن الاضطلاع بواجب التنمية^(١) وهو ما نعتقد أن الأمانة العامة للأوقاف على أفضل وجه .

الحقيقة الثانية - تطور الوقف يؤدي إلى تحقيق آثارها منها :

(أ) الحفاظ على هوية المجتمع المسلم ، فقد وجد العديد من أنواع الأوقاف التي لم تترك قيمة إلا وحافظت على تحقيقها، ولم تترك وجهها من أوجه البر إلا وكان وقفاً^(٢) . ولقد كان لتطور الوقف دور هام في مختلف البلدان والأمصار، من الهند وإندونيسيا شرقاً إلى بلاد المغرب العربي، كما تزخر بذلك كتابات المؤرخين .

= المستوى الثالث - بتصرف - جامعة المنصورة كلية التجارة نقابة التجارين القاهرة إبريل سنة ١٩٨٣م

ص ٣ د . محمد أبو سعد - المصدر السابق ص ١٢٣ .

(١) د . نعمت مشهور، أثر الوقف، مرجع سابق ص ٦٧ .

(٢) راجع : الأوقاف اشتراكية عريقة في مجتمعنا ورسالتنا، وزارة الأوقاف - القاهرة - ١٩٦٣، ص ١٧ .

كما كان لتطوير الوقف دوره فى المحافظة على الهوية الإسلامية لدول المغرب العربى، ففى الجزائر عمل الاستعمار والاستيطان الفرنسى جاهدا على محو وطمس أثر الإسلام، ولو لا ما كان من تأثير للأوقاف الإسلامية، وتعزيد الموارد الوقفية لمراكز التعليم وللمدارس الملحقه بالمساجد وللزوايا والكتاتيب، التى بقيت خارج السلطة الفرنسية لاندثرت الهوية الإسلامية لدول المغرب العربى.

وفى فلسطين المحتلة، لعبت الأوقاف، ولا زالت تلعب دوراً هاماً فى مقاومة الاحتلال ومساغيه، أما فى مصر فإن أموال الوقف وخاصة الأموال المخصصة للشئون التعليمية والدراسية، فقد اعتدى عليها ونهبت، وأهمل الاعتناء بها وبرعايتها، فأصبحت الموقوفات بحالة سيئة يرثى لها، وإذ أصبحت فى كثير من الأحيان عبئا على الأزهر بدلا من أن تكون عوناً على الوقف من الإدارة العامة للأوقاف، لاستخدامها فى الإنفاق على مصارف تؤدى إلى الارتفاع بالأزهر^(١) وها هى الآن تعود بكاملها إلى الأزهر الشريف.

(ب) تحقيق التنمية الاجتماعية: فقد كان مؤسسة الوقف - فى كل المجتمعات الإسلامية - الدور الأسبق على مر العصور فى الحفاظ على دور الدين الإسلامى المتفرد فى حياة المجتمع، وتوفير السبل المناسبة للدعوة له، ووجدت منذ القدم الأملاك المخصصة ريعها للإنفاق على دور العبادة، وعلى القائمين بأمر الشعائر الدينية.

أما فى مجال الحياة الثقافية والتعليم فقد قامت الأوقاف الإسلامية - ولا تزال - بدور جليل فى مجال العلم والتعليم، لكونهما منذ ظهور الإسلام أمراً مطلوباً شرعاً وواجباً دينياً.

(١) د. نعمت مشهور، أثر الوقف، مرجع سابق، ص ٧٦، ٧٧، د. محمد أبو السعود - السابق ص ١١٥.

كذلك وصلت عوائد الأوقاف إلى المساجين، فلم يحرموا منها؛ ولذا فإن تطور الوقف يحقق هذه الأهداف النبيلة وغيرها.

ولقد كان للأوقاف الإسلامية أثر كبير على النهوض بعلم الطب والعمل على ترقيته، ويحمد للأوقاف الكويتية اضطلاعها بتمويل الجزء الأكبر لهذه العمليات التنموية.

(ج) إن الأوقاف ومؤسساتها الأهلية، وجهودها الطوعية، وأعمالها الخيرية، وإعانتها للعلماء والجاهدين، وتشجيعها لطاقت الخلق والإبداع، واستطاعت أن تحفظ للأمة الإسلامية دورها في حمل أمانة رسالة التقدم.

كما أن الأوقاف قامت بتمويل الصناعة الحضارية الدائمة والمتجددة، بأن حفظت للأفراد المناخ الإسلامي المناسب فكريا وإداريا وتكافليا لتحقيق التنمية الشاملة.

(د) في مجال تمويل التنمية: ويقوم الوقف الإسلامي بدور مؤثر في مواجهة ما يعترض العملية التنموية من مشاكل تمويلية تهدد نجاحها واستمرارها وذلك بالإسهام في محاربة الاكتناز، وتوفير مورد تمويل هام للأهداف التنموية فضلا عن الحفاظ على رؤوس أموال المجتمع^(١).

وبالجمله فإن الوقف مورد تمويل هام يسهم في إيجاد حل مناسب وطويل الأمد لتمويل مختلف أوجه التنمية الاجتماعية والاقتصادية، فضلا عن كون الأوقاف أسلوب يتميز بالاعتماد على الذات في تحقيق مختلف الأهداف التنموية، ذلك أنه يعتمد على حشد شامل ومقصود للمدخرات اخلية التي تعتبر المصدر الأساس للتمويل التنموي من خلال تشجيع القطاع العائلي على بذل المزيد من المدخرات لوقفها على مختلف أوجه التنمية الاجتماعية والاقتصادية^(٢).

(١) د. نعمت مشهور، أثر الوقف ص ٨٩-٩٣.

(٢) د. محمد شتا أبو سعد - المصدر السابق ص ١٢٦.

ولقد كان للأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت دور سباق في الحفاظ على رؤوس أموال المجتمع، ولهذا فإن تميز الوقف الإسلامي وجوب البقاء والاستثمار، ودوام النفع يسهم في أن يحفظ على المجتمع رؤوس أمواله العينية والنقدية، بما يحقق النفع والعائد للأجيال الموجودة والقادمة معاً.

وتطوير الوقف جعله يقوم بدور هام وفعال في مجال تنمية القطاعات ذات الدور العام في دفع مختلف القطاعات الإنتاجية قدماً، لتحقيق التنمية وذلك في مجال البنية الأساسية وقطاع الخدمات وفي مجال القطاع الزراعي وفي مجال القطاع الصناعي على ما تقدم.

كما أن الوقف يؤدي إلى زيادة الإنفاق بنوعية الاستثمارى والاستهلاكى، حيث أن حبس رؤوس الأموال العقارية والنقدية لتستثمر في مجالات اقتصادية واجتماعية محددة وذات نفع عام، يؤدي إلى إخراج هذه الأموال الزائدة عن كفاية أصحابها من الاكتناز أو الاستخدامات ذات العائد الفردى، إلى استثمارات ذات عائد اجتماعى واقتصادى طويل المدى، كما لمسنا من مختلف مجالاتها^(١).

وهكذا فإن تخصيص الوقف لمبالغ نقدية يحصل عليها المنتفعون وخاصة الشباب من الوقف، محتاجين وطلبة ومرضى إلى آخر تلك التخصيصات، كان له أثره الواضح في زيادة الإنفاق الاستهلاكى.

وتكون المحصلة النهائية لكل من زيادة الإنفاق الاستثمارى وزيادة الإنفاق الاستهلاكى هي زيادة الإنفاق الكلى بالاقتصاد الإسلامى نتيجة تطبيق نظام الوقف بما يترتب عليه من دعم لدورة الدخل بالاقتصاد، ورفع قيمة مضاعفة الإنفاق، الذى هو

(١) د. نعمت مشهور، المرجع السابق، ص ١٠٣.

أكثر دقة وشمولا من مضاعفة الاستثمار الكينزي، لاشتماله على كل من الإنفاقات الإسلامية الإلزامية والتطوعية (١).

وكذلك فإن الوقف ساهم في المعالجة المباشرة لانخفاض مستوى التشغيل خلال ما تستخدمه المؤسسات الوقفية من إعداد في مختلف أعمال الإشراف والرقابة والإدارة، فضلا عن الخدمات الإنتاجية والتوزيعية بها، مما ساهم في تشكيل طلب كبير على الأيدي العاملة بالمجتمع الإسلامي عامة والمجتمع الكويتي خاصة.

كما أن الأخذ بنظام الوقف كان له آثار اقتصادية تراكمية تفوق العوائد الأولية الموزعة، مما يسمح لنا بالقول بوجود مضاعف الوقف، حيث تكون الآثار الإيجابية المترتبة على الإنفاق العيني والنقدي للوقف لا تقف عند حد من قبضها واستفاد بها، وإنما تمتد إلى انتشار الرواج في الاقتصاد كله، وتعمل على تنشيط الطلب الفعال، حتى يعم الخير ويعود النفع على المنفق نفسه، وهذا المضاعف هو ضابط لا يخطئ وقانون صارم يحكم الخلق في كل عصر (٢).

وهكذا نجد أن الوقف يعد من أهم لبنات ذلك النهج وشباب المجتمع الإسلامي هم أهم وسائل المنجزات الخيرية والتنموية لمال الوقف وخاصة إذا وجد الدافع والحافز والتشجيع والتأكيد له على ضرورة أن يلعب دورا فاعلا ورئيسيا في نهضة المجتمع وتنميته في مختلف أوجه المجالات بما يحقق شروط الواقفين الشرعية والعمل على تلبية احتياجات المجتمع المختلفة على نحو صادق وأمين (٣).

(١) د. نعمت مشهور، المرجع السابق، ص ١٠٥.

(٢) د. نعمت مشهور، المرجع السابق، ص ١٠٩.

(٣) انظر: د. محمد شوقي الفنجري: الإسلام والتنمية الاقتصادية، مجلة منار الإسلام صفر سنة ١٤١٠هـ.

ص ٤٦، د يوسف إبراهيم يوسف النفقات العامة في الإسلام ط دار الثقافة، قطر ص ٢٢٩، د كامل

بكري - التنمية الاقتصادية، ط بيروت ص ٣.

خاتمة

هكذا يتبين من خلال البحث أن المنجزات الخيرية والتنمية للهيئات القائمة على إدارة الوقف في الدول الإسلامية تمثل ضوعاً ساطعاً في حياة الوطن، والمواطن في أى بلد مسلم، وإن كنا نعتزف أن ثمة مطوراً في غدارة أموال الوقف يؤدي إلى عدم استثمار هذه الأموال استثماراً جيداً، ومن هنا يصبح تدريب القائمين على غدارة الوقف إدارياً وفنياً أمراً حتمياً تتطلبه مقتضيات الاستثمار الأمثل لأموال الأوقاف.

بيد أن الدول الإسلامية عليها أن تحرص على دعم الشباب وتشجيعهم على استثمار أموال الوقف والاستفادة منها، إذ إن استثمار هذا الوقف يتغيا تنمية المجتمع اقتصادياً واجتماعياً وبشرياً ومن منظور إسلامي حتى نستطيع أن نعزز قيمنا الإسلامية الإنسانية الخالدة، وتكون بذلك خلفاً لله في الأرض حتى يعمر الكون، وتسعد البشرية جمعاء، وذلك كله من خلال استثمار مال الوقف بواسطة أفراد الأمة وخاصة شبابها، وتوزيع ريع هذه الأموال على أوجه البر والخير وفقاً لشروط الواقفين الشرعية، وبذلك تسهم هذه الأموال في إنضاج الشخصية السوية التي تسعى بجد وإخلاص إلى التنمية الشاملة لأموال الأوقاف، ألا وهم شباب هذه الأمة.

وصدق الله إذا يقول :

﴿ وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١٠٥) ﴿ والتوبة،

﴿ رَبَّنَا عَلَيْنَا مَرِئَاتُ لَوَلَّى سَائِرُ الْأُمَمِ الْأَمْرُ ﴾ (٤) ﴿ والمتحنة،

وبالله تعالاه التوفيق

obeikandi.com

الإرهاب بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية

دراسة مقارنة بالأنظمة السعودية

د. محمد عبد الرحمن إسماعيل الصائحي

د. جمال عباس أحمد عثمان

مقدمة البحث

يحتل موضوع الإرهاب مكاناً رحباً ومتسعاً في إطار الدراسات الأكاديمية الحديثة، وفي إطار مجريات الحركة السياسية والمتغيرات الدولية المتلاحقة. ولا شك أن هذا الأمر لم يأت من فراغ، ولكن الفعل دائماً ما يثير الحديث بل يصل إلى حد القلق، وقد مورس الإرهاب أو عرف الفعل عملياً وبات أمراً مثيراً للربح والذعر بين شعوب الدول، بل احتل مكاناً بارزاً في إطار مجالات العلاقات الدولية؛ لذلك فإن دراسة الإرهاب كظاهرة برزت أكثر وضوحاً وتأثيراً في ذلك العصر تستلزم التعرف عليه من كافة جوانبه ومعرفة طريقه أو مسيرته في إطار أو صور معينة. كذلك من الأهمية بمكان إلقاء الضوء على الإرهاب في إطار الشريعة الإسلامية وموقفه من ناحية الخروج على مبادئها وأهدافها السامية، وذلك يستلزم أيضاً التعرف على ما يستند عليه الإرهاب في إطار الشريعة الإسلامية وفي ظل القوانين الوضعية. وليست المسألة إيجاد مبرر له في إطار القوانين الوضعية؛ بقدر ما هي إجماع واضح لنبذ الشريعة الإسلامية؛ لذلك النوع من التصرفات وخروج الإرهاب بصفة عامة عن أهداف ومبادئ الشريعة الإسلامية. وفي هذا البحث سيتعرض الباحث لهذا الموضوع "الإرهاب بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية" من حيث المفهوم العام للإرهاب ومسيرته والاتجاهات الدولية لتحديد صورته ومظاهره، ثم إيضاح الإرهاب في إطار الشريعة الإسلامية والتشريع الجنائي الإسلامي التأكيد على خروجه عن أهداف الشريعة، ثم العروج به في إطار القوانين الوضعية

مقارنة بالأنظمة السعودية، للتأكيد على أن التمسك بما جاء بالشرعية الإسلامية وعدم الخروج عن أهدافها ومبادئها هو أيسر السبل للتخلص منه. ولقد قسم الباحث بحثه إلى أربعة مباحث وخاتمة، تناولت ما أشرنا إليه .

مشكلة البحث :

تكمن مشكلة البحث في انتشار ظاهرة الإرهاب الناجم عن تطرف غير مألوف وغير مبرر، بصورة تهدد أمن المجتمع الدولي؛ الأمر الذي يستلزم الدراسة الجادة لهذه الظاهرة وتحديد مفهومها وفقاً للمعايير القانونية والشرعية والوقوف على أسبابها وآليات القضاء عليها؛ ولذلك فإن الدراسة تستلزم تحديد المشكلة، وهي الكامنة في وجود عنف غير مقنن وأوضاع تطرف غير مألوفة وغير واضحة، وتفكك مجتمعي وصراعات نتيجة ذلك، ووضع الحلول القانونية والشرعية للقضاء على هذه الظاهرة.

أهداف البحث :

يهدف البحث إلى تحليل كل ما يتعلق بالإرهاب تجرماً ومكافحة من خلال استعراض ماهية الإرهاب لغة واصطلاحاً، إضافة إلى ما بذل من جهود دولية وإقليمية ووطنية لتعريفه وذلك هو الفصل الأول من الدراسة، ويتناول الفصل الثاني مسيرة الإرهاب والاتجاهات الدولية لتحديد أشكاله ومظاهره، وجاء الفصل الثالث هادفاً إلى توضيح وإبراز حقيقة مبادئ الدين الإسلامي في مواجهة الإرهاب لنفي أية علاقة بين الإرهاب والإسلام أو المسلمين، ولكون الإرهاب يهدف إلى ترويع الأمن وأصحابه الذين ركبوا ركب التشدد والغلو اختتم الباحث الدراسة بالمحاولات الدولية القانونية الهادفة إلى وضع توصيف قانوني لتجريم الإرهاب، كما تناول دوافع الإرهاب والآليات المقترحة للحد من الإرهاب.

أهمية البحث :

تكمن أهمية البحث في توضيح حقيقة مبادئ الدين الإسلامي التي تنهى عن كل أنواع الشر المؤدى إلى الانحراف فقد لوحظ في الآونة الأخيرة اتجاه الفكر الغربى بإعلامه القوى إلى توجيه تهمة الإرهاب إلى الإسلام والمسلمين نتيجة اعتقاد خاطئ بأن الإسلام هو المشجع على الإرهاب . وهذا الأمر ألقى على عاتقنا جميعا التصدى لهذا الفكر المغلوط بتوضيح حقيقة مبادئ الدين الإسلامي التي تنهى عن كل أنواع الشر المؤدى إلى الانحراف ، بل كانت سبابة فى إرساء حقوق الإنسان فى حالة السلم والحرب وإلقاء الضوء على الاتجاهات الفقهية المبذولة للتصدي لهذه الجريمة والآليات المقترحة للقضاء عليها .

فرضيات البحث :

تقسيم الدراسة سوف يعتمد بالدرجة الأولى على التحديد الموضوعى والأكاديمى للإرهاب وما يحيط به من ظواهر ومظاهر ومعرفة أسبابه ، وكيف تتصاعد وتيرته التى تؤثر فى كافة المجالات الحياتية ، ثم الوصول إلى وضع أفكار وحلول تحد من هذه الظاهرة المتطرفة . ، وتعتمد هذه الدراسة على عدة فرضيات هى :

أولاً : قلة الدراسات البحثية التى تناولت موضوع الإرهاب بصورة مقارنة بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية ، فهى إما تركز على الجانب الشرعى أو القانونى .

ثانياً : تفترض الدراسة عدم توحيد الجهود الدولية فى وضع تعريف جامع مانع للإرهاب لوجود بعض الدول التى تعرقل أية محاولة للتوصل إلى تعريف موحد .

ثالثاً : السبق الإسلامى فى توصيف جريمة الإرهاب ومكافحتها بالعقوبات الرادعة .

رابعاً : تبنى المنظم السعودى للمفهوم الشرعى للإرهاب تجريبياً ومكافحة .

خامساً : أهمية الثقيف الإعلامى الدينى والقانونى بخطرورة الإرهاب وأثره على حقوق الإنسان .

طرق ومناهج البحث :

يعتمد الباحث بالدرجة الأولى على المنهج الوصفى (التحليلى المقارن) لشتى الجوانب المتعلقة لظاهرة الإرهاب ويهتم بوصفها وصفاً دقيقاً بالمقارنة بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية .

تحليل نتائج الدراسة :

يستخدم الباحث الأسلوب المنطقى لتوضيح العلاقة المنطقية بين البيانات والأحداث التى تم رصدها أثناء الدراسة .

الاستفادة من البحث :

تتمثل الاستفادة من البحث فى التحليل القانونى لمفهوم الإرهاب دولياً ومحلياً وإقليمياً و ترسيخ المفهوم الصحيح عن الإسلام ومبادئه التى تتوافق مع ما نصت عليه القوانين الدولية .

خطة البحث

- الفصل الأول - المفهوم العام للإرهاب :
 - المبحث الأول : مفهوم الإرهاب .
 - المبحث الثاني : تطور مفهوم الإرهاب .
- الفصل الثاني - مسيرة الإرهاب و مظاهره :
 - المبحث الأول : مسيرة الإرهاب عقيدة وفكراً .
 - المبحث الثاني : الاتجاهات الدولية في تحديد أشكال الإرهاب ومظاهره .
- الفصل الثالث - الإرهاب في الشريعة الإسلامية :
 - المبحث الأول : المفهوم العام للسلام والأمن في الشريعة الإسلامية .
 - المبحث الثاني : الإرهاب في التشريع الجنائي الإسلامي وموقف الأنظمة السعربية منه .
- الفصل الرابع - الإرهاب في القوانين الوضعية وأثره على حقوق الإنسان :
 - المبحث الأول : الإرهاب في القوانين الوضعية .
 - المبحث الثاني : أثر الإرهاب على حقوق الإنسان وسبل الحد منه .
- الخاتمة : تتناول خاتمة البحث بعض النتائج والتوصيات للحد من ظاهرة الإرهاب .
- المراجع .
- المحتويات .

الفصل الأول

المفهوم العام للإرهاب

أشار الباحث في مقدمة البحث إلى ما أثاره مصطلح الإرهاب بصفة عامة من جدل وصل إلى حد الذعر والرعب، وإثارة القلاقل بين الشعوب.. ولكن ليس كل ما يقال من ألفاظ للرعب أو إثارة القلق تعد إرهاباً، بل إن الإرهاب بمعناه التقني له مفهوم عام وهو مصطلح لا نقول ثابت المعنى، أو محدد المعنى. ولظهوره حديثاً نسبياً فإن الأمر يستلزم التعرف على مفهومه ونحوه ومعناه بصورة محددة إلى حد ما، نظراً لاتساع مفاهيمه، وكذلك للتعرف على صورته ومظاهره، ويهدف الفصل إلى التعرض لمفهوم الإرهاب في اللغات المختلفة من حيث المفهوم لغة واصطلاحاً، ثم التطور الذي مر به هذا المفهوم، وذلك في مبحثين مستقلين:

المبحث الأول

مفهوم الإرهاب^(١)

لعل من المسائل المعقدة والشائكة هي وضع تعريف محدد شامل لمصطلح الإرهاب، وذلك سواء على المستوى الأكاديمي أو السياسي الدولي، وقد تباينت آراء الباحثين والمفكرين حول تلك المسألة، فهناك مشكلات متعددة في وضع تعريف قاطع للإرهاب؛ لأن هناك أشكالاً وأهداف ومظاهر متعددة للإرهاب تتنوع بحسب الدافع، ومستوى القوى المستخدمة والأشخاص أو الدول الموجه إليها هذه العمليات، فالإرهاب في اللغة: لفظ إرهاب يعني الفزع والخوف والرعب والذعر، ولقد عبر مجمع اللغة العربية في مصر عن كلمة إرهاب بأنها كلمة حديثة في اللغة وأصلها "رهب" بمعنى

١ - مختار شعيب، الإرهاب، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، القاهرة، ٢٠٠١، ص ١٧.

خاف، وأرهب بمعنى خوف. وأن كلمة إرهاب هي مصدر الفعل أرهب. والإرهابي وصف يطلق على الذى يسلك سبيل العنف بغية تحقيق هدف سياسى^(١)، كما جاء ذلك أيضاً فى المعجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة العربية^(٢)، وهناك العديد من المعاجم اللغوية العربية الحديثة جاء فيها النص على المعنى اللغوى لكلمة الإرهاب ووصفه، ووصف الأشخاص الذين يستخدمونه لتحقيق أهدافهم^(٣) فقد جاء النص على المعنى المقصود فى المعجم الوسيط "الرهب" بمعنى الخوف، وبمعنى أن الإرهابيين هم الذين يستخدمون العنف لتحقيق أهدافهم. كما جاء فى المنجد وصف للإرهابى بأنه الشخص الذى يلجأ إلى الإرهاب لإقامة سلطته - وقد وردت كلمة الإرهاب فى معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية بمعنى بث الرعب الذى يثير الخوف، والفعل هو الطريقة التى تحاول بها جماعة منظمة كانت أو حزب لتحقيق أهدافه باستخدام العنف. وبمعنى محاولة نشر الرعب بين المدنيين لتحقيق هدف سياسى. أما فى القرآن الكريم فقد وردت به العديد من الألفاظ المشتقة من "رهب" فى أكثر من موضع بمعنى الخوف أو الخفاة من شئ كما جاء فى قوله تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونَ

١ - المرجع السابق، ص ٢٠.

٢ - راجع: د. نبيل أحمد حلمى، التعريف اللغوى للإرهاب.

د. محمد فتحى عيد. التعريف اللغوى للإرهاب، الندوة العلمية حول تشريعات مكافحة الإرهاب فى

الوطن العربى، أكاديمية الأمير نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ١٩٩٩م.

٣ - "المورد: قاموس عربى إنجليزى" لخير الجلبكى، ص (٩٦٠)، دار العلم للملايين، ١٩٩٤م.

انظر: معجم مقاييس اللغة: ٢/٤٤٧، "الستانى، محيط المحيط، ١٩٩٠، ٢٠١٠م.

"تهذيب اللغة" ٦/٢٦٠، "الصحاح": ١/١٤٠، "أساس البلاغة": ١/٣٨٥.

"تاج العروس": ٢/٥٣٧ - ٥٤٢، "النهاية فى غريب الحديث والأثر": ١/٢٨٠ - ٢٨١.

"ديوان الأدب": ٢/٧٩، "المعجم الوسيط": ١/٣٧٦ - ٣٧٧.

انظر: أحمد زكى بدوى، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت.

د. أدوليس العكرة، الإرهاب السياسى، الطبعة الثانية، دار الطليعة، بيروت، ١٩٩٣م.

(٤١) ﴿ وَالْبَقْرَةَ، لما قبله وقوله تعالى: ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (٩٠) ﴾
 «الأنبياء»، وقوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (٦٠) ﴾ «الأنفال»، وقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبَ أَخَذَ الْأَلْوَابِحَ وَفِي سُخْرِيهَا هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْتَهِبُونَ (١٥٤) ﴾ «الأعراف»، وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَإِذَا يَأْتِي فَارْهَبُونِ (٥١) ﴾ «النحل»، وبالإضافة لما سبق جاءت مادة (رهب) في الأحاديث النبوية الواردة في الصحيحين ومسند أحمد وموطأ مالك وغيرهم من كتب السنة المشهورة بمعنى الخوف وبمعنى التعبد ومن هذه الأحاديث. حديث أبي سعيد الخدري "لا يمنعن أحدكم رهبة الناس أن يقول بحق إذا رآه أو شهدته، أو سمعه" (١) وحديث سعد بن أبي وقاص "إني لم أؤمر بالرهبانية" (٢) وحديث أبي سعيد الخدري "عليك بالجهاد، فإنه رهبانية الإسلام" أما مصطلح الإرهاب في اللغات الأجنبية فأصله كلمة (الرهبة) وأصلها اللغة اللاتينية التي انتقلت إلى العديد من هذه اللغات الأجنبية. ففي اللغة الإنجليزية جاء المصطلح بمعنى استخدام الرعب لتحقيق أغراض سياسية أي الحكم عن طريق التهديد. وفي اللغة الفرنسية جاء في القاموس الفرنسي لاروس أن الإرهاب مجموعة أعمال العنف التي ترتكبها مجموعة ثورية أو هو عنف تستخدمه الحكومة كما وردت كلمة Terreur بمعنى الذعر الذي ينشأ عن الإرهاب Terroris. أما عن التعريف الاصطلاحي للإرهاب (٣): "الاستعمال العمدي لكل وسيلة

١ - انظر: "المسند" للإمام أحمد : ٣/٥ ورواه أيضاً : أبو يعلى،، الطبراني بإسناد صحيح.

٢ - المورد : "قاموس عربي إنجليزي" لخير البعلبكي / ص (٩٦٠)، دار العلم للملايين، ١٩٩٤م، قاموس الأكاديمية الفرنسية المنشور عام ١٦٩٤.

٣ - د. محمد عزيز شكري، الإرهاب الدولي، طبعة أولى، بيروت، ١٩٩٢.

قادرة على إحداث خطر جماعى". ويعد هذا التعريف أول المبادرات الفقهية فى تعريف الإرهاب وصدر خلال مؤتمر توحيد القانون الدولى المنعقد عام ١٩٣٠. كما ذهب الفقيه Sottile فى تعريفه للإرهاب على أنه "العمل الإجرامى المصحوب بالرعب أو العنف أو الفزع بقصد تحقيق هدف أو غرض معين"، وعرفه رولان غوشيه أنه "لجوء إلى أشكال من القتال مثل قتل السياسيين أو الاعتداء على الممتلكات، ويمثل الإرهاب نسقاً صراعياً معلناً بصورة واضحة يرسمه جهاز معين وينفذه جيش سرى"، وذهب الفقيه ولتر Wallter إلى أنه "عملية رعب تتألف من ثلاثة عناصر فعل العنف أو التهديد باستخدامه، وردة الفعل الناجمة عن أقصى درجات الخوف، والتأثيرات التى تصيب المجتمع بسبب العنف أو التهديد باستخدامه"، وذهب الفقيه هاردمان فى تعريفه للإرهاب بأنه يمثل نهجاً يهدف لتحقيق أهدافاً معينة باستخدام العنف من مجموعة منظمة أو حزب معين. كما ذهب الفقه السعودى إلى تبنى مفهوم شرعى فى تعريف الإرهاب، حيث ذهبت هيئة كبار العلماء السعودية فى وصفها للإرهاب بأنه "استهداف الموارد العامة، والإفساد وخطف الطائرات، ونسف المبانى، وقد ذهب البعض فى تعريفهم للإرهاب إلى اعتباره عملاً سياسياً يتم توجيهه إلى هدف محدد لإثارة الخوف أو القلق الداخلى لكى يتم إجبار الهدف على الاستسلام أو تعديل موقفه ويكون ذلك بالاستناد إلى مجموعة من الأعمال التى يقصد بها إحداث رعب أو خوف، وتجدر

= د. ناصر عقيل الطرىنى، الإرهاب ضمن الندوة العلمية للتشريعات العربية لمكافحة الإرهاب، أكاديمية نايف للعلوم الأمنية، ١٩٩٩م، وانظر تقرير نشرته "الشرق الأوسط" اللندنية الثلاثاء ١٣ / ٤ / ٢٠١٠م.

د. إسماعيل الفزال، الإرهاب والقانون الدولى، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، طبعة أولى، ٢٠٠٢م.

د. أدونيس العكره، الإرهاب السياسى، الطبعة الثانية، دار الطليعة، بيروت، ١٩٩٣م.

د. محمد محمد على إبراهيم، الجريمة المنظمة وأساليب مراجعتها فى الوطن العربى، الرياض، ٢٠٠٣م.

الإشارة إلى أن تعدد وتنوع المحاولات الفقهية الصادرة لتعريف الإرهاب أدى إلى الاختلاف في وضع مضمون محدد له أو تعريف يلقي قبول المجتمع الدولي، ويرجع ذلك إلى الاختلاف بين الشرق والغرب في وضع أيديولوجية موحدة له، بالإضافة إلى الابتعاد والتهرب في بعض الأحيان عن عقد الاتفاقيات الدولية لوضع تعريف محدد للإرهاب، ويرجع ذلك إلى المصالح السياسية لبعض الدول الغربية في أن يظل مصطلح الإرهاب عام يختلط بالمقاومة مما يجعل من الإرهاب والمقاومة في بوتقة واحدة تستطيع أن تطلق منها هذه الدول مصطلح الإرهاب على حركات مقاومة مشروعة وفقاً لمصالحها السياسية، الأمر الذي دفع الدول إلى تعريف الأعمال الإرهابية حسب مصالحها الشخصية والسياسية، وتحديد السبل اللازمة لمكافحة الإرهاب التي تصل إلى شن الحروب، ومن ثم تكون المصلحة المنشودة هي المصلحة الخاصة لهذه الدول وليس مصلحة المجتمع الدولي والعلاقات الدولية. ويمثل ما سبق عرضه انتهاكاً للقانون الدولي في ظل وجود قوة واحدة هي الولايات المتحدة الأمريكية التي تنفرد بتحديد مفهوم الإرهاب وعناصره، وهو أمر لا يجوز فالسلم والأمن الدوليين اللذان تنشدهما المنظمات الدولية يقتضى أن يوضع تعريف للإرهاب وتحدد عناصر من قبل منظمة دولية أو مؤتمر دولي لتحديد معنى اصطلاحى، حيث الأمر الذي يضمن احترام السيادة الداخلية للدول والقانون الدولي لحقوق الإنسان. أما إذا تبنى التعريف دولة واحدة فهي ستسعى إلى تحقيق مصالحها بتحديد وصف الأعمال الإرهابية على كل ما يعارض سياستها بل ستعطى لنفسها الشرعية في التدخل في السيادة الداخلية للدول والاعتداء على حقوق الإنسان، وهو أمر تحقق في عصرنا الحالى، وفكرة وضع مصطلح للإرهاب وتمييزه عن غيره من الأفعال ليس بالأمر المستحيل نظراً لوجود العديد من المحاولات الفقهية المحايدة والجادة الهادفة إلى وضع تعريف موحد للإرهاب والتي اعتمدت أغلبها على عناصر مشتركة تتمثل في وجود عنف منظم وله منهجية وأن

يكون له هدف دائم مثل أحداث تغيير سياسى أو دينى، ومن ثم يصبح التوصل إلى تعريف موحد للإرهاب وتحديد عناصره أمراً ملحاً على المجتمع الدولى على النطاق الإقليمى والوطنى؛ لذلك تسعى الدول فى الآونة الأخيرة إلى إصدار مشاريع لقوانين على المستوى الإقليمى والوطنى والدولى لتحديد مفهوم هذه الظاهرة وعناصرها ووضع العقوبات الرادعة لها للقضاء على ظاهرة تهدد الإنسانية.، وبعض هذه المشاريع كتب لها النجاح مثل مشروع النظام الجزائى السعودى لجرائم الإرهاب وتمويله والذى أقره مجلس الشورى السعودى، والبعض الآخر قد تعثر مثل قانون مكافحة الإرهاب المصرى الذى تعثر بسبب اعتراضات حول مخالفته لحقوق الانسان. أما على المستوى الدولى فكثير الاختلاف حول تبنى مفهوم موحد يلقي الاجماع الدولى، ومن ثم حاول فقهاء القانون الدولى ومنظماته التوحد حول تجريم صور للإرهاب بدلا من البحث عن تعريف موحد، وسوف نتعرض لاحقا للاتفاقيات التى أوردت تجريم هذه الأعمال أو الصور.

المبحث الثانى

تطور مفهوم الإرهاب^(١)

مر مفهوم الإرهاب بتطور خلال المراحل التاريخية المختلفة مستفيداً من التطور والتقدم التكنولوجى فى توسيع جغرافيته وتنوعه، فظهر إرهاب الأفراد وإرهاب الدولة وإرهاب الجماعات فى عصر الإغريق وعند الرومان والفراعة، وفى أوروبا إلى أن جاء الإسلام شريعة السلام ليقضى على كل صورهِ، وقد وجد الإرهاب بكافة صورة وأشكالهِ، ولكن استخدم الإرهاب كمصطلح كان بعد الثورة الفرنسية، وسوف نستعرض هذا التطور الذى مر به مصطلح الإرهاب حيث كانت البداية فى مؤتمر توحيد القانون العقابى المنعقد عام ١٩٣٠م فى مدينة وارسو فى بولندا، والذى عرف الإرهاب فى مادته الأولى على أنه "كل فعل من أفعال العنف أو التهديد به أياً كانت بواعثه أو

١ - د. محمد عبد الله العميرى، موقف الإسلام من الإرهاب، الرياض، ٢٠٠٤.

أغراضه، ويقع تنفيذاً لمشروع إجرامى فردى أو جماعى، ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس، أو ترويعهم بإيذائهم أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم للخطر، أو إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق أو الأملاك العامة أو الخاصة أو احتلالها أو الاستيلاء عليها أو تعريض أحد الموارد الوطنية للخطر"^(١) ثم توالى بعد ذلك الاجتهادات الفقهية الهادفة إلى التوصل لتعريف الإرهاب، فيرى الفقيه Sottile أن الإرهاب هو "العمل الإجرامى المقترف عن طريق الرعب أو العنف أو الفزع الشديد بقصد تحقيق هدف مجرد"، ويذهب الفقيه "Saldana" بأن الإرهاب يعنى "كل جنائية أو جنحة سياسية أو اجتماعية يترتب على تنفيذها أو حتى مجرد الإعلان عنها إشاعة الفزع العام من خلال طبيعتها المنشئة لخطر عام"^(٢) ويلاحظ فى المحاولات الفقهية المتنوعة أنها ارتكزت على محددات تتمثل فى ارتكاز الفعل الإرهابى على نشر رعب وفزع شديدين للأشخاص أو المجتمعات التى يوجه إليها الفعل، بالإضافة إلى الاعتماد على وسائل عنيفة تمس الجسد أو تقتصر على تهديده، أو تمثل استيلاء مثل الاستيلاء على الطائرات لتنفيذ عمل إرهابى مثلها حدث فى أحداث ١١ سبتمبر. ولم تقتصر المحاولات الدولية لتعريف الإرهاب على الفقهاء فقط بل كان للمعاهدات الدولية دور بارز فى هذا الشأن، فقد نصت المادة (٢٣) من اتفاقية جنيف الخاصة بحماية الأشخاص المدنيين فى وقت الحرب الصادرة عام ١٩٤٩م على حظر العقوبات الجماعية والإجراءات الخاصة بالإرهاب، حيث نصت على أنه "لا يجوز معاقبة أى شخص محمى عن مخالفة لم يقترفها هو شخصياً، وتحظر العقوبات الجماعية، وبالمثل جميع تدابير التهديد أو

١ - ٥. محمد مؤنس محبى الدين، الإرهاب فى القانون الجنائى"، رسالة دكتوراه مقدمة لحقوق جامعة المنصورة، ١٩٨٣، ص ٥٢ .

٢ - محاضرة الفقيه Sottile فى المحاضرة التى ألقاها باكاديمية لاهاي ١٩٥١ عرف الإرهاب على أنه:

- Le terrorisme designe une methode criminelle caracterisee par la terreur, la violence en vue d'atteindre un but determine, a sottile, op.cit., P. 96.

الإرهاب أو السلب المخطور، وتحظر تدابير الاقتصاص من الأشخاص الخمسين وممتلكاتهم". كما تحظر المادة (٣٤) أخذ الرهائن، وبذلك تكون الاتفاقية قد حددت صوراً للإرهاب تتمثل في التهديد أو السلب المخطور أو أخذ الرهائن وكلها وسائل تشير إلى استخدام العنف بصورة غير مشروعة تجرمها هذه الاتفاقيات. وفي إطار المنظمات الدولية ظهرت هذه المحاولات عقب اغتيال ملك يوغسلافيا عام ١٩٣٤ الأمر الذي دفع عصبة الأمم إلى تشكيل لجنة مكونة من أحد عشر خبيراً قانونياً لإعداد مشروع اتفاقية لمنع الإرهاب والمعاقبة عليه وجاء في مادتها الأولى تعريفاً للإرهاب بأنه "الأعمال الإجرامية الموجهة ضد دولة ويكون هدفها أو من شأنها إثارة الفزع والرعب لدى شخصيات معينة أو جماعات من الناس أو لدى الجمهور"، كما تناولت مادتها الثانية النص على بعض الأفعال الإرهابية، مثل الأفعال العمدية الموجهة ضد الحياة أو السلامة الجسدية أو صحة أو حرية، أو التي توجه ضد رؤساء الدول أو من يمارسون اختصاصاتهم وخلفائهم بالوراثة أو التعيين أو أزواجهم... إلخ^(١) ومن ثم تكون هذه الاتفاقية قد أخرجت من نطاق الإرهاب صوراً من الإرهاب مثل إرهاب الدولة ضد مواطنيها أو مواطني دول أخرى أو ضد دول أخرى، وبمعنى آخر تكون قد ضيقت من مفهوم الإرهاب وبالرغم من اعتماد الاتفاقية عام ١٩٣٧م إلا أنها لم تدخل حيز التنفيذ، وبانتهاء عصبة الأمم ظهرت الأمم المتحدة وتعددت المحاولات الهادفة إلى تعريف الإرهاب. وقد شهدت الأمم المتحدة إنقساماً دولياً حول تعريف الإرهاب الدولي، فتعددت التعريفات المقدمة من الدول نظراً لتعدد الاتجاهات السياسية. كما قدمت

١ - د. عبدالعزيز مخيمر الهادي، الإرهاب الدولي، سلسلة دراسات القانون الدولي الجنائي، دار النهضة العربية، ١٩٨٦، ص ٦٠ وما بعدها.

راجع نص الاتفاقية باللغة الفرنسية في :

- La lutte Internationale contre le terrorisme, problemes politiques et sociaux, N. 259, 1975, P.24.

تعريفات من فرنسا وفنزويلا والولايات المتحدة الأمريكية، ومن مجموعة دول عدم الانحياز واللجنة الفرعية المتفرعة من اللجنة الخاصة للإرهاب الدولي التي تم إنشائها بقرار من الجمعية العامة للأمم المتحدة في ١٨ ديسمبر ١٩٧٢. وقد ذهب فرنسا في تعريف الإرهاب بأنه "عمل همجي يتم ارتكابه على إقليم دولة أخرى بواسطة أجنبي ضد شخص لا يحمل نفس جنسية الفاعل بهدف ممارسة الضغط في نزاع لا يعد ذات طبيعة داخلية"^(١) وطبقاً للاقتراح المقدم من فنزويلا، فالإرهاب الدولي هو "كل استخدام للعنف أو التهديد به يعرض للخطر أو يهدد حياة الأبرياء، أو يخاطر بالحريات الأساسية، و يرتكبه فرد أو مجموعة من الأفراد على إقليم دولة أجنبية أو في أعالي البحار أو على متن طائرة في حالة طيران فوق البحار المفتوحة، بقصد إثارة الفرع لتحقيق هدف سياسي". ويلاحظ على كل من التعريف الفرنسي والفنزويلي تبني مفهوم تضيق الإرهاب فيقتصر على الإرهاب الفردي الصادر من فرد أو مجموعة من الأفراد ضد رعايا دولة أجنبية، وقد ذهب اليونان في تعريف الإرهاب بأنه "كل أعمال العنف ذات الطبيعة الإجرامية، التي يرتكبها فرد أو مجموعة أفراد ضد شخص أو مجموعة أشخاص من الأبرياء، وبغض النظر عن جنسية الفاعل أو الفاعلين، على إقليم

١ - يعرف الإرهاب وفقاً للاقتراح الفرنسي المقدم إلى اللجنة الفرعية على أنه :

- Acte de barbarie odieuse perpetre swr le territoire d'un Etat tiers par un etranger & l'encontre d'une personne n'ayant pas la nationalite de l'auteur dans le but de faire pression dans un Conflit qui n'est pas strictement d'ordre interne",

أما المقترح الفنزويلي فقد عرف الإرهاب على أنه :

- Toute menace ou acte de violence qui met en danger Ou an "antit des vies humaines innocentes, compromet les libertes fondamentales, perpetre par un individu ou un group d'individus swr un territoire ervanger ou en haut mer, ou a bord d'unaironef on vol dans l'espace aerien situe au dessun de la mer libree dans le but de provoquer la terreur en vue de realisation d'un objectif politique, et un acte de terrorisme international", CF. Le lutte international contre ...", Op. Cit., P. 36.

- Cf. egal ement : ONU, Assemb Lee genorale, Doc. off. 28e, session, supple. N. 28, A/9028, PP. 23-5.

دولة أخرى، بهدف ممارسة ضغط في نزاع أياً كان، أو للحصول على كسب شخصي أو ترضية نفسية". أما الولايات المتحدة، فقد أرتكز مفهوم الإرهاب لديها على "الأعمال الإرهابية التي يرتكبها الفرد أو مجموعة من الأفراد التي تتم أو تحدث آثارها في إقليم دولة أخرى غير تلك التي ينتمى إليها الفاعل بجنسيته"، وذلك في مشروع الاتفاقية التي تقدمت إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة لمنع وقمع بعض الأعمال الإرهابية ويضاف إلى الاقتراحات السابقة الاقتراح المقدم من دول عدم الانحياز التي عدت الأعمال الإرهابية^(١).

وتجدر الإشارة إلى إن دول عدم الانحياز قد أدانت أعمال العنف ولكنها تفرق بينها وبين الاستخدام المشروع للقوة من قبل الشعوب التي تقع تحت طائلة الاستعمار أو العنصرية، ومن ثم تؤيد حركات التحرر الوطني التي ترمى إلى الحصول على الاستقلال أو حق تقرير مصيرها. ويتميز تعريف الإرهاب الصادر من دول عدم الانحياز بإدخال إرهاب الدولة في نطاق الأعمال الإرهابية مثل الممارسات الاستعمارية ضد الشعوب المحتلة أو السماح للمرتزقة أو المنظمات الإرهابية بممارسة الإرهاب ضد الدول الأمر الذي أدى إلى تحفظ العديد من الدول الأوروبية وإسرائيل على إخراج كافة حركات التحرر الوطني من تعريف الإرهاب الدولي معللة ذلك بأن استخدام القوة له ضوابط يجب مراعاتها فاسترداد الحقوق يتم من خلال الوسائل الدولية المشروعة، وهو أمر لا ينطبق على حركات التحرر الوطني التي تستخدم القوة المسلحة دون ضابط للوسائل أو مقدار العنف التي تلجأ إليه في حين أنه توضع ضوابط على الدول في استخدام القوة أو العنف، ومن ثم كان من باب أولى أن تطبق هذه الضوابط على حركات التحرر الوطني^(٢).

١ - راجع النص في :

- La Lutte Internationale Contre le terrorisme. Op. Cit., P. 36.

٢ - د. عبدالعزيز مخيمر، مرجع سابق، ص ٧٣ وما بعدها.

وقد أدى هذا الانقسام والاختلاف بين الدول إلى عدم التوصل إلى تعريف موحد للإرهاب يلقي القبول الدولي، ولكن اجتمعت الدول على ضرورة مكافحة هذه الظاهرة؛ ولذلك صدرت العديد من الوثائق الدولية التي تناولت بعض الأعمال الإرهابية، وقد اتبعت المنظمات الدولية استراتيجية لمكافحة الإرهاب من خلال مجموعة من الاتفاقيات والبروتوكولات التي عرفت وأدانت بعض أشكال الإرهاب الدولي، ومن ثم اكتفت بالتعرض لبعض صور الإرهاب بدلاً من تعريفه.

وتجدر الإشارة إلى أنه بالإضافة إلى الاتفاقيات الدولية بشأن الإرهاب فقد صدر العديد من الاتفاقيات الإقليمية في ذات الشأن نظراً للتطور الذي حدث في مفهوم الإرهاب على المستوى الإقليمي، مثل الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب لعام ١٩٩٨، والتي عرفت الإرهاب بأنه "كل فعل من أفعال العنف والتهديد به أياً كانت بواعثه أو أغراضه، يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي، ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو تخويفهم أو ترويعهم بإيذائهم أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم للخطر^(١) كما عرفت الاتفاقية الجرمية الإرهابية على أنها تنفيذ لغرض إجرامي. والاتفاقية الأوروبية لردع الإرهاب والتي حددت بعض الأعمال الإرهابية مثل خطف الرهائن والاعتداء على الدبلوماسيين وعلى الطيران المدني دون أن تحدد تعريفاً لمصطلح الإرهاب، حيث تم إحالة التعريف إلى القانون الدولي الذي لم يصل إلى تعريف تتفق عليه وتجزئه جميع الدول^(٢).

١ - الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب الصادرة عام ١٩٩٨م، المادة الأولى.

٢ - الاتفاقية الأوروبية لردع الإرهاب الصادرة عام ١٩٧٧م، الفصل الأول.

الفصل الثانى

مسيرة الإرهاب ومظاهره

كان للإرهاب مسيرة عبر العصور المختلفة وتنوعت مظاهره وأشكاله باختلاف هذه العصور، وباختلاف الوسائل المستخدمة لتنفيذه. ويرجع هذا الاختلاف إلى تعدد الدوافع المحركة له، فقد تكون دوافع اقتصادية أو سياسية أو شخصية. حيث ظهر الإرهاب منذ بدء الخليقة واستفحل أمره وتنوعت وسائله نظراً للتقدم التكنولوجى وتطور العلاقات الدولية واختلاف الاتجاهات السياسية. ويلاحظ على مسيرة الإرهاب خلال العصور المختلفة تغليفها شكلياً بهدف دينى لضمان تحقيق أهداف شخصية أو اقتصادية أو حتى سياسية؛ لذلك ظهر الإرهاب فى أنظمة الحكم المسيحى واليهودى، ومن الخارجيين على أنظمة الحكم الإسلامى، وسوف يتناول الفصل ذلك تفصيلاً. كما يهدف الفصل الثانى إلى عرض مسيرة الإرهاب منذ بدء الخليقة، وخلال العصور المختلفة، وذلك بإلقاء الضوء على كيفية ظهوره وبدايته والتعرض لأشكاله ومظاهره المختلفة، وبانتهاء هذا الفصل يصل الباحث للنتائج التالية:

- ١ - ظهور الأفعال الإرهابية منذ بدء الخليقة.
- ٢ - ارتباط الإرهاب بأهداف ودوافع شخصية وسياسية واقتصادية واجتماعية ونفسية.
- ٣ - ظهور الإرهاب قبل ظهور الإسلام.
- ٤ - انقطاع الصلة بين الإسلام والإرهاب، وسوف نستعرض مسيرة الإرهاب فى
مبحثين على النحو التالى:

المبحث الأول

مسيرة الإرهاب عقيدة وفكر

تعاصر وجود الإرهاب مع وجود الإنسان على الأرض فظهر الإرهاب فى العصور القديمة والوسطى والحديثة، وكانت البداية بأول جريمة للقتل شهدتها الإنسانية هي قتل هابيل لقابيل بدافع شخصى يعود إلى الأنانية وتغلب الشهوة، وقد أخبرتنا الآية الكريمة بهذه الجريمة، حيث جاء فى قوله تعالى: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَى آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧) لَنْ بَسَطَ إِلَى يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢٨) ﴾ والمائدة.

كما تعرض العديد من الأنبياء إلى الإرهاب بالقتل أو التحريق ومنهم على سبيل المثال لا الحصر سيدنا إبراهيم عليه السلام الذى أخبرنا القرآن عنه فى قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ (٦٥) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أَفَ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٧) قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (٦٩) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (٧٠) ﴾ والأنبياء.

ودائماً ما كان السبق فى الأعمال الإرهابية لليهود متأثرين بتوراتهم التى دونها بأيديهم بين ٦٣٨، ٦٠٨ قبل الميلاد وزعموا أنها من عند الله. فالتصفح لها يجد العديد من النصوص التى ترسخ المبادئ الأساسية للإرهاب وسفك الدماء واستعباد الشعوب بزعم التقرب إلى الله. فقد شهدت العصور القديمة أعمالاً إجرامية وإرهابية من اليهود أصحاب الأخدود الذين قاموا بتعذيب المسيحيين بحرقهم كما جاء فى قوله تعالى: ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦)

وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨) ﴿ البروج ﴾. فكان التعذيب مجرد أنهم يعبدون الله العزيز الحميد. وقال الضحاک عن أصحاب الأخدود ”هم قوم من النصارى كانوا باليمن قبل مبعث الرسول ﷺ بأربعين سنة، أخذهم يوسف بن شرحبيل بن تبع الحميري (يهودى) وكانوا نيفا وثمانين رجلاً وحفر لهم أخدوداً وأحرقهم فيه“^(١) وقد عانى الإسلام منذ ظهوره فى العصور الوسطى من الإرهاب منذ عهد النبوة وبعده، وكانت البداية بمحاولة اغتيال الرسول ﷺ التى نجا منها بوحي السماء الذى أخبره عما يخطط له اليهود فنام سيدنا على كرم الله وجه فى فراشه، كما تعرض النبى ﷺ لمحاولة قتل أخرى من اليهود بعد فتح خيبر فى السنة السابعة للهجرة، وكان ذلك بدس سم فى شاة قدمت له كهدية من زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم. وبعد عهد النبوة جاء عهد خليفة رسول الله سيدنا أبو بكر الصديق الذى شهد حوادث عنف من الخوارج فأعلن الحرب ”حروب الردة“ وظهرت بعده الاغتيالات بدوافع سياسية للخلفاء الراشدين عمر وعلى وعثمان. كما مورست الأعمال الإرهابية ضد المسلمين لتظهر إلى الأفق شكل جديد من أشكال الإرهاب وهو إرهاب الدولة، حيث مارس ملك إسبانيا وزوجته عمليات قتل جماعية وإبادة وتهجير للمسلمين. ولم تقتصر هذه الممارسات الإرهابية فى العصور الوسطى على المسلمين فقط، بل قامت الكنيسة الكاثوليكية بأوروبا بممارسة أعمال بشعة على مخالفيها فى المذهب فى مؤسسات أطلق عليها محاكم التفتيش^(٢) وقد تطور الإرهاب بعد ذلك وأخذ شكلاً تنظيمياً يمارس من خلاله مجموعات أعمال

١ - القرطبي الجامع لأحكام القرآن، ج ١٩، دار إحياء التراث العربى، بيروت، د. ت. ص ٢٨٩.
انظر د. وجيه حميد زيدان التكريتى، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، العدد (٤) المجلد (١٤)، ص ٢٠٠٧م.

٢ - د. وجيه التكريتى، مرجع سابق، نقلاً عن مقالة د. هشام مناع المشرف على موسوعة الإمعان فى حقوة، الإنسان بعنوان (الإرهاب وحقوق الإنسان) من موقعة على الإنترنت. hen.bredband.net

اغتيالات ومنها جماعة أطلقت على نفسها (الحشاش) ظهرت في القرن السادس عشر اغتالوا ملك القدس الصليبي (كونرادى سوتغيرا) وحاولوا اغتيال القائد صلاح الدين الأيوبي مرتين، كما ظهر الإرهاب المنظم من خلال عمليات اختطاف منظم للسفن ونهب محتوياتها أو المطالبة بمطالب سياسية^(١) ويضاف إلى الأعمال الإرهابية السابقة الجرائم التي ارتكبت عند تأسيس الولايات المتحدة من قتل وإبادة جماعية للهنود الحمر عند تأسيس دولتهم، وأسر العبيد السود من أفريقيا وبيعهم^(٢) وقد قطع الإرهاب شوطاً كبيراً في العصور الحديثة إبان الثورة الفرنسية من (١٧٨٩م - ١٧٩٣م) فبعد سقوط عرش الملك لويس التاسع والملكة ماري أنطونيت كانت بداية عصر الرهبة الذي مورست فيه الرهبة ونشر الخوف في الحياة الاجتماعية والسياسية. وقام الثوار باعتقال المشبوهين وزجهم في السجون، وفي عام ١٩٧٢م هاجموا المعتقلين الذين سبق اعتقالهم في السجون وتم قتلهم جميعاً خوفاً من التعاون مع الدول الخيطة التي حاصرت فرنسا ووصلت إلى أبواب فردان وحاصروها. كما تم إنشاء محاكم جنائية استثنائية أطلق عليها المحاكم الثورية لردع مرتكبي الجرائم ضد الثورة، ووصل الأمر إلى إعدام ما يقرب من سبعة عشر ألف شخص بعد محاكمتهم في هذه المحاكم، وخمسة وعشرون ألف شخص بدون محاكمة^(٣) ومن ثم ظهر الإرهاب في بداية العصر الحديث في صورة إرهاب داخلي، أما الإرهاب الدولي العابر للحدود فقد مارسته الولايات المتحدة ومورس ضدها، وكذلك الكيان الصهيوني الذي أظهر الإرهاب في شكله

١ - انظر : نعمة على حسين، مشكلة الإرهاب الدولي - دراسة قانونية - مركز البحوث والمعلومات بغداد، ١٩٨٤م، ص ١٣ .

٢ - فوزى البشتي، الإرهاب الأمريكى فى التاريخ، ط ١، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس - الجماهير العربية الليبية، ١٩٨٦م، ص ١٢، ١٣ .

٣ - بليشنكوف وزادانوف، الإرهاب والقانون الدولي، ط ١، ترجمة المبروك محمد الصويعى، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، الجماهيرية العربية الليبية، ١٩٩٤م، ص ٢٢، ٢٣ .

المنظم . فالولايات المتحدة لم تسلم داخلياً من الإرهاب وموجات العنف الداخلي ، فظهرت الجماعات اليسارية فى المراحل الأخيرة من حرب فيتنام التى قامت بتدمير العديد من المباني فى مجمعات سكنية^(١) كما تعرضت الولايات المتحدة فى عام ١٩٩٣م لتفجير مركز التجارة العالمى بنيويورك مخلفاً العديد من الخسائر البشرية والمادية التى وصلت إلى ٦٠٠ مليون دولار أمريكى . وكانت أحداث التفجيرات التى أصابت الولايات المتحدة هى تفجيرات ١١ أيلول عام ٢٠٠١م مخلفة تدميراً لبرجى التجارة العالمى ومقر وزارة الدفاع البنتاجون بالإضافة إلى التفجيرات التى حدثت بالقرب من وزارة الخارجية ، وقد خلفت هذه التفجيرات مقتل وإصابة حوالى ٦٩٦٤ فرد وخسارة اقتصادية فادحة^(٢) .

١ - انظر د. وجيه التكريتى ، مرجع سابق ، ص ١٨٠ .

٢ - أبو بكر الدسوقي ، أمريكا والإرهاب : الحدث والتداعيات ، مجلة السياسة الدولية ، العدد ١٤٦ ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ، القاهرة ، تشرين الأول (أكتوبر) ٢٠٠١م ، ص ٩٦ -

المبحث الثاني

الاتجاهات الدولية في تحديد أشكال الإرهاب ومظاهره

تعددت مظاهر وصور الأعمال الإرهابية في الآونة الأخيرة، الأمر الذي أدى إلى صعوبة حصر جميع صور وأشكال الإرهاب؛ ولذلك تعددت المعايير الفقهية في تصنيف أشكال الإرهاب ومظاهره وصوره. فذهب البعض في تقسيمه لأشكال الإرهاب إلى تبنى معياراً يعتمد على مرتكب الإرهاب أو القائمين به، بينما ذهب آخرون إلى التقسيم وفقاً للهدف من الإرهاب، وذهب اتجاه ثالث إلى تقسيم الإرهاب وفقاً لنطاقه. كما تعددت الاتفاقيات الدولية المحددة لأشكال ومظاهر الإرهاب المختلفة بهدف مكافحة الإرهاب بجميع صورته وأشكاله، فعددت هذه الاتفاقيات مجموعة من الأعمال الإرهابية. وسوف نتعرض أولاً للاتجاهات الفقهية في عرض أشكال الإرهاب ثم لصور الإرهاب الواردة في الاتفاقيات الدولية الصادرة بشأن الإرهاب أو بعض الأعمال الإرهابية.

المطلب الأول

أشكال الإرهاب وفقاً للاتجاهات الفقهية^(١)

تعددت الاتجاهات الفقهية في تقسيم أشكال الإرهاب والسبب في هذا التعدد والتنوع هو تبنى معايير مختلفة فقد ذهب البعض إلى تصنيف الإرهاب وفقاً لمرتكبه وهذا الاتجاه قسم أشكال الإرهاب إلى إرهاب الدولة، وإرهاب الأفراد والجماعات. أما

١ - د. أغادير عرفات جويحان د. محمد عوض الترتوري، علم الإرهاب - الأسس الفكرية والنفسية والاجتماعية والتربوية لدراسة الإرهاب، دار الحامد للنشر، سنة ٢٠٠٦م، ص ١٠٤ وما بعدها.
 د. منتصر سعيد حمودة، الإرهاب الدولي - جوانبه القانونية. وسائل مكافحته في القانون الدولي العام والفقه الإسلامي، دار الجامعة الجديدة، ٢٠٠٦م، ص ١٢٣ وما بعدها.
 راجع: د. حسنين محمدى بوادى، الإرهاب الدولي تجريماً ومكافحة، دار المطبوعات الجامعية، ٢٠٠٧م، ص ٧٢ وما بعدها.

مَنْ قَسَمَ الإرهاب وفقاً للهدف منه فقد ذهب إلى تصنيف الإرهاب على أنه إرهاب أيديولوجي، انفصالي، إجرامي، وأخيراً قَسَمَ الإرهاب وفقاً لنطاقه إلى إرهاب دولي وإرهاب محلي. وسوف نتعرض لهذه الأشكال المختلفة للإرهاب.

١ - الإرهاب الدولي والإرهاب المحلي^(١) :

تبنى جانباً من الفقه معياراً يعتمد على نطاق الإرهاب فقسمه إلى إرهاب دولي وهو الذي يتحقق فيه الانتماء المتعدد لأطرافه سواء الفاعل أو الضحية أو المكان الذي يقع فيه الفعل الإرهابي، ومن ثم ينتمي أطرافه لأكثر من دولة ويترك أصداءه في المجتمع الدولي ككل، مثل الاعتداء على الشخصيات الدبلوماسية الدولية، وخطف الطائرات وأخذ الرهائن والأعمال الموجهة ضد سلامة الملاحة البحرية. أما الإرهاب المحلي فهو الذي يصدر من جماعات داخل نطاق الدولة ولا تتجاوز حدودها وتنتمي أطرافه كلها الفاعل والضحية والمكان إلى مكان واحد، ويهدف هذا النوع إلى تحقيق مصلحة داخلية مثل السيطرة على السلطة، ويتميز الإرهاب المحلي عن الدولي بأنه لا يستهدف أجنبياً أو يستهدف الأضرار بمصالح أجنبية، ومن ثم لا يمارس ضد الأجنبى فإذا استهدفهم فقدت الصفة المحلية وأصبح إرهاباً دولياً. ومن ثم فإن معيار التمييز بين الإرهاب الدولي والمحلي هو محلية أو دولية كلاً من الهدف والوسيلة والعمل والصدى الذي يحققه، فإذا انحصرت نتائج ما سبق داخل الدولة كان إرهاباً محلياً، وإن اتخذ طابعاً دولياً أصبح إرهاباً دولياً ودائماً ما يتم الإرهاب الدولي بمساعدة دول أو دعم خارجي ويوجه ضد موقع دولي لتغيير نظام دولة ما أو إحداث ضغوطاً تؤدي إلى تغيير في الأمور السياسية عالمياً.

١ - د. أسامة الغزالي حرب، الإرهاب الدولي ومشكلات التحرير والثورة، مركز اتحاد المحامين العرب للبحوث والدراسات القانونية، ١٩٨٦م، ص ١٧ .

٢ - إرهاب الأفراد والجماعات وإرهاب الدولة^(١)؛

يقسم الإرهاب من حيث القائمين به إلى إرهاب الأفراد والجماعات وإرهاب الدولة. أما الأول فيمارس من جماعات غير شرعية مناوئة للدولة ضد الدولة بهدف إحداث تغيير سياسي أو اجتماعي في نظام الدولة أو القضاء على النظام القائم أو تحقيق أهداف شخصية وينقسم إرهاب الأفراد والجماعات إلى عدة أنواع هي:

الإرهاب الثوري والذي يهدف إلى إحداث تغيير التركيبة السياسية والاجتماعية في الدولة من خلال أيديولوجية ثورية يتبعها القائمين به في إطار حركة تتميز بالعالمية مثل الماركسية، و الإرهاب شبه الثوري فيهدف إلى إحداث تغيير في نظام سياسي معين. والإرهاب العادي ويهدف إلى تحقيق أهداف شخصية ويمارسه الأفراد لتحقيق مكاسب اقتصادية أو اجتماعية مثل خطف الرهائن وأعمال القرصنة التي انتشرت مؤخراً لطلب فدية مالية، وقد ذهب بعض الفقهاء إلى استبعاد هذه الأعمال من وصفها بالإرهاب، و الإرهاب العدمي والذي يهدف إلى تدمير النظام القائم في الدول وليس التغيير ومن أمثلة ذلك الأحداث التي سبق ذكرها في الجزء الخاص بمسيرة الإرهاب إبان الثورة الفرنسية. الإرهاب الإجرامي ويهدف إلى تحقيق أهداف اقتصادية أو اجتماعية شخصية مثل أعمال السطو المسلح وأخذ الرهائن وأعمال القرصنة بهدف طلب الفدية ويختلف هذا النوع من الإرهاب السياسي؛ لأنه لا يهدف إلى تحقيق مكاسب سياسية أو انفصالية. والإرهاب الانفصالي وهو الذي يهدف إلى الاستقلال السياسي أو الإقليمي وينسب هذا النوع من الإرهاب إلى الحركات الانفصالية، ومن ثم يقتصر على المجموعات والأفراد السياسية فقط دون الدولة. والإرهاب الأيديولوجي ويطلق عليه العقدي وهو يهدف إلى تحقيق أيديولوجية معينة مثل الإرهاب الثوري والإرهاب الديني،

١ - انظر: د. أسامة الغزالي حرب، مرجع سابق، ص ١٦، وانظر، د. أغادير عرفات، د. محمد عوض، مرجع سابق، ص ١٠٥.

وقد عرف هذا النوع من الإرهاب قديماً كما حدث من ثوار الثورة البلشفية عام ١٩١٧ والحركات الفاشية في إيطاليا^(١) ويلاحظ فيما سبق من أشكال إرهاب الأفراد والجماعات المختلفة تنوع أهدافها ودوافعها فبعضها لتحقيق مكاسب جماعية سياسية أو اقتصادية أو مكاسب شخصية وآخر اقتصر هدفه على التدمير. وقد يحدث أن يُمارس الإرهاب من دولة ويقصد به "السياسات والأعمال الإرهابية التي ترعاها وتدعمها الدول بشكل مباشر أو غير مباشر" وتتمثل هذه السياسات والأعمال في الأفعال التي تخالف القوانين الوطنية أو الدولية^(٢) مثل الاعتداء على الحقوق التي نص عليها القانون الدولي لحقوق الإنسان كالحق في تقرير المصير والحق في الحياة، وقد تتم هذه الأعمال والممارسات بشكل مباشر بأن تستخدم الدولة موظفيها مثل رجال المخابرات أو القوات المسلحة أو الشرطة أو مواطنين للقيام بهذه الأعمال نيابة عنها ولمصلحتها، أو بشكل غير مباشر برعاية أو دعم مجموعات للقيام بأعمال إرهابية مثل تقديم المساعدات لهم أو إمدادهم عسكرياً أو أن تأويهم في أراضيها. ومن ضمن الأعمال الإرهابية لجوء الدولة إلى استخدام القوة المسلحة في العلاقات الدولية بالتدخل عسكرياً في بعض الدول وهو أمر شهدت وتشهد عليه العلاقات الدولية في ظل وجود قوى تكاد أن تكون منفردة في إطار المتغيرات الدولية الحديثة، وهو أمر يخالف القانون الدولي والوثائق الدولية التي تتفق على مضمون واحد يتمثل في أنه لا يحق لأية دولة أن تنظم أعمالاً تخريبية إرهابية أو مسلحة أو تساعد أو تثير أو تمول أو تحرض على مثل تلك الأعمال الموجهة لقلب نظام الحكم في دولة أخرى بالعنف^(٣).

١ - انظر: د. أغادير عرفات - د. محمد عوض، مرجع سابق، ص ١١٢ .

٢ - Gerhard Von Glahn, "Law Among Nations". Seventh Edition. Allyn and Bacon. - ٢
1996. P: 277.

٣ - انظر: قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ٤٩/٦٠ بتاريخ ١٩٩٤/١٢/٩ 'التدابير الرامية إلى القضاء على الإرهاب الدولي'.

المطلب الثاني

مظاهر وصور الإرهاب وفقاً للاتفاقيات الدولية^(١)

عددت الاتفاقيات الدولية مظاهر الإرهاب وصوره في العديد من بنودها وتناولت صورتين من الأعمال الإرهابية أولهما إرهاب موجه ضد الأشخاص، وثانيهما إرهاب موجه ضد الأموال، وباستعراض بعض هذه الاتفاقيات نجد أن الإرهاب الموجه ضد الأشخاص وقد شهدته الساحة الدولية مما دفع المجتمع الدولي إلى إبرام معاهدات واتفاقيات ملزمة للدول تتناول نماذج من هذه الأعمال وتجرمها وتضع التزاماً على عاتق الدول بالتعاون للقضاء عليها ومن هذه الجرائم جرائم الاعتداء على أعضاء البعثات الدبلوماسية والموقعة في نيويورك في ٢٤ ديسمبر ١٩٧٣ م. وجرائم تعريض حياة الأشخاص للخطر مثل الاعتداء على الأشخاص في القطاعات أو الميادين العامة. وجرائم أخذ واحتجاز الرهائن وتكون هذه الجرائم بالسيطرة على الأفراد بالقوة لتحقيق مطالب ما، وقد تكون لأهداف سياسية أو أهداف غير سياسية. والإرهاب الموجه ضد الأموال مثل جرائم خطف وتدمير الطائرات، وقد نصت على هذه الجرائم العديد من الاتفاقيات الدولية "كاتفاقية طوكيو بشأن أمن الطيران، الصادرة عام ١٩٦٣ م واتفاقية لاهاي لسنة ١٩٧٠ م ومونتريال لعام ١٩٩٧ م، وسوف نتعرض لهذه الاتفاقيات في الفصول القادمة.

١ - انظر: د. منتصر سعيد حمودة، مرجع سابق، ص ١٢٣ وما بعدها.

الفصل الثالث

الإرهاب فى الشريعة الإسلامية

جاء الدين الإسلامى للناس كافة لنشر رسالة السلام والأمن ليحمى كرامة الإنسان ويدافع عن حقه فى الحياة ويجرم الاعتداء عليها فجاء فى قوله تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ (٢٢) المائدة، وبذلك يكون الإسلام قد حرم البغى والظلم وترويع الأمنين، وداء الإرهاب يروع ويصيب الأُم بالخوف ومن تبعه ركبوا ركب التشدد والغلو وخرجوا على أولى الأمر. وسلوك التشدد والتطرف يمثل دعاية سلبية عن الدين الإسلامى ويفيد أعداء الإسلام الذين يصفونه بأنه دين الإرهاب وأنه دين السيف، وسوف نتعرض فى هذا المبحث إلى العرض الصحيح لمفهوم الإسلام والأمن فى الشريعة الإسلامية، والإشارة إلى خروج الإرهاب عن الأهداف والمبادئ التى جاءت بها الشريعة الإسلامية. ويهدف هذا الفصل إلى التعرض لمفهوم السلم والأمن فى الشريعة الإسلامية وموقف الإسلام من الإرهاب وبانتهاه هذا الفصل يصل الباحث إلى النتائج التالية :

- ١ - خروج الإرهاب عن مفهوم السلام والأمن فى الكتاب والسنة.
- ٢ - السبق الإسلامى فى التوصيف النظامى لجريمة الإرهاب.
- ٣ - تفوق المبادئ الإسلامية على جميع المعاهدات والاتفاقيات الهادفة للحد من الإرهاب.
- ٤ - تبنى المنظم السعودى للمفهوم الشرعى للإرهاب تجريماً ومكافحة. وسوف نستعرض ذلك فى مبحثين على النحو التالى:

المبحث الأول

المفهوم العام للسلام والأمن في الشريعة الإسلامية

خلق الله عز وجل الإنسان وجعله خليفته في الأرض، ووضع على عاتقه تعمير الأرض الذي لا يمكن أن يتحقق إلا بتوافر الاستقرار والسلام الاجتماعي في الأمم المختلفة. وقد جاءت رسالة الإسلام إلى الناس كافة لتحقيق السلام والأمن بين الناس كافة كمطلب شرعي من مطالب الحق في الحياة، وإنهاء العديد من الحروب التي كانت سائدة بين القبائل والتي كان أشهرها الحرب بين الأوس والخزرج. وورد في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ما يؤكد أهمية الأمن والسلام وجعلهما من الحقوق التي لا يجوز التنازل عنها أو التفريط فيها، وسوف نتعرض للمفهوم العام للسلام والأمن في القرآن الكريم والسنة (١):

وردت كلمة الأمن في القرآن الكريم ومشتقاتها المختلفة في العديد من الآيات ودارت جميعها حول معنى الاطمئنان النفسى الذى هو عكس الخوف أو النزاع وسوف نستعرض بعض هذا الآيات :

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ ۝٩ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝١٠﴾ [الأنفال]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا ۝١٢٥﴾ [البقرة]، ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۝٩٧﴾ [آل عمران]، ونظراً لأهمية الأمن كمطلب شرعي فقد رتب الشارع الحكيم على عدم توافره بعض الأحكام فالشعور بالخوف يعطى العذر لصاحبه للتخلف عن صلاة الجماعة كما هو

١ - د. محمد عمارة، الإسلام والأمن الاجتماعى، دار الشروق للطباعة، ١٩٩٨م. د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام، موقع الإسلام، راجع موقف السنة والكتاب من العنف والإرهاب فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز وآخرون <http://www.al-islam.com>

الحال في صلاة الخوف^(١) وفضلاً عما نصت عليه الآيات القرآنية في مجال الأمن، فقد تناولت أيضاً المفهوم العام للمسلم فجاء في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾ (٢٨) «البقرة»، فقد جعل القرآن غايته أن يدخل الناس السلم كافة. كما جرمت الآيات القرآنية الأفعال التي من شأنها أن تؤثر في السلام أو الأمن وتنتشر الفزع بين الناس كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ (٤٨) قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ (٤٩) وَمَكْرُؤًا مَكَرًّا وَمَكْرُؤًا مَكَرًّا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (٥٠) فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (٥١) «النمل». فيلاحظ من الآية تجريم الإفساد في الأرض كما جاء تأكيد هذا التجريم في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴾ (٢٥) «البقرة»، ومن ثم أكد القرآن الكريم على مفهوم الأمن كمتطلب شرعي وواجب ديني على الحاكم والحاكمين ووضع العقاب على من يخل بهما كما جاء في آيات الحرابه في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٣٢) «المائدة». كما أكد القرآن على مفهوم السلم حيث أمر المسلم بأن يكون واسع الصدر وكريم الخلق يستمع لغيره كما يحب أن يستمع غيره إليه، الأمر الذي يقتضى أن يكون الإيمان نتاج إقناع وليس إكراه كما جاء في قوله تعالى: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ (٢٥٦) «البقرة»،

وقوله تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾ (٢٩) «الكهف»، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ

١ - انظر، د. عبد الله التركي، مرجع سابق، ص ١١.

النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٩٩) ﴿ديونس، ولم يقتصر النص على مفهوم الأمن والسلام في الشريعة الإسلامية على القرآن الكريم فقط بل جاءت السنة النبوية (١) مؤكدة لما جاء في القرآن الكريم الذي أكد على أهمية الأمن فيقول سيدنا محمد ﷺ: "من أصبح منكم آمناً في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا" (٢) كما روى عن الإمام أحمد وأبو داود أنه ﷺ قال: "لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً" (٣) وقد ورد النهج النبوي مؤكداً على أهمية الأمن فيتحققه للفرد فيكون كأنما ملك الدنيا، وأكد نبي الرحمة على النهي عن أى سلوك يؤدي إلى الترويع حتى لو كان عن طريق المزاح كما جاء في قوله ﷺ "لا يأخذن أحدكم متاع أخيه لاعباً أو جاداً" (٤)، وقوله "لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح، فإنه لا يدرى أحدكم لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار" (٥) ومن ثم دعا الرسول ﷺ إلى كل ما يبعث الطمأنينة في النفوس ويحقق لها الأمن والسلام، فنهى الرسول عن اتباع الأعمال التي توقع في النفوس الخوف والفرع وهو تهج نبوي لا يجوز الحياد عنه، وعلى المسلمين جميعاً الالتزام به، فقد وضع الإسلام نظاماً للتعاملات بين الأشخاص سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين في حالة السلم وفي حالة الحرب. ومما يؤكد اهتمام الإسلام بمفهوم الأمن والسلام نهى الرسول ﷺ عن قتل النساء وكبار السن والصبيان في وقت الحرب أو السلم، وقد استنكر ذلك عليه الصلاة والسلام عندما وجد امرأة مقتولة في إحدى

١ - د. عبد الله التركي، مركع سابق، ص ١٢ .

٢ - رواه البخاري في الأدب المفرد، والترمذي، وابن ماجه، والطبراني في الكبير، الترمذي الزهد (٢٣٤٦) ابن ماجه الزهد (٤١٤١) .

٣ - أبوداود، الأدب (٥٠٠٤)، أحمد (٥/٣٦٢) .

٤ - الترمذي، الفتن (٢١٦٠)، أبوداود الأدب (٥٠٠٣)، أحمد (٤ / ٢٢١) .

٥ - البخاري الفتن (٦٦٦١)، مسلم البر والصلة والآداب (٢٦١٧)، الترمذي، الفتن (٢١٦٢)، أحمد (٢ / ٣١٧) .

الغزوات، فقال ﷺ "ما كانت هذه لتقاتل" ^(١) ومن ثم نجد أن الإسلام دين يكفل لكل البشر العيش في سلام وأمن، فكان له السبق في النص على حقوق غير المسلمين في الوقت الذي ساد فيه عداوة الأجنبي في المجتمعات الرومانية، فكان الأجنبي يخضع لقانون غير الذي يطبق على الرومان أنفسهم ^(٢) أما المجتمع الإسلامي فكان أساسه التعاون في كافة مجالات الحياة وفرضت الحرمة على النفس والمال والعرض بين أفراد المجتمع كافة فغير المسلم يتمتع بالحق في الأمان طالما ظل محافظاً على العهد مع المجتمع الإسلامي الذي ينكر كل صور التفرقة العنصرية ويدينها ^(٣).

المبحث الثاني

الإرهاب في التشريع الجنائي الإسلامي وموقف الأنظمة السعودية منه

حرص الإسلام على حماية الكليات الخمس المتمثلة في الدين والمال والنسل والنفس والعقل؛ لأنها أمور لا تستقيم الحياة بدونها، ومن ثم جعل الإسلام الحفاظ على هذه الكليات فريضة يأثم المفرط فيها، ويجرم من اعتدى عليها. ومن يمثل أى اعتداء على هذه الكليات جريمة معاقب عليه. لما تمثله من خروج عن أهداف ومبادئ الإسلام، فمفهوم الجريمة في التشريع الجنائي الإسلامي أنها "محظورات شرعية زجر الله عنها بحد أو تعذيب أو هي فعل أو ترك فعل نصت الشريعة على تجريمه والعقاب عليه" ^(٤) وتتنوع الجرائم في التشريع الجنائي الإسلامي من حيث خطورتها وتأثيرها على المجموع إلى جرائم حدود، وجرائم القصاص والدية، وجرائم التعذيب، كما تقسم

١ - أبو داود، الجهاد (٣٦٦٩)، ابن ماجه، الجهاد (٢٨٤٢).

٢ - د. عبد الله تركي، مرجع سابق، ص ٢٤.

٣ - المرجع السابق، ص ٢٤.

٤ - د. منتصر سعيد حمودة، الإرهاب "دراسة فقهية في التشريع الجنائي الإسلامي"، دار الجامعة الجديدة، ٢٠٠٨، ص ١٥، نقلاً عن الأحكام السلطانية للماوردي، ص ١٩٢.

الجرائم بسبب القصد الجنائي إلى عمدية وغير عمدية. وجرائم الاعتداء على النفس من الجرائم التي يُعاقب عليها بالقصاص أو الدية وتحقق الجريمة بالاعتداء على الإنسان أياً كان نوعه مثل إزهاق روحه أو إتلاف أعضاء في جسده أو مجرد إصابته بجروح.

وإزهاق الروح دون وجه حق من أشد الذنوب شرعاً، فهو يحتل المرتبة الثانية بعد الكفر ووضع له الشارع الحكيم العقوبة التي تتناسب مع بشاعة هذا الجرم، فجاء في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً (٩٢) ﴾ «النساء»، كما أكدت السنة النبوية المطهرة على بشاعة جريمة إزهاق الروح بغير وجه حق فجاء عن الرسول ﷺ أنه قال "أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء" (١)، وعنه ﷺ أنه قال "لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً" (٢).

ولقيام الجريمة في الإسلام يجب أن تتوافر عدة أركان تتمثل في الركن المادى والركن المعنوى، بالإضافة إلى الركن الشرعى، والذي يقتضى وجود نص شرعى يحظر هذه الجريمة ويضع العقاب على من يقوم بها، والركن المادى هو القيام بالفعل الذى يُكون الجريمة، أما الركن المعنوى فهو أن يكون الجانى مكلفاً؛ لأن التكليف هو أساس المسئولية الجنائية، فإذا لم يتوافر التكليف لا يستحق الجانى العقاب. وتتوافر الأركان الثلاثة المادى والمعنوى والشرعى تقوم الجريمة، وتجدر الإشارة إلى أن هناك عدة شروط يجب توافرها فى الركن الشرعى، فليس أى فعل مجرم؛ لأن الأصل فى الأشياء الإباحة، ومن ثم يشترط فى الفعل أو الامتناع عن الفعل أن يجرم بموجب نص يكون

١ - منهاج المسلم للزائري (متفق عليه)، ط ٨، ص ٤١٨ .

٢ - صحيح البخارى، منهاج المسلم، ص ٤١٨ .

سارى المفعول على المكان الذى وقع فيه هذا الفعل، وبمعنى آخر أن يكون النص الذى يجرم الفعل أو الامتناع عنه صادراً من الدولة الإسلامية داخل حدودها.

موقف الأنظمة السعودية من التوصيف الشرعى لجريمة الإرهاب^(١)،

تنوعت وتباينت صور الإرهاب فى الدول المختلفة بصورة عامة، إلا أن المملكة العربية السعودية لها أوضاعها الدينية والاجتماعية التى تعنى بأحكام الشريعة الإسلامية والبعد عن كل ما يهدد بالتالى أمن وسلامة المواطنين، ولذلك تناولت الأنظمة السعودية جريمة الخرابة (الإرهاب) فى إطار التشريع الجنائى الإسلامى وفى إطار ما نصت عليه الشريعة الإسلامية بالنسبة لهذه الجرائم على وجه التحديد وذلك فى النصوص القانونية السعودية، فقد استندت هذه الأنظمة على ما ورد بالمادة (١١٢) من نظام الإجراءات الجزائية السعودية، والتى أسندت تحديد ما يعد من الجرائم الكبيرة التى توجب التعريف، وأسندت ذلك الأمر إلى اختصاصات وزير الداخلية، ويأتى ذلك الأمر بناء على ما يوصى به رئيس هيئة التحقيق و الادعاء العام. واستناداً إلى المادة (١١٢) المشار إليها، صدر القرار رقم (١٢٤٥) الذى حدد تلك الجرائم الموجبة للإيقاف بأنها جرائم الحدود التى يتم العقاب عليها بالقتل أو القطع أو الرجم، ومن ثم يكون المنظم السعودى قد تبنى مفهوماً نظامياً للخرابة يستند إلى ارتكاب جريمة سلب أموال، أو هتك للأعراض، أو سفك للدماء، أو الإخافة المجردة على سبيل القهر والغلبة، وسواء استخدم سلاح من عدمه وبغض النظر على النتيجة فلا يشترط قتل المجنى عليه. والواقع أن النظام السعودى قد استند إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَرُوا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٣٢) والمائدة، والواقع أن جرائم الخرابة لم تأخذ شكلاً واحداً،

١ - راجع، نظام الإجراءات الجزائية، قرار رقم ٢٠٠ فى ١٤/٧/١٤٢٢هـ.

ولكن تنوعت وتعددت أشكالها فشملت : هتك العرض ، وأخذ الأموال أو تخريبها بالقوة ، واستدراج الأطفال الصغار وفعل الفاحشة بهم ، وفي هذه الجريمة بالذات لا تستند إلى إعمال القوة لأن إرادة الطفل مسلوبة ، وقد أكد المنظم على ذلك . وبالإضافة إلى هذه الجرائم هناك أيضاً تجريم ما قد يثار بين الناس من إحداث للمفوضى ، أو تخويفهم ، أو أن يلجأ البعض محاولاً تحدى النظام العام ، وذلك بإحداث خلل يؤثر على النظام مستخدماً في ذلك القوة ، وقد اعتبر النظام أن ارتكاب أى من هذه الجرائم المشار إليها حراية إذا اقترنت بجريمة القتل ، أما عن إثبات الجريمة والعقوبة المقررة لها فهناك صور متعددة يستند إليها القانون والنظام بصورة عامة في إثبات جريمة الحراية وفقاً للقانون السعودي ، وهى إقرار الجاني وشهادة الشهود المعتبرين والذين ليست لديهم موانع تجب شهادتهم . كما يتعين فى أولئك الشهود شروط معينة هى شروط صحة الشهادة مثل تكليف العقل . أما العقوبة فتختلف باختلاف صورة الحراية ومن هنا كانت العقوبات متنوعة ومتدرجة . فقد تكون عقوبتها القتل أو الصلب أو القطع للأيدى أو الأرجل من خلاف ، وقد تكون كذلك النفى من الأرض . والواقع أن العقوبة يختارها القاضى بناء على شكل وحجم الجريمة وصورتها بحيث يأتى العقاب متناسباً مع الجرائم وذلك احتراماً لمبدأ التناسب بين الجريمة والعقوبة ، وتحقيقاً للعدالة وما تجدر الإشارة إليه ان عقوبة الإعدام فى جريمة الحراية من العقوبات التى لا تسقط بالعفو من جانب ولى الدم ، وذلك لأن عقوبة جريمة الحراية تكون كما حددها النظام أيضاً القتل حداً وهى من العقوبات التى لا يسقطها التنازل ، والنظام السعودي بتحديد هذه الصورة لجريمة الحراية وإثباتها وفرض العقوبات لها واستناده إلى الشريعة الإسلامية ، إنما يكون قد استوفى شكلاً ومضموناً جيداً لمقاومة الحراية والتصدى لها .

الفصل الرابع

الإرهاب في القوانين الوضعية وأثره على حقوق الإنسان

لم يكن الإرهاب ظاهرة طارئة، ولكن كما ذكرنا تأصل بشكل بات مهدداً للأمن والسلم الوطنيين، بل أمتد ليخل بالأمن والسلم الدوليين، وتكمن خطورة الإرهاب في أنه قد يقضى على عديد من مقومات الحياة في دول بذاتها إذا لم تستطع مقاومته المقاومة الفعالة، فضلاً عن أنه يهدد كما أشرنا الأمن والسلم ويمس بل يؤثر تأثيراً بالغاً على حقوق الإنسان وأمنه وسلامته. ومن ثم كان من الضروري التصدي له لضمان حقوق الإنسان من خلال وضع مجموعة من القوانين تضمن مكافحة كل أنماط وأنواع الإرهاب، سواء من خلال القوانين المحلية الخاصة بكل دولة، أو القوانين الدولية لمكافحة الإرهاب، وكذلك من خلال الاتفاقيات والمعاهدات المعنية بمكافحته. ويهدف الفصل إلى:

- ١ - التعرف على القوانين الوضعية الصادرة بشأن الإرهاب.
- ٢ - إبراز الجهود القانونية الصادرة بشأن مكافحة الإرهاب، وذلك بتوضيحها سواء من خلال مؤتمرات أو ندوات أو اتفاقيات ومعاهدات بين الدول بهذا الشأن.
- ٣ - الجهود المبذولة لبعض المنظمات الدولية التي تعاني إرهاباً لا يستهان به كالاتحاد الأفريقي وجامعة الدول العربية.
- ٤ - معرفة آثار الإرهاب على حقوق الإنسان.
- ٥ - التصدي للإرهاب يقتضى التوحيد دولياً وإقليمياً لوضع تشريعات تضمن مكافحة كل أنماطه وأنواعه، وسوف نستعرض تجريم الإرهاب في القوانين الوضعية في مبحثين كالتالي:

المبحث الأول

الإرهاب فى القوانين الوضعية

لقد تعددت المحاولات القانونية الصادرة بشأن تجريم ظاهرة الإرهاب فى محاولة لحرارة التغيير والتطور الذى صاحب العديد من العمليات الإرهابية التى أصبحت تستعين بوسائل التكنولوجيا المختلفة. وتعتبر القوانين الدولية لمكافحة الإرهاب هى أغزر القوانين التى صدرت فى شأن الإرهاب فصدر بعضها ليتناول الإرهاب بصفة عامة ويعرض صور من الأعمال الإرهابية، بالإضافة إلى بعض المعاهدات والاتفاقيات الدولية الأخرى التى تتناول أعمال إرهابية بعينها مثل اتفاقية عام ١٩٦٣م الصادرة بشأن أمن الطيران والاتفاقية الخاصة بمنع وقمع الجرائم التى ترتكب ضد الأشخاص المتمتعين بالحماية الدولية الصادرة عام ١٩٧٣م، وتأتى القوانين الدولية الإقليمية الصادرة بشأن الإرهاب بعد القوانين الدولية العامة فى الأهمية، فهى تمثل انعكاساً للجهود المبذولة إقليمياً للقضاء على هذه الظاهرة، ثم يتلوها القوانين الوطنية الصادرة بشأن الإرهاب أو المحاولات القانونية الهادفة إلى القضاء على هذه الظاهرة، وسوف نتعرض لهذه الجهود القانونية على النحو التالى:

المطلب الأول

الجهود القانونية الدولية الصادرة بشأن الإرهاب بعد الحرب العالمية الأولى^(١)

بذل فقهاء القانون الدولى والهيئات والمنظمات الدولية جهوداً ملموسة لوضع قواعد قانونية تجرم الفعل الإرهابى، وكانت بداية هذه الجهود منذ مطلع القرن العشرين بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى التى ارتكبت فيها العديد من الجرائم ضد المحاربين

١ - على يوسف الشكرى، الإرهاب الدولى، الأردن، دار أسامة للنشر والتوزيع ط ١، ٢٠٠٨، ص ١٣١ وما بعدها.

والشعوب المحتلة، كما لقي الإرهاب اهتماماً بعد الحرب العالمية الثانية، وفيما يتعلق بالجهود القانونية المبذولة لوضع إطار قانوني يجرم الإرهاب بعد الحرب العالمية الأولى.

ظهرت أولى المحاولات القانونية عام ١٩١٩م من لجنة الفقهاء القانونيين التي كُلفت بدراسة المشكلات المرتبطة بمسؤولية مجرمي الحرب، وقد انتهت اللجنة إلى إعداد قائمة باثنين وثلاثين جريمة واحتلت جريمة الإرهاب المرتبة الثانية في هذه الجرائم. ثم تعددت المؤتمرات فكان أولها المؤتمر القانوني حول الإرهاب الذي عقد في بروكسل عام ١٩٢٦م بعنوان "اعتماد إجراءات تشريعية مشتركة" ومؤتمر "توحيد القانون الجنائي" عام ١٩٢٧م في وارسو وانتهى إلى الاقتراح بإلزام الدول الأعضاء بالنص في قوانينها الداخلية على جريمة الإرهاب والمعاقبة عليها. وقد أسفرت جهود المؤتمرات الدولية المنعقدة بشأن الإرهاب إلى إعداد مشروع اتفاقية تتعلق بالإرهاب في المؤتمر الثالث المنعقد في بروكسل عام ١٩٣٠م بشأن جرائم الخطر العام، وقد تضمن المقترح خمس مواد تضمنت بعض الأعمال الإرهابية مثل إحراق أو تفجير المباني والممتلكات عمداً والعرقلة غير المشروعة لسير المواصلات كالقطارات أو أجهزة البريد والأضرار غير المشروعة بمصادر الإنارة والتدفئة، وتلويث المياه والأغذية، وارتكاب أيأ من هذه الأعمال ضد سلامة الجسد أو الأشخاص أو الإضرار بالمال العام في الدولة أو ارتكابها بقصد ترسيخ ونشر أفكاراً سياسية أو اجتماعية يعد إرهاباً. كما جرم مؤتمر بروكسل تأسيس أية منظمة أو جمعية لغرض ارتكاب العنف ضد الأشخاص أو الأموال وأي شخص يقوم بتأسيس أو المساهمة في تأسيس مثل هذه المنظمات عمالماً بغرضها يكون عرضة للمساءلة القانونية^(١). كما أوصى المؤتمر بعرض مشروع القانون الذي تم

١ - انظر: الدراسة التي أعدها الأمين العام للأمم المتحدة حول موضوع الإرهاب طبقاً لقرار الجمعية العامة رقم (١٣١٤) الصادر في ٢٢ سبتمبر / تشرين الثاني ١٩٧٢ - الوثائق الرسمية العامة - الوثيقة رقم

(٤١٨ / ٦ / ج / أ)، ص ١٤.

إعداده على المؤتمرات التالية، فعرض على المؤتمر الرابع المنعقد في باريس عام ١٩٣١م، والمؤتمر الخامس المنعقد في مدريد عام ١٩٣٥م، والمؤتمر السادس المنعقد في كوبنهاجن عام ١٩٣٦م، ومر خلالها مشروع القانون ببعض التعديلات و الإيضاحات التي أضافت إلى الأعمال الإرهابية "إرهاب سكان الدولة باستعمال قنابل أو متفجرات أو مواد حارقة أو أسلحة أو أية أداة أخرى ضد الأشخاص أو الأموال أو نشر مرض وبائي أو عرقلة مرافق مصلحة عامة"^(١) ولقد نجحت الجهود السابقة في ١٦ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٣٧م إلى التوقيع على اتفاقيتين تتعلق أولهما بتجريم الإرهاب الدولي، والثانية بإنشاء محكمة دولية تتولى محاكمة مرتكبي الجرائم الإرهابية، وقد توصلت الاتفاقية الأولى إلى وضع تعريف للإرهاب الدولي وتعدد بعض الأفعال الإرهابية، فجاء فيها أن الإرهاب يعني "الأعمال الإجرامية الموجهة ضد دولة والتي من شأنها وطبيعتها إثارة الرعب لدى شخصيات معينة أو مجموعة أشخاص أو الجمهور"^(٢) ومن الأفعال التي تشكل إرهاباً وفقاً لمادتها الثانية. أى فعل متعمد قد يسبب الموت أو الأذى الجسيم لبعض الأشخاص مثل رؤساء الدول أو نوابهم أو خلفائهم أو من يتولى مهمة رسمية ويقع الفعل الإرهابي بسبب تأدية مهامهم، والأفعال التخريبية التي تسبب أضراراً للملكية العامة، وأى فعل من شأنه أن يعرض سير الحياة الإنسانية للخطر.

المطلب الثاني

الجهود القانونية المبذولة لوضع إطار قانوني يجرم الإرهاب بعد الحرب

العالمية الثانية

تنوعت وتعددت الجهود الدولية المبذولة الرامية إلى وضع إطار قانوني يجرم الإرهاب فتوالى المؤتمرات والندوات وعقدت العديد من الاتفاقيات الرامية إلى تجريم

١ - المرجع السابق، ص ١٤.

٢ - انظر المادة (٢٩ / ٢) من الاتفاقية، المرجع السابق.

هذه الظاهرة ووضع العقوبات الرادعة على من يقوم بها وسوف نتعرض لهذه الاتفاقيات على النحو التالي:

المؤتمرات والندوات الدولية المنعقدة بشأن الإرهاب:

أدى انتشار ظاهرة الإرهاب في السبعينيات إلى وجود حركة دولية نشطة لدراسة هذه الظاهرة فعقدت العديد من الاتفاقيات والندوات ومن هذه الاتفاقيات:

١ - اتفاقية واشنطن لعام ١٩٧١م "بشأن مقاومة الإرهاب والمعاقبة عليه": جرمت الاتفاقية عمليات الخطف والقتل والاعتداء على الحياة أو السلامة البدنية للأشخاص وعمليات الابتزاز التي تصاحب هذه الأفعال، وقد جاء في الدراسة التفصيلية التي أعدها المجلس الدائم لمنظمة الدول الأمريكية إلى وصف الفعل بالإرهاب إذا كانا مجرماً في التشريعات الوطنية في الدول التي يقع فيها الفعل، وكذلك يعد إرهاباً أى فعل يسبب فزعاً أو رعباً بين ويهدد الحياة أو الصحة أو السلامة العامة أو حريات الأشخاص، باستخدام وسائل تسبب ضرراً جسيماً أو مساساً بالنظام العام أو كوارث عام، حتى ولو لم ينص في التشريعات الداخلية على اعتباره إرهاباً. وبذلك أحال تحديد الأفعال الإرهابية من عدمه إلى التشريعات الوطنية ونصت على اعتبار بعض الأفعال إرهاباً دون الحاجة إلى الرجوع إلى هذه التشريعات ووضعت معياراً لذلك وهو تهديداً عاماً للحياة أو الصحة أو السلامة البدنية أو حريات الأشخاص^(١).

٢ - الاتفاقية الخاصة بمنع وقمع الجرائم الموجهة ضد الأشخاص المتمتعين بحماية دولية الصادرة عام ١٩٧٣م في نيويورك^(٢): أبرمت هذه الاتفاقية منظمة الدول

١ - انظر الوثائق الرسمية للجمعية العامة - الدورة الثالثة والثلاثين - الوثيقة رقم (٥٤٧ / ٣٣ / A).

٢ - الإرهاب بين التشويه والواقع - دراسة أعدها المركز العربي للنشر والتوزيع والدراسات - منشورات المركز، باريس - ط ١ - ١٩٨٢، ص ٦٦.

الأمريكية، وقد جرمت هذه الاتفاقية أفعال القتل العمد أو الخطف أو أى اعتداء على شخص أو حرية الأشخاص المتمتعين بالحماية الدولية، وقد حددت الاتفاقية هؤلاء الأشخاص وهم رئيس الدولة ورئيس الحكومة ووزير الخارجية والدبلوماسيين، كما جرمت أيضاً أى اعتداء على مقر العمل الرسمى لهؤلاء الأشخاص أو محل إقامتهم أو وسائل الانتقال الخاصة بهم، وقد أدخلت الاتفاقية فى إطار التجريم مجرد التهديد بإتيان أى فعل من الأفعال السابق ذكرها ويعاقب الفاعل الأصلي والشريك والمخرض والمساعد على ارتكاب الأفعال السابقة ويسأل كلاً منهم على مجرد الشروع ولا يشترط فى هذا المقام قيام الجريمة كاملة بل تقوم الجريمة بتوافر الشروع فيها دون التوصل إلى النتيجة المرجوة.

٣ - الاتفاقية الأوروبية بشأن قمع الإرهاب الصادرة عام ١٩٧٧م (ستراسبورغ) ^(١) :

أبرمت الدول الأوروبية هذه الاتفاقية التى جرمت من خلالها العديد من الأفعال مثل خطف الطائرات والاستيلاء غير المشروع عليها، والاعتداء على سلامة الطيران المدنى. والخطف وأخذ الرهائن واحتجاز الأشخاص دون وجه حق. والاعتداء على حياة أو حرية الأشخاص المتمتعين بحماية دولية بما فيهم الموظفين الدبلوماسيين. والأفعال التى تنطوى على استخدام المتفجرات والأسلحة النارية والرسائل أو الطرود الملغمة التى تهدد حياة الأفراد.

٤ - اتفاقية مناهضة أخذ الرهائن الصادرة عام ١٩٧٩ : أدانت القبض على الأشخاص أو احتجازهم والتهديد بإيذائهم من أجل إكراه طرف ثالث قد يكون دولة أو

١ - على يوسف الشكرى، مرجع سابق ص ١٤٤ .

- Murphy. J. F. Protected Person and Diplomatic Facilities, Legal Aspects of International Terrorism, Alos E. Evens. John E. Murpphy, Lexington Book, P. 280.

منظمة دولية حكومية أو شخص طبيعي أو اعتباري على القيام بعمل معين كالإفراج عنهم.

٥ - الاتفاقية الصادرة بشأن حيازة المواد النووية واستخدامها بشكل غير مشروع الصادرة عام ١٩٨٠م: ولقد حرمت هذه الاتفاقية حيازة المواد النووية ونقلها أو سرقها أو استخدامها بشكل غير مشروع يسبب القتل أو يحدث أضراراً فادحة في الممتلكات أو الأفراد.

٦ - بروتوكول "قمع أعمال العنف غير المشروعة في المطارات التي تخدم الطيران المدني الدولي الصادرة عام ١٩٨٨م: وهو بروتوكول مكمل لاتفاقية قمع الأعمال غير المشروعة الموجهة ضد سلامة الطيران المدني.

٧ - اتفاقية "الأعمال الإرهابية على متن السفن" لعام ١٩٨٨م والتي جرمت الأعمال غير المشروعة الموجهة ضد سلامة الملاحة البحرية مثل احتجاز السفن والقيام بأعمال عنف أو وضع مواد تفجيرية على متنها.

٨ - البروتوكول المتعلق بالأعمال الإرهابية على المنشآت الثابتة في عرض البحر لعام ١٩٨٨م، واتفاقية التمييز الكيميائي لتيسير كشف المتفجرات البلاستيكية لمكافحة تخريب الطائرات الصادرة عام ١٩٩١م، حيث يلاحظ على المتفجرات البلاستيكية أنها لا يسهل كشفها بواسطة وسائل التفتيش التقليدية، والباعث على هذه الاتفاقية هو تفجير طائرة الخطوط الجوية (بان أمريكا) فوق لوكربي الإسكتلندية عام ١٩٨٨م ومصروع جميع الركاب وطاقمها، مما دفع مجلس الأمن على حث منظمة الطيران المدني الدولي لإعداد مشروع قانون لتمييز وكشف هذا النوع من المتفجرات وانتهت من هذا المشروع عام ١٩٩٠م ثم عرض على مؤتمر القانون الدولي في مونتريال وأقر ودخل حيز التنفيذ عام ١٩٩٨م.

٩ - الاتفاقية الدولية لقمع الهجمات الإرهابية بالقنابل الصادرة عام ١٩٩٧ م، وقد دخلت هذه الاتفاقية حيز التنفيذ في ٢٢ آيار / مايو ٢٠٠٢ م، ويعتبر أى شخص مرتكباً لجريمة فى مفهوم هذه الاتفاقية إن قام بصورة غير مشروعة وعن عمد بتسليم أو وضع أو إطلاق أو تفجير جهاز مفجر أو غيره من الأجهزة المميتة داخل أو ضد مكان مفتوح للاستخدام العام أو مرفق تابع للدولة أو الحكومة أو شبكة النقل العام أو مرفق بنية أساسية. بقصد إزهاق الأرواح أو إحداث إصابات بدنية خطيرة، أو إحداث دمار هائل لذلك المكان أو المرفق أو الشبكة حيث يتسبب هذا الدمار أو يرجح أن يتسبب فى خسائر اقتصادية فادحة. وقد توسعت الاتفاقية فى نطاق التجريم، حيث شمل الشروع والمساهمة فى الجريمة كشريك فى الجريمة وكل من ينظم أو يوجه آخرين لارتكابها وكل من يساهم بأية طريقة فى قيام مجموعة من الأشخاص يعملون بقصد مشترك بارتكاب جريمة أو أكثر من الجرائم السابق ذكرها.

١٠ - الاتفاقية الدولية لقمع تمويل الإرهاب لعام ١٩٩٩^(١): ويرتكب جريمة وفقاً لهذه الاتفاقية كل شخص يقوم بأية وسيلة كانت مباشرة أو غير مباشرة وبشكل غير مشروع وبإرادته بتقديم أو جمع أموال بنية استخدامها وهو يعلم بأنها تُستخدم كلياً أو جزئياً فى: عمل يشكل جريمة فى نطاق إحدى المعاهدات الواردة فى المرفق وبالتعريف المحدد فى هذه المعاهدة. وأى عمل آخر يهدف إلى التسبب فى موت شخص مدنى أو إصابته بجروح بدنية جسيمة، أو أى شخص آخر غير مشترك فى أعمال عداوية فى حالة نشوب نزاع مسلح عندما يكون غرض هذا العمل بحكم طبيعته أو فى سياقه موجهاً لترويع السكان أو لإرغام حكومة أو منظمة دولية على القيام بأى عمل أو امتناع عن القيام به. كما جرمت

١ - على يوسف الشكرى، مرجع سابق، ص ١٥٥، انظر: نص المادة (١/٢) من الاتفاقية.

الفقرة الرابعة والخامسة من نفس المادة كل شخص يحاول ارتكاب جريمة من الجرائم المحددة في الفقرة (١) من هذه المادة، ويدخل في إطار التجريم كل شخص يساهم كشريك أو ينظم أو يشارك في ارتكاب جريمة من هذه الجرائم.

١١ - الجهود القانونية للاتحاد الأفريقي في مكافحة الإرهاب: من المبادئ والأهداف الأساسية للاتحاد الأفريقي تحقيق الأمن والاستقرار، وإدراكاً لهذه المبادئ وإلى الحاجة الإنسانية والأخلاقية التي تقوم على التسامح ورفض جميع أشكال الإرهاب، فقد توصلت منظمة الوحدة الأفريقية (الاتحاد الأفريقي حالياً) إلى عقد اتفاقية منظمة الوحدة الأفريقية لمنع ومكافحة الإرهاب، في الجلسة الثالثة عشرة العادية لمجلس رؤساء الدول والحكومات الأعضاء في منظمة الوحدة الأفريقية التي عقدت في تونس في الفترة ما بين ١٣ إلى ١٥ يونيو عام ١٩٩٤، وقد تناولت الاتفاقية تعريف العمل الإرهابي في المادة الثالثة على أنه "أى عمل يعتبر انتهاكاً للقانون الجنائي للدولة الطرف" والذي يمكن أن يعرض حياة الأفراد للخطر أو يشكل خطراً على التكامل الطبيعي والحرية أو يسبب إصابة خطيرة، أو يسبب الموت لأي شخص، أو أى عدد أو مجموعة من الأشخاص، أو قد يسبب خسارة للممتلكات العامة والخاصة أو الموارد الطبيعية أو التراث البيئي أو الثقافي، أو كان الهدف منه إرعاب أو وضع أية حكومة في حالة خوف أو إكراهها أو إجبارها أو إغراء أية حكومة أو هيئة أو مؤسسة أو أى قطاع للقيام أو الامتناع عن القيام بأى عمل أو تبنى أية وجهة نظر أو التخلي عنه أو العمل وفقاً لمبادئ معينة" (١) كما جرمت الاتفاقية خلق أية حالة عصيان عام في دولة ما، وأدخلت في نطاق التجريم المساهمة أو المساعدة أو التحريض أو تشجيع أو أى

١ - "الدولة الطرف" تعنى أية دولة عضو في منظمة الوحدة الأفريقية (الاتحاد الأفريقي) قامت بالتصديق، أو الموافقة على الاتفاقية، أو إبداعها لدى السكرتير العام لمنظمة الوحدة الأفريقية.

تعزيز أو رعاية أو قيام أى شخص بالتدبير بهدف ارتكاب أى فعل من الأفعال السابقة. وقد أخرجت الاتفاقية من نطاق التجريم حالات الكفاح المسلح الذى تشنه الشعوب وفقاً لمبادئ القانون الدولى، كما أكدت على ضرورة التعاون بين الدول للقضاء على هذه الظاهرة. ومازال الاتحاد الأفريقى يتخذ العديد من الخطوات للتوصل إلى اتفاقية قانونية موحدة فيما يعرف بمشروع القانون الذى يجرم الإرهاب ويحظر دفع الفدية للإرهابيين، وقد تضمن مشروع القانون للنص على وضع قائمة للإرهابيين والمنظمات الإرهابية المعروفة، وقد أصدر مجلس السلم والأمن التابع للاتحاد الأفريقى فى اجتماعه رقم ٢٤٩ بتاريخ ٢٢ نوفمبر ٢٠١٠م المنعقد فى أديس أبابا بأثيوبيا بيان يتضمن اتخاذ تدابير ترمى إلى تعزيز التعاون فى مجال مكافحة ومنع الإرهاب لتعزيز فاعلية أفريقية فى الرد على آفة الإرهاب ولاسيما وضع مشروع القانون النموذجى الأفريقى لمكافحة الإرهاب، مع التأكيد على التمسك بالمعايير الدولية فى مجال حقوق الإنسان والقانون الدولى الإنسانى أثناء مكافحة الإرهاب.

١٢ - الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب سعت الجهود العربية إلى التوصل إلى استراتيجية أمنية موحدة لتجريم الإرهاب والقضاء عليه، وقد أسفرت هذه الجهود إلى صدور الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب بقرار من مجلسى وزراء العدل والداخلية العرب فى اجتماعهما المشترك الذى عقد بمقر الأمانة العامة لجامعة الدول العربية بتاريخ ٢٢ أبريل ١٩٩٨^(١) وقد تضمنت الاتفاقية تعريفاً للأعمال الإرهابية والجريمة الإرهابية فاعتبرت كل فعل من أفعال العنف أو التهديد به أياً كانت بواعثه أو أغراضه يعد إرهاباً، كما اعتبرت أى عمل يقع تنفيذاً لمشروع إجرامى فردى أو جماعى بهدف إحداث ونشر الرعب والترويع

١ - تاريخ بدء النفاذ وفقاً لنص المادة (٤٠) من الاتفاقية هو آيار / مايو ١٩٩٩.

بين الناس أو تعريض حياتهم أو حرمتهم أو أمنهم للخطر، أو إلحاق أى ضرر بالبيئة أو أحد المرافق أو الأملاك العامة أو الخاصة أو احتلالها أو الاستيلاء عليها، أو تعريض أحد الموارد الوطنية للخطر إرهابياً. أما وصف الجريمة الإرهابية وفقاً للاتفاقية فشمّل أية جريمة أو شروع فيها ترتكب لتنفيذ غرض إرهابي فى أيّاً من الدول المتعاقدة، أو على رعاياها أو ممتلكاتها أو مصالحها. وقد أخرجت الاتفاقية حالات الكفاح المسلح بمختلف وسائله مثل الكفاح المسلح ضد الاحتلال الأجنبي والعدوان من أجل التحرير وتقرير المصير وفقاً لمبادئ القانون الدولي من وصف الجريمة الإرهابية^(١) كما نفت الطابع السياسى فى بعض الجرائم حتى ولو ارتكبت بغرض سياسى مثل: التعدى على ملوك ورؤساء الدول الأعضاء فى الاتفاقية والحكام ودرجاتهم أو أصولهم أو فروعهم. والتعدى على أولياء العهد، أو نواب رؤساء الدول، أو رؤساء الحكومات، أو الوزراء فى أى من الدول المتعاقدة. والتعدى على الأشخاص المتمتعين بحماية دولية بمن فيهم السفراء والدبلوماسيون فى الدول المتعاقدة أو المعتمدون لديها. والقتل العمد والسرقة المصحوبة بإكراه ضد الأفراد أو السلطات أو وسائل النقل والمواصلات. وأعمال التخريب والإتلاف للممتلكات العامة والممتلكات المخصصة لخدمة عامة، حتى ولو كانت مملوكة لدولة أخرى من الدول المتعاقدة. وجرائم تضييع أو تهريب أو حيازة الأسلحة أو الذخائر أو المتفجرات أو غيرها من المواد التى تعد لارتكاب جرائم إرهابية. وقد رسخت الاتفاقية أساساً للتعاون العربى فى المجال الأمنى لمنع ومكافحة الجرائم الإرهابية، وفى المجال القضائى فيما يتعلق بتسليم المجرمين والإنبابة القضائية^(٢)، وفى آليات تنفيذ القانون من خلال التعاون فى إجراءات

١ - انظر: المادة الثانية من الاتفاقية.

٢ - لكل دولة متعاقدة أن تطلب إلى أية دولة أخرى متعاقدة، القيام فى إقليمها نيابة عنها. بأى إجراء قضائى متعلق بدعوى ناشئة عن جريمة إرهابية، انظر نص المادة التاسعة من الفصل الثانى من الاتفاقية.

تسليم المجرمين وإجراءات حماية الشهود والخبراء و الإنابة القضائية في هذا الشأن .

١٣ - مشاريع القوانين الوطنية الصادرة بشأن الإرهاب : تعددت مشاريع القوانين في التشريعات الوطنية في دول العالم بصفة عامة ، والدول العربية بصفة خاصة ولم تصدر هذه التشريعات بسبب الجدل القانوني حول مساسها بحقوق الإنسان خصوصا فيما يتعلق بسلطة الضبط والتوقيف . حيث تعطي هذه التشريعات سلطات واسعة للسلطات التنفيذية في القبض والتفتيش الأمر الذي زاد من الجدل القانوني حول المساس بحقوق والضمانات القانونية للأفراد المكتسبة قانوناً . إلا أن بعض هذه التشريعات قد كتب لها النجاح بعض إجراء تعديلات تحقق صيغة مرضية مثل مشروع النظام الجزائي السعودي لجرائم الإرهاب وتمويله الذي وافق عليه مجلس الشورى السعودي في إطار جهود المملكة في محاربة الإرهاب وتمويله . فأصبحت المملكة العربية السعودية لها سبق في مكافحة الإرهاب من خلال تبنيها استراتيجية شاملة تعتمد المواجهة الفكرية والمناصرة بنفس درجة الاهتمام بالتعامل الأمني ، وتطبيق الإجراءات النظامية في محاكمة المتهمين بارتكاب الجرائم الإرهابية ، كما كان لجهود المملكة في محاربة الإرهاب على المستويين الدولي والعربي دور فاعل في تعزيز التعاون بين الدول والشعوب في هذا المجال وقطع مصادر تمويل ودعم الجماعات الإرهابية ، وتجدر الإشارة إلى ضرورة التزام مشاريع القوانين المستقبلية للدول الأخرى مراعاة عدة ضوابط قانونية منها حرص على أن يتضمن مشروع القانون تعريفات محددة للجريمة الإرهابية . والالتزام بالقانون النموذجي للإرهاب الذي وضعتة الأمم المتحدة . والتأكيد على أن الأصل العام في مكافحة أخطار الإرهاب هو الرقابة القضائية بحيث تتم الإجراءات التي تتبع في إطار الشرعية القانونية .

المبحث الثاني

أثر الإرهاب على حقوق الإنسان وسبل الحد منه

المطلب الأول : أثر الإرهاب على حقوق الإنسان

وضعت الشرائع السماوية والقوانين الوضعية مجموعة من الحقوق في مجموعة من النصوص القانونية والقواعد العرفية التي تحمي هذه الحقوق، ومن هذه الحقوق ما ورد في الشريعة ولا مجال لذكره، فقد سبق أن تعرضنا له في المبحث السابق، أما في إطار القوانين الوضعية فقد نص ميثاق الأمم المتحدة، لعام ١٩٤٥م والعهد الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لعام ١٩٦٦م، والعهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية لعام ١٩٦٦م، والعديد من المواثيق الخاصة التي تختص بإنسان معين أو حقوق معينة، على مجموعة من حقوق الإنسان ومن أبرز هذه الحقوق الحق في الحياة، وحق الشعوب في تقرير مصيرها والتصرف في ثرواتها، والحق في الحرية والسلامة الشخصية وحرية الفكر والضمير والديانة.

والحق في الحياة هو أصل كل الحقوق فيدونه لا يستطيع الإنسان أن يحصل أو يمارس باقي الحقوق، ولذلك نص الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عام ١٩٤٨م أن "لكل فرد حق في الحياة والحرية وفي الأمان على شخصه". ولذلك يكون الحق في الحياة ملازم لكل إنسان فلا يجوز حرمان أحد من حياته بصورة تعسفية، ولا شك أن جريمة الإرهاب تمثل اعتداء على هذا الحق بغض النظر عن الهدف من الجريمة أو الدافع أو الطريقة التي ارتكبت بها. كما يخل الإرهاب بحق الشعوب في تقرير مصيرها والتصرف في ثرواتها عندما ترتكب الأعمال الإرهابية بهدف الضغط السياسي على فئة معينة بهدف إجبارها على اتخاذ موقف أو إحداث ترويع لشعوب لتصوت وفقاً لما يراه مرتكبي الأعمال الإرهابية. وقد تُرتكب الأعمال الإرهابية لفرض فكر معين على

الدول أو على المواطنين الأمر الذى يمثل اعتداء على الحق فى حرية الفكر والضمير والديانة . والقلاقل التى تحدثها الأعمال الإرهابية تؤثر كذلك على التنمية الاقتصادية فى الدول مما قد يعيق أو يعطل ممارسة بعض الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التى وردت فى العهد الدولى الخاص بهذه الحقوق الصادر عام ١٩٦٦ كالحق فى العمل على سبيل المثال لا الحصر ، وفى هذه الحالة يكون تأثير الإرهاب غير مباشر ، فقد يعقب تنفيذ بعض العمليات الإرهابية إعلان حالة الطوارئ وتعطيل بعض الحريات كالحق فى الإضراب أو الحق فى التجمع أو الحق فى الحماية الخاصة . ومن ثم يعيق الإرهاب ما رسخه الإسلام والقوانين الدولية من قواعد لتحقيق الأمن والسلام والتعاون الدولى بين أفراد المجتمع ، ويشعل نار الفتنة وسبل البغى والظلم ويقضى على التعمير والبناء والتنمية الاقتصادية والاجتماعية للدولة . ولذلك تكاتف المجتمع الدولى على المستوى الدولى والإقليمى وسارعت الدول على المستوى الفردى إلى وضع اتفاقيات وتشريعات دولية إقليمية ووطنية تجرم الأفعال الإرهابية وتعاقب مرتكبيها .

وتسعى الدول دائماً إلى الحد من هذه الظاهرة من خلال التعاون الأمنى والقضائى وفى مجال تسليم المجرمين للقضاء على هذه الظاهرة وسوف نتعرض لذلك فى المبحث التالى للتوصل إلى آليات الحد من الإرهاب من خلال استعراض دوافعه أولاً ثم آليات الحد منه و مشاريع القوانين التى تجرمه وتضع العقوبات الرادعة له مثل مشروع القانون المصرى لمكافحة الإرهاب و مشروع النظام الجزائى السعودى لجرائم الإرهاب وتمويله الذى حصل على موافقة مجلس الشورى السعودى .

المطلب الثانى : الحد من الإرهاب

المتبع لاستراتيجية الإرهاب يلاحظ تنوع دوافعه فقد يهدف إلى إحداث أعمال شغب وعنف بين طوائف مختلفة فى المجتمع الواحد كالسنة والشيعه أو المسلمين والمسيحيين أو إحداث خلافات بين الدول عندما لا تعلن هذه الخلايا الإرهابية عن

مسؤولياتها عن التفجيرات، أو قد تعلن هذه الخلايا والتنظيمات عن مسؤوليتها. ويقتضى الحد من هذه الظاهرة الدراسة الجادة لدوافعها على المستوى الشخصي والجماعي أو التنظيمي ليتسنى وضع آليات تحد منها، وسوف نتعرض في هذا المطلب إلى هذه الدوافع ثم نوالى اقتراح بعض الآليات للحد من هذه الظاهرة.

أولاً - أسباب الإرهاب ودوافعه^(١) :

تعددت الاتجاهات الفقهية في علم النفس في تفسير دوافع الإرهاب. فقد تعرضت لتحليل وتوضيح الدوافع المسببة للعنف، وقد عُرِفَ العنف من وجهة نظر علم النفس^(٢) "السلوك العدواني عبارة عن سلوك إرادي، أى مقصود يستهدف إلحاق إما الأذى الجسماني أو البدني أو الفيزيقي أو الأذى النفسى أو الألم النفس بشخص آخر^(٣)، ومن ثم يكون العنف نشاط تخريبي يهدف إلى إيذاء الأفراد أو الأشخاص، وقد يهدف إلى إنزال الخوف بالغير أو دفعهم إلى الهروب أو يكون بغرض فرض آراء معينة بالقوة على مجموعة من الأفراد أو المنظمات أو الدول، وقد تعددت النظريات في علم النفس والاجتماع التي تناولت ظاهرة العنف وأسبابها ومن هذه النظريات نظرية التعلم الاجتماعي التي ترى أن العنف "سلوك متعلم أو مكتسب من خلال التقليد والمحاكاة والملاحظة والمشاركة ويدعم هذا السلوك كلما لقي التعزيز أو المكافأة"، وقد يكون العنف من أجل توكيد الذات لتغطية شعور بالنقص أو مجرد توقع خطر ما. وقد

١ - د. محمد عوض الترتورى - د. أغادير عرفات جويحان، علم الإرهاب "الأسس الفكرية والنفسية والاجتماعية والتربوية لدراسة الإرهاب"، دار الحامد للطباعة والنشر - عمان الأردن، ٢٠٠٦م، ص ١٧٠.

وانظر د. إحسان محمد الحسن، علم اجتماع العنف والإرهاب 'دراسة تحليلية في الإرهاب والعنف السياسي والاجتماعي'، دار وائل للنشر، عمان الأردن، ٢٠٠٨، ص ١٠٩ وما بعدها.

٢ - علم النفس الجنائى "هو الفرع الذى يدرس سلوك المجرم ودوافعه حاجاته النفسية".

٣ - د. محمد عوض الترتورى، د. أغادير عرفات، المرجع السابق، ص ١٧١.

يكون العنف نتاج أمراض نفسية، ويحدث ذلك عندما يتعرض الإنسان إلى التحدى والفقر والاضطراب والفوضى والحرب والدمار، نظراً لعدم المقدرة على التكيف مع هذه الأمور وتعرض الإنسان إلى الضغوط والمضايقات التي لا يستطيع أن يتحملها أو يواجهها^(١). وتعددت الأسباب المؤدية إلى الإرهاب مثل الحروب التي تقود إليه بصورة مباشرة أو غير مباشرة حيث تحفز الأشخاص على أعمال العنف والصراع التي تجدها لها مناخاً مناسباً مع انتشار البطالة بين أبناء المجتمع التي تؤدي إلى قطع مصادر الرزق وسهولة الاستقطاب لهذه الفئات. ويضاف إلى ما سبق غياب وسائل الضبط الاجتماعي التي تسيطر على سلوك الفرد وتوجهه نحو مسار معين يتجاوب مع ما يريده المجتمع وهذه الوسائل قد تكون داخلية كالضمير والأخلاق وقد تكون خارجية كالقوانين والمحاكم والشرطة. يضاف إلى ما سبق التعصب الديني بأن يكون الفرد متعصباً لطائفة معينة أو لدين معين وهو أمر راجع إلى التربية الدينية والأخلاقية والتنشئة الاجتماعية والسلوكية. وقد ذهبت المدرسة الاجتماعية في تفسير ظاهرة الإرهاب إلى الربط بينه وبين المجتمع، حيث ترجع الأعمال الإرهابية إلى أوضاع المجتمع، فهناك علاقة بين بعض الخدودات والإرهاب على النحو التالي^(٢) فالعلاقة بين الإرهاب والحالة الاجتماعية.

فقد أظهرت الدراسات الميدانية وجود علاقة بين الإرهاب والحالة الاجتماعية، حيث ترتفع معدلات الإرهاب بين العزاب، كما أن هناك علاقة بين التفكك الأسرى والإرهاب كحالات الطلاق والاعتراب للأب أو للأُم وغياب الدور الرقابي من الأسرة، وكذلك التدليل الزائد من الأبوين، ومن الحالات الاجتماعية التي ترتبط بالإرهاب تأخر

Macooby, W. I. Interactional Relations Between Terror and Sociopsychological - 1

Diseases, New York, The Strand Press, 2002, P. 43.

٢ - ٥. محمد عوض الترتوري، د. أغادير جوثيان، مرجع سابق، ص ٢٠٢، وما بعدها.

سن الزواج وفقاً لما جاء في الدراسات الميدانية السابق الإشارة إليها. والعلاقة بين التعليم والإرهاب تتمثل في أن هناك علاقة بين مستوى التعليم الحاصل عليه الفرد وبين معدل الجريمة. فقد دلت الدراسات على ارتفاع معدل الجريمة بين الأميين وعند من لا يتجاوز مستواهم التعليمي الابتدائية، وكلما ارتفع المستوى التعليمي لدى الفرد كلما ابتعد عن الجريمة. وهناك علاقة بين الإرهاب والتربية الدينية :

ربطت الدراسات بين التربية الدينية والإرهاب حيث جعلته من المسببات الأساسية لظهور الإرهاب، فغياب التربية الدينية يسبب الفراغ الديني يضعف البصيرة بحقيقة تعاليم الدين وأهدافه مما يجعل الفرد فريسة لمن يعتقد أنهم علماء بالدين، وهم يجهلون العلم الشرعي. ولقد أكدت هذه العلاقة الدراسات الميدانية التي أجريت على شريحة من يؤدون الصلاة وأخرى لا تؤدي الصلاة، وقد تبين أن الثانية نسبة تعرضهم للاستقطاب الإرهابي أكبر حيث وصلت إلى قرابة ٨٦٪، كما تبين الدراسات أن قلة نسبة من يحفظ القرآن الكريم للتعرض للاستقطاب الإرهابي. وبالإضافة إلى الخدات السابقة التي ترتبط بالإرهاب هناك العديد من الدوافع للعمليات الإرهابية وتنقسم هذه الدوافع إلى

دوافع للعمليات الإرهابية^(١) :

(أ) الدوافع السياسية : قد يكون الدافع إجبار الدولة على اتخاذ موقف سياسي معين أو إضعاف الثقة لدى المواطنين في حكوماتهم من حيث قدرتها على توفير بيئة آمنة لهم يستطيعون أن يحيوا في ظلها ويمارسوا أنشطتهم دون خوف على أموالهم أو أنفسهم أو أولادهم. ويتصور الإرهابي عند قيامه بالأعمال الإرهابية أنه يرفع ظلماً أو

١ - المرجع السابق، ص ٢٢٨ : ٢٣٥

راجع، أثر العلم والإيمان في مكافحة الإرهاب والعدوان، د. عبد العزيز بن فوزان بن صالح الفوزان، دار طيبة للنشر، ١٤٢٨هـ، م وقف السنة والكتاب من العنف والإرهاب، الشيخ عبد العزيز بن باز وآخرون، مكتبة الصحابة، ٢٠٠٧م - ١٤٢٧هـ.

يحقق عدلاً وهو أمر راجع إلى المحددات السابق ذكرها، ومن ثم يرفع شعار أن الغاية تبرر الوسيلة، فيلجأ إلى هذه الأعمال لفرض اتجاه سياسى على الحكومة أو يقوم باحتجاز رهائن للإفراج عن معتقلين وغير ذلك من الأفعال التى يوقن أنها صحيحة وأنه سيثاب عليها.

(ب) **الدوافع الدينية :** من الدوافع الهامة للنشاط الإرهابى الاختلاف الدينى والمذهبى، فممارسة الشعائر الدينية المختلفة وتعارضها قد تدفع بعض المتعصبين إلى اللجوء إلى أفعال إرهابية ضد الديانات الأخرى. كما قد يكون الدافع الإرهابى يتمثل فى إحداث فتنة طائفية بين أفراد المجتمع الواحد فكثيراً ما يلجأ الإرهابيون إلى تفجير كنيسة ثم تفجير مسجداً ليظهر الأمر وكأنه فتنة طائفية بين الطرفين، ومن ثم تشتعل الفتنة الطائفية، وهو أمر يحدث فى العراق، فقد تم تفجير مساجد للسنة والشيعة لإحداث فتنة بينهما، وتم تفجير كنائس لإحداث فتنة بين المسلمين والمسيحيين، كما حدث فى كنيسة القديسين فى مدينة الإسكندرية فى مصر فى ليلة رأس السنة الميلادية عام ٢٠١٠م وإحراق كنائس أخرى بعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م.

(ج) **الدوافع الانفصالية :** قد تهدف الأفعال الإرهابية إلى دعم اتجاهات انفصالية من بعض الأقليات التى توجد فى دولة ما، وفى سبيل تحقيق هذا الهدف تلجأ هذه الأقليات إلى أعمال عنف وإرهاب للضغط على الحكومة أو الدولة لتحقيق الانفصال، وفى أمر شهدته الأمة العربية من انقسام السودان إلى شمال وجنوب.

ثانياً - آليات الحد من الإرهاب :

يقتضى الحد من هذا الإرهاب إلى اتباع بعض الآليات على المستوى الوطنى والإقليمى والدولى :

(أ) **الآليات الوطنية للحد من الإرهاب :** يرى الباحث اتباع مجموعة من الآليات الهادفة إلى الحد من ظاهرة الإرهاب على المستوى الوطنى وتمثل هذه الآليات فى :

١ - الحرص على التربية الدينية للنشء من الصغر؛ لأن غيابها يضعف البصيرة بحقيقة مبادئ الدين الإسلامى وأهدافه، الأمر الذى يجعل أبنائنا فريسة لمن يجهلون العلم الشرعى.

٢ - التشكيك الإعلامى بأضرار هذه الظاهرة على الأمن والاستقرار فى المجتمع، من خلال المؤتمرات والندوات، واستغلال أماكن التجمعات الشبابية لإيضاح هذه المبادئ والأهداف.

٣ - وضع تعريف فى إطار قانونى (نظامى) يشتمل على صور الإرهاب وأشكاله لتحديد الإطار القانونى للإرهاب مع وضع عقوبات تناسب مع خطورته لتحقيق الردع العام والخاص لمرتكبى هذه الأفعال الإجرامية.

(ب) الآليات الإقليمية للحد من الإرهاب:

١ - تبنى تعريفاً موحداً للإرهاب على المستوى الإقليمى مع وضع قواعد ضبط موحدة وعقوبات رادعة، وأهمية هذه الآلية تأتى بعد فشل الدول فى التوصل إلى تعريف يلقى قبول الدول مجتمعة نظراً للاختلافات السياسية والاجتماعية والثقافية، ووجود مصالح شخصية تقتضى عدم وضع تعريف محدد للإرهاب.

٢ - العمل على وجود سلطة تنفيذية إقليمية تختص بضبط الإرهابيين عن طريق التعاون الأمنى بين هذه الدول للحد من العمليات الإرهابية.

(ج) الآليات الدولية للحد من الإرهاب:

١ - التعاون الدولى من خلال المؤتمرات الدولية والمعاهدات والندوات للتوصل إلى وضع تعريف موحد للإرهاب من خلال تبنى معايير عامة وعدم الربط بين الإرهاب وأى دين وهو أمر غير مستحيل، فقد وضعت العديد من الاتفاقيات تجزئاً للعديد من الأفعال الإرهابية التى يمكن إجمالها فى الاعتداء على النفس أو المال أو الدول

فأى اعتداء عليهم يمكن أن يوصف بالإرهاب، الأمر الذي أزال صعوبة التوصل إلى مفهوم موحد.

٢ - ضرورة التوعية بحقيقة أهداف ومبادئ الشريعة الإسلامية وتجريمها لهذه الأفعال والصور الإجرامية.

٣ - وضع ضوابط دقيقة للتفرقة بين الإرهاب والمقاومة المشروعة وفقاً لأحكام القانون الدولي لإزالة هذا المعوق القانوني الذي منع وضع تعريف موحد للإرهاب؛ لأنه سيعطى مشروعية لبعض حركات المقاومة مثل حماس في فلسطين، الأمر الذي يمثل خطورة على الكيان الصهيوني.

الختام

أسفرت الدراسة الموضوعية والأكاديمية للإرهاب وما يحيط به من ظواهر ومظاهر التوصل إلى مجموعة من النتائج والتوصيات هي كالتالي :

أولاً - النتائج :

١ - الاختلاف دولياً حول تبنى مفهوم قانونى موحد للإرهاب يحظى بقبول كافة الدول نظراً لاختلافات سياسية، وتعدد المعايير التى أخذ بها الفقه فى وضع مفهوم الإرهاب .

٢ - اقتران مسيرة الإرهاب بأهواء شخصية وسياسية ناتجة عن تشدد فكرى وعقائدى .

٣ - وجود الإرهاب قبل ظهور الدين الإسلامى .

٤ - خروج الإرهاب عن مفهوم ومبادئ الشريعة الإسلامية .

٥ - تعدد وتنوع الجهود القانونية دولياً وإقليمياً ووطنياً لوضع إطار قانونى يجرم الإرهاب .

٦ - غياب وسائل الضبط الاجتماعى التى تسيطر على سلوك الفرد وتوجهه نحو سلوك معين يتجاوب مع ما يريده المجتمع .

ثانياً - التوصيات :

١ - وضع تعريف فى إطار قانونى يشتمل على صور الإرهاب وأشكاله وعقوبات تتناسب مع خطورته لتحقيق الردع العام والخاص لمرتكبي هذه الأفعال الإجرامية .

٢ - التربية الدينية للنشء من الصغر ؛ لأن غيابها يضعف البصيرة بحقيقة مبادئ الدين الإسلامى وأهدافه، الأمر الذى يجعل أبناءنا فريسة لمن يجهلون العلم الشرعى .

٣ - التشقيف الإعلامي بأضرار هذه الظاهرة على الأمن والاستقرار فى المجتمع ، من خلال المؤتمرات والندوات ، واستغلال أماكن التجمعات الشبابية لإيضاح هذه المبادئ والأهداف .

٤ - العمل على وجود سلطة تنفيذية إقليمية تختص بضبط الإرهابيين عن طريق التعاون الأمنى بين هذه الدول للحد من العمليات الإرهابية .

٥ - التعاون الدولى من خلال المؤتمرات الدولية والمعاهدات والندوات للتوصل إلى وضع تعريف موحد للإرهاب من خلال تبنى معايير عامة وعدم الربط بين الإرهاب وأى دين وهو أمر غير مستحيل ، فقد وضعت العديد من الاتفاقيات تجزئاً للعديد من الأفعال الإرهابية التى يمكن إجمالها فى الاعتداء على النفس أو المال أو الدول فأى اعتداء عليهم يمكن أن يوصف بالإرهاب ، الأمر الذى أزال صعوبة التوصل إلى مفهوم له .

المراجع

أولاً - مراجع باللغة العربية :

(أ) الكتب :

- أبو الحسن زرد : قوانين مكافحة الإرهاب .. تطبيق الالتزام الدولي ، وزارة الإعلام ، القاهرة ، د . ت .
- إحسان محمد الحسن : علم اجتماع العنف والإرهاب .. "دراسة تحليلية في الإرهاب والعنف السياسي والاجتماعي" ، دار وائل للنشر ، عمان ، الأردن ، ٢٠٠٨ م .
- د . أحمد أبو الوفا : نظرية الضمان أو المسؤولية الدولية في الشريعة الإسلامية ، دار النهضة ، القاهرة ، ١٩٩٩ م .
- د . أحمد زكي بدوى : معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، مكتبة لبنان ، د . ت ، بيروت .
- أدوليس العكر : الإرهاب السياسي ، ط ٢ ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٩٣ م
- د . أسامة الغزالي حرب : الإرهاب الدولي ومشكلات التحرير والثورة ، مركز اتحاد المحامين العرب للبحوث والدراسات القانونية ، القاهرة ، ١٩٨٦ م
- د . إسماعيل الغزالي : الإرهاب والقانون الدولي ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، ط ١ ، ٢٠٠٢ م
- د . أغادير عرفات جويحان ، د . محمد عوض الترتورى : علم الإرهاب .. الأسس الفكرية والنفسية والاجتماعية والتربوية لدراسة الإرهاب ، دار الحامد ، الأردن ، ٢٠٠٦ م .
- الإمام السيوطى : جامع الأحاديث ، ج ٢ ، مطبعة محمد هاشم الكيتى ، د . ت . دمشق .

- السيد الخرنجى: العدل والتسامح فى ضوء الإسلام، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج ١٩، دار إحياء التراث العربى، د. ت، بيروت.
- د. بدر الدين عبدالمنعم شوقى: العمل غير المشروع وأثره بين الفقه الإسلامى والقانون الدولى الخاص المصرى، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٨م.
- بليشكوف وزادانوف: الإرهاب والقانون الدولى، ط ١، (ترجمة) المبروك محمد الصويعى، دار الجماهير للنشر والتوزيع والإعلان، الجماهيرية العربية الليبية، ١٩٩٤م.
- د. حسنين المحمدى بوادى: الإرهاب الدولى تجريماً ومكافحة، دار المطبوعات الجامعية، ٢٠٠٧م.
- حسن عزيز نور الحلو: الإرهاب فى القانون الدولى، دار المطبوعات الجامعية، ٢٠٠٤م.
- سيد قطب: نحو مجتمع إسلامى، د. ن. د. ت.
- د. عبدالعزيز مخيمر الهادى: الإرهاب الدولى، سلسلة دراسات القانون الدولى الجنائى، دار النهضة العربية، ١٩٨٦.
- على يوسف الشكرى: الإرهاب الدولى، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط ١، الأردن، ٢٠٠٨م.
- فوزى البشتى: الإرهاب الأمريكى فى التاريخ، ط ١، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، الجماهيرية العربية الليبية، ١٩٨٦م.
- د. محمد عبد الله العميرى: موقف الإسلام من الإرهاب، د. ن، الرياض، ٢٠٠٤م.
- د. محمد عزيز شكوى: الإرهاب الدولى، ط ١، د. ن، بيروت، ١٩٩٢م.
- د. محمد عمارة: الإسلام والأمن الاجتماعى، دار الشروق للطباعة، القاهرة، ١٩٩٨م.

- د. محمد محمد علي إبراهيم : الجريمة المنظمة وأساليب مواجهتها في الوطن العربي، د. ن، الرياض، ٢٠٠٣ م.

- د. منتصر سعيد حمودة : الإرهاب الدولي .. جوانبه القانونية .. وسائل مكافحته في القانون الدولي العام والفقهاء الإسلامى، دار الجامعة الجديدة، ٢٠٠٦ م.

- د. نعمة على حسين : مشكلة الإرهاب الدولي .. دراسة قانونية، مركز البحوث والمعلومات، بغداد، ١٩٨٤ م.

- د. هانى عبد الله : الأحزاب السياسية فى إسرائيل، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٨١ م.

(ب) دراسات وتقارير:

- الدراسة التى أعدها الأمين العام للأمم المتحدة حول موضوع الإرهاب طبقاً لقرار الجمعية العامة رقم (١٣١٤) الصادر فى ٢٢ سبتمبر / تشرين الثانى ١٩٧٢ م.

- الوثائق الرسمية للجمعية العامة، الدورة الثالثة والثلاثين، الوثيقة رقم (٥٤٧ ٣٣ / ٨).

- الدراسة التى أعدها المركز العربى للنشر والتوزيع والدراسات، الإرهاب بين التشويه والواقع، باريس، ط ١، ١٩٨٢ م.

- اتفاقية طوكيو، بشأن الطيران لعام ١٩٦٣ م.

- اتفاقية مناهضة أخذ الرهائن الصادرة عام ١٩٧٦ م.

- الاتفاقية الصادرة بشأن حيازة المواد النووية واستخدامها بشكل مشروع، الصادرة عام ١٩٨٠ م.

- اتفاقية الأعمال الإرهابية على متن السفن، الصادرة عام ١٩٨٨ م.

- اتفاقية قمع الأعمال غير المشروعة الموجهة ضد سلامة الملاحة البحرية، عام ٢٠٠٥ م.
- بروتوكول "قمع الأعمال غير المشروعة ضد سلامة المنشآت الثابتة الموجودة على الجرن القارى"، عام ٢٠٠٥ م.

- الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب الصادرة عام ١٩٩٨ م.

- الاتفاقية الأوروبية لردع الإرهاب الصادرة عام ١٩٧٧ م.

(ج) بحوث ودوريات :

- أبوبكر الدسوقي : أمريكا والإرهاب .. الحدث والتداعيات ، مجلة السياسة الدولية ، العدد ١٤٦ ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية - الأهرام ، القاهرة ، أكتوبر ٢٠١٠ م.

- مختار شعيب : الإرهاب ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ، الأهرام ، القاهرة ، ٢٠٠١ م.

- د. وجيه حميد زيدان التكريتي : مجلة جامعة تكريت للعلوم الأساسية ، العدد ٤ ، المجلد ١٤ .

(د) رسائل علمية :

- د. محمد مؤنس محى الدين : الإرهاب فى القانون الجنائى ، رسالة دكتوراه ، كلية الحقوق ، جامعة المنصورة ، ١٩٨٣ م.

(هـ) ندوات :

- د. محمد فتحى عيد ، د. نبيل أحمد حلمى : التعريف اللغوى للإرهاب ، الندوة العلمية حول تشريعات مكافحة الإرهاب فى الوطن العربى ، أكاديمية الأمير نايف العربية للعلوم الأمنية ، الرياض ، ١٩٩٩ م.

- د. ناصر عقيل الطربنى : الإرهاب ، ضمن الندوة العلمية لمكافحة الإرهاب ، أكاديمية نايف للعلوم الأمنية ، الرياض ، ١٩٩٩ م.

السيرة النبوية فى الاستشراق الإيطالى

جوانب تاريخية ومنهجية

مع دراسة خاصة بـ

"دانتي، والمستشرقة الإيطالية لورا فيشيا فاغليرى"

دكتور

محمد على البطة (*)

مقدمة البحث

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن والاه وبعد :

فليس من شك أن السيرة النبوية (سيرة سيدنا محمد ﷺ) تمثل عنصرا هاما فى الدراسات الاستشراقية، ولذلك أصبحت دراسة السيرة من الدراسات التى تحظى باهتمام متزايد فى العصر الحالى، فهى جزء من تاريخ الإسلام بل هى الرافد الرئيس، والمصدر الهام فى معرفة حياة الرسول ﷺ. إلا أن إشكالية دراسة السيرة فى الغرب تكمن فى عدم وجود رصيد علمى وموضوعى يمكن أن يشكل ملامح علمية وسمات محددة مستقلة وكافية لدراسة سيرة سيدنا محمد ﷺ، لاسيما من المنظور الغربى القديم، حيث إن مفهوم السيرة وملاحمها وتاريخها قد تشكل وتحدت ملامحه قديما فى إطار من التعصب والكراهية الدينية، ذات الصبغة السياسية والعسكرية، حيث ركزت معظم الدراسة على أوام من الفكر والتخمين ومخالفة الحقائق وللأسف لا تزال معظم الدراسات الاستشراقية الحالية فى الغرب تعتمد على التراث المزيف والخبرة الدينية الغربية القديمة والخاطئة فى الحصول على المعلومات والحقائق الخاصة بالسيرة

(*) كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بالمنصورة - جامعة الأزهر الشريف .

النبوية الشريفة والتي شكلت في النهاية الأساس لهذا العلم في الوسط الأكاديمي الغربي، ولا تزال مثل هذه الدراسات أو بمعنى أصح (الكتابات) تشكل جانباً كبيراً من اهتمام المستشرقين في مجال دراسة الإسلام عموماً وحياة الرسول ﷺ خصوصاً.

إلا أنه في تاريخنا المعاصر تطورت الدراسات الخاصة بالسيرة النبوية عبر اتجاهين أو مسارين :

١ - المسار الأول : اهتم بمفهوم السيرة النبوية بشكل عام بدءاً من تجديد المصادر المعرفية واستغناء عن الكتابات الغربية القديمة (غير الموضوعية) ، واعتماد مصادر أصيلة وصحيحة بحيث اتسعت لتشمل بجانب المصادر الغربية، المصادر الإسلامية أيضاً، أى أضيف لمفهوم السيرة النبوية البعد الإسلامي الذي أضاف لمثل هذه الدراسات الاستشراقية مجالات أخرى للدراسة تضمنت قضايا دينية واجتماعية لم تكن تلقى اهتماماً في الدراسات القديمة (الكلاسيكية) . كما شمل هذا التجديد إسهامات استشراقية تتصف بالموضوعية وبالتالي فتحت مجالاً رحباً ومداخل جديدة شكلت إطاراً نظرياً وعلمياً (موضوعياً) لدراسة السيرة النبوية.

٢ - أما المسار الثاني : وهو القديم فيركز على دراسة السيرة النبوية بالتطبيق على بعض الدراسات والكتابات الغربية القديمة ذات الطبيعة الدينية، ومع اختلاف الموضوع والشكل في دراسة السيرة يبرز دور التعصب والكراهية وعدم الإنصاف كبعد رئيسي ومحور هام في دراسة السيرة باختلاف مداخل دراستها . ومن هذا المنطلق تستعرض هذه الدراسة الأطر التاريخية وبعض الجوانب المنهجية والاتجاهات البحثية في دراسة السيرة النبوية الشريفة من المنظور الاستشراقي الإيطالي، وما يستتبعه ذلك من إثارة العديد من الإشكاليات التي ترتبط بطبيعة تناول الاستشراقي للسيرة النبوية، كما تحمل الدراسة نموذجين تحليليين يعبران عن

المسار الأول والثاني للتناول الإيطالي في السيرة التي مثلت نقطة انطلاق معاصرة ومثيرة للجدل والنقاش في المنتديات البحثية والأكاديمية، كما شكلت نقطة تحول في المناهج الاستشراقية، كما طرحت الدراسة العديد من التساؤلات حول الموضوعية والتوازن ومعايير النزاهة والحياد، وكلها عوامل تؤثر على مصداقية الدراسات الاستشراقية في دراسة السيرة النبوية الشريفة.

والله ولى التوفيق...

مقدمات منهجية ومعرفية

مقدمات منهجية أولية :

تستعرض هذه المقدمة بعض الملاحظات الأولية التي تستخدم غالباً في الدراسات والبحوث العلمية التي تتناول موضوعاً ما ، وهي تندرج في إطار علمي ومنهجي يهدف إلى إبراز بعض الملاحظات المنهجية وتجلى أهمية هذه الملاحظات في كونها تزيل اللبس وتحدد سياق المعالجة وتمثل في النقاط التالية :

١- إننا ، ونحن نناقش هذا المستشرق أو ذاك في حقل السيرة النبوية ، يجب أن ننتبه إلى هاتين النقطتين مهما كان المستشرق ملتزماً بقواعد البحث التاريخي وأصوله .
(أ) إنه من خلال رؤيته الخارجية ، وتفريجه ، يمارس نوعاً من التكسير والتجريح في كيان السيرة ونسيجها ، فيصدم الحس الديني ويرتطم بالبدايات الثابتة .. وهو من خلال منظوريه العقلي والوضعي يسعى إلى فصل الروح عن جسد السيرة ويعاملها كما لو كانت حقلاً مادياً للتجارب والاستنتاجات وإثبات القدرة على الجدل ..

(ب) وهو في كلتا الحالتين لا يمكن أن يخدم الموقف الإسلامي الجاد من سيرة رسول الله ﷺ .. أو يحتل موقفاً جاداً منها بوجه من الوجوه .

لنحاول أن نقرب المسألة أكثر .. إن العمل المعماري الكبير إذا أقيم على أسس خاطئة فإنه سيفقد شرطين من شروطه الأساسية : التأثير الجمالي الذي يمكنه من أداء وظيفته الوجدانية ، والمقومات العلمية التي تمكنه من أداء وظيفته الحيوية ^(١) ..

(١) د . عماد الدين خليل ، المستشرقون والسيرة النبوية ، بحث مقارنة في منهج المستشرق البريطاني المعاصر مونتغمري وات ، مناهج المستشرقين ، ج١ ، ص ١١٦ ، ١١٧ ، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية ، صادر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

٢ - إن البحث في (السيرة) بوجه خاص؛ ليستلزم أكثر من أية مسألة أخرى في التاريخ البشرى هذين الشرطين اللذين يمكن أن يوفرهما منهج متماسك سليم يقوم على أسس علمية موضوعية لا يخضع لتحزب أو ميل أو هوى.. ويمتلك عناصر جماليته الخاصة التي تليق بمكانة الرسول ﷺ المتفردة، ودوره الهام في إعادة صياغة العالم بما يرد إليه الوفاق المفقود مع نواميس الكون والحياة^(٢).

٣ - وقد كانت مناهج البحث الغربي (الاستشراقى) في السيرة تفتقر إلى أحد هذين الشرطين أو كليهما.. وكانت النتيجة أبحاثا تحمل اسم السيرة وتحدث عن حياة الرسول ﷺ وتحلل حقائق الرسالة، ولكنها - يقينا - تحمل وجهها وملاحم وقسمات مستمدة من عجيبة أخرى غير مادة السيرة، وروح أخرى غير روح النبوة.. ومواصفات أخرى غير مواصفات الرسالة^(٢).

٤ - بما أن وقائع السيرة هي بمثابة التشكيل التاريخي والواقعي لعقيدة الإسلام قرآنا وسنة ورسيدا تشريعيًا، وبما أنها البيئة الزمنية والمكانية لفاعلية سيدنا محمد ﷺ النبى المبعوث من الله سبحانه للعالم جميعًا، فإنه يصعب من الوجهة الإسلامية اعتبارها مسألة تاريخية صرفة تخضع لأساليب النقد والتحليل التي تعامل بها مراحل التاريخ المختلفة، وللمناهج البشرية النسبية التي تحاول أن تجعل الواقعة التاريخية مسألة مختبرية، أو معملا للتشريح..

إن السيرة، إذا اعتبرت كذلك، قاد هذا الاعتبار إلى خطأين أساسيين: أما أولهما فهو استحالة فهمها ما دام أنها أكبر من المناهج النسبية وأكثر شمولًا وما دامت تستعصى على أساليب النقد والتحليل المحدودة القاصرة.

(١) المرجع السابق، ص ١١٧ .

(٢) نفسه، ص ١١٧ .

(٣) نفسه، ص ١٢٠ .

وأما ثانيهما فهو فتح الطريق أمام خصوم الإسلام لتدمير الثقة بمنطلقاته الأساسية، وأى منطلق، بعد القرآن الكريم، أكثر ثقلاً وأكبر أهمية من السيرة: بيئة التخلق الإسلامى على كل المستويات، وتشكله واكتماله^(١)؟

٥ - ولكن ما دام أن بحوث المستشرقين أمر واقع، وهى تغطى مساحات فى السيرة واسعة فى مجال البحث التاريخى، وتفرض ثقلها فى الدوائر الأكاديمية والتخصصية بعامة، وما دام أن فى بعض هذه البحوث لمحات منهجية وموضوعية قد تمنحنا المزيد من الإدراك لنسيج السيرة، وتعطينا المزيد من الأدوات المعينة على الفهم، فلا بأس أن نتعامل معها على هذا الأساس وليس أبداً على اعتبار أنها صيغة مقبولة للتعامل الدراسى مع سيرة رسولنا عليه الصلاة والسلام^(٢).

٦ - ومن أجل ألا يختلط الأسود بالأبيض، وتقرر على العقل المسلم معطيات المستشرقين المنحرفة وأخطأؤهم المكشوفة، أو المستترة، كان لا بد من تقديم العديد من الدراسات النقدية لهذه المعطيات، تكون بمثابة مصدر إنارة للمسلم فى هذا الدرب المعتم الطويل^(٣).

وإذا ما توافرت المعرفة نحو هذه الملاحظات من حيث كونها تشكل بعداً معرفياً أمام الرصد التاريخى للسيرة النبوية فى الاستشراق الإيطالى لازماً لفهم تصورات المستشرقين وتحليلهم لمثل هذه القضايا، فإننا بذلك نستطيع أن نحصر الأخطاء والجوانب السلبية لناهج المستشرقين فى دراسة السيرة النبوية الشريفة.

(١) نفسه، ص ١٢١ .

(٢) نفسه، ص ١٢١ .

(٣) نفسه، ص ١٢٧ .

مدخل الدراسة

كطبيعة العمل البحثي في تغطيته وعرضه للموضوع يلزم أن تمهد بمدخل دراسي يعد إثارة للموضوع وأرضية يتحرك منها البحث ويصر النقطة التي يركز عليها.

لقد بدأ الموقف (الغربي) من رسول الله ﷺ يتشكل في إطار ديني صرف، مترع بالتعصب والتشنج والانفعال. ملئ بالحقن والغضب والكراهية، تحيطه جهالة عمياء، متعمدة حيناً وغير متعمدة أحياناً، جعلت بين القوم وبين شخصية رسولنا عليه الصلاة والسلام سدا يصعب اختراقه، والنتيجة ليست أبحاثاً تاريخية علمية أو موضوعية بحال.. إنما ذلك السيل المنهمر من الشتائم والسباب مارسها رجال دين من قلب الكنيسة النصرانية باتجاهاتها كافة.. ومارسها رجال علمانيون لا علاقة لهم بالكنيسة من قريب أو بعيد وقد استمر هذا التيار حتى العصر الراهن^(١).

مع العلم أن الأوروبيين لم يعرفوا شيئاً أصيلاً عن سيدنا محمد ﷺ "حتى بعد انقضاء أكثر من ٤٠٠ عام على نبوته. في عام ١١٤٢م وبعد زيارة بيتروس (بطرس) المعظم إلى إسبانيا التي كان يحتلها العرب عرفت أهمية تحصيل تصور أصيل عن الإسلام. ونتج عن ذلك أن أصدر أوامره بترجمة القرآن إلى اللغة اللاتينية فجاءت أول ترجمة إلى اللاتينية في سنة ١١٤٣م. ولكنه حتى بعد انقضاء ٥٠٠ عام لم توجد أية دراسة علمية أصيلة عن الإسلام إلى أن جاء ألكسندر روس (Alexander Ross) وكتب كتاباً هاماً في تاريخ الأديان أسماه "عبادات مختلفة من جميع أنحاء العالم" سنة ١٦٥٠م وترجم إلى الألمانية سنة ١٦٦٨، وكان الرأي السائد في الغرب عن الإسلام أنه عقيدة خاطئة وأنه تحريف متعمد للحقيقة وخليط من العنف والشهوة، وقيل عن

(١) التوحيد والنبوة والقرآن في حوار المسيحية والإسلام، جوزيف فان إس، دراسة تحليلية نقدية، د/ السيد محمد الشاهد، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،

الرسول (محمد ﷺ) أنه المسيح الدجال وفي مقابل ذلك كان إظهار المسيحية على أنها هي الدين المثالي الوحيد الذى يحتوى الحقيقة المطلقة والسلام والحب والتعفف... الخ. وقد كان هدفهم من ذلك هو التشويه المتعمد لصورة الديانات الأخرى حتى يحموا أبناء دينهم من التأثير بالديانات الأخرى" (١).

يقول فان إس: الاهتمام بالإسلام قديم ولكنه لا يعتمد فى معلوماته على مصادر موثوق بها - ما يسمعه ويقراه الإنسان من وسائل الإعلام عن الإسلام وما يقوله المثقفون عنه بصفة عامة هو شيء مخيف وهو مخيف لوجهين:

أولاً: بسبب الخطأ والأحكام المسبقة (الأحكام) التى تظهر فى هذه الأحكام.

وثانياً: بسبب النغمة (الطريقة) الشبكية (الرهيبية) التى تُنقل بها. فبينما لا نجد إنساناً يخاف من البوذية أو الهندوسية نجد أن الخوف من الإسلام هو الموقف الطبيعى. وليس هذا بسبب أزمة البترول أو الثورة الإسلامية فى إيران، ولكنه كان نفس الموقف فى العصور الوسطى وفى بدايات العصر الحديث، حيث كان يزداد الاهتمام بالإسلام كلما وجد شيء مخيف (من الإسلام)، عندما فشلت الحروب الصليبية، وبعد ذلك أثناء الحملات التركية. فى مثل هذه الظروف تنتشر الصورة السيئة المتكررة وبدون تغيير.

الحاجة إلى معلومات (عن الإسلام) كانت تسد بسرعة عن طريق معلومات سطحية عامة يستنبط منها أحكام (نتائج) غير ناضجة (خاطئة) (٢).

وبالقدر ذاته وفى القرن العشرين، "توالى على المسرح أجيال من المعنيين بالدراسات الإسلامية عامة، وبمسيرة رسولنا ﷺ خاصة، وقد عرف هؤلاء بالمستشرقين.. كان بعضهم ليس من الكنيسة ويرتدى ملابس الكهنوت، ولكن كان

(١) المرجع السابق، ص ٢١، ٢٢.

(٢) نفسه، ص ٩٤.

أغلبهم (مدنيا) ولا تربطه رابطة وظيفية.. وكان يتوقع أن تخف حملاتهم على رسولنا ﷺ وتتغير نظرتهم في تعاملهم مع شخصيته وتاريخه وتعاليمه..

لكن لم يحدث شيء من هذا، ولكنه ما تعدى التشذيب والتهديب وتجاوز كلمات الفحش، أما المنهج فقد ظل هو المنهج: جهلا بتركيب السيرة، وتعصبا في التعامل معها وتحليلات واستنتاجات ما أنزل الله بها من سلطان، ويؤكدوا الواحد منهم بقوة، ويجتمع القوم عليها حتى لتكاد تغدو عندهم يقينا من اليقينيات على الرغم من أنها بنيت أساسا على الوهم الذي تستحيل معه رؤية الحقائق، بحجمها الطبيعي وعلى الرغم من أنها انبثقت عن زاوية ضيقة مترعة بالتعصب، ونظر إليها قد دخن عليها سلفا، وعلى الرغم من أنها، في أحسن الأحوال، قد بنيت على ثوابت حية ولكنها ليست -بحال- الشواهد المتواترة ذات الثقل، وإنما هي الشاذ منها يتشبثون به لكونه يشبع نفوسهم وعقولهم".

لذا يمكننا القول أن "المراحل التي مرّ بها الفكر المسيحي تجاه الديانات الأخرى، وخاصة الإسلام ونبيه ﷺ تنقسم إلى ثلاث مراحل:

أولا - من مرحلة الجهل أو التجاهل، ثم إلى مرحلة التكبر، ثم إلى التسامح:

فيقول إنه حتى القرن السابع عشر الميلادي وبعد ترجمة القرآن الكريم في ١١٤٣م بما يقرب من ٥٠٠ عام، كانت صورة الإسلام في الغرب قائمة وعدائية، إلى أن جاء ألكسندر روس Alexander Ross وكتب كتاباً باللاتينية عنوانه "عبادات في كل العالم"، وحتى ذلك الحين كان النبي ﷺ لا يذكر إلا بالشتائم والافتراءات، كان الهدف من ذلك إظهار المسيحية في صورة مثالية، فلم يكن الهدف من دراسة الإسلام هو معرفته على حقيقته، ولكن للافتراء عليه بهدف حماية المسيحيين من الخروج عن الكنيسة.

ولم يؤثر في ذلك التيار الظالم ما كانت تحتله العلوم العربية من مكانة عالية، وخاصة الفلسفة والطبيعيات والطب والاقتصاد... الخ، ولم يكن من الممكن أن تنشأ مذهبية دينية مسيحية مثل التي جاء بها "توماس الأكويني" دون معرفة مسبقة بالتراث العربي، ثم تلا ذلك مرحلة أخرى اختفى فيها تقدير التراث الإسلامي مع بداية عصر النهضة^(١).

ومن الجدير بالذكر أن البابا قد أمر بإحراق ترجمة القرآن بعد صدورها مباشرة، عندما ازداد تهديد الأتراك للغرب وحصارهم لفيينا (١٥٢٩م)، وكان "مارتين لوثر" (مؤسس البروتستانت) قد شجع على ترجمة القرآن من العربية إلى اللاتينية، ولكنه ما كان يقصد بذلك سوى إظهار ما فيه من أخطاء - كما يدعى "مارتين لوثر" - والهجوم عليه. ولم تنجح بعض المحاولات التي قام بها بعض العلماء لدراسة القرآن دراسة تقترب من الموضوعية، فقد كانت تحرم مثل هذه الكتب، وتسحب من المكتبات، مثلما حدث مع كتاب "دين محمد" الذي ألفه "أدريان ريلاندز" (١٧٠٥م)، ولم يتغير ذلك الوضع إلا مع بداية عصر التنوير^(٢).

وفضلاً عن ذلك يذكر "هانس كونج" نماذج من كتابات غربية عن الإسلام، يظهر فيها احترام للعرب وللإسلام وللنبي ﷺ، مثل ديوان "جوته" الشاعر الألماني بعنوان الديوان الغربي الشرقي (١٨١٩م)، وكتاب توماس كارليل Thomas Carlyle بعنوان: البطل "محمد" نبي صادق The Hero as Prophet (١٨٤٠م).

وقد جاء مع القرن التاسع عشر التقدم الكبير في الاستشراق مع عصر الاستعمار الغربي، والذي صاحبه ظهور دراسة تاريخية نقدية للعلوم الإسلامية، وكان ذلك ممهداً

(١) نفسه، ص ٩٤.

(٢) نفسه، ص ٩٤.

لاختفاء النبرة المتعصبة تجاه الإسلام، وظهر معها في القرنين ١٩، ٢٠ مؤلفات فيها تعاطف وإنصاف للإسلام^(١).

إن العودة إلى الأسلوب القديم تجاه الإسلام كوسيلة لتحسين المسيحيين ضد الديانات الأخرى أصبحت مستحيلة؛ لأن هناك من الأسباب ما يمنع من السقوط في أسلوب العصور الوسطى ومنها:

وجود الكتب العديدة الأقرب إلى الموضوعية، وكذلك وسائل الإعلام، وهذا العدد الهائل الذي يبلغ مئات الآلاف من المسلمين الذين يعيشون في الغرب، هذه الأسباب جعلت الفهم الصحيح يحتل محل الاحتقار، والدراسة محل التعميم، والحوار بدلاً عن التنصير.

والمواقع المؤسف لا يؤيد ما يذكره "هانس كوفج"، فإن الإسلام لم يزل غريباً عن الغربيين، وليس الذنب في ذلك إلا ذنبنا نحن المسلمين.

وينبه "هانس كوفج" إلى أن الوقت قد حان لمحاولة معرفة الإسلام من داخله، واستكشاف الأسباب التي جعلت المسلم ينظر إلى الله والعالم وعبادة الله وخدمة الإنسان، وكذلك السياسة والقانون والفن نظرة تختلف عن نظرة الآخرين، ويحس بقلبه ما لا يحس به المسيحي^(٢).

أسباب تشويه صورة الرسول ﷺ في الغرب:

من المهم أن ندرك أن هناك أسباباً ودوافع لتشويه صورة الرسول ﷺ في الغرب ومن الصواب أيضاً أن نطرح هذه الأسباب والتي برأى أنها ضرورية ولازمة للبحث.

(١) نفسه، ص ٩٥، ٩٦.

(٢) نفسه، ص ٩٦.

إن الناظر لأحوال المجتمعات الغربية يدرك أن هذا المجتمع يمكن أن يصنف إلى ثلاث فئات بالنسبة للموقف من الإسلام ونبيه :

(الفئة الأولى) : لا تعلم عن الإسلام شيئاً وهؤلاء لا يمكن الحكم عليهم إيجاباً أو سلباً خاصة وبعض علماء الإسلام قد حكم بأن هذه الطائفة تعتبر أهل فترة . وأن أعباء عدم المعرفة إنما يقع على عاتق أمة الإسلام خاصة أولى الأمر من الحكام والعلماء .

(الفئة الثانية) : وهم الأغلب وهؤلاء قد وصلت إليهم الصورة عن الإسلام مغلوطة وشائنة ، حيث انطبعت لديهم صورة خاطئة عن سيدنا محمد ﷺ . فهو في نظرهم إرهابي ثوري دموي قاد مجموعة مسلحة كانوا يغيرون على مجاوريههم ولا يحركهم سوى الرغبة في الغنائم .

ثم هو دعى كذاب - كما يزعمون - اغتنم سداجة أتباعه وادعى أنه رسول ، وكان شهوانى - حاشاه - لا يهمه سوى لذائذه الخاصة ، وأما المسلمون من بعده فقد ساروا على دربه في هذا الشأن فهم يتوسعون شرقاً وغرباً طلباً للمال وحباً في الانتقام .

(والفئة الثالثة) : وهم الأقلون عدداً فهم الذين يعرفون عن الإسلام الكثير بل قد يعلمون عنه ما لا يتوافر لأهله . وهؤلاء بدورهم قد انقسموا إلى قسمين :

■ قسم صرح بحقائق الإسلام الكبرى وبث ذلك في كتبه ومدارسه ومجالسه . وهذا القسم إما أن تتجه به حقائق الإسلام فيعتنقه ويصير جنداً من جنوده ، وإما يظل على ديانته الأولى ، إما لإلفه لها وإما لضغوط اجتماعية أو اقتصادية أو أسرية ... إلخ .

■ أما القسم الثانى فهم الذين عرفوا الحقائق وتبين لهم الرشد في حقائق الإسلام ، والغى في أباطيل خصومه واستيقنت أنفسهم بأن الإسلام دين الله الحق . ومع ذلك جحدوا وغيروا وبدلوا وحاولوا إظهاره في صورة شائنة لا تمت إلى أصوله وفروعه من قريب أو بعيد . وأغلب هؤلاء من رجال الدين والساسة والمتعصبين من المستشرقين ، واليهود الحاقدين .

ومن المعلوم أن من وصلتهم صورة مغلوطة عن الإسلام ونبي الإسلام هم الأكثر عدداً على جميع المستويات حكاماً ومحكومين (١).

وفي هذا السياق فإن الصورة الحقيقية للإسلام غائبة عن جمهور الغرب ولا يظهر منها سوى المغلوط الذي لا يمت إلى الإسلام بصلة نظراً للعوامل التالية (٢):

١ - العناصر الغربية :

إن من أسباب معاداة الغرب للإسلام هو : أن الشرق يعتبر مجرد امتداد طبيعي للغرب ، وتابعاً له ومسرحاً لسيطرته ، وظل هذا الفهم قائماً حتى الآن من حيث إن الشرق الإسلامي والعربي هو المنطقة الوحيدة التي كانت تمثل تحدياً سافراً للغرب سواء في المجالات السياسية أو الثقافية بل أيضاً في المجال الاقتصادي .

ويضاف إلى ذلك أن الإسلام قد أفلح في أن يزيح سلطان روما نفسها ويزلزله ، بل إن الإسلام استطاع في أقل من قرن أن يقلم أظفار الغرب ويزيحهم عن المنطقة العربية كلها ، وهو أمر لا يمكن للغربي أن ينساه مما يحرك كثيراً من الآلام في نفوس الغربيين . ولهذا رأينا منذ فجر التاريخ الإسلامي وحتى عهد الحرب على الإرهاب موجات من العدوان على الإسلام وأهله لم تهدأ هذه الموجات إلا فترات كان يتغلب فيها جانب التعقل تارة أو جانب التهيو والاستعداد تارة أخرى .

٢ - رجال الكنيسة المتعصبون :

ولا يخفى على أحد أن آباء الكنائس قاموا بدور مشبوه لتشويه صورة الإسلام ورسوله ؛ وذلك منذ أن بدأ الغرب يتعرف على دين الإسلام فقد قام رجال الكنيسة

(١) الرسول الأعظم ﷺ ، بين جهل المستهزلين به وهوان المنتمين له ، د / عبد العزيز المرشدي ، ص ١٢١ ،

١٢٢ ، ط خاصة بالمؤلف .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ،

وحتى يزهدوا الناس في الدين الجديد ويوقفوا انتشاره بكل الوسائل حتى لو أدى بهم الأمر إلى وصم رسول الله بصفات هي أبعد ما تكون عن شخصية هذا النبي ﷺ .

فقد وصم آباء الكنائس الرسول ﷺ بأنه إما شيطان متمرد على الكنيسة ، وإما شهواني كرس كل حياته لإشباع رغباته ، وإما زعيم عصاة كل هدفها السطو على أموال الأغنياء . وهكذا فقد أفلح هؤلاء في أن يؤلبوا الساسة والعسكر ويحشدوا قواهم تحت ما يسمى بالحروب الصليبية والتي تولت كبر هذه الحروب آباء الكنائس ورجال الدين المسيحي في الغرب . مع ملاحظة أن فرقاً كبيراً بين نظرة نصارى الشرق للإسلام الذين كنا نسمع كثيراً منهم من رحبوا بالمسلمين (أبناء إسماعيل) الذين استنقذوهم من حكم الرومان الظالم . فرق كبير بين هؤلاء وبين نصارى ورجال الكنيسة الغربية الذين لم يألوا جهداً في تشويه الصورة الحقيقية للإسلام ورسوله .

٣- الإعلام الغربي :

قام الإعلام الغربي بدور جبار في تشويه صورة الإسلام ونبيه والمسلمين تدعمه في ذلك اليد الصهيونية ، والأصولية المسيحية التي يههما تشويه صورة الإسلام والمسلمين بعدما رأوا ذلك المد الإسلامي المتنامي في شتى أرجاء المعمورة بما أفاد هذا المدخل في طرح جانب هام يلزم الدراسة من أجل إيجاد استنارة فكرية وتاريخية نحو الجوانب التاريخية لسيرة النبي ﷺ في الاستشراق الغربي عموماً والإيطالي خصوصاً ولكن التفصيل الدقيق لهذه الجوانب التاريخية يأتي في المجال التالي .

الجوانب التاريخية لسيرة النبي ﷺ في الاستشراق الإيطالي

لدراسة الجوانب التاريخية أهمية كبيرة وفوائد كثيرة فهي تمدنا بالرؤية الاستشراقية للسيرة النبوية في سياقها التاريخي والتطورات التي صاحبت هذه الرؤية .

وبما أن إيطاليا هي وريثة الثقافات العدائية التي ارتسمت في العقلية المسيحية

منذ القرون الوسطى، وبصفتها حامية لمركز المسيحية الديني في أرضها، فهي دائماً تحافظ على التاريخ التصادمي بكل ملابساته مع من يغايرها وضد من يناقض أهدافها، إن الفكر المسيحي بكل تراكمه التاريخي ظل يطبع الفلسفات الإيطالية طوال العصور الماضية.

فالكنييسة الإيطالية بما لها من نفوذ تراكمي تاريخي على روح الفاشية العسكرية النامية وتطلعاتها منذ بداية هذا القرن كانت ترى:

"أن قصارى جهدها أن تسدل الستار على إحساس الغرب وشعوره، فالكنييسة ترى أن المسيحي هو الإنسان الوحيد الذي يجب أن يتمتع بكامل حقوقه الإنسانية ذلك لأنه يمثل الصفوة وكان لزاماً على المسيحي أن يرى في اللامسيحي سواء كان هرطقياً أو مسلماً الشخص الوضع الفاسق الذي يقف على هامش المجتمع الإنساني ويجوز التنكيل به.."^(١).

ولهذا تحاول إيطاليا لوجود السلطة الروحية "الفاتيكان" بها أن تمسك زمام المبادرة لنشر المسيحية على طول المنطقة.

لقد كانت إيطاليا تحاول دائماً وبكل الطرق وخصوصاً في إعلانها قبل الاحتلال نغمة التخلف الأساسي للعرب وقصور هذا العنصر العربي في مجالات التقدم الحضاري.

كانت تحاول تشويه تاريخ البلاد مرتكزة على التاريخ الروماني وأمجاد روما القديمة، فلم تدع وسيلة إلا استخدمتها في سبيل إبراز التفوق الروماني وإذلال العرب بعد الاحتلال ووصف العربي بأنه كاذب وكسول ومخادع، ومحاكم إيطاليا القضائية

(١) الاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين، مصطفى نصر المصلاحي، ص ١٤٦، ١٤٧، ط ١، ١٩٨٦، دار اقرأ، طرابلس - روما إيطاليا.

تزرخ بمختلف القضايا التي كان ضحيتها دائماً الأبرياء الليبيين، كما أن الأناشيد التي كانت تُدرس للأطفال في المدارس ذات صبغة تبشيرية استعمارية صليبية^(١).

وجدير بالذكر أن التركيز على التاريخ الإسلامي الحديث وحوادث الماضي القريب شيء طبيعي، والنقص التدريجي في العناية بالماضي الأبعد قرناً بعد قرن منتظر أيضاً، ولكن الاهتمام التاريخي القوي بفترة أصول الإسلام قد يكون ناتجاً في رأيي عن عناية المجادلين الدينيين بهذا الموضوع، إذ هم قد اهتموا، بمناقشة الأمور المتعلقة بالرسول، لأهدافهم الدعائية. وعلى الرغم من أن هذه المناقشة لم تكن علمية، فإنها حددت مسائل معينة عديدة تحديداً باقياً بشأن سيرة الرسول ﷺ وتاريخ أوائل الإسلام. وجود هذا الحوار أثار محاولة الاستجابة إلى بعض هذه المسائل والتعمق فيها من قبل بعض المؤرخين. ونتيجة لذلك ازدادت وتفرعت كثيراً المؤلفات التاريخية عن الأصول الإسلامية، بينما أهملت أبواب أخرى ضخمة من تاريخ الإسلام^(٢).

وإزاء ذلك فإن ترجمة "كتون"، كان ظهورها خطوة إيجابية أولى لأنها أعطت الأوروبيين للمرة الأولى وسيلة لاكتشاف شيء من حقائق القرآن والإسلام بشكل أولى مباشر، وكان هذا تحسناً معنوياً مقارنة بالاعتماد السابق على الدعاية الخالصة والقييل والقال. ولكن يجب علينا أن نعترف بأن الموقف العقلي الأوروبي السائد من الإسلام ونبيه كان موقفاً عدائياً لقرون طويلة، وأنه كان جزءاً من الصراع العنيف بين الدول الأوروبية والدول الإسلامية في الأندلس مثلاً وفي البلقان^(٣).

لقد شجعت الاكتشافات مفكوري التنوير على معالجة القضايا الإنسانية

(١) المرجع السابق، ص ١٦٢، ١٦٣.

(٢) فرد دورن، اتجاهات الكتابة الغربية عن تاريخ الإسلام: قراءة نقدية، مجلة التسامح، العدد ٨، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م، ص ٢٣٨، تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بسلطنة عمان.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٣٧.

والاجتماعية أيضاً حسب المذهب العقلي، لأن هذا المذهب وجد نجاحاً كبيراً في العلوم الطبيعية. فمبادئ التنوير إذن فرضت الاعتماد على العقل المجرد في كل نواحي الحياة والفكر؛ وأدى ذلك إلى رفض بعض عقائد الكنيسة التي لم تتسق مع الاكتشافات العلمية الجديدة، كما أدى إلى قيام حركة نقدية ضد الكنيسة والمؤسسات الدينية في أوروبا وضد رجال الكنيسة ونفوذهم في التعليم والسياسة. في هذا السياق ظهرت الكتابات الغربية الأولى عن الإسلام وتاريخه يمكن أن نقول إنها كتابات علمية وليست دعائية، ومن أعظم نماذجها الكتاب المشهور (انحطاط الإمبراطورية الرومانية وسقوطها) بقلم المؤرخ غيبون (GIBBON)، وهو كتاب يحتوى على عرض مطول لتاريخ فجر الإسلام كجزء من قصة تدهور البيزنطيين في المشرق. والمهم هنا أن مثل هذا الكتاب حاول أن يمثل مجرى التاريخ بشكل عام دون تمييز وعلى أساس مصادر تاريخية مناسبة. ومهد ذلك الميل العام في كتابة التاريخ إلى ما نستطيع أن نسميه "الاقتراب الوصفي" من كتابة التاريخ الإسلامي في الغرب - وهي المرحلة التي اعتمد فيها المؤرخون الغربيون لأول مرة على المصادر الإسلامية (العربية أو غيرها) ذاتها من أجل تفسير حوادث التاريخ الإسلامي. بل إن هذا الوضع - الذي أحدث رد فعل من جانب مفكرى التنوير ضد الكنيسة المسيحية وعقائدها - قاد بعض هؤلاء المفكرين إلى تأليف كتابات متعاطفة عن الإسلام والرسول، كما نرى مثلاً في كتاب (الأبطال والبطولة) بقلم كارلايل (CARLYLE) حيث صورة الرسول ﷺ هنالك إيجابية جداً^(١).

ورغماً عن ذلك، "فإن إعجابها الدينية - السياسية في القرون الوسطى لم تكن ذات مظهر واحد، ولم تتسم بسمة شمولية للفئات الاجتماعية الأوروبية كافة. بل يمكن القول إن الموقف من دين المسلمين كان متناقضاً ومتبايناً من فئة اجتماعية إلى

(١) نفسه، ص ٢٣٩.

أخرى. فمن جهة سيطرت حالة من (الفويبا)، أى الخوف المرضى الدينى بالمعنى الحرفى للكلمة، إزاء التصورات الغربية عن الإسلام فى الرعى الشعبى، ومن جهة أخرى نجد ثمة فهماً واضحاً تماماً للدين المسيحى (وفق النمط الغربى) لدى النخبة الأوروبية المثقفة على خلفية ضرورة تبادل القيم الروحية والمادية مع الشعوب والديانات الأخرى. الأمر الذى يفرز - بكل تأكيد - احتراماً وتقديراً لمنجزات الحضارة الأخرى (المعادية) فى ميدان الثقافة والعلم على الأقل^(١).

وتكمن إشكالية العلاقة بين العالمين فى أن "الإسلام من وجهة نظر المسيحية - الغربية يتسم بخلفية إشكالية لاهوتية عميقة. حيث ظهر فى أوائل القرن السابع للميلاد ووضع نفسه فى خندق مضاد متعارض تماماً مع التقاليد الدينية المذكورة (اليهودية - المسيحية)، وذلك من خلال تعميم مطلق غير محدود لهذا التوحيد، ألغى فى حقيقة الأمر أى إمكان لتجسيد الطبيعة الإلهية مع نفى تام لفكرة الثالوث المسيحية. وبذلك التوجه العقائدى حطم الإسلام النظام البنىوى - اللاهوتى، الذى كان مهيمناً فى التصورات المسيحية (لاسيما فى العصر الوسيط) حول التكوين الإلهى للتاريخ، وتجسيد الإله ذاته. ولهذا كان ظهور الإسلام بالنسبة للديانتين اليهودية والمسيحية نوعاً من التحدى الدينى - التاريخى. ولكن أين يكمن المعنى التاريخى العام للإسلام، وما دوره الفعلى فى تنفيذ الإرادة الإلهية؟! حول هذه النقطة بالذات تمحورت التساؤلات والمناقشات والمناظرات المسيحية حول الإسلام^(٢).

وبشكل عام، فإنه خلافاً للموقف الإسلامى الهادئ وحتى اللامبالى، كان موقف

(١) الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم، أليكسى جورافسكى، د. خلف محمد الجراد، ص ٣٨، ٣٩، دار الفكر، دمشق، ط ٢، ربيع الأول ١٤٢١هـ - حزيران (يونيو) ٢٠٠٠م.

(٢) A. Hourani. Europe and the Middle East. (London, 1980), P.9.

نقلاً عن الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم، ص ٣٩، ٤٠.

المسيحيين الغربيين من الإسلام انفعالياً وغير متسامح روحياً. لأن الإسلام كان في تصورهم (تحدياً) تطلب رداً ومقاومة واهتماماً دائماً به، وإنه من أجل إدارة الصراع بنجاح مع عقيدة هذا المنافس - الخصم، القوى والخطير، لابد من دراسته^(١).

وقد ظهر الطراز الأول من الدراسات الإسلامية الكلاسيكية كخطاب غربي حول الإسلام بدءاً من القرون الوسطى. حتى إن (التخصص) في الإسلام أو في (الإسلاميات) أصبح جزءاً عضوياً من العلم، ومن الإيديولوجيا وثقافة المجتمع الأوروبي. (تاريخ الإسلاميات ليس عبارة عن تنال متوارث لمدارس واتجاهات، استدعت ظهورها بواعث اجتماعية خارجية.. الحديث يدور هنا حول عملية متصلة متحدة مع القوانين الأولية الداخلية لهذا التخصص)^(٢).

والحقيقة أن الإسلام لم يعط أوروبا معارف جديدة وحسب، بل أثر جوهرياً في طبيعة نمو العمليات الثقافية وتطورها، وساعد في كثير من الحالات على تشكل الوعي الذاتى الأوروبي. حتى مفهوم (أوروبا المسيحية)، بل قل التصور العام عن أوروبا كوحدة جغرافية وثقافية، تكون في أذهان الأوروبيين فقط في مسيرة (الاستعادة) و (التحرير) (Reconquista) والحروب الصليبية، حيث إن تلك التصورات الجغرافية - السيامية (الجيوسياسية) والثقافية ظهرت عندئذ ووضعت نفسها كمنقضى مضاد للعالم الإسلامى. فللمرة الأولى تقريباً استخدمت كلمة أوروبا في مماثلة ومطابقة مع كلمة مسيحية في تلك الخطبة الحماسية التحريضية (التي سبقت الإشارة إليها)، التي أطلقها البابا أوربانوس الثانى فى المجمع الكليريموني (مجمع

(١) المرجع السابق، ص ٤١ .

(٢) أ.م. باتونسكى. تطور تصورات الفكر الاجتماعى لأوروبا الغربية فى القرون الوسطى حول الإسلام (القرن الحادى عشر - القرن الرابع عشر للميلاد)، فى مجلة (شعوب آسيا وإفريقية)، ١٩٧١، العدد ٤، ص ١٠٧ / بالرومية، نقلاً عن الإسلام والمسيحية، ص ٤٢ .

كليرمون). وقد نوقشت مشكلة تأثير الإسلام في تشكل الوعي الذاتي للأوروبيين في دراسات كل من ك. دووسون وهيه Hay.D (١).

طبيعة الاقتباسات الثقافية عن سيدنا محمد ﷺ في القرون الوسطى:

هناك نقاط تاريخية هامة وعديدة في مناقشة موضوع "السيرة النبوية في الاستشراق الإيطالي جوانب منهجية وتاريخية"، حيث يوحى الموضوع المطروح للنقاش بأنه لا سبب إلى إنكار ضرورة اكتشاف صورة النبي ﷺ في العصور الوسطى.

تعرض الدين الإسلامي الحنيف، والرسول الكريم ﷺ، فضلاً عن العرب الذين حملوا رسالة الإسلام شرقاً وغرباً، إلى حملات شتى من التشويه والتضليل في أوروبا، منذ ظهور الإسلام وبداية المد العربي الآتي من الجزيرة العربية (٢).

لقد "كانت معلومات الأوروبيين عن العرب في البداية ضئيلة جداً، بل كانت مشوهة ومشوشة تماماً. حيث أثارت بعض دراساتهم الجغرافية - الوصفية إلى أعراب شبه الجزيرة العربية، وكأنهم هم العرب فقط، الذين (يقيمون حياتهم ومعيشتهم على النهب واللصوصية) (٣). وظهور الدين الإسلامي كعقيدة توحيدية جديدة لم يُلحظ

(١) R.Lyer. le rideau de verse.- Table Ronde, 1965, No= 209, p.20.

The Cultural Context of Medieval learning Proceeding of International Colloquium on philosophy, Science and Theology in the Middle Ages. Sept. 1973 (Boston, 1975).

C. Geffre La Theologie des religions non chrestinnes, vingt ans après Vatican II (No=2). Islamochristiana. Vol. II (Roma, 1985).

نقلًا عن الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم، ص ٤٠-٤١،
(٢) المتغير الغربي، الشرق، الامتشرقاق، أدب الصحراء، محمد عبد الحسين الدعيمي، ص ٢٧، ١٦،
١٩٨٦، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.

(٣) الوصف الكامل للأرض وشعوبها، ترجمة س. ف. بولياكوف وى. ف. فيلينكوف- العصر البيزنطي،
المجلد الثامن (موسكو، ١٩٥٦)، ص ٢٧٩ / بالروسية، نقلًا عن الإسلام والمسيحية ص ٤.

إلا بصعوبة في أوروبا. إذ إن احتلال إسبانيا وصقلية من طرف العرب لفت الأنظار إليهم بشكل أوسع. ولكن ظهورهم على الأراضي الأوروبية نُظر إليه في البدايات الأولى بوصفه كارثة، مماثلة - إن لم تكن أسوأ - للاجتياحات التتيرية للمراكز الحضارية والثقافية في العالم، الأمر الذي استثار الفزع الشديد والقلق عند المسيحيين الأوروبيين. ومن ذلك أن ألفار أسقف قرطبة في عام ٨٥٤م اشتكى من كون المسيحيين الشباب يأخذون من الآداب العربية، أكثر مما يأخذونه من اللاتينية، ويقرؤون الأشعار والحكايات العربية، ويدرسون مؤلفات الفلاسفة واللاهوتيين العرب، بينما يتجاهلون تماماً التعليقات والشروحات اللاتينية على الكتاب المقدس^(١).

والكتاب، الذي يُؤلف في الشرق الإسلامي، سرعان ما يصبح في متناول العلماء والدارسين الغربيين بوساطة المترجمين العبرانيين. حيث ينتظره مئات القراء في الأندلس، وفي إيطاليا، وفي باريس، وفي مدن إقليم بروفانس (بفرنسا الجنوبية). ففي بليرمو (بلمرو، بالرمو Palermo في إيطاليا) في بلاط فريديريك الثاني (من آل غوغينشتاوفين) عمل بصورة مشتركة، وتباحث وتجادل وتناظر مجموعة من العلماء المسيحيين والمسلمين واليهود. والواقع أن مؤسسة الترجمة التي قامت في إسبانيا كثيراً ما دمجت ووحدت ممثلي هذه الديانات الثلاث^(٢).

وتقتضى الموضوعية والأمانة العلمية الاعتراف بأن الترجمة التي جرت في ذلك العصر من العربية إلى اللاتينية، وخصوصاً النصوص الدينية، التي استند إليها المسيحيون الأوروبيون في مجادلاتهم ومناظراتهم مع المسلمين، كانت قليلة جداً.

ولذلك فقد ظل الجزء الأكبر من التراث الإسلامي (أحاديث الرسول والسنة

(١) أ. يو. كراتشكوفسكى. الثقافة العربية في إسبانيا (موسكو، ليننغراد، ١٩٣٧)، ص ١١-١٢/

بالرويسة، نقلاً عن الإسلام والمسيحية ص ٤٥ .

(٢) الإسلام والمسيحية، ص ٤٧ .

النسبية) مجهولاً بالنسبة للأوروبيين، مثل عدد كبير من المؤلفات الإسلامية في الشريعة والأحكام، وفي الميدان التاريخي أيضاً^(١).

وفضلاً عن ذلك فقد "جرى نشاط فعال في مجال الترجمة بموازاة ما كان في طليطلة في الميدان نفسه في مدن كثيرة من شبه الجزيرة الإيبيرية. وبعد مدة ليست طويلة، أي في النصف الثاني من القرن الثاني عشر للميلاد انضمت صقلية إلى هذا الجهد، حيث تألفت هيئة أو مؤسسة للمترجمين في بالرمو (بلرما). فإليها (إلى بالرمو) قدم من طليطلة ميخائيل (ميكيل) سكوت، الذي اشتهر بترجمته أعمال أرسطو، وكذلك كمنجّم رسمي في بلاط فريديريك الثاني، الذي كان بدوره مؤيداً لتوجهات الفلسفة الإسلامية. ومع الزمن نسجت حول اسم هذا المترجم المشتغل بالتنجيم وقضايا الفلك حكايات وقصص وأساطير كثيرة أضفت عليه قوة سحرية غير عادية^(٢). وربما كانت تلك الحكايات المضخمة هي التي حفزت دانتى لوضع ميخائيل سكوت مع من وضعهم في بطن الوادي الرابع من الحلقة الرابعة من جهنم^(٣).

ويقول روجيه دي باسكييه: إن الغرب المسيحي أو الذي فقد مسيحيته لم يعرف الإسلام أبداً فمنذ أن ظهر على المسرح العالمي والمسيحيون لا يكفون عن اختلاق الأكاذيب حوله وتحقيره من أجل إيجاد المبررات اللازمة لقتاله.

يقول مونتغمري وات: لقد أدرك الناس من زمن أن الكتاب المسيحيين في العصور الوسطى خلقوا صورة للإسلام هي صورة شائثة من وجوه عديدة^(٤).

(١) المرجع السابق، ص ٤٨.

(٢) مونتغمري وات، تأثير الإسلام على أوروبا في القرون الوسطى، ص ٨٦، نقلاً عن الإسلام والمسيحية ص ٥١، ٥٢.

(٣) انظر: دانتى. الكوميديا الإلهية، المحجم، (الأنشودة العشرون: ١١٦-١١٧ / الطبعة الروسية) نقلاً عن الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم، ص ٥٢.

(٤) الرسول الأعظم، ص ١٢٥.

القرن ١١، ١٢ الميلادي :

في القرنين الحادي عشر والثاني عشر للميلاد نشرت في أوروبا مجموعة من المؤلفات متعلقة بالسيرة الشخصية للنبي محمد. وضمن هذا السياق ظهر نوع من القصائد، تتضمن بصورة أو بأخرى شيئاً من حياة النبي محمد^(١).

أما رئيس دير كلوني (الآباتي) بطرس المبجل أو المكرم Petrus Vernabiles (نحو ١٠٥٩-١١٥٦ م)، الذي ترجم القرآن إلى اللاتينية، فيمكن من دون أى مبالغة تسميته مؤسس الدراسات الإسلامية لدى مسيحي القرون الوسطى. وقد انطلق من مسلمة حتمية الصراع مع الإسلام، ولكن ليس بالسيف، وإنما بالكلمة والإقناع والحجة. وفي نظره للمسلمين كهراطقة، اعتقد بطرس المبجل بإمكان إعادتهم إلى فلك الكنيسة، وذلك إذا تمكن اللاهوتيون والمبشرون المسيحيون من أن يظهروا لهم بشكل مقنع، أين تكمن انحرافاتهم وضلالتهم. وحول نوايا بطرس المبجل هذا تشهد رسالته التي وجهها إلى العرب، ويقول فيها: (من بطرس الفرنسي الجنسية، المسيحي العقيدة، الآباتي في الخدمة الكنسية، من أولئك الناس، الذين يُطلق عليهم الرهبان.. إلى العرب، أبناء إسماعيل، الذين يتبعون قانون الرجل، الذي يدعى محمداً^(٢)).

وإنه لمشار اهتمام، حقاً، أن الوعي المتغير ورؤية الإسلام بدأ مع إعادة تمحيص اعتبارات ثيوبولوجية. وقد ظهرت كتيبات لاهوتية لدحض الإسلام مشتقة من اللاهوت الفلسفي أكثر من اعتمادها على الكتب المقدسة. فعلى سبيل المثال، أكمل انسلام (Anselm) مؤلفه Curdeus في ١٠٩٨، وأهداه وسلمه بيده إلى البابا اربن الثاني "Pope urban" في ذلك الصيف، بالقرب من ميدان معركة كابويا "Capua" وقد استوحى المؤلف كثيراً من مصادره من دحض الآراء المتعلقة بذات الله كتلك التي

(١) الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم، ص ٧٢ - ٧٥.

(٢) المرجع السابق، ص ٧٩.

اعتنقها الإسلام. وما يخطر على البال للوهلة الأولى اسم بيتر المبجل Peter the Venerable (١١٥٦) وكتابه Corpus cluniacense (ترجمات ١١٤١ - ١١٤٣) بما فيها الترجمة اللاتينية الأولى للقرآن والتي ترجمها روبرت الأكيوني "Robert Ketton" كما لا يغيب عن البال أيضاً توماس أكويناس "Thomas Aquinas" (١٢٢٥ - ١٢٧٤) وبحثه De rationibus fidei contra Saracenos Graecos et Armenos عام ١٢٧٠، وأيضاً "Summa contra gentiles" والذي لا تاريخ محدد له. ونحن نفكر أيضاً في ريموند مارتى "Raimond Marti" (١٢٨٤) الذي كان يعرف العربية، وبحثه ضد أخطاء القرآن في زعمه عام ١٢٦٠ ومؤلفه Pugio fidei adversus Mauros et Ludaeos الذي كتبه عام ١٢٧٨ ومؤلف روجر بيكون "Roger Bacon" (١٢٩٤) المعنون: Moralis philosophia وأيضاً Opus tertium.

وإلى جانب مغزاها الديني والاجتماعي - السياسي فإن العلاقات بين الغرب اللاتيني والعالم الإسلامي كانت مهمة جداً على المستوى الحضارى يقينا أن الغرب قد اقتبس معظم أساطيره وقصصه عن محمد والإسلام من البيزنطيين والمسيحيين العرب في وقت الحملات الصليبية مضيفاً إليها من خيالاته^(١).

ومن الجدير بالذكر أن الإيطالي أ. أريفابن (A. Arrivabene) قام سنة ١٥٤٧ بترجمة معانى القرآن (اعتماداً على النسخة الكلونوية) من اللاتينية إلى الإيطالية، وكانت هذه الترجمة مثل سابقتها الهولندية والألمانية مستندة إلى النص اللاتيني لمعاني القرآن الذي ترجمه كتنتر^(٢).

(١) الإسلام والمسيحية في العصور الوسطى، د/ رشا حمود الصباح، عالم الفكر، العدد الثالث، ١٩٨٤، ص ٨٩.

(٢) الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم، ص ٨٢.

وخلافاً لبطرس المبجل، فإن القديس توما الأكويني عد المسلمين وثنيين وليسوا هرطقة مجدفين. ومن هذه الزاوية كان الأكويني يرى أن المسلمين في بعض الحالات أقل ارتكاباً للآثام والخطايا، قياساً للهرطقة المجدفين من البدع المسيحية (مثلاً، لأنهم لم يعترفوا بأهمية الإنجيل ومكانته الاستثنائية)، وفي حالات أخرى يعتقد الأكويني أن المسلمين كانوا أكثر آثاماً وخطايا، من حيث إن مناقشاتهم مغلوطة في المسائل والقضايا العقائدية الأكثر اتساعاً وشمولية^(١).

وحقيقة الأمر فإن "مواقف توما الأكويني تجاه ثقافة المسلمين وحضارتهم، كانت في الغالب انتقائية، تماماً كما كان الأمر عند دانتي. فهو (أى الأكويني) رغم اعترافه بالشهرة الفلسفية للعرب، يحتفظ بقناعة يقينية راسخة حول تهافتها من حيث المضمون اللاهوتي.

ولقد أولى توما الأكويني محمداً ورسالته اهتماماً محدوداً جداً في واحد من فصول كتابه (الرد على الخوارج) (خلاصة الرد على الأمم الخارجة عن المسيحية). لكنه لم يخرج كثيراً عن إطار القوالب الذهنية التي سادت في الفكر الأوروبي في عصره، إذ وضع الانتشار السلمى للمسيحية في مقابل ما أسماه (بالانتشار الإكراهي) للإسلام. ويقوم تفسيره لظاهرة انتشار الإسلام على أطروحة مؤداها أن محمداً آمن بدعوته في بادئ الأمر الناس الجهلة البدائيون فقط، أولئك الذين يعيشون في الصحراء، ولم يسبق لهم أن عرفوا أى تعليم أو عقيدة إلهية. وعن طريق هؤلاء البدو-الصعاليك أجبر محمد بقوة السيف بقية الناس في المنطقة على الامتثال إلى شريعته. ويؤكد توما الأكويني المزاعم القائلة: إن محمداً أغوى كثيراً من الشعوب للدخول في عقيدته، من خلال تشجيعه إياها على الحصول على الملذات والشهوات الحسية، وعن طريق الوعود التي قطعها لها ضمن هذا التوجه الغريزي. ويتابع الأكويني السير في هذا المنحى

(١) المرجع السابق، ص ٨٣.

المتحيز، مؤكداً أن محمداً أسس (قواعده) و(أحكامه) التشريعية، التي تتناسب مع قدرات وإمكانات العقل المتوسط وحسب. ثم يصل من كل هذه الأطروحات المتسلسلة إلى القول: إنه لكي لا يكتشف أتباعه زيف شريعته، فإن محمداً منعهم من قراءة كتب العهدين القديم والجديد (خلاصة الرد على الخوارج)، ١، ٦،^(١).

وبالمناسبة، فإن توما الأكويني لا يستخدم كلمة (القرآن) بتاتاً، وإنما يحل محلها عبارة (قوانين محمد).

وفي مؤلفه الصغير: (براهين الإيمان ضد المسلمين) (الساترين كما يسميهم)، والإغريق، والأرمن) يقدم توما الأكويني النصائح اللازمة لأخيه في الرهبانيات الدومينيكانية، وللهيئة الكنسية في أنطاكية، حول كيفية الرد على أسئلة المسلمين وتفنيدهم حججهم^(٢).

وفي هذا السياق يمكن القول بوجود مؤلفين منفصلين عن الإسلام كتبهما في القرن الثالث عشر للميلاد غليوم الطرابلسي (مات بعد سنة ١٢١٧م)، وهما:

١ - (رسالة حول إمبراطورية أحفاد إسماعيل (العرب المسلمين) وتبيهم المزيف محمد).

٢ - (محمد وكتاب شريعة المسلمين).

ومع أن غليوم هذا يشوه بشدة صورة محمد وسيرته، التي يلونها بكثير من الحكايات الخرافية المتناسبة مع عصر المؤلف ووسطه (الثقافي - الإيديولوجي)، إلا أنه في الوقت ذاته يشير إلى ملامح وسمات عامة مشتركة بين الإسلام والمسيحية، حيث

(١) نفسه، ص ٨٣، ٨٤.

Islamochristiana Vol. 1-12 (Roma, 1975- 1986), Vol. 6. P. 266. (٢)

نقلًا عن الإسلام والمسيحية، ص ٨٤.

يعتقد أن عقيدة المسلمين قريبة من الإيمان المسيحي، وأنهما غير بعيدتين كثيراً سواء عن بعضهما، أو عن الطريق المستقيم الصحيح (١).

القرن ١٤، ١٥ الميلادي :

يلاحظ في هذه الفترة أن ريموند لول استطاع "أن يقنع الجمع الكنسي سنة ١٣١١م بإصدار القانون رقم ١١، الذي يقضى بتدريس اللغات الشرقية في أربع جامعات أوروبية هي جامعات: باريس في فرنسا، وأكسفورد في إنكلترا، وبولونيا في إيطاليا، وسلمنكا بإسبانيا. وقد تضمن هذا القانون إجراءات تنفيذية تنص على تخصيص كاثوليكيين لكل جامعة من هذه الجامعات الأربع، يقومون بتدريس اللغة العربية والكلدانية والعبرية واليونانية.

أما الراهب الدومينيكاني (المعاصر لريموند لول) ريكولدو دي مونتى كروتشييه (مات عام ١٣٢٠م)، فإنه ترك حقل التدريس، واتجه إلى التبشير المباشر في الشرق. ثم عمم نتائج دراساته النظرية للإسلام، وخبراته الميدانية في التبشير في مؤلف أصدره تحت عنوان (ضد قانون الساراتيين) أو بعبارة أوضح (ضد شريعة المسلمين) (٢).

ومن النصف الثاني من القرن الخامس عشر والنصف الأول من القرن السادس عشر استؤنفت أعمال الترجمة والعلاقات الثقافية بين إيطاليا والعرب، وإن كانت على نطاق غير واسع. ففي بولونيا وبادوا، حيث كان للرشدية تأثير مهم في تطور الفلسفة الطبيعية، استؤنفت من جديد ترجمة المؤلفات والرسائل الطبية لابن سينا، والشروح التي وضعها ابن رشد على أرسطو (٣). وإلى تلك الفترة بالذات تعود أول

(١) R. W. Southern. Westren. Views of Islam in the Middle Age, P.62.

نقلًا عن الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم، ص ٨٤-٨٥.

(٢) الإسلام والمسيحية، ص ٨٨.

(٣) N. Rescher. The Impact of Arabic Philosophy on the West.- Studies in Arabic

Philosophy. P.149، نقلًا عن الإسلام والمسيحية، ص ٦٢.

ترجمة لاتينية لقصة (حى بن يقظان) الفلسفية، التي وضعها ابن طفيل، وقام بتلك الترجمة (إلى اللاتينية) بيكو ديلاً ميراندولا^(١).

ولكن فى المجال المعرفى البحت، تنامى موقف اللامبالاة والتجاهل إزاء الفكر العربى الإسلامى. وبدأت أوروبا تتجه أكثر فأكثر نحو العلوم القديمة. والأصعب من ذلك أن الأوروبيين صاروا ينظرون إلى ترجمات العرب للمؤلفات اليونانية على أنها زائفة، وليس لها قيمة علمية حقيقية. بل إن صفة (عربى) ذاتها، حملت فى هذا السياق نوعاً من المضمون التحقيرى - الازدراى^(٢).

وفى هذا الإطار هناك عدة ملاحظات حول طبيعة التناول الغربى للمسيرة النبوية فى هذا العصر من أهمها:

١ - تعميق الكراهية ضد الإسلام ومحاولة توظيفها من الجانب الغربى والإيطالى طبقاً لتوجهاته وأهدافه السياسية.

٢ - المبالغة فى التوصيف الغربى المستخدم للشخصية الإسلامية عموماً وشخصية الرسول ﷺ خصوصاً.

٣ - تدنى مستوى المصادقية فى طبيعة المعلومات المذكورة عن الإسلام عموماً والرسول ﷺ خصوصاً.

القرن ١٦، ٢٠:

وطوال هذه الأزمنة، لم يظهر اسم الرسول الكريم ﷺ فى الكتابات الغربية إلا برفقة نعت واتهام ينم عن سوء الفهم الكامل للحضارة العربية - الإسلامية. وبعد

The Legacy of Islam. Ed. By J. Schacht, C. E. Bostworth (Oxford, 1974), (١) P.383.

نقلًا عن الإسلام والمسيحية، ص ٦٢.

(٢) الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم، ص ٦٢.

انتهاء حركة الإصلاح الديني Reformation واستقرار إفرانها، كان على بعض رجال الكنيسة آنذاك أن يصبوا جام غضبهم على الربوبيين. في (رسالة إلى الربوبيين)، حاول دين بريديوكس Dean Prideaux أن ينسب الكثير من الأباطيل للرسول ﷺ، وهذه الرسالة كانت إلى حد بعيد تجسد الفكرة السائدة في أوروبا عن الإسلام. وليس من المبالغة القول بأن درجة تشويه الشرق العربي - الإسلامي وصلت حداً أصبح فيه الإسلام "تهمة" استعملها البعض ضد خصومهم: فقد وصف أحد الأساقفة مفكراً يختلف معه بالآراء بأنه "مسيحي محمدي". (Watt, 249-50) يقول الباحث "واط" أنه بتقدم الزمن بدأت اللهجة المضادة للشرق العربي - الإسلامي تأخذ نبرة جديدة، نبرة تؤكد سوء الفهم واللفظ ذاته، وهي: اعتبار الإسلام صورة ثانية، ولكن غير صحيحة، للمسيحية، وكان جون تولاند Toland من القائلين بهذا الرأي. ونتيجة دوافع معقدة ومتنوعة تكرر هذا الاتجاه وتم استخدامه بطرائق مختلفة: فقد قارن ألكساندر روس Ross بين "الورع والتفاني وأعمال الرحمة" التي يظهرها المسلمون وبين "اللا إكترات بالدين، وارتخاء محاوراتنا" (مقتبس في: Watt, 250) وذلك على سبيل حث واستثارة الإيمان الروحي في بلاده. وعلى أساس من رفضهم للديانات على نحو عام ومناهضتهم للمسيحية على نحو خاص، نجح بعض الكتاب في النظر إلى الإسلام على نحو مادي - دنيوي، أقل تعصباً، كما فعل بيير بايل Pierre Bayle في مقالته "محمد" Mahomet ضمن كتاب (القاموس) ١٦٩٧م، وبرز الحال ذاته في بعض المقاطع من كتاب (انحطاط وسقوط الإمبراطورية الرومانية) لإدوارد جيبون Gibbon^(١).

لا شك أنه "في الفترة الواقعة بين القرنين السادس عشر والثامن عشر، جرت في أوروبا عملية فكرية بطيئة، ضمن إطار دائرة ضيقة جداً من المختصين، فيما يتعلق

(١) التغير الغربي، الشرق، الاستشراق، أدب الصحراء، محمد عبد الحسين الدعوى، ص ٣٨.

بتراكم المعارف العلمية عن الشرق العربي والإسلام. مع أنه لابد من الإشارة هنا، إلى أن الاستعراب - في تلك الفترة - لم يكن قد تبلور بعد في حقل مستقل ومتميز في مجموعة العلوم الإنسانية، حيث ظهر الاستعراب في بادئ الأمر كفرع تطبيقي في ميدان الدراسات الإنجليزية والتاريخ الكنسي. في حين أن التخصصات في قضايا دراسة الثقافة العربية بذاتها، لم تتضح معالمها وعناصرها العلمية الكافية.

ونشير في هذا السياق إلى المبادرات الأكثر أهمية والأعمال الأشهر في تلك المرحلة التاريخية، التي هيأت في كثير من جوانبها التربة المناسبة للتقدم المطرد لعلم الاستشراق الأوروبي في القرن التاسع عشر (١).

ومما يلفت النظر أنه "وفي الربع الأخير من القرن السابع عشر صنف ر.سيمون، الذي اشتهر بكتابه (التاريخ النقدي للعهد القديم) كتاب (التاريخ النقدي لعقيدة شعوب ليفانته وعاداتها). وفي عام ١٦٩٧ وبعد موت بارتيليمي دي - إريبلو، طبع مؤلفه الشهير (المكتبة الشرقية)، الذي كان من حيث الجوهر والأهمية، أول موسوعة جدية عن الإسلام. وفي ما بين ١٦٩١-١٦٩٨ نشر لودوفيكو ماراتشي أول طبعة علمية للقرآن، مترجمة إلى اللاتينية، ومرفقة بتفسيرات وشروحات مستفيضة، وكذلك بآخر التفهيمات الموجهة ضد الإسلام (٢).

وفي هذا السياق وفي "مطلع القرن الثامن عشر ألف أستاذ اللغة العربية في (كمبردج) س. أوكللي كتاب (تاريخ الساراتيين) (العرب المسلمين / خ.ج.٠)، وهو أول كتاب علمي ينشر في إنكلترا عن تاريخ العرب. وفي سنة ١٧١٧ نُشر كتاب أ.ريلان (عن الديانة المحمدية)، أي عن تاريخ الإسلام، وقد لعب هذا العمل دوراً مهماً في تغيير كثير من تصورات الأوروبيين حول هذه الديانة. وبعد مرور مدة غير

(١) الإسلام والمسيحية، ص ٩٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٩٤.

طويلة، وتأثير من الكتاب المشار إليه نشر الكونت دي بولينغلي مؤلفاً بعنوان (حياة محمد) (١).

فضلاً عن ذلك، عانت تلك المرحلة، سواء في الأوساط الأكاديمية، أو في الأوساط الكنسية، من هيمنة قوية للأفكار والقوالب الذهنية والتصورات القديمة المشوهة حول الإسلام، أما الجديد في هذا الاتجاه فيتمثل في تحميل تلك الأفكار والقوالب والتصورات (القديمة) شحنة إيديولوجية مغايرة تماماً (٢).

وفي مستهل القرن التاسع عشر "جاء التطور الكبير في الاستشراق مع بداية عصر الاستعمار وظهر بذلك نقد تاريخي للعلوم الإسلامية وقد حد ظهور هذا الاتجاه العلمي في القرنين ١٩، ٢٠ من مجادلات المسيحيين ضد الإسلام واتجه بهم إلى محاولة الدراسة والفهم الموضوعيين وقد حدث تطور واضح في هذا الاتجاه. وقد ظهر العديد من الدراسات القيمة في هذا المجال منها:

دراسات تاريخية نقدية تكرم النبي محمداً ﷺ منها: دراسات جوستاف فايل (G. Vaeil)، الويس شبرنجر (A. Sprenger)، وليام موير (W. Muir)، ليونيه قيطاني (L. Caetani)، تور أندريه (T. Avdrae)، ريشارد بليشير (R. Blacher)، منتجمري واط (M. Watt) (٣).

وفي ٢٦ كانون الثاني (يناير) سنة ١٩١٩ فجر أسين بلاثيوس قنبلة علمية كبرى، عندما قدم بحثاً استهلالياً بمناسبة تعيينه عضواً في الأكاديمية الملكية الإسبانية

(١) Y. Moubarac., Recherches sur la pensee chretienne et L'Islam dans les temps modernes et a l'epoque contmporain (Beyrouth, 1977), PP. 103-105.

(٢) الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم، ص ٩٤، ٩٥.

(٣) الترجيد والنبوة والقرآن في حوار المسيحية والإسلام، دراسة تحليلية نقدية، جوزيف فان. إس، د/

السيد محمد الشاهد، ص ٢٩.

عنوانه: (الأخريات الإسلامية في الكوميديا الإلهية) (ونشر في مدريد في العام نفسه - ١٩١٩م). وقد أثار هذا البحث الضخم هزة كبيرة في مختلف الأوساط العلمية في العالم كله، نظراً لخطورة المشكلة التي أثارها وهي - تأثر دانتى بالتصورات الإسلامية للأخرة في رائعته الخالدة: (الكوميديا الإلهية). وجاء بنتيجة جهد علمي عظيم وبحوث مضية دامت لأكثر من عشرين سنة متواصلة. (ومن الجدير بالذكر هنا أن هذه المسألة كانت قد طرحت للمرة الأولى أمام المختصين بالدراسات الدانتية في سنة ١٩٠١م من قبل الفرنسي المتخصص بالإيرانيات إ. بلوشيه في بحثه: (المصادر الشرقية للكوميديا الإلهية).

وفي سنة ١٩٤٩م استؤنف النقاش مجدداً حول هذه المسألة، حيث أصدر إنريكو تشيرولي، المستشرق الإيطالي وسفير بلاده في طهران، كتاباً بعنوان (المعراج ومسألة المصادر العربية - الإسبانية للكوميديا الإلهية). ولتدعيم رأيه في هذا المجال ضمن تشيرولي كتابه هذا الترجمة اللاتينية والفرنسية القديمة لأحد نماذج المعراج الإسلامي، الذي قام بترجمته في سنة ١٢٦٤م من العربية إلى القشتالية إبراهيم الحكيم الطبيب اليهودي. وبذلك أيد تشيرولي فكرة بلاثيوس في احتمال نقل برويتو لاتيني لدانتى معلومات تفصيلية من قصة الإسراء والمعراج^(١).

والواقع أن محاولات الكشف عن الصلة المباشرة بين إبداع دانتى والتراث الإسلامي، أسفرت عن نتائج متضاربة وقلقة للغاية. ولكن الجهد الذي جرى وانصب في هذا الاتجاه ساعد على كشف أوجه وجوانب جديدة للعلاقات والصلات الفكرية المتنوعة والتناظرات القائمة بين هاتين الثقافتين الدينيتين^(٢). وفي الإصدار الأخير من

(١) الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم، ص ٦٠، ٦١.

(٢) انظر: عرض المسألة في مقالة ف. غابليري دانتى والإسلام في الثقافة والآداب العربية في القرون

الوسطى، موسكو، ١٩٧٨، ص ٢٠٣-٢٠٨ / بالروسية، نقلاً عن الإسلام والمسيحية ص ٦١.

(قراءات دانتيّة) نوقشت مشكلة (دانتي والإسلام) في دراسة الباحثة الطاجيكية م. شهيدى^(١).

ومما يجدر ذكره أن قضية الوضع الديني لنبي الإسلام (محمد)، هي واحدة من الإشكاليات المعقدة في الحوار المعاصر بين هاتين الديانتين. فاللاهوتيون الكاثوليك يعترفون بـ (الدور الإيجابي التاريخي لمحمد)، لكنهم لم يوفقوا بعد إلى عبارات إنشائية مناسبة لوصف المآثر الحمديّة بصيغ لاهوتية-عقائدية مسيحية. ويحضرنا في هذا السياق مثال المؤتمر الإسلامي - المسيحي الثاني، الذي عقد في آذار ١٩٧٧م (في قرطبة)، وكرس لمناقشة موضوع (تجليل محمد وعيسى في الإسلام والمسيحية)، والذي اشترك فيه أكثر من مئتي لاهوتي وعالم إسلاميات. ولكن مجموعة من الأقطار العربية رفضت إرسال مندوبين عنها إلى المؤتمر، محتجة بعدم جدوى أي حوار بين الديانتين، (ما دام أن الكنيسة لن تغير رسمياً موقفها من النبي محمد)^(٢).

إن نظرنا إلى السيرة النبوية في الاستشراق الإيطالي بمنظور تاريخي يكشف لنا عن خطورة المسألة وعمق تأثيرها وأهميتها في تحريك دفة الاستشراق تجاه شخصية النبي ﷺ ودعوته بل إن ما دار بحثه يكشف لنا عن الجوانب السلبية الآتية:

١ - من وجهة النظر الغربية المسيحية فإن الإسلام يمثل لهم خلفية إشكالية لاهوتية عميقة.

٢ - لم يعرف الغربيون عموماً والإيطاليون خصوصاً شيئاً أصيلاً عن سيدنا محمد ﷺ حتى بعد مرور ٤٠٠ عام على بعثته ﷺ.

(١) انظر: م. شهيدى: أبو علي بن سينا نزيل اللمبر. قراءات دانتيّة لعام ١٩٨٥ (موسكو ص ١٠٥-١٧٤/بالروسية) عن المسيحية والإسلام ص ٦١.

(٢) E. Aguilar. The Second International Muslim- Christian Congress of Cordobe.- Islamochristiana. Vol. 3. (Roma, 1977), PP. 207-209.

نقلًا عن الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم، ص ١٤٢ - ١٤٣.

٣ - منذ ظهور الإسلام على الساحة العالمية فإن الكتاب المسيحيين خاصة في العصور الوسطى رسموا صورة مشوهة لشخصية النبي ﷺ وحياته.

٤ - التصور النمطي المشوه عن الرسول ﷺ لم يتشكل بسبب ضعف في المعرفة الأوروبية لهذا النبي بل نتيجة لمكونات ميشولوجية ولاهوتية.

٥ - يمثل العصر الوسيط رافداً أولياً مهماً من روافد تشكيل العقلية المسيحية تجاه صورة النبي ﷺ، وتتعاظم أهمية هذا العصر مع التعرض لمناقشة التناول الإيطالي لسيرة النبي ﷺ وصورته لدى دانتي على اعتبار أنه يمثل معلماً أدبياً واضحاً لدى الغرب عموماً في هذا العصر والإيطاليين خصوصاً.

من هنا فإن واجب البحث والاتصاق بين عصرين أشد ما يكون البعد بينهما بين العصور الوسطى والعصر الحديث والمعاصر واخترنا لهذين العصرين نموذجين أشد ما يكون التباين بينهما والاختلاف في الهدف والعقلية وواضحاً.

فبينما يهاجم دانتي الرسول ﷺ بثلاثة تدافع فاغلييري ويعقلية واعية عن مجمل الاتهامات الغربية للرسول ﷺ وهذا ما دعانا لأخذ النموذجين حيث تكون الصورة مشوهة حسب النموذج الأول (دانتي)، فإن الصورة واقعية وإنسانية في النموذج الثاني (فاغلييري)؛ لأن الصورة بينهما تظهر مختلفة تماماً، وهذا ما استبدية لنا الدراسة.

الجوانب المنهجية لسيرة النبي في الاستشراق الإيطالي

دانتى - ثورا فيشا فاغلييري) نموذجاً

انصب تحليلنا السابق من الدراسة على قراءة نقدية تاريخية نتيجة لطبيعة الاقتباسات (الأوروبية - الإيطالية) عن سيرة سيدنا محمد ﷺ وعلى إبراز الملامح التاريخية العامة لهذه الصورة.

وبما أن مدار البحث يلزمه فتح نوافذ (تطبيقية- منهجية) للاستشراق الإيطالي تؤدي إلى طرح وجهات نظر إيطالية مختلفة تجاه السيرة النبوية فإننا سنتعرض للجوانب المنهجية لسيرة النبي ﷺ في الاستشراق الإيطالي عبر نموذجين.

الأول - دانتى :

على اعتبار أنه يمتلك نفس الرؤى والمعايير غير الموضوعية التي اتصف بها المجتمع الغربي وقتها (العصر الوسيط) عموماً والإيطالي خصوصاً.

الثاني - ثورا فيشا فاغلييري :

على اعتبار أنها تمثل أهمية نسبية للخصائص العلمية والعوامل الموضوعية للاستشراق الإيطالي، وبامتلاكها لحجج ومعايير منطقية وفريدة طبقتها عندما ناقشت شخصية سيدنا محمد ﷺ وطبيعة دعوته.

١ - دانتى - تقدم أعمى ورؤية جاهل :

كيف تؤثر الكراهية ؟

من المهم أن ندرك منذ البداية أن تحليل أفكار دانتى التي ظهرت في العصور الوسطى ونقدتها ليس غرضاً مقصوداً في حد ذاته، وإنما هو وسيلة للكشف عن الخلفية الكامنة وراء أنماط التفكير الإيطالي المتأصلة بعمق في العصور الوسطى والتي استمرت - وللأسف - تؤثر في فكر كثير من المستشرقين.

ويقينا أن القدر اللازم للبحث هنا هو قياس منظور الخصائص العامة التي أقام على أساسها الإيطاليون نظرتهم تجاه سيرة سيدنا محمد ﷺ في العصور الوسطى، وبرأى فإن هذا المضمون يتوفر في نموذج دانتي مما ترتب على ذلك أن نخصه بالبحث كنموذج للمنهج وبالتالي يساعدنا على فهم الأسباب الدينية والفكرية والميثولوجية التي اتصف بها هذا العصر.

إن "موقف مسيحية القرون الوسطى من الإسلام حددته محطتان رئيستان: أولاهما: ضرورة التعلم منه، كونه الأقوى والأعلم من جهة، وثانيتهما: التصارع معه كعقيدة غريبة ومعادية من جهة أخرى. وإذا كان دانتي قد أفرد للفيلسوفين المسلمين ابن سينا وابن رشد مكاناً في (اللمبو)، الذي جمع فيه كل الخيرين من غير المسيحيين في (جحيمه)، فإنه وضع نبي الإسلام محمداً وابن عمه، الخليفة الراشد الرابع على ابن أبي طالب في الخندق التاسع من الحلقة الثامنة (في (الجحيم) الدانتي)، الذي يضم مثيرى الصدمات والانشقاقات الدينية والسياسية، (الذين يزرعون الفتن فيحصدون الأوزار) (الجحيم)، الأنشودة السابعة والعشرون ١٣٥ - ١٣٦، والأنشودة الثامنة والعشرون: ٢٢-٦٣). لقد ظهر محمد بعد المسيحية، فحمل بذلك إلى العالم انقساماً جديداً. أما على، ففي عهده انقسم الإسلام إلى ثلاثة أجنحة متعادلة كبرى، ولهذا فهو المذنب - كما يعتقد دانتي - في تقسيم الإسلام وشق صفوفه (ومن هنا يصوره دانتي بجذع مقطوع الرأس) (١).

تحليل لدوافع دانتي :

وإذا أردنا أن نعرف الدوافع الحقيقية لمثل هذه الكراهية تجاه سيدنا محمد ﷺ من قبل أدباء هذا العصر وخاصة دانتي فالحقيقة أنه "في العصر الوسيط تحديداً، أي في زمن

(١) الإسلام والمسيحية، ص ٦٥، ٦٦.

المبادلات الثقافية الأكثر فعالية، تشكلت في الوعي المسيحي (الشعوري واللاشعوري) القوالب النمطية الذهنية عن الإسلام، وهي التي نشأت في كثير من جوانبها بارتباط مسبق وارتهاان شرطي بنوع وطبيعة الموقف التقليدي للكنيسة من الإسلام. وبشكل عام، فإن صورة الإسلام المتكونة آنذاك، وهي مزيج متناقض لمعارف موضوعية مع تشويهات خطيرة، ضمت في الوقت ذاته تصورات في منتهى الخيالية (الفانتازيا) والتوهم، حيث هيمنت بشكل ثابت، راسخ لمدة تاريخية طويلة على عقل الإنسان الأوروبي ومنطقه ومداركه تجاه الإسلام وحضارته (١). ولهذا يمكن القول: إن التصورات الغربية المعاصرة حول دين المسلمين، لم تتكون وترسم في صفحة بيضاء خالية، وإنما انعكست في مرآة قديمة مشوهة. إذ (إن سكان أوروبا المعاصرة ورثوا عن أسلافهم من القرون الوسطى مجموعة عريضة وراسخة من الأفكار حول الإسلام، التي كانت تتغير تدريجياً مظاهرها الخارجية فقط، تبعاً لتغير الظروف في أوروبا ذاتها، وتبعاً لطبيعة علاقاتها ومواقفها المستجدة نسبياً مع البلدان الإسلامية وثقافتها الحديثة) (٢).

فالتصور النمطي المشوه عن الإسلام، لم يتشكل بسبب ضعف معرفة الأوروبيين بهذا الدين وحسب. حيث يشير الدارسون (لتصورات القرون الوسطى عن الإسلام) إلى ثلاثة مكونات (عناصر بنيوية)، أسهمت في تشكيل هذه القوالب النمطية، دون أن تتعارض فيما بينها، بل إنها تعايشت وتداخلت من التأثير والتأثير، وهي المكونات: الميثولوجية، واللاهوتية، والعقلانية. وعلى سبيل المثال فإن أدب أوروبا القرون الوسطى حول الإسلام وضع في غالبته العظمى من طرف رجال الدين المسيحيين،

(١) المرجع السابق، ص ٦٦، ٦٧.

(٢) N. Daniel. Islam. Europe and Empire, PP. 467- 468.

نقلًا عن الإسلام والمسيحية، ص ٦٧.

الذين استندوا إلى مصادر شديدة التمايز والتباين، كالحكايات الشعبية، وقصص الأبطال والحجاج والقديسين، والمؤلفات الجدالية - اللاهوتية الدفاعية للمسيحيين الشرقيين، وشهادات بعض المسلمين، وترجمات مفكريهم وعلمائهم. ولكن كانت المعلومة المقدمة تنتزع في معظم الحالات من سياقها الأصلي، ثم تقدم إلى القارئ الأوروبي. وبهذا الشكل شوهدت الوقائع بصورة متعمدة - واعية أحياناً، أو بشكل غير واع في أحيان أخرى. وفي إطار البحث الحماسي عن حل سريع (لمشكلة الإسلام) سيطرت في القرون الوسطى الموضوعات الدينية - الإيديولوجية^(١).

لقد "عكس دانتي في "الكوميديا الإلهية" موقفاً تقييمياً إيجابياً للفلسفة الإسلامية وأعلامها وموقفاً عدائياً من الإسلام والنبى محمد ﷺ مكرساً صورة الدين المسيحي "الحق" معتبراً الإسلام "كفراً" وهرطقة وهو أول من قرن صورة القديس الإيسيزى "المؤمن" الحقيقي وصورة السلطان المسلم "المتعجرف" والكافر، مثنياً فقط على السلطان صلاح الدين الأيوبي حيث برزت صورته إيجابية في مجمل نظام الدولة الإسلامية وهذا الموقف هو نتيجة مباشرة لفشل آخر الحملات الصليبية على الشرق الإسلامي التي تمت في زمن شباب دانتي.

إن تأثير دانتي على نشوء الثقافة القومية الإيطالية وعلى منظومة الفكر الأوروبي للنهضة شمل أيضاً تأثيره على مجمل فناني عصره في علاقته بالإسلام ديناً وفلسفة. وتأثير دانتي والكوميديا الإلهية لم يفقد وزنه حتى القرن التاسع عشر. إذن تعتبر الكوميديا الإلهية إحدى المصادر الأساسية التي لجأ إليها الرومانسيون كمعين فني وإبداعي^(٢).

(١) الإسلام والمسيحية، ص ٦٧ .

(٢) الاستشراق في الفن الرومانسي الفرنسي، د/ زينات بيطار، ص ٣٣، عالم المعرفة، العدد ١٥٧، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

وتتمحور الإشكالية "حول إيجاد سند ديني مسيحي للإسلام ونبيه. إذ إن المسيحية تعتقد أن الهدف من إرسال الأنبياء وعقائدهم منذ بدء الخليفة، ليس سوى تمهيد تدريجي لأجل بلوغ ذروة التاريخ الكوني، المتمثل بـ (التجسيد الإلهي) (في شخص المسيح). في حين أن محمداً، ظهر في دعوته وعقيدته بعد ستة قرون من ذلك الحدث الإلهي، على أنه خاتم الأنبياء والمرسلين، وأن الله أنعم عليه بالوحي المؤيد لرسالته، ولكن من وجهة نظر المسيحيين، فإنه لم يكن بمستطاع محمد أن يكون نبياً حقيقياً، أما عقيدته فهي الأخرى لا يمكن أن تكون صحيحة. ولهذا رأى المسيحيون في شخص محمد رجلاً مرتداً أو نبياً مزيفاً، لا يملك سوى الادعاءات والأضاليل، وفي تفسيراتهم الأقل تحفظاً صورة محمد كساحر، معاد للمسيح أو حتى إنه الشيطان ذاته. وصور الإسلام على أنه لون جديد من الهرطقة (اليهودية، أو المسيحية)، أو على أنه ضرب جديد من الوثنية^(١).

تبدو أفكار دانتي عن الرسول ﷺ، كما أسلفنا، صورة للكراهية قوية وواضحة واتهاماً واستنكاراً إلى أقصى حد وقد يتساءل المرء: كيف يمكن لأديب متسق التفكير بصفة عامة، أن يصرح بمثل هذه الاتهامات وأن ينحط في تفكيره لمثل هذه الدرجة؟ كيف يمكن للاتهام الذي يجعل فيه سيدنا محمد ﷺ بطبيعته شريراً بل أكثر شراً من غيره والعياذ بالله؟ وللإجابة على ذلك نقول: في استطاعتنا أن نستخرج من أعمال إيطاليين آخرين وقتها صورة مماثلة؛ في عدائنا للرسول ﷺ.

ودليلاً على ذلك فقد "هيمن على الإدراك (الوعي) الأوروبي في القرون الوسطى الموقف السلبي الصريح تجاه الإسلام والرسول، مع أن الأطروحات والمؤلفات المصنفة ضمن هذا المنحى كانت قد تعممت عندئذ بأشكال وصيغ مختلفة ومتمايزة جداً. أما

(١) الإسلام والمسيحية، ص ٦٧، ٦٨.

أكبر كمية من المؤلفات في تاريخ الإسلام، فقد وضعت عن نبيه محمد. فهذا - على سبيل المثال - راهب دومينيكانى (معاصر لدانتى) يزور بغداد، ويخرج على الأوروبيين بالحكاية الخرافية التالية: بما أنه لم تكن للشيطان قدرات ذاتية كافية لوقف انتشار المسيحية في الشرق، اخترع (كتاباً)، يمثل حلقة وسطى بين العهدين القديم والحديد، واستخدم لأجل هذه الغاية الشريرة (وسيطاً) من طبيعة الشيطان ذاته. أما (الكتاب) فهو القرآن، بينما (الوسيط) هو محمد، الذى يجسد دور المسيح الدجال (١).

ومن الأساطير التى نشرت عن النبى محمد (فى القرون الوسطى) تلك القائلة إنه ساحر كبير، استطاع عن طريق السحر والخداع تحطيم الكنيسة فى إفريقيا وفى الشرق، وأنه سمح بالدعارة والفسق، لكسب مزيد من الأتباع (٢).

وبصفة عامة، كانت دعوى التحلل الجنسى للمسلمين (وصولاً إلى حد القول والزعم بأن القرآن نفسه يتساهل ويتسامح مع اللواط) من أكثر القصص والموضوعات انتشاراً فى المؤلفات التى كتبها الأوروبيون عن الإسلام فى القرون الوسطى (٣).

ومن اللافت للنظر أن النبى محمداً ﷺ قد صُور "أحياناً وكأنه كان كاردينالاً للكنيسة الرومانية - الكاثوليكية. وكانوا يطلقون عليه اسم (ماهومت) أو (مومت) أو (موميتو)، الذى بعد أن قام بمحاولة فاشلة للجلوس على كرسى البابوية، هرب إلى شبه الجزيرة العربية، وبسبب تلك العقدة (عقدة الإحباط والفضل)، ومن أجل الثأر

Ph. Hitti. Islam and the West., P. 50.

(١)

نقلًا عن الإسلام والمسيحية ص ٧٢ .

R. W. Southern. Western Views of Islam in the Middle Age (Cambridge, 1962), (٢) PP.28-30.

نقلًا عن الإسلام والمسيحية، ص ٧٢ .

(٣) الإسلام والمسيحية، ص ٧٢ .

والانتقام أسس ديانته الجديدة^(١). وفي تأليف أخرى ألبسوا محمداً قوة ماردة جبارة، ذات منشأ جنى أو سحرى عظيم، أكسبته قدراته فائقة على خلق عجائب خيالية وهمية، فإنه على العكس من ذلك تماماً، حيث يتم التركيز على عدم قدرة محمد على تحقيق أى معجزة خارقة، الأمر الذى يرون فيه أحد البراهين الأساسية الحاسمة على ما أسموه بـ(زيفه) و(كذبه) و(ادعاءاته)^(٢) - كما يزعمون.

وبشكل عام، فقد تكونت فى وعى الأوروبيين (فى القرون الوسطى) ملامح اللوحة التالية عن الإسلام: إنه عقيدة ابتدعتها محمد، وهى تتسم بالكذب والتشويه المتعمد للحقائق، إنها دين الجبر، والانحلال الأخلاقى، والتساهل مع المذات والشهوات الحسية، إنها ديانة العنف والقسوة^(٣).

وانسجاماً مع الموقف المعادى، فقد رُسم الإسلام على هيئة نموذج قبيح سيئ يتعارض ويتناقض كلية مع النموذج المثالى للمسيحية بوصفها ديانة الحقيقة، التى تتميز بالأخلاق الصارمة وروح السلام، وبأنها عقيدة تنتشر بالإقناع وليس بقوة السلاح. وفى الوقت ذاته، وضمن هذا المنحى أيضاً نسبت إلى الإسلام بعض الرموز المسيحية التقليدية، ولكن بدلالات سلبية جديدة: مثلاً: صورة الحمامة كرمز للروح القدس فى المسيحية (إنجيل لوقا، الإصحاح الثالث: (٢٢))، ألصقت بالإسلام فى القصص الأوروبية، محملة بمعنى رمزى مغاير للمعنى (المسيحى) الأصلى. حيث نشرت على نطاق واسع فى أوروبا الحكاية الأسطورية، القائلة: إن محمداً درب الحمامة لتتقر حبوب القمح من أذنه، وبذلك أقنع العرب، أن تلك الحمامة هى رسول الروح القدس، الذى كان يبلغه الروحى الإلهى. وعممت هذه الحكاية المختلقة إلى درجة أن

(١) L. Gardet. Islam. Religion et communaate (paris, 1979), P.408.

نقلاً عن الإسلام والمسيحية، ص ٧٣ .

(٢) الإسلام والمسيحية، ص ٧٣ .

(٣) مونتغمرى وات، تأثير الإسلام على أوروبا، ص ١٠٣، نقلاً عن الإسلام والمسيحية، ص ٧٣ .

الشاعر الإنكليزي جون ليدهيت (القرن الخامس عشر)، الذى وضع سيرة حياة محمد، سمي لون تلك الحمامة - (حليياً أبيض). وردد هذه القصة المضحكة مؤرخون أوروبيون مثل وولتر رولى (المعاصر لشكسبير) مؤلف كتاب (التاريخ العالمى). بل إننا نقرأ عن شكسبير ذاته فى (هنرى الرابع، الفصل الأول، المشهد الثانى). كيف أن الملك كارل الثانى يتوجه إلى جان دارك صارخاً: (ألم تلهم الحمامة محمداً؟.. أما أنت فإن النسر، ربما ألهمك!)^(١).

وفضلاً عن ذلك "تنمو دائرة التخيل الأوروبى فى هذا المجال، وصولاً إلى القول بأن الإسلام أخذ فكرة الثالوث المقدس المسيحية (الأقانيم الثلاثة)، ولكن ضمن توجه وثنى لا توحيدى. ويزعم مروجو هذه القصة بأن المسلمين يعبدون ثلاثة كائنات جنية خفية أو ثلاثة أصنام كبرى، هى: ماهومت (محمد)، وأبوللو ووتروفونوس. وهذا ما جاء فى (أغنية رولان) أو (أغنية عن رولان) (الأبيات ٢٨٥٠ - ٢٥٩١)، حيث تحدث عن المسلمين، الذى انهزموا على يد كارل، نتيجة لسخطهم وحقدهم وكفرهم.. ساحبين من الكهف أصنامهم، محطمين تمثالى أبوللو وترفونوس.

وللحقيقة يجب القول: إن تلك الأساطير المختلفة تمثل سخرية مأساوية لأن النبى (محمداً)، الذى حارب أكثر من أى مخلوق آخر عبادة الأوثان، والذى حطم جميع أصنام الكعبة، يتحول فى تصور المسيحيين (إلى صنم يؤلهه أتباعه)، الذين يطلقون عليهم ازدراء واحتقاراً لقب (عبيد سارة) أو (أبناء الجارية).

ويشير فى هذا السياق إلى أن هناك "حكاية مسيحية أخرى، حازت دعم أسقف قرطبة فى القرن التاسع الميلادى، مفادها أن أتباع محمد وصحابته انتظروا أن تقوم الملائكة برفع جسده بعد وفاته إلى السماء، ولكن بدلاً من ذلك حضرت فجأة مجموعة

(١) الإسلام والمسيحية، ص ٧٣، ٧٤.

من الكلاب وصارت تمزق هذا الجسد . وبهذه الحكاية المختلقة يُفسر تحريم لحم الخنزير بالنسبة للمسلمين ، الذين يعتقدون أن الكلاب حيوانات نجسة أيضاً .

هذه التصورات المسيحية - الأوروبية المشوهة كانت لها في بعض الأحيان نتائج طريفة ومضحكة للغاية . ففي اللغة الإنكليزية اشتقوا في القرون الوسطى كلمة (mammet) من (maumet) ، المأخوذة بدورها من (Mamomet) ، والتي أصبحت في بداية الأمر تدل على معنى (الصنم) ، ثم تطورت دلالتها إلى معنى (دمية) و(صنيعة) أو (لعبة عرائس) . وبهذا المعنى استخدمها شكسبير في (روميو وجوليت) ، الفصل الثالث ، المشهد الخامس) ، حيث يقول :

And then to have a Wretched puling fool,

A whining mammet, in her fortunes tender,

To answer: ((I'LL not wed, I cannot love)).

ومعناها التقريبي :

وما بالك إذا كانت لديك حمقاء تعسة كالطفلة ، مثل دمية باكية ، وهي في ظروف سعيدة وتجييك : (لن أتزوج ، أنا لا أستطيع أن أحب) ^(١) .

فإذا كان (دانتي) في روايته الكوميديا الإلهية قد أفرد لابن سينا وابن رشد مكانا في ما يسمى (اللمبو) وهي ميناء جهنم ، دخل إليها ، وهي مقر عظماء العالم من غير المسيحيين ، فإنه قد وضع الرسول محمد ﷺ وابن عمه الخليفة الراشد علي بن أبي طالب في الخندق التاسع من الحلقة الثامنة (في الجحيم الدانتي) الذي يضم مشيرى الصدامات والانشقاقات الدينية والسياسية ، على حد تعبير دانتي (الذين يزرعون الفتن فيحصدون الأوزار) ^(٢) .

(١) المرجع السابق ، ص ٧٤ ، ٧٥ .

(٢) الرسول الأعظم ﷺ بين جهل المستهزئين به وهوان المنتمين له ، ص ٣١ .

والمأمل لهذه الرواية يدرك كما يقول مترجمها تأثر دانتى بما كان سائداً فى العصور الوسطى بين العامة والمؤلفات التى ألفها رجال الدين عن الإسلام ونبيه فقد تشكلت فى الوعى المسيحى القوالب النمطية الذهنية عن الإسلام، وهى التى نشأت فى كثير من جوانبها بارتباط مسبق بنوع وطبيعة الموقف التقليدى للكنيسة من الإسلام. وبشكل عام فإن صورة الإسلام المتكونة آنذاك قد ضمنت تصورات فى منتهى الخيالية والتوهم^(١).

هذا عدا هيافات وتفاهات عارية عن أى منهج علمى أو تحقيق تاريخى. لا يجمعها - مع تناقضها - سوى الحقد على هذه الشخصية ومحاولة تشويهه متعمد لها^(٢).

وهكذا فإن الاستعمال السائد حتى اليوم فى التسميات مثل: الدين الحمدي، والمحمديون. ليدل على الرغبة فى أن تظل النفوس مقتنعة بذلك الرأى الخاطئ القائل بأن تلك معتقدات انتشرت بفضل جهاد رجل، وأنه ليس لله مكان فى تلك المعتقدات. وفى الوثيقة التى صدرت عن سكرتارية الفاتيكان بعنوان (توجيهات لإقامة حوار بين المسيحيين) والتى اعترفت صراحة بأنه يجب مراجعة الطريقة التى تناولت الإسلام.

ولذا قالت (يجب مراجعة مواقفنا إزاء الإسلام، ونقد أحكامنا المسبقة. وعلينا أن نهتم أولاً بأن نغير تدريجياً من عقلية إخواننا المسيحيين فذلك يهم قبل كل شئ، ويجب التخلي عن الصورة البالية التى ورثنا الماضى أياها أو شوهتها الفريات والأحكام المسبقة، كما يجب الاعتراف بالمظالم التى ارتكبتها الغرب المسيحى فى حق المسلمين.

(١) المرجع السابق، ص ٣١، ٣٢.

(٢) نفسه، ص ٣٤.

وعلينا أن نتحرر من أكثر أحكامنا المسبقة خاصة، وهنا أيضا علينا أن نتطهر وبعثى من عقلياتنا، نقول ذلك ونحن نفكر بالذات فى بعض الأحكام المجهزة التى كثيرا ما نصدرها باستخفاف عن الإسلام، ويبدو لنا هاما وأساسيا أن نكف عن أن ننمى فى مكنون قلوبنا النظرات المتسرعة بل التحكمية تلك التى لا يتعرف فيها المسلم المخلص على نفسه (١).

إن المشكلة بالنسبة لدانتى وغيره من الإيطاليين وقتها، فى أننا إذا ما حاولنا دراستهم معاً لوجدنا أن لديهم اتهامات كثيرة قالوها ودونوها. وأن مثل هذه الاتهامات إذا ما قدمت فى هذا البحث وتولينا الرد عليها، فإنه يحتاج إلى دراسات قائمة بذاتها وموسعة. ولكن المسألة هنا أن نستخدم اتهامات رجل مثل دانتى لسيدنا محمد ﷺ كمقياس نقيس به حقيقة هذا المجتمع ورؤيته تجاه السيرة النبوية الشريفة.

لقد اتسم أصحاب هذا الاتجاه فى دراسة السيرة النبوية بعدة سمات أهمها:

- ١ - الانحياز إلى الدين المسيحي ضد الرسول ﷺ على حساب الحقائق والمعلومات.
- ٢ - غياب الموضوعية فى مؤلفات هذا الاتجاه حتى فى عناوينهم الرئيسة للبحوث.
- ٣ - الافتقار إلى معايير علمية صحيحة لدراسة السيرة النبوية.
- ٤ - غلبة الإطار الدينى والأيدىولوجى على كتاباتهم.

٢ - لورا فيشا فاغليرى - تقويم صحيح ومعايير منطقية:

تناول العديد من المستشرقين سيرة النبى ﷺ من عدة جوانب، وزوايا.

وعلى ضوء ذلك نرى أن هؤلاء المستشرقين قد ساروا فى بحوثهم من اتجاهين:

١ - الاتجاه العقدى.

(١) نفسه، ص ٩٣ - ١٠٣.

٢ - والاتجاه العلمى الذى انبرى فيه (عدد من المستشرقين الطليان ليقفوا جهودهم على فهم الإسلام ودراسته دراسة معاصرة بعيدة عن النقد أمام التيار الدينى الإيطالى المعادى الذى لا يتورع فى إظهار أحقادهم وضغائنه الدفينة ضد المسلمين.... فكان أن برز مستشرقون أمثال كارلوناالينو CARLO NALLINO وليونى كايثانى LEONE CAETANI ولاورا فاليرى LAURA VAGLIERI فى كتابه "دفاع عن الإسلام" APOLOGIA DELL ISLAMISMO .

أما كتاب كايثانى فهو "حوليات الإسلام" ANNALI DELL ISLAM وكذلك ظهرت كتابات فى دائرة المعارف الإيطالية ومؤسسة الدراسات الشرقية ومقرها مدينة نابولى ISTITUTA ORIENTALE وكانت تنشر مجلة تسمى مجلة المشرق الحديث ORIENTE MODERNO وغيرها (١).

ومهما اختلفت دوافعهم للعمل بميدان الاستشراق، وإن ظهر أثناء دراساتهم أوجه نظر متباينة، ورؤى مختلفة فى دراسة السيرة النبوية الشريفة.

ومن الاتجاهات العملية، والآثار الإيجابية للاستشراق فى السيرة النبوية ما قامت به المستشرقة الإيطالية لورا فيشا فاغليرى من تحقيق علمى سديد، يعد دليلاً على صدق بحوثها وموضوعية دراستها الأمر الذى جعله بحق مرآة صافية تعكس حياة صادقة لسيدنا محمد ﷺ من وجهة نظر غربية عموماً وإيطالية خصوصاً.

وقد حاولت لورا فيشا فاغليرى إيضاح الصورة الإنسانية فى شخصية سيدنا محمد ﷺ من خلال العرض المجمل فى كتابها الموسوم بـ (Apologia dell Islamismo) وقد قام بنشره أ.ف. فورميجينى؛ فى رومة، ايطالية، عام ١٩٢٥ .

أى "دفاع عن الإسلام"، أما الترجمات الإنكليزية فنشرت تحت عنوان:

(١) الاستشراق السياسى فى النصف الأول من القرن العشرين، مصطفى نصر السلاتى، ص ٢٢٠ .

An Interpretation of Islam أى "تفسير الإسلام"^(١). الذى مثل دوراً هاماً فى الدفاع عن الإسلام ونبيه ﷺ .

واللافت للنظر هنا ليس التوجهات العامة للكتاب ولكن العنوان نفسه الذى يعبر عن معرفة جيدة ودفاعات جريئة تفتحت معها عقلية واعدة استوعبت الفكر الاستشراقى استيعاباً عميقاً واستوعبت التراث الإسلامى والعربى استيعاباً صحيحاً. غير أن الباحث هنا لا يستطيع مطالعة الكتاب مطالعة شاملة وتفصيلية، ولكن المؤكد والمستطاع هنا ما أولته المستشرقة الإيطالية لبعض جوانب شخصية النبى ﷺ، عبر قراءة صحيحة لسيرته الشريفة.

ولعل طرق هذه الجوانب لشخصية سيدنا محمد ﷺ وإعادة قراءة سيرته من خلال هذا الكتاب تمثل استقراءً سريعاً لنتائج المستشرقة وأفكارها التى أودعتها مؤلفاتها القيمة فى الإسلاميات.

ملاح شخصية النبى ﷺ حسب رؤية لورا فيشيا فاغليرى :

لما كنا نهدف من بحثنا الاطلاع على السيرة النبوية وملاح شخصية الرسول ﷺ فى الاستشراق الإيطالى عبر المراحل التاريخية الرئيسة ومن خلال اختيار نماذج محل للبحث والدراسة مثل فاغليرى فيمكن تصوير ملاح شخصية النبى ﷺ حسب رؤيتها كما يلي :

١ - لم يكن النبى محمد ﷺ عدوانياً :

إن علينا، بادئ ذى بدء، أن ننظر فى تهمة "روح الإسلام العدوانية" هذه. فإذا كانوا يقصدون بها أن محمداً، على خلاف مؤسسى الأديان الأخرى، قد امتشق حاسمه ونظم حملات عسكرية متطعماً إلى نجاحات وفتوح إضافية بعيدة، وأن أتباعه حذوا فى

(١) دفاع عن الإسلام، لورا فيشيا فاغليرى، نقله إلى العربية منير البعلبكي، ص ٦، ط٤ آذار مارس، ١٩٧٩، دار العلم للملايين، بيروت.

ذلك حذوه فعندئذ يتعين علينا أن نقول: إن هذا صحيح - حسب قول فاغليري؛ ولكن يتعين علينا أيضاً أن نبحت، بالعقل المنفتح نفسه، عن السبب الذى قضى بهذا. أما إذا زعموا أن الحرب التدميرية كانت هى السبيل الضرورية لفرض العقيدة وأن الحاجة إلى الفتوح كانت جزءاً أساسياً من طبيعة الدين الإسلامى نفسها فعندئذ يتعين علينا أن نرفض الاتهام، وإن فى استطاعتنا أن نقيم الدليل، استناداً إلى القرآن وسنن النبى نفسه، على أن ذلك بهتان كامل.

كان من دأب الرسول، بوصفه نبياً موحى إليه، أن يخاطب المكيين ويحدثهم عن رؤاه السماوية التى طلب إليه أن يصبر على الأذى والتى أثارته سخط قريش. حتى إذا اتخذ القرار العسير بالهجرة إلى المدينة، وبذلك أصبح محور صراع سياسى، كان عليه أن يختار بين الموت على نحو مُذل، وهو أمر لا يتفق مع رغبات الله، وبين القتال لإنقاذ نفسه وجماعته الصغيرة من الهلاك. كان الصراع يدور بين الفوضوية، ومادية الوثنيين المتبريرين، ومخاصمات وأكاذيب اليهود غير المتسامحين على الرغم من تحضرهم البعيد، من ناحية، وبين مثل أعلى رفيع فى التجدد الدينى والاجتماعى، من ناحية ثانية.

ذلك كان المثل الأعلى الذى أراد محمد أن يحققه بأى ثمن، فقاتل قتال الرجل الوديع ضد الغطرسة والطغيان، أو قل قتال الرجل الذى لا يرغب فى الحرب ولكنه مُكره على منازلة أولئك الذين أصروا على تدميره بالقوة. وإنما نهض بهذه المهمة وأنصاره قلة قليلة، ولكنه نهض بها واثقاً من أنه كان يمهد السبيل لإيصال الحقيقة إلى كثير من النفوس، ومن أنه كان مكلفاً بأن يهدى الناس سواء السبيل فى غمرة الظلام. وكان لدى وصوله إلى المدينة قد مد يد الصداقة، أول ما مدها، إلى اليهود الذين مثلوا فى هذه المدينة جماعة غنية مزدهرة. لقد دعاهم إلى التعاون الصادق فى وحدة سياسية واجتماعية.

ولكنه حين أدرك أنهم معادون له عداء مطلقاً وأنهم مصرون على إتباع سبيل خاطئة غادرة تعين عليه أن يقاتلهم ويعاقبهم. كانت الحرب ضد الأعداء الخارجيين ضرورة من ضرورات العصر. فلم يكن في ميسور أيما عربي من الصحراء أن يكيف نفسه لحالة من السلم الدائم بعد أن تعود طوال قرون بكاملها أن يخوض غمار الحرب كعمل سوي. وهكذا، ما إن سوي محمد النزاعات الداخلية حتى اضطر إلى مواجهة عدوان قريش وتلك القبائل التي لم توقع معه أيما معاهدة. ولكن الحرب بمخاطرها وانتصاراتها العسكرية ساعدة على جعل الجماعة الجديدة كالبنيان المرصوص. لقد قدمت وسيلة البقاء الضرورية للرفاق الذين هاجروا مع الرسول من مكة إلى المدينة. لقد أرضت ميول البدو الطبيعية؛ وفي محيط متبربر جعلته الأخطار والجسارة والمغامرات جذاباً، مثلت واسطة لصيانة الحياة وتيسير تحقيق رسالة النبي. لقد كانت الحرب دائماً وسيلة لحماية الدين الجديد وتعظيمه، لا غاية في ذات نفسها. كانت دفاعاً ضرورياً، لا عدواناً جائراً^(١).

٢ - النبي المتسامح :

وكان محمد المتمسك دائماً بهذه المبادئ الإلهية، شديد التسامح، وبخاصة نحو أتباع الأديان الموحدة. لقد عرف كيف يتذرع بالصبر مع الوثنيين، مصطنعاً الأناة دائماً اعتقاداً منه بأن الزمن سوف يتم عمله الهادف إلى هدايتهم وإخراجهم من الظلام إلى النور. لقد اكتفى من البدو بما نستطيع أن ندعوه دخولاً رسمياً خالصاً في الدين لأنه عرف أن أبناء الصحراء هؤلاء لا يطيقون، بالفطرة، أيما صد أو كبح مهما يكن. لقد عرف جيداً أن الله لا يلد أن يدخل آخر الأمر إلى القلب البشري.

لقد قال ذات يوم لأحد صحابته: "لماذا تريد أن تكره الناس على الإيمان، والإيمان لا يمكن أن يأتي إلا من عند الله؟" ويوم نزلت الآيات التي تعالج موضوع

(١) المرجع السابق، ص ٢٩-٣١.

التسامح، لم يكن الرسول رجلاً حالماً تتبعه مجموعة صغيرة من الحالمين مثله، ولم يكن فيلسوفاً مشلولاً بوعيه لعدد متباين من القوي، ولكنه كان رجلاً فى أوج قوته، رجلاً يرأس دولة رفيعة التنظيم، ويقود جنوداً صالحين مطيعين كان فى ميسوره أن يستخدمهم ضد أى امرئ يقع اختياره عليه.

إن تاريخ السنوات الأولى من الإسلام يقدم إلينا عدداً من الأمثلة على التسامح الدينى الذى أظهره الخلفاء الأولون نحو أتباع الديانات الموحدة. فكما أعطى الرسول نفسه ضمانات إلى نصارى نجران بأن مؤسساتهم المسيحية سوف تصان، وأصدر أمره إلى قائد إحدى الحملات العسكرية إلى اليمن بأن لا يؤذى أيما يهودى فى يهوديته، وكذلك وجه الخلفاء إلى قادتهم العسكريين تعليمات مماثلة حول مسلك جيوشهم فى الحرب. ولقد حذا هؤلاء القادة المظفرون حذو محمد فى عقد الاتفاقات مع الشعوب المغلوبة. وبفضل هذه الاتفاقات منحت تلك الشعوب حرية الاحتفاظ بأديانها القديمة، وتقاليدها القديمة^(١).

٣ - الصادق الأمين:

وحاول أقوى أعداء الإسلام، وقد أعماهم الحقد، أن يرموا نبي الله ببعض التهم المفتراة. لقد نسوا أن محمداً كان قبل أن يستهل رسالته موضع الإجلال العظيم من مواطنيه بسبب أمانته وطهارة حياته. ومن عجب أن هؤلاء الناس لا يجشمون أنفسهم عناء التساؤل كيف جاز أن يقوى محمد على تهديد الكاذبين والمرائين، فى بعض آيات القرآن اللاسعة، بنار الجحيم الأبدية لو كان هو قبل ذلك رجلاً كذاباً؟ كيف جرؤ على التبشير، على الرغم من إهانات مواطنيه، إذا لم يكن ثمة قوى داخلية تحشه، وهو الرجل ذو الفطرة البسيطة، حثاً موصولاً؟ كيف استطاع أن يستهل صراعاً كان يبدو

(١) نفسه، ص ٣٣ - ٣٤.

يائساً؟ كيف وُفق إلى أن يواصل هذا الصراع أكثر من عشر سنوات، في مكة، في نجاح قليل جداً وفي أحزان لا تُحصى، إذا لم يكن مؤمناً إيماناً عميقاً بصدق رسالته؟ كيف جاز أن يؤمن به هذا العدد الكبير من المسلمين النبلاء والأذكىاء، وأن يؤازروه، ويدخلوا في الدين الجديد ويشدوا أنفسهم بالتالي إلى مجتمع مؤلف في كثرته من الأرقاء، والعُتقاء، والفقراء المعدمين إذا لم يلمسوا في كلمته حرارة الصدق؟ ولسنا في حاجة إلى أن نقول أكثر من ذلك، فحتى بين الغربيين يكاد ينعقد الاجتماع على أن صدق محمد كان عميقاً وأكيداً^(١).

٤ - عدله ورحمته ﷺ :

أما تهمة القسوة فالرد عليها يسير. إن محمداً، بوصفه رئيساً لدولة، والمدافع عن حياة شعبه وحرية، قد عاقب باسم العدالة بعض الأفراد المتهمين بجرائم معينة عقاباً قاسياً، وإن مسلكه هذا ينبغي أن يُنظر إليه على ضوء عصره، وعلى ضوء المجتمع الجافى المتبربر الذي عاش فيه. أما محمد، بوصفه المبشر بدين الله، فكان لطيفاً ورحيماً حتى مع أعدائه الشخصيين. لقد امتزجت في ذات نفسه العدالة والرحمة، وهما اثنتان من أنبل الصفات التي يستطيع العقل البشري تصورها. وليس من العسير تأييد هذا بكثير من الأمثلة المنشورة في سيرته. قال أحد الذين ترجموا له: "لقد جعل الحرب - تلك الضرورة الرهيبة في الحياة الإنسانية - أقل وحشية". وقال آخر إن الرسول كان من دأبه أن يوصى جنوده بقوله: "ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ولا تغدروا ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة"^(٢).

٥ - تهمة الشبق الجنسي ودفاع لورا فيشا :

سننظر في تهمة الشبق، وسنظهر أي مبلغ من النبل والرفعة انطوى عليه عملُ

(١) نفسه، ص ٣٧، ٣٨ .

(٢) نفسه، ص ٣٨، ٣٩ .

هذا المصلح الذى استطاع فى سنوات قليلة أن يحول شعباً وثنياً متبربراً إلى جماعة موحدة تعمرُ صدرها أسمى العواطف والخواطر الأخلاقية. ولسوف تدحض الوقائع وجهة نظر أولئك الذين لا يرون فى الكثرة الكاثرة من أتباع محمد غير مضارين وأنانيين ولصوص جشعين انضموا إليه بدافع من رغبتهم فى الغنيمة والفتح. ولو أننا أردنا تعداد الشواهد التى تُثبت حمية كثرة أتباعه الرائعة، ورأفتهم التى لا حد لها، وغيرتهم المتقدة إذن لاحتجنا إلى صفحات كثيرات. فحسبنا أن نقول: إن هناك أنواعاً من الصراع لا يمكن الفوز فيها ما لم يكن ثمة عامل أخلاقي بالغ القوة، إيمان دائم بعدالة القضية، ولقد كان الإسلام يملك هذا العامل^(١).

لقد أصر أعداء الإسلام على تصوير محمد شخصاً شهوانياً ورجلاً مستهتراً، محاولين أن يجدوا فى زواجه المتعدد شخصية ضعيفة غير متناغمة مع رسالته. إنهم يرفضون أن يأخذوا بعين الاعتبار هذه الحقيقة: وهى أنه طوال سنى الشباب التى تكون فيها الغريزة الجنسية أقوى ما تكون، وعلى الرغم من أنه عاش فى مجتمع كمجتمع العرب، حيث كان الزواج، كمؤسسة اجتماعية، مفقوداً أو يكاد، وحيث كان تعدد الزوجات هو القاعدة، وحيث كان الطلاق سهلاً إلى أبعد الحدود، لم يتزوج إلا من امرأة واحدة ليس غير، وهى خديجة، التى كانت سنها أعلى من سنه بكثير، وأنه ظل طوال خمس وعشرين سنة زوجها الخالص المحب. ولم يتزوج مرة ثانية، وأكثر من مرة، إلا بعد أن توفيت خديجة، وإلا بعد أن بلغ الخمسين من عمره. لقد كان لكل زوج من زواجهاته هذه سبب اجتماعي أو سياسي، ذلك بأنه قصد من خلال النسوة اللاتي تزوجهن إلى تكريم النسوة المتصفات بالقوى، أو إلى إنشاء علاقات زوجية مع بعض العشائر والقبائل الأخرى ابتغاء شق طريق جديد لانتشار الإسلام. وباستثناء عائشة، ليس غير، تزوج محمد من نسوة لم يكن عذارى، ولا شابات، ولا جميلات. فهل كان ذلك شهوانية؟

(١) نفسه، ص ٣٩.

لقد كان رجلاً لا إلهاً. وقد تكون الرغبة في الولد هي التي دفعته أيضاً إلى الزواج من جديد؛ لأن الأولاد الذين أنجبته خديجة له كانوا لسوء الطالع قد ماتوا. ومن غير أن تكون له موارد كثيرة أخذ على عاتقه النهوض بأعباء أسرة ضخمة، ولكنه التزم دائماً، على الرغم من عدد زوجاته الكبير، سبيل المساواة الكاملة نحوهم جميعاً، ولم يلجأ قط إلى اصطناع حق التفارق مع أى منهن. لقد تصرف متأسياً بسنة الأنبياء القدامى، مثل موسى وغيره، الذين لا يبدو أن أحداً من الناس يعترض على زواجهم المتعدد. فهل يكون مرد ذلك إلى أننا نجهل تفاصيل حياتهم اليومية، على حين نعرف كل شيء عن حياة محمد العائلية^(١)؟

٦ - طبيعة دعوته وأساس رسالته ﷺ :

ولقد دعا الرسول العربى، بصوت ملهم باتصال عميق بربه - دعا عبدة الأوثان وأتباع نصرانية ويهودية محرفتين إلى أصفى عقيدة توحيدية. وارتضى أن يخوض صراعاً مكشوفاً مع بعض نزاعات البشر المرجعية التي تقود المرء إلى أن يُشرك بالخالق آلهة أخرى.

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① اللَّهُ الصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ④ ﴾ الإخلاص.

ولم يلجأ الرسول، لكي يقود الناس إلى الإيمان بإله واحد، إلى استهوائهم بروايات عن أحداث تنحرف عن سبيل الطبيعة السوى - تلك الأحداث التي تدعى معجزات. ولم يُكرههم على التزام السكينة باصطناع التهديدات السماوية التي لا تؤدى إلا إلى تعطيل قدرة الإنسان على التفكير. بل لقد دعاهم ببساطة، ومن غير أن يكلفهم الابتعاد عن عالم الحقيقة، إلى التفكير في الكون وسُننه. وإذا كان واثقاً من أن

(١) نفسه، ص ٩٩ - ١٠١.

كل عاقل لابد أن يؤمن آخر الأمر بالإله الواحد الواجب الوجود، فقد اكتفى بدعوة الناس إلى أن يقرأوا كتاب الحياة. وينص كل من محمد عبده وأمير علي على أن محمداً كان يكتفى بمخاطبة ضمير الفرد ذاته، وعقل الإنسان الحدسي (١).

وعلى الرغم من أن محمداً دعا خصوم الإسلام إلى أن يأتوا بكتاب من مثله، أو على الأقل بسورة من مثله سورة: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِمَّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٣) «البقرة»، وعلى الرغم من أن أصحاب البلاغة والبيان الساحر كانوا غير قلائل في بلاد العرب فإن أحداً لم يتمكن من أن يأتي بأى أثر يضاهي القرآن. لقد قاتلوا النبي بالأسلحة، ولكنهم عجزوا عن مضاهاة السمو القرآني (٢).

إن انتشار الإسلام السريع لم يتم لا عن طريق القوة ولا بجهود المبشرين الموصولة. إن الذي أدى إلى ذلك الانتشار كون الكتاب الذي قدمه المسلمون إلى الشعوب المغلوبة، مع تخييرها بين قبوله ورفضه، كتاب الله، كلمة الحق، أعظم معجزة كان في ميسور محمد أن يقدمها إلى المترددين في هذه الأرض.

وبالإضافة إلى العقيدتين الأساسيتين اللتين أشرنا إليهما آنفاً - وحدانية الله ورسالة محمد - فإن جميع العقائد الأخرى التي يؤمن بها المسلمون والمقبولة لدى الجماعة الإسلامية بعد قرون من الدراسة والمناقشة ليس من طبيعتها بأية حال من الأحوال أن تعوق العلم الحديث أو تعارض الحقائق الفلسفية (٣).

إن اتجاه لورا فيشا فاغليري المشيد بالإسلام ونبيه ﷺ استند أصحابه في موقفهم

الوسطى إلى النقاط التالية:

(١) دفاع عن الإسلام، ص ٤٣ - ٤٤ .

(٢) دفاع عن الإسلام، ص ٥٧ - ٥٨ .

(٣) المرجع السابق، ص ٥٩ - ٦٠ .

- ١ - نجاح هذا الاتجاه في الظهور بمستوى علمي وموضوعي مقبول إلى حد ما .
- ٢ - الصدق في نقل المعلومة وتحليل أحداث السيرة النبوية .
- ٣ - عدم كثافة التركيز على المصادر الغربية وحدها .

ونصل في ختام هذه المبحث الفرعي المتعلق بآثار الاستشراق الإيطالي في السيرة النبوية الشريفة إلى القول بأن لورا فيشا فاغليري رغم خلفيتها الدينية والاجتماعية الغربية إلا أنها قد قامت بدور إيجابي في توضيح صورة النبي ﷺ للغرب . وهذا الدور يعد أثراً علمياً ومؤلفاً موضوعياً يعتبر إعادة لصياغة علمية واستشراقية نزيهة لسيرة النبي ﷺ .

ملاحظات ختامية

١ - إن الكتاب الغربيين يجنحون في معظم الأحيان إلى تصديق أسوأ ما يقال عن محمد، وحيثما كان التفسير السيئ لعمل من أعماله تفسيراً مقبولاً في الظاهر اعتبروه كذلك في الواقع. ولذلك يجب علينا ألا نكتفى بنسبة محمد إلى الأمانة واستقامة الغاية إذا كنا نريد ولو قليلاً من فهمه.

"وإذا كنا نريد تصحيح الأخطاء التي ورثناها من الماضي فينبغي أن نستمسك عند كل قضية بالاعتقاد بإخلاصه حتى يتبين لنا العكس بحجة قاطعة. وينبغي أن نتذكر أن الحججة القاطعة مطلب أصرم من الحججة التي تبدو في الظاهر معقولة، وأنها لا تنال في مثل هذه الأحوال إلا بعسر"^(١).

٢ - إننا في مجال التشكيك والنفي الاعتباطي لا بد أن نتذكر العبارة التي قالها (مونتغمري وات) بهذا الصدد، "إذا أردنا أن نصحح الأغلاط المكتسبة من الماضي بصدد محمد فيجب علينا في كل حال من الحالات التي لا يقوم الدليل القاطع على ضدها، أن نتمسك بصلابة بصدقه، ويجب ألا ننسى أيضاً أن الدليل القاطع يتطلب لقبوله أكثر من كونه، وأنه في مثل هذا الموضوع يصعب الحصول عليه".

٣ - لم أجد سبيلاً يدعو بعض المستشرقين أو المبشرين إلى القول المغاير للحقيقة والعلم، حين قالوا بأن فترة طفولة النبي ﷺ، وفترة شبابه حتى نبوته "حياة النبي الأولى" لا نعرف عنها شيئاً، فكيف أجازوا لأنفسهم أن يقولوا ذلك، وهم يعلمون كما يعلم كل إنسان أتبع له شيء من الثقافة والدراسة التاريخية أنه لم تعرف ترجمة لحياة إنسان في التاريخ، كما عرفت ترجمة حياة محمد بن عبد الله، نبي الإسلام ﷺ، فلم يكن من أسرة مغمورة أو مجهولة، فهو حفيد سيد قريش

(١) منهج مونتغمري وات في دراسة نبوة محمد ﷺ، د/ جعفر شيخ إدريس، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ج١، ص ٢١٠.

وعظيمها عبد المطلب، وهو من تحدثت عنه مكة ويشرب، لما أحاط ولادته من ظروف قاسية، حيث توفي أبوه عبد الله في دار الغربية، في يثرب، تاركاً ابنه لم تلده أمه آمنة بعد، وما أعقب ذلك من حياته في حجر جده عبد المطلب، ومتابعة أخباره وهو في رعاية عمه أبي طالب، وما رافق ذلك من مشاركته في أحداث مكة، إلى تجارته إلى الشام بمال خديجة بنت خويلد، ثم زواجه منها، وقد أصبح ذلك حديث مكة، كما كان موقفه من خلاف بطون قريش حول إعادة الحجر الأسود إلى مكانه في الكعبة حديث مكة أيضاً، فهل يقال بعد ذلك إن هذه الفترة من حياته ﷺ كانت مجهولة، "ولسنا نملك بينة موثوقاً بها عن حياة النبي الأولى".

يقول هندي مسلم: "إن سيرته ﷺ معروفة منذ نعومة أظفاره إلى أن اختاره الله لجواره، ولا سيما الفترة التي أدى فيها الرسالة، ولست أغالي إذا قلت: إنني أعرفه أكثر مما أعرف أبوي، ثم أليس من العجيب، أننا لا نجد فيما أثر عنه - على كثرته - إلا كل ما يدعو إلى الاحترام والإعجاب؟ غيره من الأنبياء مضروب عليه حجاب من الغموض، ولا نعرف من حياتهم اليومية إلا القليل" (١).

٤ - لذلك أعتقد أننا حالياً على مشارف حقبة ازدهار عجيب في دراسات الإسلام وتاريخه، أو ربما تخطينا هذه العتبة. ولسوء الحظ ما يزال الموقف العدائي من الإسلام موجوداً بين بعض الناس في الغرب لأسباب دينية أو عن جهل وخوف. ولكنني متأكد من أن الازدهار في الدراسات العلمية عن التاريخ الإسلامي سيتغلب في النهاية على الخوف والجهل وقد يقودنا - مسلمي الشرق وغير مسلمي الغرب - إلى مستقبل خير مشترك (٢).

(١) أضواء على مواقف المستشرقين والمبشرين، د/ شوقي أبو خليل، ص ٤٧-٤٩، ط ٢، ١٤٢٨ هـ -

١٩٩٩ م، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس - ليبيا.

(٢) اتجاهات الكتابة الغربية عن تاريخ الإسلام: قراءة نقدية، فرد دونر، ص ٢٣٦-٢٤٤.

تقويم عام للكتابات الإيطالية في دراستها للسيرة النبوية الشريفة

- ١ - كشف التحليل عن قدر كبير من المبالغة بالنسبة للموضوعية .
 - ٢ - تعتبر الموضوعية أحد أهم المعايير المنصفة التي كان على الغرب أن يتبناها في دراسته وفي الاستشراق الإيطالي خصوصاً كانت الموضوعية مفهوماً غائباً لأسباب كثيرة منها : ما هو ديني وسياسي وثقافي .
 - ٣ - ثمة ملاحظة أخيرة في تقييم هذه المؤلفات وهي إخفاق الكتابات الإيطالية في أن تكون مرآة للحقيقة لدى القارئ الغربي نظراً لما ذكر سابقاً .
- فخلاصة الأمر أن الاستشراق عموماً والإيطالي خصوصاً لم ينقل للغرب حقائق السيرة وبدت أحداثها مبالغ فيها ومجزأة وغير صادقة نظراً للتحليلات الموجهة . وبذلك لم ينجح الاستشراق في تكوين صورة صادقة وحقيقية تجاه شخصية سيدنا محمد ﷺ وهو الأمر الذي يتطلب جهداً علمياً دؤباً ومعلومات صحيحة ونقاش هادف يعتمد على الصدق والموضوعية والنزاهة .

نتائج البحث

ما تنتهى إليه من هذه الدراسة :

١ - النتيجة المهمة جداً بالنسبة لأغراض هذا البحث هي أن الكتابات الإيطالية عن السيرة النبوية تحتاج إلى دراسات قائمة بذاتها، بسبب سمتين يختص بهما النمط الإيطالي :

السمة الأولى : أن إيطاليا وعلى مر التاريخ تعتبر نفسها حامية المسيحية وحاضنة الدين .

السمة الثانية : من الملاحظ أن معظم المستشرقين الإيطاليين كانوا أقل إنصافاً من معظم المستشرقين الغربيين الآخرين إلى النظر نحو الإسلام عموماً، والرسول ﷺ خصوصاً وهذا يعنى أن معظم المستشرقين الإيطاليين وليس جميعهم اتهموا الرسول ﷺ أكثر مما تقبلوا منه .

٢ - إن دارسى دانتى الذين عبروا عن عظيم إعجابهم لنتاجه الأدبى فى الكوميديا الإلهية وللأسف منهم العرب والمسلمون يبدو أنهم عاجلوا الموضوع بطريقة تنطوى على مفارقة علمية ودينية واضحة عندما أهملوا، أو تجاهلوا رؤية دانتى تجاه الرسول ﷺ والإمام على كرم الله وجهه، ولو أنهم درسوا وضع النبى ﷺ فى وضع الكوميديا الإلهية لفاعلوا خيراً ولكن ما فعلوا إلى قليلا .

٣ - كشفت الدراسة عن قدر كبير من الإنصاف والموضوعية والصدق فى نقل المعلومة، وتحليل أحداث السيرة النبوية، وذلك من خلال دراسة لورا فيشا فاغليرى .

٤ - يجب على الغرب عموماً والإيطاليين خصوصاً مراجعة مواقفهم إزاء الإسلام، ونقد أحكامهم المسبقة تجاه النبى ﷺ .

وختاماً نسال الله الهداية والتوفيق والنجاح وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد النبى الطاهر الزكى وعلى آله وصحبه وسلم .

مراجع البحث

- اتجاهات الكتابة الغربية عن تاريخ الإسلام: قراءة نقدية، فرد دونر، مجلة التسامح، العدد ٨٥، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م، تصدر عن وزارة الأوقاف والشئون الدينية بسلطنة عمان.
- الاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين، مصطفى نصر المسلاتي، ط ١، ١٩٨٦، دار أقرأ، طرابلس - روما إيطاليا.
- الاستشراق في الفن الرومانسي الفرنسي، د. زينات بيطار، عالم المعرفة، العدد ١٥٧، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
- الإسلام والمسيحية في العصور الوسطى، د. رشا حمود الصباح، عالم الفكر، العدد الثالث، ١٩٨٤.
- الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم، أليكسي جورافسكي، د. خلف محمد الجراد، دار الفكر، دمشق، ط ٢، ربيع الأول ١٤٢١هـ - حزيران (يونيو) ٢٠٠٠م.
- أضواء على مواقف المستشرقين والمبشرين، د. شوقي أبو خليل، ط ٢، ١٤٢٨هـ - ١٩٩٩م، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس - ليبيا.
- التوحيد والنبوة والقرآن في حوار المسيحية والإسلام، جوزيف فان إس، دراسة تحليلية نقدية، د / السيد محمد الشاهد، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.
- الرسول الأعظم ﷺ، بين جهل المستهزئين به وهوان المنتهين له، د / عبد العزيز المرشدي، ط خاصة بالمؤلف.

- المتغير الغربي، الشرق، الاستشراق، أدب الصحراء، محمد عبد الحسين الدعيمي، ط ١، ١٩٨٦، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.
- المستشرقون والسيرة النبوية، بحث مقارنة في منهج المستشرق البريطاني المعاصر مونتغمري وات، د. عماد الدين خليل، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، صادر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
- دفاع عن الإسلام، لورا فيثيا فاغليري، نقله إلى العربية منير البعلبكي، ط ٤ آذار مارس، ١٩٧٩، دار العلم للملايين، بيروت.
- منهج مونتغمري وات في دراسة نبوة محمد ﷺ، د. جعفر شيخ إدريس، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

obeikandi.com



obeikandi.com

الإستراتيجية الإسلامية فى التنمية

د. عبد الحميد الغزالى (*)

١ - طبيعة الاقتصاد الإسلامى :

من الأخطاء الشائعة القول بحيادية على الاقتصاد الوضعى، وبعده عن الاعتبارات القيمة والأخلاقية؛ تأكيداً لصيغته المادية، واهتمامه الأكثر بالأشياء. فالتاريخ يعلمنا أن فكر جميع الأنظمة التى عرفتها البشرية، وممارساتها العملية، لا بد وأن تتأثر بصورة أو بأخرى بالقيم، ولكن القيم فى الفكر الاقتصادى الرأسمالى، والاشتراكى، تُعد إطاراً خارج ميكانيكية النظام، بينما فى الاقتصاد الإسلامى: تُعد الاعتبارات القيمة أو الأخلاقية متغيراً داخلياً أساساً فى النظام، بل تعتبر القيم الإسلامية المحرك الأساس لفعاليتها، فهو اقتصاد محمل بالقيم وليس - بالقطع - محرراً منها.

فنحن - هنا - أمام اقتصاد دينى، أو دين اقتصادى، أو اقتصاد إنسانى، وليس هذا تلاعباً بالألفاظ، وإنما لتوكيد حقيقته، كون الاقتصاد الإسلامى جزءاً من كل، يتربط ويتفاعل ويتكامل فى تناسق وتوازن مع بقية الأجزاء المكونة للإسلام، من عقائد وأخلاق وعبادات وبقية المعاملات كدين ونظام حياة شامل وكامل، يحكم بضوابط الإسلام، ويسير وفقاً لأحكامه، فهو - بحق - علم البحث عن الأرزاق المقدره وفقاً للضوابط الشرعية؛ ولذلك يطلق عليه: الاقتصاد الدينى Religions Economics، أو الاقتصاد الأخلاقى Ethical Economics، أو الاقتصاد الإنسانى Humanomis.

ومن ثم، يستند هذا العلم فى تحليله على الإنسان الأخلاقى واقعياً، وليس على الرجل الاقتصادى نظرياً كما فى نظرية الاقتصاد الرأسمالى، أو الترس الاجتماعى

(*) الأستاذ بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة.

أيديولوجيا كما في النظام الاشتراكي، وعليه يقوم الاقتصاد الإسلامي على ركيزة أخلاقية واضحة، تهدف إلى الاهتمام الأكثر بالناس.

٢ - خصائص النظام الاقتصادي الإسلامي :

نقرأ - كاقصاديين - في بعض كتابات التنمية الاقتصادية القول أن الدول الإسلامية تقع في مجموعة الدول المتخلفة اقتصادياً، وهذا حق وله أسبابه، ولكنه بالقطع لا يمثل كل الحقيقة .. ثم يستطرد أصحاب هذا الرأي؛ قفزاً إلى نتائج غير مبررة، قائلين إن هذا الوضع يرجع جزئياً - وكان الموضوعية العلمية تطبق من قبلهم بصرامة وانضباط - إلى بعض المبادئ والقيم والسلوكيات التي ينطوى عليها الإسلام.

هذا النظام الذي طُبق خلال الثلاثة قرون الأولى من التاريخ الإسلامي، كان يعدّ تجربة فريدة من حيث أبعادها المختلفة ونتائجها المحققة، إذ أثبت التطبيق أنه نظام علمي النظرة، إنمائي التوجه، عالمي المحتوى، منفتح الفكر، ديناميكي الحركة، كفء الأداء، مبهر الإنجاز.

فالإسلام لم يقدم ديناً فقط، وإنما وضع نظاماً واقعياً شاملاً، يضبط حركة حياة كاملة على أساس متين وواضح من الكتاب والسنة.

فنحن متخلفون فعلاً.. لا لأننا مسلمون، ولكن لأننا - في حقيقة الأمر - غير مسلمين، أو مسلمون اسماً.. تركنا الإسلام، وبالتالي تخلفنا، أصبحنا في واقع الأمر دولاً أو دويلات بلا هوية، راحت تتخبط بين الأنظمة الوضعية ذات المرتكزات والمعتقدات الغربية عنا، على مستوى الفرد والمجتمع، وبالتالي كنا، وما زلنا، مستعمرين، أو مستخربين ومستغلين وتابعين، ومن ثم، كان الانخفاض المستمر في الأداء الاقتصادي - وفي النهاية - التخلف الذي نعيشه.

فالأنظمة المطبقة في الدول الإسلامية، إذا جاز لنا أن نطلق عليها مصطلح

"أنظمة"، لا تمت فى الواقع بصلة إلى النظام الاقتصادى الإسلامى، وهذا هو السبب الرئيس لتخلفنا.

فالنظام الإسلامى - بمفاهيمه ومدركاته، وثوابته ومتغيراته، وتوازناته ومحر كاته، وحر يته وقيوده، وضوابطه وأحكامه، وقيم يته وماد يته، وتراث يته وتقدم يته، وكفاءته وعدالته، وديموم ية صلاحه وإجازاته مكاناً وزماناً - تتمثل غايته فى عبادة الخالق تبارك وتعالى بالمعنى الواسع، والذى يشمل فرض إعمار الأرض؛ تحقيقاً للحياة الطيبة الكريمة، أى توفير تمام الكفاية لكل فرد يعيش فى كنفه.

ولتحقيق هذه الغاية، جمع النظام فى تناغم فطرى وتوازن واقعى دقيق بين الروح والمادة، وبين الشعائر والشرائع، وبين الفرد والجماعة وبين الآخرة والأولى، وحقق التناسق الفعلى بين هذه العناصر، مؤكداً تكاملها لا تنافرها فى عدالة واعتدال، ومحدداً أدوار العمل، وواضعاً الضوابط الحاكمة للأداء؛ لمنع كل الممارسات الخاطئة خلقاً، والمعوقه فعلاً لعملية الاستخدام الأشمل والأكفأ للموارد فى حدود الاستطاعة، وإذا ما حدثت انحرافات، ويمكن واقعياً أن تحدث، فإنها بالقطع وقتية، يصححها الناظم آنياً وذاتياً من خلال رقابة ذاتية متيقظة على الأداء على كافة المستويات، ومن خلال توجيه من الدولة عن طريق دورها المالى والاقتصادى من ناحية، وعن طريق أداء الحسبة من ناحية أخرى، ومن خلال نظام وعقاب محدد يمتد من هذه الحياة إلى الحياة الأخرى من ناحية ثالثة.

وعليه، أقام هذا النظام مجتمع المنتجين المتقدمين، وحقق - فعلاً وعملاً - تمام الكفاية لأفراده جميعاً، مسلمين وغير مسلمين.

وفى مقابل هذا النظام الذى عرفته البشرية من خلال خالقها، عرفت - وضعياً - بعد تجارب طويلة عبر تاريخها نظامين رأسماليين وماديين، الأول يتسم بمادية

رأسماليته من نوع خاص، وهي رأسمالية الطبقة، والثاني يتصف بمادية رأسمالية من نوع خاص أيضاً، وهي رأسمالية الدولة، ومن هنا، عانى كل من النظامين من درجة حادة نسبياً مما جاء أصلاً لمعالجته، وهو الظلم بصورتيه: السياسية والاقتصادية، أى: القهر والاستغلال؛ ولهذا جاءت المحاولات التصحيحية البرجماتية أو الدرائعية لمحاولة التخفيف من حدة هذا الظلم.

وكانت النتيجة تخبط واضح على المستوى الكلى فى النظام الأول (المغربى)، وتخبط فادح على مستوى الوحدة الإنتاجية فى النظام الثانى (الشرقى)، مما أفرز معايير كفاءة رديئة نسبياً، ومعايير قيمة مهملة أو ضعيفة نسبياً، مع اختلاف فى الدرجة فى الحالتين... ولتزايد درجة الرداءة والإهمال فى الحالة الثانية، وانهار النظام الشرقى أمام أعيننا، فى جل الدول التى أخذت به، وما زال النظام الغربى يعانى من اختلال هيكلى فريد من نوعه، يتمثل فى ازدواجية المشكلة الاقتصادية من تضخم وكساد فى الوقت نفسه، وما ظاهرة العولة إلا محاولة أخيرة، ولا أقول يائسة، لمعالجة هذا الاختلال.

٣ - شروط الاستراتيجية الإسلامية فى التنمية:

بصفة عامة، يمكن القول إن القهر والاستغلال كانا يمثلان الأسباب الجوهرية، أو التربة الخصبة التى نبتت منها الأسباب التفصيلية المسئولة عن مشكلة التخلف، وإن استمرارها من الداخل والخارج، أدى إلى فشل مناهج أو استراتيجيات التنمية الوجودية، والتى ركزت فقط على معالجة غيرهما من الأسباب، من خلال توجهات وآليات مادية واضحة.

ومن ثم، استمرت المشكلة وزادت حدتها خلال الزمن، فكانت - ومازالت - فى واقع الأمر تنمية للتخلف، وتفرض عن هذا الوضع كنتيجة طبيعية له، وكتفصيل لجملة

العديد من المشكلات التي تطحن الآن الإنسان وتهدد كرامته، وتبدد قدراته وجهوده الإبداعية، فيعجز بالتالي عن القيام بمسئولية إعمار الأرض، أي: إحداث التنمية.

وفي هذا الصدد، يمكننا أن نقطع بثقة واطمئنان، بأن مسببات التخلف تعد - جملة وتفصيلاً - غريبة عن الاقتصاد الإسلامي فكراً وتنظيماً.. أي: كما هو مفهوم وكما هو مطبق فعلاً، وأن التوجه الإنمائي سمة أساسية لصيقة بفكره وواقعه.

فالاقتصاد الإسلامي يؤكد محاربة الفقر عملاً، ويذمه فكراً، لدرجة أن رسول الله ﷺ تعوذ منه وعادله بالكفر، ولذا عمل هذا الاقتصاد على معالجته جذرياً واستئصال آثاره، فجعل العمل جزءاً أصيلاً من العبادة، والتكافل الاجتماعي أصلاً من أصوله الثابتة؛ تحقيقاً لتمام الكفاية، أي: حد الغنى.

وفي ذلك يقول الأصوليون: إن البناء على المقاصد الأصلية يصير تصرفات المكلف كلها عبادات، كانت من قبيل العبادات أو العادات.. فالعبادة هي التي خلق من أجلها الإنسان لم يكن سبيلها - إسلامياً - الرهبة والتبتل، والانقطاع عن الدنيا، وإنما سبيلها تحقيق إرادة الله سبحانه في كونه، عن طريق العمل في إعمار هذا الكون، وعليه، فالتنمية الاقتصادية والاجتماعية فريضة دينية دائمة ومستمرة حتى قيام الساعة.

ويتطلب إحداث التنمية المستدامة والمنشودة أولاً وقبل كل شيء تطهير الحياة الاقتصادية من كافة أشكال الظلم، وبالتالي تهيئة المناخ المناسب، لكي يتعامل الناس تعاملًا إعمارياً فاعلاً مع الأشياء.

فبديهى أن الإنسان هو المحرك الأساس للنشاط الاقتصادي، وهو - بالقطع - الكائن الحى المستول عن مستوى الأداء، والإنسان المظلوم أي: المقهور والمستغل كل لا يقدر حقيقة على شيء، ومن ثم إذا لم يرفع هذا الظلم، ومهما كانت طبيعة الموارد المالية

من حيث الوفرة والتنوع والجودة، لا يمكن لأى شئ ذى قيمة أن يتحقق، ولا يمكن لأية قوة دافعة أو استراتيجية أن تعمل بكفاءة مناسبة، سواء أكانت هذه القوة هي اليد الخفية للحافز المادى، أم اليد المرئية الباطشة للدولة، وسواء أكانت الاستراتيجية هي الدفعة القوية من الاستثمار، أم الجهد الحساس المطلوب من التكوين الرأسمالى، أو غيرها.

وعليه، فيأتى الإسلام - كدين ونظام حياة - لإخراج البشرية مرة أخرى - كما أخرجها من قبل - من ظلمات جاهلية تعيشها، ومن تخبط حياة ضنك تحياها، فجاء المنهج الإسلامى للتنمية ليعيد - كشرعة - الأشياء فى المجتمع الإنسانى إلى فطرتها، وليرد - كمنهاج - قضية التنمية إلى عمادها، وهو: الإنسان.. فالإنسان وفقاً لهذا المنهج، هو أهم وأسمى ما فى الوجود، ومن ثم، فهو بحق الوسيلة الرئيسة والغاية النهائية لعملية التنمية.

ولكى يحقق الإنسان فريضة التنمية المستدامة، اشترط المنهج الإسلامى أن يعمل فى إطار من الأخلاقيات الإسلامية، وأن يكون حقيقة محرراً من القهر والاستغلال، أى: من الظلم بشتى صورته، فهو الإنسان المحترم لذاتيته، والمكرم لآدميته، الذى ينعم عملاً بالحرية والعدل، وبدون تحقيق هذين المطلبين، بسبب البعد عن شرع الله، لن يتحقق المشروع الإنسانى الممكن فى إعمار الأرض.. ولن يتمكن الإنسان من القيام بتبعة تنفيذ هذا المشروع، ومن ثم يظل التخلف قائماً، وتظل المعيشة الضنك جائمة على عقول وحقول البشر.

ولكى يحقق هذا المنهج مطلب الحرية، كان مدخله الفكرى هو المدخل العقدى الإيمانى، وهو: التوحيد.. توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية أو توحيد الشعائر وتوحيد الشرائع، ومقتضى التوحيد العبادة، وهى بدورها غاية الخلق، وإقرار العبودية

الخالصة لله سبحانه هو أشرف تكريم للإنسان، لأنه إخراج له من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ثم، بالتوحيد يرفع الإنسان إلى شرف العبودية لله ويحرر نهائياً وتاماً من كل عبودية لغيره تبارك وتعالى، ولكى تكون الحرية حقيقية على أرض الواقع، تتعمق فى وجدان الإنسان، وتتجسد فى سلوكه، ولكى يتحقق إعمار الإنسان كشرط مسبق لإعمار الأرض، وتأسيساً على توحيد الذات والأسماء والصفات، خص الخالق تبارك وتعالى لذاته العلية همين يشغلان الجنس البشرى، هما: الرزق، والعمر.. فأطعم الإنسان من جوع وآمنه من خوف، ضامناً رزقه ومحددأً أجله، ومن ثم تحقق للإنسان عملاً وواقعاً مطلب الحرية.

ويتأسس مطلب العدل على حقيقة إيمانية مؤداها: أن المال مال الله، ونحن مستخلفون فيه، وتعنى تبعة الاستخلاف: التمكين من المال، تمكين استعمال أو ملكية انتفاع، والعمل الصالح على تثميته خلال الزمن حتى قيام الساعة، وأداء حقوقه لمالكة الأصلي وللمجتمع فى صورة الصدقات المفروضة والصدقات التطوعية والكفارات وغيرها من النفقات؛ تحقيقاً لعدالة التصرف فيه وإقامة التكافل الاجتماعى، وضماناً لأكفاً استخدام ممكن له خلال الزمن.

وهنا يؤكد المنهج أن الطريق السوى العادل لنماء المال هو طريق الاشتراك الفعلى فى النشاط الاقتصادى، فلا يوجد كسب طيب بدون عرق وجهد ومخاطرة، ومن ثم جاء الإسلام ومنهجه فى التنمية حرباً جادة ومستمرة وناجحة على كل صور الظلم الاقتصادى، أى الاستغلال، من خلال تحريم صريح وقاطع: للربا والغرر، والاحتكار والاكتناز، والإسراف والتقتير، والتطفيف والبخس، والغش والتدليس والنجش، والرشوة والمحسوبية.. وكل صور أكل أموال الناس بالباطل، وكل صور الممارسات الخاطئة فى النشاط الاقتصادى إنتاجاً وتوزيعاً واستهلاكاً.

وبتحقيق شروط المناخ المناسب لقيام الإنسان بتبعية إعمار الأرض، وعلى رأسها الحرية والعدل، كانت الخطوة التالية في المنهج الإسلامي هي حض الإنسان على أن يتعامل مع الأدبيات الإنمائية وتقنيات التنمية الفكرية بفكر منفتح تماماً، على أساس أن الأصل في الأشياء الإباحة، وأن الحكمة - بشروطها الشرعية - ضالة المؤمن، بما يتفق وظروف الاقتصاد والمجتمع، وبما يضمن التعامل الكفء والفاعل مع الأشياء؛ تحقيقاً لهدف إعمار الأرض وتقديم المجتمع.

والله الموفق...

التراث الإنساني

في الحضارة العربية الإسلامية

الدكتور بديع العابد
معماري استشاري (عمان - الأردن)

مقدمة :

الإجازات الثقافية الإنسانية (التراث الإنساني)، قديم قدم الإنسان نفسه، وهي تؤرخ لتطور الفكر الإنساني، وتبين مدى تقدم الحضارات ورفقيها. ولقد عيّنت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) منذ نشأتها بالشأن الثقافي، وصنفت الإجازات الثقافية إلى آثار وتراث. فالآثار هي الإجازات المادية (التراث المادي)، أي المباني التي يزيد عمرها عن ١٥٠-٢٥٠ عاماً، طبقاً لتصنيف كل دولة من الدول الأعضاء في اليونسكو. ثم صنفت التراث إلى ثلاثة أقسام: تراث مادي، وتراث لا مادي، وتراث إنساني، ويجمع الأخير بين التراث المادي واللامادي. ثم صنفت التراث زنيا بالتراث القديم والتراث الحديث!؟ وحضت على الحفاظ عليها جميعاً. فالآثار يتوجب الحفاظ عليها بتحنيطها وعدم استعمالها. والتراث يتوجب الحفاظ عليه بترميمه واستعماله أو إعادة تأهيله، وسنت الموثيق الخاصة بذلك.

لكن اليونسكو أغفلت خصوصية الحضارة العربية الإسلامية لسببين: أولهما، أن هذا التصنيف لا ينطبق على إجازات الحضارة العربية الإسلامية المادية، فليس ثمة آثار وتراث في إجازاتها. لأنها حضارة حية قائمة، منتشرة في المكان ومستمرة في الزمان، لا يجري عليها التقادم الزمني. فجميع إجازاتها، والمادية (المعمارية) منها

بصفة خاصة، تستعمل بشكل دائم، والمباني الدينية، كالمساجد، أظهر مثال على استدامة الاستعمال. فلو سلمنا، جدلاً، بتصنيف اليونسكو لتوجب تخطيط المسجد الحرام، والمسجد النبوي، والمسجد الأقصى، والمسجد الأموي في دمشق، والأزهر في القاهرة وغيرها الكثير.

والأهم من ذلك أن بنية الحضارة الإسلامية وتكوينها يقتضى حضورها الدائم. ففلسفة تاريخها قائمة على: التواصل التاريخي، والدروس والعبر، والتفكير والتأمل، والتنوع داخل الوحدة. فالأول، التواصل التاريخي، يتطلب الحضور الدائم لإنجازاتها، أى الاستعمال الدائم لإنجازاتها المادية (المعمارية). وأما الثاني والثالث، فينبهان إلى ما آلت إليه الحضارات السابقة للحضارة الإسلامية من انهيار وفناء، للاعتبار بها والاتعاظ بما حصل لها، وهما مكملان للأول. وأما الرابع، التنوع داخل الوحدة، فالمقصود به الحفاظ على إسهامات وإنجازات الشعوب الإسلامية المادية، التي مورست تحت مظلة الإسلام المتنوعة بيئياً وثقافياً، والوحدة فكرياً.

أضف إلى ذلك أن مؤسسة الوقف، الأقوى فاعلية في بنية الحضارة الإسلامية، تنص صراحة وبوضوح تام، وبمصطلحات وعبارات لا تقبل التأويل أو اللبس، على الحفاظ على مفردات النسيج المعماري، أى المادى، واستمرار أدائها لوظيفتها، وبصفة خاصة فى أحكام الشارع (الشريعة) وشروط الواقف، اللذان لهما نفس قوة التطبيق، طبقاً للقاعدة الشرعية: "إن شرط الواقف كنص الشارع"، ومن هذه الأحكام والشروط: "وقف وحبس وتصدق وحرم وسبل وأبد... إلى أن يرث الله الأرض وما عليها... بما فيه بقاء عينها ودوام منفعتها... لا ينسخ حكمه ولا يندرس رسمه... لا يندرس رسمها... ولا يغير رسمها... قائمة على أصولها... لا يجوز تغيير صفة الوقف... الأولوية فى صرف ريع الوقف للحفاظ على الأعيان الموقوفة...".

مما سبق يتضح أن بنية الحضارة الإسلامية المثلثة بوحدة فكرها وبفلسفة تاريخها، وبمؤسسة الوقف تفرض، بل تحتم، توأماً تاريخياً يقضى بالاستعمال الأبدي والدائم لإنجازاتها المادية واللامادية. فهي إذن ليست آثاراً، مهما تقدم عهدا، لينطبق عليها تصنيف اليونسكو، وليست تراثاً لأنها تنتمي إلى حضارة حية كما أسلفت.

وهذا يقودنا إلى السبب الثاني، وهو أن اليونسكو لم توظف إسهام الحضارة العربية الإسلامية في الحفاظ على إنجازاتها الثقافية وإنجازاتها غيرها من الحضارات، ولم تستثمر دورها الريادي في هذا المجال، وهو الأقدم زمنياً والأعمق معرفياً من كل موثيق الحفاظ الدولية، كما بينت في كتابي الموسوم بـ: الحفاظ المعماري في الحضارة العربية الإسلامية^(١)، وكما سأبين لاحقاً في هذه الدراسة.

وربما يعود إغفال اليونسكو لخصوصية الحضارة الإسلامية إلى عدم معرفة القائمين عليها بهذه الخصوصية، وبدورها الريادي في مجال الحفاظ، أو إلى تقصير، وربما جهل، الممثلون العرب والمسلمين في اليونسكو بهذه الخصوصية والدور الريادي. وذلك لأن فكرنا مغيب، ووعينا مستلب، وإرادتنا مرتهنة للغرب ونزواته، ولأننا استمررنا استيراد المعرفة واجترارها وعدم إنتاجها، ولأن مؤسساتنا الثقافية المعنية عاجزة، والأغلب أنها عازفة، عن فرض حضور إسهام الحضارة العربية الإسلامية في المنظمات والمؤسسات الدولية.

استناداً إلى ما سبق فإنه يتوجب، على جميع الدول العربية والإسلامية، التنويه صراحة على ديمومة حضور واستعمال الإنجازات المادية للحضارة الإسلامية، وإعادة النظر في تصنيفنا لإنجازاتنا المادية (المعمارية) إلى آثار وتراث. كما يتوجب التحفظ

١ - انظر: العابد، بديع، (دكتور)، (١٤٣١هـ - ٢٠١٠م)، الحفاظ المعماري في الحضارة العربية الإسلامية، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو)، المغرب.

على ميثاق اليونسكو، وتسجيل هذا التحفظ في منظمة اليونسكو، حتى لا نطالب بتحنيط إنجازاتنا المعمارية التي أشرت إليها سابقاً، كالتالي:

لما كانت الحضارة العربية الإسلامية حضارة قائمة، منتشرة في المكان ومستمرة في الزمان، فإن جميع إنجازاتها المادية (المعمارية) هي مبانٍ صالحة للاستعمال أو إعادة التأهيل، وأن ما جاء في ميثاق اليونسكو والمواثيق الدولية والهيئات الغربية من تصنيف زمني للإنجازات المادية: كآثار وتراث، تصنيف لا يعنى الحضارة العربية الإسلامية، ولا يرتب عليها أى التزام أدبي أو معنوي أو قانوني.

الأهداف والمنهجية:

تهدف هذه الدراسة إلى تعريف التراث الإنساني، وتوضيح بنيته في الحضارة العربية الإسلامية. كما تهدف إلى بيان دورها الريادي في حفظ إنجازاتها المادية واللامادية، وحفظ تراث غيرها من الحضارات التي سبقتها.

ولتحقيق ذلك ستعرض الدراسة لتعريف التراث الإنساني، ولمصادر الجمع والتدوين والتوثيق، والتنويه بالمنهجية العلمية والعقلانية، التي وظفت للحفاظ على إنجازات الحضارة العربية الإسلامية، وتراث الحضارات السابقة والمعاصرة لها. كما وردت في جمع القرآن الكريم والحديث الشريف، وتدوين الشعر الجاهلي. وترجمة كتب العلوم اليونانية والسريانية والهندية. وستبين دور الإنجازات الإسلامية والتراث اليوناني والسرياني والهندي في التنمية الثقافية والعلمية.

فالدراسة إذن للتراث تضمن مستويين: مستوى خاص بالإنجازات الإسلامية، ومستوى خاص بالتراث الغير إسلامي، وسأبدأ الدراسة بتعريف التراث الإنساني، ثم أعرض للإنجازات الإسلامية، ثم للتراث غير الإسلامي.

التراث الإنساني :

كما بينت في المقدمة فإن الحضارة الإسلامية كحضارة: قائمة، منتشرة في المكان ومستمرة في الزمان، لا تملك تراثاً بل إنجازات. فإنجازها الإنساني هو مجمل إنتاجها الثقافي المادي واللامادي. وهو جزء لا يتجزأ من إنتاج البشرية، أو ما اصطلح على تسميته بالتراث الإنساني. وهو: إنتاج البشرية من التراث الثقافي المادي واللامادي ويشمل: المعالم المعمارية، المنحوتات والرسومات والتصوير، الكتابات والخطوط والنقوش، الكهوف والمغر، المواقع الطبيعية أو التي صنعها الإنسان أو من الاثنين معاً، المواقع الأثرية، العناصر الإنشائية كالجسور والأنفاق، الصناعات الحرفية والمنتجات اليدوية، الآداب والفنون، والقصص الشعبي، والغناء والزجل، وال نوادر، والأساطير، وبالجملة يعتبر تراثاً إنسانياً، كل ما له قيمة فنية، أو تقانية، أو تاريخية.

هنا يقتضى التنويه أن الفرق بين الإنجازات والتراث في رأيي، هو أن الأول، الإنجازات، هي المنتجات الثقافية الفاعلة أو القابلة للتفعيل والتوظيف، أو المحفوظة والموثقة ضمن الحضارة التي أنتجتها حتى لو لم تعد فاعلة أو قابلة للتفعيل في الحياة اليومية. فحفظها وتوثيقها يعطيها صفة الإنجازات حتى لو تعرض بعضها للتلف والخراب. وهذا هو حال الحضارة الإسلامية فجميع إنتاجها الثقافي يعتبر إنجازات، ليس فقط لأن إنتاجها الثقافي مرتبط بفلسفة تاريخها وبنيتها بل لأنها محفوظة وموثقة أيضاً. ولا يضاها الحضارة الإسلامية في هذا الأمر سوى الحضارة الحديثة والمعاصرة؛ لأن إنتاجها الثقافي سواءً كان فاعلاً أو غير فاعل يعتبر إنجازاً. فالإنتاج الفاعل سواءً كان مادياً أو لا مادي موظف ويتمتع بسلطة الحضور فهو إنجازات، أما غير الفاعل فهو موثق ومحفوظ متحفاً بسبب التطور الثقافي، أو التقني أو الفني، أو الوظيفي، الذي طرأ عليه. فالتطور الذي نعائشه في حياتنا اليومية يلغى أجيالاً من الإنجازات ليحل

محلها إنجازات جديدة كما يحصل، على سبيل المثال، في السيارات، الأدوات المنزلية، وأجهزة التقانة الرقمية.

وهنا يتوجب الملاحظة أن المقتنيات المتحفية نوعين: الأول، قديم، من إنتاج الحضارات المنقرضة، وغير قابل للتوظيف أو الاستعمال، أو يمكن توظيفه واستعماله لكن قيمته الفنية أو التقانية أو التاريخية أعلى من قيمته العملية، مما يستوجب الحفاظ عليه متحفياً. والثاني، منتج (إنجاز) حديث أو معاصر تم تطويره فاقضى الحفاظ على صورته، أو صورته، الأولى متحفياً.

أما الثاني، التراث، فهو المنتج الثقافي الذي أهمل توثيقه في الحضارة المنتجة له، أو تم تلفه بسبب انهيارها واندثارها، وتم الاستدلال والتعرف عليه لاحقاً من قبل حضارة أخرى، سواءً عنيت بترميمه وتوثيقه وتوظيفه أم لا. فالتراث هو نتاج الحضارات الميتة، أو التي لم تعد فاعلة. والتراث هو ما يتعذر توظيفه واستعماله، أو ما أصبح صورة قديمة لمنتج جديد، فاكتسب قيمة فنية أو تقانية أو تاريخية أعلى وأثمن من قيمته العملية فتوجب الحفاظ عليه توثيقاً واقتناءً إن أمكن.

وعليه فإن ما يمكن إطلاق لفظ تراث عليه، هو ما تعذر توظيفه واستعماله في الحياة المعاصرة، أو المنتج الذي تم تطويره فعّلت وفاقّت قيمته الفنية أو التقانية أو التاريخية قيمته العملية. وضمن هذا التعريف يمكن تسمية بعض منتجات الحضارة الإسلامية من الحرف والمصنوعات اليدوية، التي لم تعد فاعلة، تراثاً. لكن لا يمكن تسمية باقي إنتاجها الثقافي، الأدبي والفكري والفلسفي والمادى، تراثاً بل إنجازات، لأنها فاعلة.

ضمن هذا السياق سأعرض لدور الحضارة الإسلامية في حفظ وحماية إنجازاتها الثقافية وتراث الحضارات التي سبقتها وعاصرتها وإيصاله إلينا، والذي تم على

مستويين، هما: المستوى الإسلامي والمستوى غير الإسلامي، فيما يلي من عرض وتحليل.

دور الحضارة الإسلامية في حفظ إنجازاتها وتراث غيرها :

التراث الإنساني هو مجمل نتاج ثقافات العالم، والحفاظ عليه هو أرقى مستويات الحفاظ قاطبة، وهو سمة من سمات الحضارات الراقية. وكان للحضارة الإسلامية السبق في هذا المجال، مع أنها ابتليت أكثر من مرة بتدمير إنجازاتها الثقافية. كان أولها سقوط بغداد على يد التتار (المغول) سنة (٦٥٦هـ - ١٢٥٨م)، الذين دمروا الإنجازات الثقافية العربية الإسلامية في بغداد، وأفرغوا مكباتها من الكتب وألقوها في نهر دجلة. وكان آخرها سقوط بغداد أيضاً سنة (٢٠٠٣م) على يد الأمريكان (التتار الجدد)، الذين استباحوا مكباتها، ومتاحفها، ومواقعها الأثرية، ونهبوا ما طالت أيديهم من كنوز العراق الثقافية والفنية منها بصفة خاصة. وكان بين هذين السقوطين السلب والنهب والدمار الذي أحدثه الصليبيون في بلاد الشام ومصر في الفترة من سنة (٤٨٨ - ٦٩٠هـ / ١٠٩٥ - ١٢٩١م)، والتتار بعدهم. وكذلك الدمار الذي أحدثه الإسبان في غرناطة عقب سقوط الدولة العربية الإسلامية في الأندلس سنة (٨٩٨هـ - ١٤٩٢م). ولا ننسى النهب والسلب وتدمير النسيج المعماري لمدينة القاهرة الذي قام به نابليون والجيش الفرنسي عندما احتل مصر سنة (١٢١٣ - ١٢١٦هـ / ١٧٩٨ - ١٨٠١م)، وكذلك محاولاتهم، أي الفرنسيين، القضاء على الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر. وأهم من هذا كله سلب اليهود لفلسطين أرضاً وثقافةً، ومحاولاتهم هدم أولى القبيلتين وثالث الحرمين الشريفين، منذ سنة (١٣٦٨هـ - ١٩٤٨م / الآن)، وطمس كل إنجازاتنا المادية واللامادية بها. ثم نهب الأوروبيون: لإنجازاتنا العلمية، والثقافية، والمعمارية، وسرقتهم مخطوطاتنا، وتحفنا، وآثارنا العربية والسامية، التي ورثناها عن أجدادنا واحتفاظهم بها في مكباتهم

ومتاحفهم . وأخيراً استلابهم لوعينا ، وتغييبهم لإنتاجنا العلمي والفكري والثقافي ، ومحاولتهم طمس شخصيتنا الحضارية .

والثقافة ، كما هو معروف عصب التراث الإنساني ، وهي : "مجمّل السمات المادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعاً عن غيره وتشمل : الفنون ، والآداب ، وطرائق الحياة ، والحقوق الأساسية للإنسان ، ونظم القيم ، والتقاليد ، والمعتقدات" (١) . وهذه السمات تمارس بمستويات مختلفة من الوعي ، والحفاظ عليها يكون نتاج الوعي بها ، وكلما علت واتسعت دائرة الوعي كلما علا واتسع مفهوم الحفاظ عليها ، أى مفهوم الحفاظ الثقافي . والحضارة الإسلامية كانت وما زالت من أكثر الحضارات وعياً بالمنتج الثقافي ، سواء كان إسلامياً أو غير إسلامي . فعنيت بالمحافظة على منتجها الثقافي ، وعلى منتج غيرها . فكان لها الريادة في إرساء مفهوم الحفاظ ، كما يتضح في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُزَكِّرُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (٩) ﴿ (٢) . وكذلك في قوله تعالى : ﴿ أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ (٤٩) ﴿ (٣) . فالآية الأولى خاصة بالحفاظ على المنتج الثقافي الإسلامي ، والآية الثانية خاصة بالحفاظ على المنتج الثقافي غير الإسلامي . فبنية الحفاظ الثقافي في الحضارة الإسلامية تقوم على مستويين : مستوى خاص بها ، ومستوى خاص بالحضارات الأخرى ، وسأعرض لهما تباعاً فيما يلي من دراسة وتحليل .

المستوى الإسلامي :

نشطت الحضارة الإسلامية في تطبيق مفهوم الحفاظ على منتجاتها الثقافية

١ - انظر : العابد ، بدیع ، ثقافة المعماري ، مجلة اتحاد الجامعات العربية للبحوث والدراسات الهندسية ،

مجلد ٧ ، عدد ١ ، ص : ٣ .

٢ - انظر : القرآن الكريم ، سورة الحجر .

٣ - انظر : القرآن الكريم ، سورة الروم .

اللامادية والمادية، فطبقته قولاً وعملاً. ففي الجزء اللامادي، تم جمع القرآن الكريم^(١) والحديث الشريف^(٢)، وتدوين الشعر الجاهلي^(٣) وتوثيق كل ما أنتجته من: أدب، وفن، وموسيقى، وزجل، وغناء^(٤)، وعلوم، وفكر، وفلسفة^(٥)، وعمارة. واللافت للنظر أن الحضارة الإسلامية من أغنى الحضارات^(٦) إنتاجاً للأدب المعماري، الذي شمل جميع مجالات العمارة. وأما عملاً فقد طبقه الخليفة أبو بكر الصديق (١١-١٣هـ / ٦٣٢-٦٣٤م) في وصيته لأسامة بن زيد بن حارثة، بعد أن أمره على قيادة جيش المسلمين، في غزو بلاد قضاة سنة (١١هـ - ٦٣٢م) التي أرست أسس القانون

١ - انظر: الزركشي، بدر الدين، المتوفى (٧٩٤هـ-١٣٩١م)، البرهان في علوم القرآن، ٤ أجزاء، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الفكر، ط ١، (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م)، بيروت، لبنان، ج ١ / ٢٩٥ - ٥٣١.

- السيوطي، جلال الدين، المتوفى (٩١١هـ-١٥٠٥م)، الإتقان في علوم القرآن، جزآن، تحقيق محمد شريف مكر، ومصطفى القصاص، دار إحياء العلوم، (١٤١٢هـ-١٩٩٢م)، بيروت، ج ١ / ١٦٣ - ٢٣٢.

- زيدان، جرجي، ١٩٥٧م، تاريخ آداب اللغة العربية، ٥ أجزاء، دار الهلال، القاهرة، ج ١ / ٢٢٤ - ٢٢٩.

٢ - انظر: الرافي، مصطفى، (١٣٩٤هـ-١٩٧٤م)، تاريخ آداب العرب، ٣ أجزاء، الطبعة الرابعة، ج ١ / ٢٧٧ - ٣٥٠.

- زيدان، جرجي، مرجع سابق، ج ١ / ٢٤٦ - ٢٤٧.

- صحيح البخاري وصحيح مسلم.

٣ - انظر: ضيف، شوقي، (دكتور)، (١٩٦٠م)، تاريخ الأدب العربي، ٥ أجزاء، دار المعارف، القاهرة، ج ١ / ١٣٨ - ١٨٢.

- الرافي، مصطفى، مرجع سابق، ج ١ / ٣٥١ - ٤١٥.

- زيدان، جرجي، مرجع سابق، ج ٢ / ١١٩ - ١٢٩.

٤ - انظر: الأصهباني، أبو الفرج، (٢٨٤ - ٣٥٦هـ / ٨٩٧ - ٩٦٧م)، الأغاني، ٢١ جزءاً، ٧ مجلدات، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بدون تاريخ نشر، بيروت.

٥ - انظر: ابن التديم، (٣٧٧هـ-٩٨٧م)، الفهرست، دار المعرفة، بدون تاريخ نشر، بيروت.

٦ - See: Al - Abed, B. (1992) Aspects Of Arabic Islamic Architectural Discourse - ١٥ - 18, University of Delft, Netherland,

الدولى فى الحفاظ على حياة البشر وممتلكاتهم وانجازاتهم الثقافية وحرية ممارستهم لشعائهم الدينية، واقتبس منها ما يلى^(١):

"... ولا تقتلوا طفلاً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تعقروا (تقطعوا) نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاةً ولا بقرةً ولا بعيراً إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام فرغوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له...".

فالحفاظ على البشر من أولويات الحضارة الإسلامية ومقدم على الحفاظ على الممتلكات؛ لأن الحفاظ على الإنسان شرط للحفاظ على البنيان وعلى التنمية. وهو عمل مأسس بمسلكيات أخلاقية ومؤطر بأحكام شرعية.

وهذا ما أكده الخليفة عمر بن الخطاب (١٣ - ٢٣ / ٦٣٤ - ٦٤٤م) فى العهدة العمرية، وهى العهد الذى قطعه لبطريك القدس صفرونيوس، عندما اشترط الأخير تسليم المدينة للخليفة عمر، أمام ضغط الجيش العربى الإسلامى الذى أرسله الخليفة عمر لتحريرها من البيزنطيين سنة (١٥هـ - ٦٣٦م)، والتى نصت على حماية التراث المادى واللامادى للنصارى فى مدينة القدس^(٢):

"بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أهل إيلياء (القدس) من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريشها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيزها، ولا من صليبهم، ولا من شئ من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء (القدس) معهم أحد من اليهود (هذا الشرط وضع بناءً على طلب البطريرك صفرونيوس...) وعلى ما فى هذا الكتاب عهد الله وذمة

١ - انظر: الطبرى، محمد بن جرير (٣١٠هـ - ٩٢٢م)، تاريخ الطبرى، ١١ جزء، تحقيق محمد أبو

الفضل إبراهيم، الطبعة الرابعة، دار المعارف، ١٩٧٩م، القاهرة، ج ٣ / ٢٢٦ - ٢٢٧.

٢ - انظر: المرجع السابق، ج ٣ / ٦٠٨ - ٦٠٩.

رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية. شهد على ذلك خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان. وكتب وحضر سنة خمسة عشرة (هجرياً، ١٥ هـ - ٦٣٦ م)."

واللافت أن جميع العهود^(١) التي أبرمها قادة جيوش المسلمين الذين حرروا بلاد الشام وفلسطين والعراق من الصليبيين ومن الفرس، كانت على نفس النمط، أي تنص على حفظ التراث المادي واللامادي للسكان العرب الأصليين والبيزنطيين والفرس المحتلين.

والفاحص لتقانات حفاظ المستوى الإسلامي يجد أنه تم طبقاً لمنهجيات في: الجمع، والنقل. ولتقانات في: التحقيق، والتوثيق، والتدوين، شكلت جميعها بنى الحفاظ الثقافي. فجمع القرآن له بنيته الخاصة به، وجمع الحديث له بنيته الخاصة به، وكذلك جمع الشعر الجاهلي وتدوينه، لا يتسع المقام لعرضها في هذه الدراسة، فاكتمى بالتنويه بها والإحالة المرجعية عليها.

والجدير بالملاحظة أن جمع وحفظ الظواهر الثقافية العربية الإسلامية وتدوينها قد تم إما بقرار سياسي أو استجابة لضرورة تشريعية أو اجتماعية أو ثقافية أو لفضول معرفي، ولغاية سامية وغرض نبيل، هو حفظ هذه الظواهر من الضياع أو النسيان، وإبقائها في حيز التداول والاستعمال. فجمع القرآن الكريم تم بأمر من الخليفة أبو بكر، ثم الخليفة عمر بن الخطاب الذي حرض أبو بكر على جمعه خوفاً من الضياع^(٢) لتفريق حفظته بالأمصار، ثم الخليفة عثمان بن عفان الذي جمعه لنفس السبب. وأما جمع الحديث فكان فضولاً علمياً واستجابة لضرورة تشريعية قام به أئمة مثل مالك بن

١ - انظر: المرجع السابق، ج ٣ / ٦٠٩ .

٢ - انظر: المرجع في الهامش رقم ٥ .

أنس والبخارى ومسلم. وأما جمع الشعر الجاهلي فكان مطلباً علمياً^(١) للاستعانة به لتفسير القرآن الكريم، ومطلباً ثقافياً وفضولاً معرفياً للوقوف على أخبار العرب في الجاهلية.

أما الأغاني فكان جمعها مطلباً ثقافياً وترفيهياً، فقد أمر الخليفة العباسي^(٢) هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ / ٧٨٦-٨٠٩م) أشهر ثلاثة مغنين في عصره وهم: إبراهيم الموصلي، واسماعيل بن جامع، وفليح بن العوراء، باختيار أفضل مئة صوت (أغنية) من الأغاني المتداولة. وقد قاموا بجمعها وتدوينها. ثم جاء أبو الفرج الأصبهاني الأموي (٢٨٤-٣٥٦هـ / ٨٩٧-٩٦٧م)، حفيد آخر الخلفاء الأمويين مروان بن محمد، بتأليف كتابه الأغاني في ٢١ جزءاً، ذكر في مقدمته الأهداف والدوافع لتأليفه الكتاب وبين منهجه كالاتي^(٣):

"هذا كتاب ألفه علي بن الحسين بن محمد القرشي الكاتب المعروف بالأصبهاني جمع فيه ما حضره وأمكنه جمعه من الأغاني العربية قديمها وحديثها ونسب كل ما ذكره منها إلى قائل شعره وصانع لحنه وطريقته واشتراك إن كان بين المغنين فيه على شرح لذلك وتلخيص وتفسير للمشكل من غريبه وما لا غنى عن علمه من علل إعرابه وأعاريض شعره التي توصل إلى معرفة تجزئته وقسمة الحانه ولم يستوعب كل ما غنى به في هذا الكتاب ولا أتى بجميعة، إذ كان قد أفرده لذلك كتاباً مجرداً من الأخبار ومحتويّاً على جميع الغناء المتقدم والمتأخر واعتمد في هذا الباب على ما وجد لشاعره أو مغنيه أو السبب الذي من أجله قيل الشعر أو صنع اللحن خبيراً يستفاد ويحسن بذكره الصوت على أقصر ما أمكنه وأبعده من الحشو والتكثير بما تقل

١ - انظر: المراجع في الهامش رقم ٧ .

٢ - انظر: الأغاني، مرجع سابق، ج ١ / ٢ .

٣ - انظر: المرجع السابق، ج ١ / ٢ - ٤ .

الفائدة فيه وأتى في كل فصل من ذلك بنتف تشاكلة ولمع تليق به وفقر إذا تأملها قارئها لم يزل متنقل بها من فائدة إلى مثلها ومتصرفا بها من جد إلى هزل وآثار وأخبار وسير وأشعار متصلة بأيام العرب المشهورة وأخبارها المأثورة وقصص الملوك في الجاهلية والخلفاء في الإسلام تجمل بالمتأدبين معرفتها وتحتاج الأحداث إلى دراستها ولا يرتفع من فوقهم من الكهول عن الاقتباس بها إذا كانت منتحلة من غرر الأخبار ومنتقاة من عيونها ومأخوذة من مظانها ومنقولة عن أهل الخبرة...".

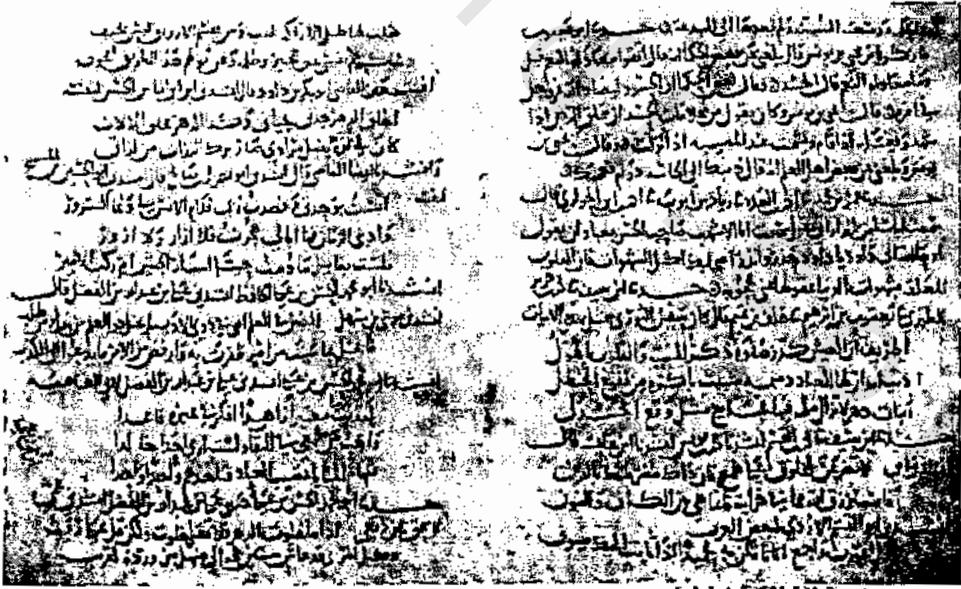
ويستطرد الأصبهاني في مقدمته بتوضيح منهجيته في الجمع، وبيان التقانات التي استعملها في التحقيق والتوثيق والتدوين (التسجيل) والتصنيف، عارضاً للهدف السامي والنبيل من عملية جمع الأغاني في كتابه، وهي الحفاظ على ظاهرة ثقافية تشمل الأغاني والمغنين والشعراء والألحان والملحنين. واللافت هنا أن الحفاظ على الإنجازات الفنية العربية الإسلامية كان قراراً سياسياً من الخليفة هارون الرشيد، وفضولاً معرفياً عند الأصبهاني.

واللافت أن الفضول المعرفي للأصبهاني جعله متخصصاً في حفظ منجزات الحضارة الإسلامية وغير الإسلامية، المادية واللامادية. إذ أن القسم الأكبر من مؤلفاته كرسه لتوثيق هذه الإنجازات وأذكر منها: الديارات، الممالك والشعراء، أذب الغرباء، الأخبار والنوادر، أخبار الطفيليين، الخمارين والخمارات، أخبار (المغني) جحظة.

والفضول المعرفي لعب دوراً كبيراً في حفظ الإنجازات المادية واللامادية والثقافية للحضارة الإسلامية. فالجاحظ، (١٥٠-٢٥٥هـ / ٧٦٧ - ٨٦٨م) في كتابيه: البخلاء والبيان والتبيين، حفظ الكثير الكثير، من الطرائف والنوادر والوقائع والقصص التي تصور الحياة الاجتماعية. وابن الزبير، (القرن ٥هـ / ١١١م)، في كتابه الذخائر والتحف (المقتنيات الفنية)، وثق وسجل ووصف فيه الذخائر والتحف التي وجدت في قصور الخلفاء والملوك والولاة والناس، كما سجل الرسائل المتبادلة بين ملوك

العرب وملوك أوروبا والهند والصين. وكذلك الأبيهي، (٧٩٠-٨٥٠هـ / ١٣٣٨ - ١٤٤٦م)، في كتابه المستظرف في كل فن مستظرف، سجل الغرائب واللطائف والنوادر والقصص والأساطير، التي تصور الموروث الشعبي في الحضارة العربية الإسلامية. وكذلك مقامات بديع الزمان الهمداني ومقامات الحريري.

ومن الكتب التي تصور الموروث الشعبي التي عنيت الحضارة الإسلامية بجمعها وحفظها كتب السير مثل: سيرة عنتر بن شداد، وسيف بن ذي يزن، والأميرة ذات الهمة، والظاهر بيبرس، وجحا، وعلى بابا والأربعين حرامي، والسندباد البحري، والشاطر حسن، والشعر النبطي، وشعر الزجل، وألف ليلة وليلة التي ألهمت وألهمت الخيال الغربي الأوروبي ووطنت سحر الشرق في مدينة بغداد. والصورة المرفقة لصفحتين من مخطوطة الكتاب توضح حجمه وتبين تقانة الحيك القصصي، وأسلوب سرد الأحداث وعناصر الإثارة والتشويق في سردها، كما تبين تقانة الكتابة والحفظ.



صورة لصفحتين مخطوط كتاب ألف ليلة وليلة (نقلت من الشبكة)

هذه الكتب من التراث الشعبي، وغيرها الكثير لا تتسع الدراسة لحصرها مثل سجلات للإنجازات والتراث الإنساني، المادى واللامادى، الذى أنتجته وعينت الحضارة العربية الإسلامية بحفظه وجمعه وتدوينه. كما تتم روايته فى أماكن اللهو العامة كالمقاهى، حيث يقوم شخص يعرف بالحكواتى برواية، هذه القصص من السير الذاتية لعنتربن شداد وغيره، وكان هذا النوع من اللهو فى التراث الشعبى شائعاً فى مقاهى معظم المدن العربية حتى ستينيات القرن الماضى، ولا يزال يقدم عروضه بمدينة دمشق حتى يومنا الحاضر فى مقهى النوفرة، شرقى الجامع الأموى،. كما أن نوعاً آخر من اللهو كان يقدم فى المقاهى يعرف بأرجوز وعبواز (كراكوز وعبواض).

واللافت أن الشعر النبطى ما زال فاعلاً فى دول الخليج العربى والأردن وسوريا، وبعض الدول العربية خصصت له برنامجاً إذاعياً وأقامت ديوانيات خاصة لشعرائه، كما يتم تسجيله على أشرطة التسجيل وتداوله بين الناس بيعاً وشراءً. أما شعر الزجل فاشتهر فى مصر وبلاد الشام، وبصفة خاصة فى لبنان وفلسطين، وفى لبنان خصص له برنامج تلفزيونى، أما فى فلسطين فما زال يستعمل فى أفراس الريف ويطلق على شعرائه لقب القويلة، ويجتمع فى الفرحة شاعرين (قويلين) أو أكثر، ويتم السجال بينهما، على أنغام الشبابة أو الأرغول، مباشرة إما بالمقابلة أو المعارضة. وقد جمع ما قيل فى هذا الفن، كما يتم تدوين ما يستجد منه لأنه ما زال فاعلاً ومستخدماً.

وأكتفى بهذا القدر للتدليل على أسباب الحفاظ للمنجزات اللامادية فى المستوى الإسلامى، وهو غيضى من فيض، إذ إن الحضارة الإسلامية هى الحضارة الأولى التى وثقت ودونت وسجلت إنجازاتها. فهى بكل المعايير مصدر لمفاهيم الحفاظ على التراث الإنسانى؛ لأنها ضمت وشملت ثقافة شعوب مختلفة، منتشرة فى مناطق جغرافية شاسعة، تمتد فى آسيا وأفريقيا وأوروبا ووصل تأثيرها إلى أمريكا الشمالية وحالياً امتدت ثقافتها إلى كل مكان فى العالم.

وبالجمله فإن الحفاظ على الإنجازات العربية الإسلامية المادية واللامادية أخذ شكلاً مؤسسياً، بمعنى أنه كان عملاً مشتركاً بين الدولة والمواطنين. وهذا الأمر يتجلى بصورة أكثر وضوحاً في الحفاظ على الإنجازات المادية (المعمارية) للمستوى الإسلامي، الذي يعتبر بحق المصدر الأول للحفاظ المادي للإنسانية كما سأوضح فيما يلي من عرض وتحليل.

أما الإنجازات المادية (المعمارية) فقد عرضت لها في دراسة موسعة، نشرتها المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم (الإيسيسكو)، في كتاب بعنوان، الحفاظ المعماري في الحضارة العربية الإسلامية^(١)، وقد أشرت إلى هذا الكتاب في المقدمة. وبينت فيه أن الحضارة الإسلامية هي أول حضارة في العالم تنص وتتبنى صراحة وبوضوح تام مفاهيم الحفاظ المادي (المعماري). وبينت أن الحفاظ مفهوم أبدي سرمدى ولد في رحم الشريعة الإسلامية وارتبط بفلسفة تاريخها. كما بينت أن مصدر هذا المفهوم هو مؤسسة الوقف الإسلامي، وأن مشاريع الوقف هي مشاريع حفاظ مادي معماري. وأن إدارة مشاريع الوقف هي نفسها إدارة مشاريع الحفاظ، وأن واجبها الأول هو الحفاظ على الأعيان (المباني) الموقوفة، كما بينت أن الجهاز الإداري لإدارة مشروع الحفاظ يشمل تعيين جهاز فني للصيانة، ويتضمن معمار وبناء ونجار وقنواتي. كما بينت أن ميزانية مشروع الوقف هي ميزانية مشروع الحفاظ، وأن أولوية صرف ريع الوقف تخصص للحفاظ المادي على الأعيان الموقوفة. كما عرضت لتقانات الحفاظ النظرية والعملية وبينت حجم التدخل لكل تقانة عملية من التقانات السبع وهي: العمارة، والترميم، والتجديد، والإضافة، والرقع، والقلع والنصب، والهدم وإعادة البناء. تم عرضت لأنواع السجل المعماري ولطرق وتقانات التوثيق. وختمت الكتاب

١ - انظر: المرجع في الهامش رقم ١.

بيان دور الوقف والحفاظ في التنمية، وبينت أنه لا تعارض بين التنمية والوقف والحفاظ، وأن الأخيرين هما أكبر مصدر للتنمية التعليمية والتربوية، والاجتماعية، والصحية، والصناعية والسياحية، والاقتصادية.

مما سبق يتضح أن اهتمام الحضارة الإسلامية بإنجازاتها الإنسانية ("التراثية") اللامادية والمادية والحفاظ عليها، هي الأقدم زمنياً والأعمق معرفياً، من أية حضارة أخرى. وأن مفهومها للحفاظ مفهوماً مؤسسياً عقلانياً وليس عاطفياً كما بدأ في الغرب في ثلاثينيات القرن الماضي ولم يأخذ الصفة المؤسسية إلا في ستينيات القرن الماضي أيضاً. كما أنه مصدر أساس للتنمية ينميها ويحفظها ولا يتعارض معها. وسنرى جانباً آخر لمفهوم إسهام الحضارة الإسلامية للتراث الإنساني في المستوى غير الإسلامي الذي سيكون موضوعنا التالي.

المستوى غير الإسلامي :

من المعروف أن الحضارة العربية الإسلامية هي التي حفظت الإنجازات الثقافية للحضارات المنقرضة : الفرعونية، والسومرية، والأشورية، والبابلية، والعربية في اليمن. واليونانية، والهندية والرومانية، والفارسية. وقد بينت في المستوى الإسلامي أن الحفاظ على مبانى عبادة الديانة المسيحية وعلى حرية ممارسة المسيحيين لدينهم تم طبقاً للآية الكريمة: ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ... ﴾ (٢٥٦) ^(١)، وقرار سياسي من كل من الخليفة أبو بكر والخليفة عمر. فحفظاً للمسيحية تراثها المادى واللامادى المتمثل بعقيدتها الدينية وبمنظومة قيمها.

وأكثر من ذلك فإن الفضول العلمى دفع المؤرخين المسلمين ليكتبوا ١٣

مؤلفاً^(١) عن الأديرة النصرانية في العراق وبلاد الشام وفلسطين والجزيرة ومصر. وأذكر منها كتاب أبو الفرج الأصبهاني الديارات، وكتاب الشابشتي المتوفى (٣٨٨هـ - ٩٨٨م) الديارات، وكتاب الشمشاطي المتوفى (٣٩٤هـ - ١٠٠٣م) الأديرة والإعمار في البلدان والأقطار. كما تحفل كتب التاريخ والخطط والجغرافيا بفصول وأبواب عن الديارات والكنائس، أخص منها: كتاب ياقوت الحموي المتوفى (٦٣٦هـ - ١٢٢٩م) معجم البلدان الذي سجل في الجزء الثاني منه ١٩٠ ديراً. وكتاب المقرئ المتوفى (٨٤٥هـ - ١٤٤١م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، الذي سجل فيه كنائس القاهرة وبعض ديار مصر. وكتاب مجير الدين العلمي الحنبلي (٩٠٠هـ - ١٤٩٤م)، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، الذي سجل فيه ٢٠ كنيسة داخل مدينة القدس وفي محيطها.

ولقد وصف المؤلفون الديارات ومواقعها من الخارج، أما وصفها من الداخل فكان نادراً لتعذر دخولها، كما وثقوا الشعر الذي قيل في معظم هذه الأديرة، وبعض الأحداث الاجتماعية والأعياد، وبينوا كيفية تواصل المسلمين مع محيطها البيئي، وكيف تعاملوا مع محيطها كمتنزهات، وجعلوها جزءاً من العمران الحضري والنسيج المعماري للمدن بعد أن كانت أماكن منعزلة عن محيطها الحضري. وبهذا يتضح كيف حافظت الحضارة الإسلامية على التراث المسيحي المادي واللامادي. واللافت للنظر أن ياقوت الحموي أكد أن الفضول العلمي، والتوثيق هما السبب الرئيس لتأليفه لمعجمه، حيث ذكر في مقدمة معجمه^(٢):

١ - ورد هذا العدد في مقدمة كتاب الديارات التي كتبها محقق الكتاب.

- انظر: الأصبهاني، أبو الفرج، (٢٨٤-٣٥٦هـ / ٨٩٧-٩٩٧م)، الديارات، تحقيق جليل عطية، دار رياض الريس، لندن، ص: ٢٧-٣١.

٢ - انظر: الحموي، ياقوت (٦٢٥هـ - ١٢٢٧م)، معجم البلدان، ٥ أجزاء، دار صادر (١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م)، بيروت، ج ١ / ٧ - ١٥.

"... فهذا كتاب في أسماء البلدان... والقرى واحمال... وقال وهو أصدق القائلين: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ ﴾ (١١) ﴿ (١)، أى أنظروا إلى ديارهم كيف درست وإلى آثارهم وأنوارهم كيف انطمست... لأن من هذه الأماكن ما هي مواقيت للحجاج والزائرين ومعالم الصحابة والتابعين... ومشاهد للأولياء والصالحين... فألقى حينئذ في روعى افتقار العالم إلى كتاب في هذا الشأن مضبوطاً... ورتبته على حروف المعجم... حتى لقد ذكرت أشياء كثيرة تأبها العقول، وتنفر عنها طباع من له محصول، لبعدها عن العادات المألوفة، وتنافرها عن المشاهدات المعروفة... لأننى كتبتها حرصاً على إحراز الفوائد وطلباً لتحصيل القلائد منها والفرائد...".

وهذا يوضح بما لا يدع مجالاً للشك أن الفضول العلمى للحفاظ على الإنجازات العربية الإسلامية وتراث الآخرين كان هدفاً ومطلباً للحضارة العربية الإسلامية، حتى لو كان خرافة أو أسطورة، وبصرف النظر عن الدين والمعتقد.

وياقوت تبنى بفضوله العلمى مطلباً دينياً، وسار على نهج مئس، نهجه الخلفاء من قبله فى جمع القرآن الكريم، والحديث الشريف، والشعر الجاهلى، فى جمع وترجمة التراث الشعبى للحضارات المنقرضة، كما فعل من قبله عبد الله بن المقفع (٨٠-١٤٣هـ / ٦٩٩ - ٧٦٠م) فى ترجمته لكتاب كليله ودمنة من الفارسية، على الرغم من اختلاف (٢) الروايات فى هذا الكتاب، فمنهم من ينسبه إلى أصول هندية ترجمت إلى الفارسية وترجمها ابن المقفع للعربية، ومنهم من يقول أنه من وضع ابن المقفع نفسه ونسبه لأصول فارسية.

وكذلك الأمر فى جمع التراث العلمى فالحليفة العباسى هارون الرشيد

١ - سورة المائدة.

٢ - انظر: ابن المقفع، عبد الله، (٨٠-١٤٣هـ / ٦٩٩ - ٧٦٠م)، كليله ودمنة، تحقيق مفيد قميحة، دار الشواف للطباعة والنشر، الرياض، ص: ٢٩.

(١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٩م) أنشأ بيت الحكمة، الذي طوره ابنه الخليفة المأمون (١٩٨-٢١٨هـ/٨١٣-٨٣٣م) ليصبح صرحاً علمياً مميّزاً، وظف فيه علماء عصره، وجمع كل ما وصلت إليه يده من إنتاج الحضارات السابقة. وبصفة خاصة اليونانية، والسنسكريتية، والهندية. وحفظ هذا الإنتاج مترجماً، ومدققاً، ومنقحاً، باللغة العربية، وبلغته الأصلية، حيث قام المسيحيون بدور مهم في عملية الترجمة من اليونانية والسريانية إلى العربية. وأكثر من ذلك فإن الخليفة المأمون قد منح تفرغاً^(١) علمياً للعالم اللغوي الكوفي الفراء في بيت الحكمة، "ليجمع أصول النحو وما سمع من العرب (أى الشعر) ووكل به من يكفيه حاجته حتى لا يتعلق قلبه ولا تتشوق نفسه إلى شئ وحتى أنهم كانوا يؤذونه (يقيموا الآذان له) في حجرته بأوقات الصلوات (تأمل وترحم على ملوك العلماء) (التعليق بين القوسين) (من وضع الرفعى) وصير له الوراقين، وألزمه الأمانة والمنفقين، فكان الوراقون يكتبون وهو يملئ حتى صنف الحدود (كتاب فى النحو)".

يتضح من بيت الحكمة دور القرار السياسى والفضول العلمى، فى جمع وحفظ التراث الإنسانى وتدوين الإنجازات العلمية والثقافية للحضارة العربية الإسلامية. كما يتضح أن بيت الحكمة كان أول وأكبر مصدر للتنمية العلمية والثقافية فى العالم.

ولقد قام ابن النديم (٣٧٧هـ - ٩٨٧م) صاحب كتاب الفهرست، بتسجيل جميع الكتب التى ترجمت من هذه الحضارات، ووثق أسماء مؤلفيها، وخص مواضيعها. كما حوى سجلاً للتراث اللامادى شمل جميع الكتب المؤلفة فى التراث الشعبى: كالأسمار والخرافات والعزائم والسحر والشعوذة، وأخبار السامريين والخرفين والمصورين، وكتب الطبخ، وكتب تعبير الرؤيا أو تفسير الأحلام، وكتب النوادر، وكتب عشاق الإنس للجن وعشاق الجن للإنس، وكتب عجائب البحر، وكتب أسماء العشاق، وكتب تركيب العطور. والواقع أن كتاب ابن النديم يعتبر سجلاً للمنتجات

١ - انظر: الرفعى، مرجع سابق، ج ١ / ٤١١ .

الإسلامية المادية واللامادية أو الإنسانية، وللتراث المادي واللامادي أو الإنساني للحضارات: اليونانية، والفارسية، والسنسكريتية، والهندية، والصينية. والحقيقة أن الدور الذي قام به ابن النديم أشبه ما يكون بدور المكتبات الوطنية ودور حفظ الوثائق في عصرنا الحاضر. ولقد نَهَجَ نَهَجُ ابن النديم الكثير من الموثقين العرب والمسلمين. وعليه فإن عملية التوثيق والحفظ هي من إبداعات الحضارة الإسلامية.

كما قام الكثير من علماء المسلمين بدراسة هذه الحضارات وتوثيقها، أخص منهم الجغرافي والمؤرخ العربي الهمداني المتوفى (٣٥٠هـ - ٩٦٢م) صاحب كتاب الإكليل، الذي قام بدراسة الحضارات العربية في اليمن، ووثق إنجازاتها المادية (المعمارية) واللامادية في الجزء الثامن من كتابه.

كما قام البيروني (٣٦٢-٤٤٠هـ / ٩٧٣ - ١٠٤٨م) بدراسة كل ما أنتجته الحضارة الهندية على مدى ٤٠ سنة، عاشها بين ظهرائهم، فدرس ووثق علومهم، وفنونهم، وفلسفتهم، ولغاتهم، ودياناتهم، وسلوكهم، وعاداتهم، وقيمهم، وعمرائهم في كتابيه: الآثار الباقية من القرون الخالية، وكتاب تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة. وربما تكون دراسات البيروني، إلى جانب دورها الريادي في التراث الإنساني، هي أول الدراسات في علم الإنسان (الأنثروبولوجي).

كما درس الغرناطي (٤٧٣-٥٦٥هـ / ١٠٨٠ - ١١٧٠م) صاحب كتاب تحفة الألباب ونخبة الاعجاب، التراث المادي للحضارة الفرعونية. وكذلك الإدريسي المتوفى (٥٦٠هـ-١١٦٥م) ألف كتاباً عن الهرم، ودرسه دراسة عميقة. والبغدادي (٥٧٥-٦٢٩هـ / ١١٦٢ - ١٢٣١م) صاحب كتاب الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، درس وسجل التراث المادي للحضارة الفرعونية.

والمقريزي (٧٦٦-٨٤٥م / ١٣٦٤-١٤٤١م) صاحب كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقريزية، من أكثر الكتب التي عنت بالحفاظ

على التراث الإنساني للحضارة الفرعونية، والإنجازات الإنسانية للحضارة العربية الإسلامية. والكتاب في غاية الدقة والموضوعية، وفضوله العلمي وأهدافه ومنهجيته في التوثيق في منتهى الوضوح، ووضعت بوعى وقصد، كما ذكر في مقدمة كتابه (١):

"وكانت مصر هي مسقط رأسى... وآتاني ربي الفطانة والفهم أرغب في معرفة أخبارها... فقيدت بخطي في الأعوام الكثيرة وجمعت من ذلك فواتد قل ما يجمعها كتاب... إلا أنها ليست مرتبة على مثال... فأردت أن أخص فيها ما بديار مصر من الآثار الباقية عن الأمم الماضية والقرون الخالية وما بقي بفسطاط مصر من المعاهد غير ما كاد يفنيه البلى والقدم ولم يبق إلا أن يمحور رسمها الفناء والعدم، وأذكر ما بمدينة القاهرة من آثار القصور الزاهرة، وما اشتملت عليه من الخطط والأصقاع وحوته من المباني البديعة الأوضاع، مع التعريف بحال من أسس ذلك من أعيان الأمائل والتنويه بذكر الذي شادها من سراة الأعظم والأفاضل...".

والواقع أن الحضارة الفرعونية حُضِيَتْ بالكثير من الاهتمام من قبل العلماء المسلمين، لا تتسع هذه الدراسة لحصر المؤلفات التي عنيت بدراسة وتوثيق تراثها الإنساني (المادى واللامادى).

كما حُظِيَ التراث الإنساني الفارسي باهتمام الحضارة الإسلامية، فوثق الشاعر البحرى (٢٨٦هـ - ٨٩٩م) إيوان كسرى بمدينة المدائن (سلمان باك حالياً)، في قصيدته السينية، فكانت سجلاً معمارياً وفنياً بكل المعايير، وسأعرض لمقتطفات منها (٢):

- ١ - انظر: المقرئى، أحمد (٧٦٦-٨٤٥هـ - ١٣٦٤-١٤٤١م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقرئية، جزآن، دار صادر، بدون تاريخ نشر، بيروت، ج ١ / ٢ - ٥.
- ٢ - انظر: البحرى، الوليد (٢٨٦هـ - ٨٩٩م)، ديوان البحرى، جزآن، شرح وتعليق د. محمد التوحي، دار الكتاب العربى (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م) بيروت، ج ٢ / ٦٣١ - ٦٣٦.

حضرت رجلي الهوم فوجهه
 ست إلى أبيض المدائن عنسى
 أتسلى عن الحظوظ وآسى
 نحل من آل ساسان درس
 وهو ينبسك عن عجائب قوم
 لا يشاب البيان فيهم بلبس
 تصف العمين أنهم جند أحيا
 ء لهم بينهم إشارة خرس
 يغتلى فيهم ارتياحى حتى
 تتقراهم يداى بلمس
 وكان الأيون من عجب الصنعة
 جوب في جنب أرعن جلس
 مشمخر تعلو له شرفات رفعت
 فى رؤوس رضوى وقس
 فهو يبدى تجلداً وعليه
 كل كل من كلال الدهر مرسى
 ليس يدري أصنع إنس الجن
 سكونه أم صنع جن إنس
 غير أنى أراه يشهد أن لم
 يك بانيسه فى الملوك بنكس
 ذاك عندى وليست الدار دارى
 باقتراب منها ولا الجنس جنسى

وأنهى بكتاب عجائب الهند (القرن ٣هـ - ١٠م) ليرزك بن شهريار الناخداه
الرامهرمزي الذي حوى الكثير من التراث الشعبي الهندي، والكتاب من منشورات
بريل بليدن في هولندا سنة ١٨٨٦م.

وبالجملة فإنه لا يكاد يخلو مصدر من المصادر التاريخية والجغرافية من ذكر
وتوثيق للمنجزات الثقافية لهذه الحضارات وبصفة خاصة الإنجازات المعمارية.

وختاماً فقد بينت أن الجهد العلمي المميز الذي بذلته الحضارة العربية الإسلامية
في الحفاظ على إنجازاتها المادية واللامادية والتراث الإنساني غير الإسلامي، لم يكن
ترفاً معرفياً، بل واجب ديني ومتطلب حضاري وفضولاً علمياً، فرضته الشريعة
الإسلامية على إنتاجها العلمي والثقافي وعلى إنتاج غيرها من الحضارات السابقة
 والمعاصرة لها. فالحفاظ على التراث الإنساني ولد في رحم الشريعة الإسلامية وارتبط
 بفلسفة تاريخها، وقد تم طبقاً لمنهجيات في الجمع وتقانات في التحقيق والتوثيق
 والتدوين والتصنيف. عرضت لمصادرها، وبينت بعض منها وأحلت القارئ إلى بعض
 مظانها. وبينت أن الحضارة العربية الإسلامية هي أقدم وأكبر وأغنى مصدر للتراث
 الإنساني، والأعمق معرفياً في العالم. وهذا يرتب على أبنائها الإمام بإنجازاتها وتسويق
 إبداعاتها في مجال الحفاظ الإنساني. كما يرتب على منظمة اليونسكو أن تستمر
 وتوظف جهد الحضارة الإسلامية في هذا المجال.

خاتمة

خصصت هذه الدراسة للمنجزات والتراث الإنساني في الحضارة العربية الإسلامية، فعرضت لتصنيف منظمة اليونسكو للمنتجات الثقافية العالمية إلى: آثار وتراث. ثم عرضت لتصنيفها التراث إلى: مادي، ولا مادي، وإنساني. وبينت أن الأخير يجمع بين الأول والثاني، كما بينت أن ميثاق منظمة اليونسكو نص على أن التراث الإنساني ملك للبشرية جمعاء، وأن واجب الحفاظ عليه لا يقع على كاهل الثقافة التي أنتجته فحسب، بل أمي (أي دولي ممثل بالمنظمة) في نفس الوقت. ثم صنفت التراث زمنياً إلى: قديم وحديث.

ثم عرفت الدراسة التراث الإنساني، وبينت أن تصنيف اليونسكو أغفل خصوصية الحضارة الإسلامية، لأنها حضارة قائمة منتشرة في المكان ومستمرة في الزمان، ولأن إنجازاتها الثقافية المادية واللامادية مرتبطة بفلسفة تاريخها، فاعلة، وتؤدي وظائفها، موثقة ومدونة، ولأن الحفاظ عليها واجب شرعي كما هو الحال في مؤسسة الوقف التي تنص على أن استعمال الإنجازات الثقافية يجب أن يكون أبدياً إلى أن يرث الله الأرض وما عليها. ثم بينت الدراسة أن ما جرى عليه التقادم من إنجازاتها بفعل التطور موثق ومدون ومحفوظ متحياً، فهو منجز ثقافي لهذه الأسباب، ويمكن تسمية هذا الجزء، تجاوزاً، بالتراث.

وأوصت الدراسة أن على الدول العربية والإسلامية التحفظ على تصنيف الإنجازات الإسلامية إل آثار وتراث كالتالي: لما كانت الحضارة العربية الإسلامية حضارة قائمة، منتشرة في المكان ومستمرة في الزمان، فإن جميع إنجازاتها المادية (المعمارية) هي مبانٍ صالحة للاستعمال أو إعادة التأهيل، وأن ما جاء في ميثاق اليونسكو والمواثيق الدولية والهيئات الغربية من تصنيف زمني للإنجازات المادية: كأثار وتراث، تصنيف لا يعني الحضارة العربية الإسلامية، ولا يرتب عليها أي التزام أدبي أو معنوي أو قانوني.

ثم عرضت الدراسة لدور الحضارة الإسلامية الريادى فى توثيق وتسجيل وحفظ الإنجازات والتراث الإنسانى ضمن مستويين: إسلامى وغير إسلامى. وبينت أن المستوى الأول خاص بإنجازاتها الثقافية، كتدوين القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر الجاهلى، وجمع منتجها الثقافى الفنى كالأغانى، والموروث الشعبى كالسير والعجائب والغرائب والمسامرة واللهو. وبينت الدراسة أن الحضارة الإسلامية هى أكبر مصدر للتراث الإنسانى وذلك لانتشارها الجغرافى وتنوعها الثقافى بسبب كثرة الشعوب التى اعتنقت الإسلام. كما بينت الدراسة الدور المؤسسى الذى تبنته الحضارة الإسلامية فى توثيق وحفظ التراث الإنسانى للديانة المسيحية ولغيرها ممثلاً بوصية أبو بكر وبالعهد العمرى التى تشكل أول ميثاق عالمى للحفاظ على الموروث الإنسانى.

ثم عرضت الدراسة للمستوى غير الإسلامى وبينت مرة أخرى الدور الريادى للحضارة الإسلامية فى جمع وحفظ وترجمة المنتج العلمى والثقافى للحضارات المنقرضة بصورة مؤسسية واستشهدت ببيت الحكمة الذى أسسه هارون الرشيد بمدينة بغداد، والذى فعله ابنه المأمون الذى جمع التراث اليونانى والسنسكرىتى والهندى ووظف المترجمين لترجمته للعربية، فحفظت كل هذه الإنجازات للإنسانية. كما بينت الدراسة دور بيت الحكمة فى التنمية العلمى والثقافية.

ثم بينت الدراسة دور الفضول العلمى عند العلماء المسلمين فى حفظ تراث الحضارات المنقرضة كالفراعونية (المصرية القديمة) الثقافية والعلمية، وعرضت لبعض الدراسات التى عنت بها. كما عرضت لدور البيرونى فى توثيق وحفظ تراث الحضارة الهندية. كما عرضت الدراسة أيضاً لسينية البحترى فى توثيق إيوان كسرى بمدينة المدائن، ولترجمة ابن المقفع لكتاب كليله ودمنة من الفارسية للعربية.

ونوهت الدراسة بالمجهود العلمى المميز للحضارة الإسلامية فى الحفاظ على

الإجازات المادية والأماضية الإسلامية وغير الإسلامية، وبينت أنه لم يكن فضولاً معرفياً من العلماء المسلمين فحسب، بل متطلب حضارى وواجب دينى، فرضته الشريعة الإسلامية على إنتاجها الثقافى وعلى إنتاج غيرها من الحضارات السابقة والمعاصرة لها. وأوصت الدراسة بأن على اليونسكو أن تستمر بل أن تتبنى التجربة الإسلامية فى الحفاظ على إنجازاتها الثقافية وتراث الآخرين؛ لأنها أكبر وأقدم وأغنى مصدر للتراث الإنسانى.

obeikandi.com

الإعلام والحوار والحضارة

أ.د / أسعد السحمراني

أستاذ العقائد والأديان في جامعة الإمام الأوزاعي - بيروت

أمين الشؤون الخارجية في اتحاد الكتاب اللبنانيين

تمهيد :

إن عنوان هذا البحث يضم ثلاثة مصطلحات هي: الإعلام، والحوار، والحضارة، وكل واحد من هذه المفردات يحتاج لوقف، وتحديد لما لها من تأثير كبير في حياة الفرد والمجتمع.

وإذا كانت وسائل الإعلام قد حققت تطوراً سريعاً على شكل طفرات نوعية في السنوات الأخيرة فإن الإعلام قد فرض تحدياً يحتاج استجابات كي يوظف هذا التقدم في وجوه مفيدة في مسار حياة الأمم والجماعات والأفراد؛ لأن الإعلام كأية وسيلة ابتكرها الإنسان، أو قام بتطويرها، سلاح ذو حدين؛ إما أن يوظف في الخير والصلاح والصالح العام، أو أن يوظف في الهدم والإفساد والشرب.

أما الحوار فإنه عنوان لفعاليات وأنشطة تعجّ بها المنتديات والمؤتمرات، وشاشات التلفزة، وصفحات الكتب والدوريات، وبرامج الإذاعات، ومواقع الشبكة البيانية (Internet)، لكن الحوار كي يكون مجدداً يحتاج إلى ضوابط وممارسات على مختلف المستويات.

وتبقى الحضارة التي هي ما تنجزه كل أمة في عالم الفكر والاكتشاف والاختراع، وفي أنواع الأدوات والمقتنيات، وهذا شأن إنساني فيه الكثير من المشترك، كما أن الحضارة كلما تقدمت كانت في صالح الإنسان المستخلف في الأرض تحقيقاً لسعادته، أو قد تكون في غير صالحه، لا بل سبباً لشقائه إن وظفت منجزات الحضارة في السيطرة، والاعتصاب، والهيمنة والنهب.

وقففة مع المصطلح (الإعلام) :

والإخبار والإنباء مصطلحات تدور حول دلالات متقاربة. وعند الراغب الأصفهاني :

"الإعلام: اختصّ بما كان بإخبار سريع، والتعليم: اختصّ بما يكون بتكرير وتكثير حتى يحصل منه أثر في نفس المتعلم." (١) وقال الراغب الأصفهاني: "خبر: الخبر؛ العلم بالأشياء المعلومة من جهة الخبر... وأخبرت: أعلمت بما حصل لى من الخبر... وقال الله تعالى: ﴿قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ (٩٤) ﴿والتوبة، أى من أحوالكم التي نخبر عنها" (٢).

وقال كذلك: "نبأ: النبأ خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن، ولا يقال للخبر فى الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة، وحقّ الخبر الذى يقال فيه نبأ أن يتعرّى عن الكذب... ولتضمن النبأ معنى الخبر يقال: أنبأته بكذا كقولك أخبرتة بكذا، ولتضمنه معنى العلم قيل: أنبأته كذا كقولك أعلمته كذا" (٣).

إن تداول الأخبار والخبرات، ونقل العلوم والمعارف، لا يكونون دون إعلام وإنباء وإخبار، وذلك لا يكون دون وسائل ووسائط، وبذلك ارتبط الإعلام بالوسائل. وقد ذهب هذا المذهب "المعجم العربى الأساسى" حيث جاء فيه: "إعلام: النشر بواسطة الإذاعة والتلفزيون والصحافة. ووزارة الإعلام: الوزارة المسؤولة عن إعلام الدولة، أى المعلومات التى ترغب الدولة بنشرها، ولذا فهى تشرف على الإذاعة والتلفزة والصحف" (٤).

- ١ - الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق نديم مرعشلى، بيروت، دار الكتاب العربى، سنة ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م، ص ٣٥٦.
- ٢ - الراغب الأصفهاني، م.س.، ص ١٤٢.
- ٣ - الراغب الأصفهاني، م.س.، ص ٥٠٠.
- ٤ - المعجم العربى الأساسى، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، لاروس، تونس، سنة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ص ٨٦٠، ٨٦١.

هذا التحديد مُحدد سلطوي وتقليدي؛ لأن الإعلام بات يشمل وسيلة جديدة هي الشبكة البينية (أنترنت)، ووسائل الإعلام منها ما هو حكومي قد يصح فيه ما قاله "المعجم العربي الأساسي"، وربما أصبح هذا الإعلام هو الأكثر عدداً وأوسع انتشاراً، وكل مالك لمؤسسة فرداً كان أم مؤسسة له أفاهيمه ومشروعه السياسي والاجتماعي والاقتصادي والفني، ويوظف هذا الإعلام في خدمة مشروعاته هذه وأغراضه.

وجاء في "معجم النفاثس الكبير": "أعلمه الخبر وبالخبر: أخبره به.

... الإعلام: الإسراع في الإخبار، ومنه وسائل الإعلام، وهي مرئية ومسموعة ومقروءة"^(١).

تأسيساً على ما تقدم يكون الإعلام سبيلاً لنقل أخبار الحوادث ومجريات مختلف الشؤون في الأوطان والأمم في العالم قاطبة، ويهدف الإعلام إلى نشر أطروحاته وتسويقها من أجل صناعة رأى عام باتجاه تريده هذه الوسائل الإعلامية وتلك، ويصح القول: "إن الإعلام هو مصدر تزويد الناس بالأخبار والمعلومات كي يساهم ذلك في جلاء الحقائق، وتبيين الوقائع من أجل أن يساعد هذا الأمر في صنع الرأى والاتجاه تمهيداً لصنع القناعات.

وإذا كان لكل علم ميدانه الذى يفعل فعله فيه، فإن ميدان الإعلام هو العمل مع الإنسان، فالإنسان هو المحور فى العملية الإعلامية فكراً ووجداناً حتى من الناحية المادية"^(٢).

لقد جاء البلاغ الإلهي في النص القرآني مؤكداً على أن استخلاف الإنسان في الأرض ترافق مع نعمة إلهية انفرد بها الإنسان هي أن الله تعالى قد علم آدم الأسماء

١- معجم النفاثس الكبير، إشراف أ.د. أحمد أبو حاق، بيروت، دار النفاثس، ط١، سنة ١٤٢٨هـ-

٢٠٠٧م، ص ١٣٢٠.

٢- السحمراني، أسعد، الإعلام أولاً، بيروت، دار النفاثس، ط١، سنة ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م، ص ٢١.

كلها، وبعد أن علم آدم بإمكانه إعلام غيره وإخباره بما علم، وكان أمر الله تعالى له: "أنبئهم". قال الله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٢١) «البقرة»، وقال الله تعالى: ﴿ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ (٢٣) «البقرة».

إن علم آدم الأسماء هو الذى مكّنه بأن ينبئ الملائكة ويخبرهم ولو لم يكن عنده علم لما تمكن من الإنباء وإعلام الآخرين. والإعلام يقوم به من امتلك العلم، أما من جهل فإنه لا يستطيع الإعلام والإنباء؛ لذلك سلّمت الملائكة عند العجز عن الرد بسبب امتلاك آدم علم الأسماء الذى لا تجيده. وهذا أصل فى الإعلام، فالعلم والصدق من مقومات حامل الرسالة الإعلامية، أما من كان جاهلاً ومحملاً بالشائعات والأوهام فإن ما ينشره يكون أكاذيب لذلك يكون الحوار محتاجاً لإعلامى عالم وصادق.

الحوار:

الحوار حاجة إنسانية ملازمة للإنسان منذ آدم الأول، فالإنسان الذى يأنس بسواه من بنى جنسه، يكون تواصله مع ذاته حواراً داخلياً تأملياً، وحواره مع غيره كلاماً وأقوالاً تحوى مواقف وآراء، أو أفاهيم ومعارف، والحوار أول سبل التقارب والتلاقي والتعاون، أو قد يكون سبباً للتباعد والنفور.

إن الحوار ضرورة بشرية كى يتعارف الناس من خلاله، ويتفاهموا، والغاية التى تحفز عليه هى التأسيس لعلاقات إيجابية بين المتحاورين توفر المناخات لعيش مستقر بين الناس.

والحوار هو تبادل الكلام بين طرفين مع التردد، واحتمال التراجع من قبل أحد طرفي الحوار. عند الراغب الأصفهاني: "حار الماء فى الغدير: تردد فيه... والقوم فى

حوار: فى تردّد إلى نقصان وتردد فى الحال بعد الزيادة فيها، وقيل: حار بعدما كان، والمخاورة، والحوار: المرادّة فى الكلام" (١).

وقال ابن منظور: "الحوار: النقصان بعد الزيادة؛ لأنه رجوع من حال إلى حال، وفى الحديث: (نعوذ بالله من الحور بعد الكور)؛ معناه: من النقصان بعد الزيادة، وقيل: من فساد أمورنا بعد صلاحها، وأصله من نقص العمامة بعد لفّها، مأخوذ من كور العمامة إذا انتقض ليها... وفى المثل: حور فى محارة، معناه نقصان فى نقصان، ورجوع فى رجوع" (٢).

إن البشر بحاجة لمراجعة أمورهم على مختلف المستويات، وفى مختلف الميادين، ولا تستقيم العلاقات، أو ينطلق مسارها بالشكر القويم إلا بعد مراجعة وحوار، وأخذ ورد فى الكلام والأفكار.

"الحوار هو المراجعة فى الكلام، أو الأخذ والرد بين شخصين أو طرفين، لكل منهما أفاهيمه أو أفكاره أو آراؤه أو مقترحاته، وتجاذب أطراف الحديث بين طرفين أو أكثر يُهدف منه الوصول إلى لغة مشتركة، ومفاهيم متقاربة، وتشخيص موحد إن أمكن للأشياء كلّها، وللمشكلات كافة.

فالحوار لا تكون فيه معاندة، بل منهجه يستلزم أن يدخله الأطراف، وعندهم الجاهزية للتنازل أو للتراجع عما يبيّن لهم الآخرون عدم جدواه، أو الاستعداد للانتقال إلى ما يطرحه الآخر، إذا كان ما يطرحه محقاً فى مواجهة باطل ما" (٢).

والحوار الجدى هو الذى يقوم على العلم؛ لأن الجهل لا يكون معه حوار بل تعصب

١ - الراغب الأصفهاني، م.س.، ص ١٣٤ .

٢ - ابن منظور، لسان العرب، ٢م، تحقيق عبد الله على الكبير وآخرين، القاهرة، دار المعارف، بدون تاريخ، ص ١٠٤٢ .

٣ - السحمرانى، أسعد، الإسلام والآخر، بيروت، دار النفائس، ط ١، سنة ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ص ١٧ .

وفتوية، كما أن الحوار يحتاج منهجاً يُعتمد؛ لأن الفوضى في تبادل الكلام دون تحديد للمنطلقات، ودون تحديد لمقاصد الحوار وغاياته، ودون تحرير لخل الحوار، والمقصود بذلك تحديد موضوع الحوار مع وقف الاسترسال والتفريع، كل هذه أمور تأسيسية حوار يوصل إلى الموقع الإيجابي.

كما أن الحوار لا يجدى إن كان من طرف واحد وبلا ضوابط، أو أن يكون مقروناً باللبس وعدم الوضوح والشفافية في الطرح، فهو بذلك يكون حوار مجموعة أشخاص أصيبوا بالصمم، ومثل هذا الحوار لن يكون له تأثير، ولا توظيف سليم، ولا ثمار تجنى. ويحتاج الحوار لمعايير تحدد شروط قبول الآخر؛ لأن الحوار في أسمى مقاصده إنما يروم تحقيق عملية قبول الآخر. وهذا القبول لن يكون إلا مع وقف العدوان والظلم واغتصاب حقوق الآخرين، والإكثار من منتديات الحوار ومؤتمراته لن تكون مفيدة ما لم تكن معايير التلاقي والقبول محددة ومضبوطة.

أما المعايير لقبول الآخر والحوار معه عند المسلمين فقد أتت في نصوص تؤصل للقبول والحوار، أو تأمر بعدم القبول ووقف كل صلح أو حوار. قال الله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨)﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩)﴾ «المتحنة».

هذا ما يحتاج دعاء الحوار أن يتنبهوا إليه؛ إنه القبول أو الرفض. لأن "قبول الآخر وهو أساس ومبدأ يقوم على معايير وضوابط، وبالتالي يكون أمر القبول مرتبطاً بهذه المعايير، وبعد التعارف، والوقوف على ما هو عليه الآخر يكون النظر والموقف،

والموقف سيكون إما القبول، وإما الرفض، وفى الحالة الثانية تكون المواجهة لعدوان هذا الآخر وتجاوزاته" (١).

وإذا كان السائد فى أيامنا ما هو متعدد، ومنه ما هو مقبول، ومنه ما هو عدوانى وينتهك الحرمات، فإن الحوار وتبادل الكلام والمجاوبة يكون مرة للتلاقى، وأخرى فى إطار التصويب، وثالثة فى إطار الممانعة والدفاع... إلخ.

الحضارة :

الحضارة أو الحضارة عند ابن منظور: "الإقامة فى الحضر... والحضر والحضرة والحاضرة: خلاف البادية، وهى المدن والقرى والريف، سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التى يكون لهم بها قرار... والحضارة والحاضر: الحى العظيم أو القوم، وقال ابن سيده: الحى إذا حضروا الدار التى بها مجتمعهم" (٢).

وفى معجم النفايس الكبير: "الحضارة: خلاف البادية، والمراد بخلاف البادية: الأمصار - الإقامة فى الحضر - ومظاهر الرقى الفكرى والفنى والاجتماعى فى المجتمعات. وحضارة الأمة: جملة مظاهرة التقدم فيها." (٣).

الحضارة هى إنجازات أمة فى مختلف الميادين، وكل ما له علاقة بالإنسان وبالتقدم العلمى والتقنى وهو ما يسمى المدنية. ويترك البحث لابن خلدون ليتحدث عن الحضارة ومجتمع الحضر، فإنه يقول: "ثم إذا اتسعت أحوال هؤلاء المنتحلين للمعاش وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفه دعاهم ذلك إلى السكون والدعة، وتعاونوا فى الزائد على الضرورة، واستكثروا من الأقوات والملابس والتأنق فيها، وتوسعة البيوت، واختطاط المدن والأمصار للحضر، ثم تزيد أحوال الرفه والدعة، فتجئ عوائد الترف

١ - السحمرانى، أسعد، م.س.، ص ٢٣ .

٢ - ابن منظور، م.س.، ص ٢٠٧ .

٣ - معجم النفايس الكبير، م.س.، ص ٣٩٧ .

البالغة مبالغها في التأنيق في علاج القوت، واستجادة المطابخ وانتقاء الملابس الفاخرة في أنواعها من الحرير والديباج، وغير ذلك، ومعالجة البيوت والصروح، وإحكام وضعها في تنجيدها والانتهاء في الصنائع في الخروج من القوة إلى الفعل إلى غاياتها، فيتخذون القصور والمنازل، ويجرون فيها المياه، ويعالون في صرحها، ويبالغون في تنجيدها، ويختلفون في استجادة ما يتخذونه لمعاشرهم من ملبوس أو فراش، أو آنية، أو ماعون، وهؤلاء هم الحضرة".^(١)

قبل الإبحار مع مصطلح الحضارة من المفيد أن يرد في البحث مصطلح الثقافة ويتم التعريف به، وبعدها تكون المقارنة، والثقافة في "لسان العرب": "ثقف الشيء ثقفاً وثقافاً وثقرفة: حدقه. ورجل ثقف وثقف وثقف: حاذق فهم... ويقال: ثقف الشيء وهو سرعة التعلم... وثقف... صار حاذقاً فطناً... وهو غلام لحن ثقف؛ أي ذو فطنة وذكاء، والمراد أنه ثابت المعرفة بما يحتاج إليه"^(٢).

وفي "معجم النفايس الكبير": "الثقافة: أصل معناها الحدق والفتنة. العلوم والمعارف والفنون والآداب وشؤون الحياة التي يطلب الحدق فيها... وسميت ثقافة لأنها تثقف الإنسان وتقوم عقله وتفكيره وسلوكه."^(٣)

الثقافة خصوصية في كل أمة والحضارة إنجازات وثمار جهد الإنسان وإبداعه، وهي عامة يمكن تبادلها ونقلها من أمة إلى أمة. الثقافة تسمو وترتقي مع الارتباط بالأصول، والأصول والمبادئ فيها ثابتة راسخة، والحضارة تراكم في النوع والكم، وهي في خط تصاعدي يعتمد فيها اللاحق على السابق.

١ - ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، بيروت، دار القلم، بدون تاريخ، ص ٩٥، ٩٦.

٢ - ابن منظور، م.س.١٠، ص ٤٩٣.

٣ - معجم النفايس الكبير، م.س، ص ٢٠٠.

لقد طرح مالك بن نبي مفهوماً يربط بين الثقافة والحضارة قال فيه :

"فالثقافة إذن تتعرف بصورة عملية على أنها : مجموعة من الصفات الخلقية، والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، وتصبح لا شعورياً العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه، فهي على هذا المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته .

وهذا التعريف الشامل للثقافة هو الذي يحدّد مفهوماً، فهي المحيط الذي يعكس حضارة معينة، والذي يتحرك في نطاقه الإنسان المتحضر . وهكذا نرى أن هذا التعريف يضمّ بين دفتيه فلسفة الإنسان، وفلسفة الجماعة؛ أي مقومات الإنسان ومقومات المجتمع، مع أخذنا في الاعتبار ضرورة انسجام هذه المقومات جميعاً في كيان واحد، تحدّثه عملية التركيب التي تجريها الشرارة الأولى عندما يؤذن فجر إحدى الحضارات" (١).

الثقافة هي الهوية، وتشمل بالنسبة للفرد والمجتمع والدين والفكر واللغة والآداب والعلوم والفنون والأعراف والتقاليد، فكل هذه الأمور المذكورة تعدّ مقومات الثقافة والهوية بالنسبة للفرد والمجتمع، وهذه الثقافة أمام التحديات تحفز الفرد والمجتمع إلى الاستجابة، وتشكل الاستجابات في إنجازات، ووجوه من التقدم والابتكار والاختراع والتطوير، وهذه تجمعها كلها مفردة حضارة. فالثقافة هوية راسخة، والحضارة إنجازات متحركة حراكاً سمتته التقدم والتطور.

نخلص إلى القول: "الثقافة أمر ينطلق من ذات الإنسان، ويحمل معنى التقويم والتنقية، رُقياً بهذه الذات باتجاه معاني الخير والحقّ والعدل والجمال، وسائر القيم. والثقافة، في جوهرها، عملية إطلاق للطاقات باتجاه توليد وعى جمعي يشكل الهوية

١ - ابن نبي، مالك، مشكلة الثقافة، دمشق، دار الفكر، سنة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ص ٧٤.

التي تقود وتطبع الحضارة بطابعها، وهي عندنا العقيدة والنظرة إلى الكون، ومجمل المبادئ والأسس والقيم التي نؤمن بها وملتزمها ونعمل على تطبيقها، وهي كل ما يميز شخصية الأمة من لغة وفكر وفنون وعلوم وتقليد وأعراف^(١).

إن الثقافة تقود الحضارة، وتضع لها الضوابط، والثقافة فيها القوانين الناظمة لمسار الحضارة، وهذه القوانين هي في حقيقتها منظومة قيمية تنظم حركة الانجاز الحضارى، وحركة التعامل مع الانتاج الحضارى، وفق المعايير التي تحويها دينياً واجتماعياً ومثالياً. فالحضارة في دائرة الإسلام ومنظوماته القيمية تكون ثمارها واستخداماتها غير الحضارة في دائرة الفكر الليبرالي أو الماركسي، أو الفكر المادى الذى لا يعنيه سوى الكم والرقم.

بعد ذلك لا بد من تسجيل ملاحظة هي: إن الثقافات تكون بينها مواجهات وتناقضات، وفي أحسن الأحوال يحصل بينها تلاقح وقدر من التأثير، أما الحضارات فهي القابلة للنقل والتبادل، إنما الشرط الأساس أن تخضع منجزات الحضارة عند نقلها من مجتمع لآخر إلى ثقافة الأمة التي تستخدمها وتستفيد منها، وهنا تكمن المشكلة. فهناك حالات - مثلاً - نجد فيها من ينقل البث الفضائى وأجهزته ومعه البرامج والاعلانات، وهذا مسلك وعر ويحوى مخاطر ستؤدى إلى مشكلات مع الهوية والانتماء والخصائص والخصوصيات.

إن الحوار الحضارى من خلال الإعلام يحتاج إلى تسجيل الملاحظة التالية: "إذا كانت الأمم مختلفة الشخصيات والمقومات الحضارية، فإن القضايا الإعلامية المكوّنة للرأى العام تكون مختلفة، وفي هذه الحالة لا يصحّ النقل والاقتباس الحرفى، طبعاً لا مانع من الاطلاع والاستفادة مما عند الآخرين، لكن إذا تمّ النقل الحرفى فهذا الأمر عندها

١ - السحمرانى، أسعد، ويلات العولمة على الدين واللغة والثقافة، بيروت، دار النفائس، ١٤، سنة

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ص ٨٢، ٨٣

يدخل فى باب الإعلام المتناقض مع شخصية الأمة، وهذا ما يُنتج الضلال، ويترك ردات فعل فى غير الصالح العام" (١).

هل الإعلام الغربى يقدم فضاء للحوار؟

إن الإعلام الأوروبى والأمريكى بمعظمه لا يؤمن فضاء مناسباً لإطلاق الحوار الحضارى أو سواه مع العرب والمسلمين، وربما مع معظم دول آسيا وأفريقيا وأمريكا الجنوبية. فهذا الإعلام ينطلق من رحم ثقافى حاضن له تختلف قيمه مع قيم العرب والمسلمين، وكثيراً ما تكون متناقضة، وأحياناً - وهذا السائد إلى حد كبير - تزور الحقائق، ولا تلتزم الصدق ولا الموضوعية، ولا تحترم الخصائص ولا حقوق الآخرين وخصوصياتهم، وهذا ما يدفع إلى التوتير، وردات الفعل، والتدابير والخصام، وكل ذلك يصبّ فى غير مصلحة مسيرة حوار ضرورى من أجل استقرار العلاقات الدولية.

إن الإعلام على المستويين الرسمى أو الأهلى؛ أى الذى يملكه أفراد أو مؤسسات خاصة لا يقوم بعمله مبتغياً "التعارف" كما وجه الإسلام فى الآية الكريمة: ﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ (٢٢) ﴿ الحجرات،، ولا يجده المتابع له وهو يطرح الأمور بغرض جلاء الحقائق، ونقل الخبرات كما كانت، ولا هو يوظف طاقاته لتحقيق التعاون بين الأمم والشعوب من أجل سعادة الإنسان وهناءة الشعوب، وإنما هو إعلام فى غالبية القصوى مرتبط بسياسات، ومشروعات للهيمنة والتسلط تحت مسميات عديدة، هذه السياسات من العولمة إلى الاتفاقات غير المتوازنة، والمواثيق المعطلة، إلى الاستعمار والاحتلال والاعتصاب، كلها تلتزم استراتيجيات سياسية وفكرية واقتصادية ومالية واجتماعية وتربوية، ومعظمها تحفزها أطماع وحالات من الجشع، كما أنها تعتمد إلى مقاصدها من خلال التلاعب بعقول الناس فى الأمم المستهدفة.

١ - السحمرانى، أسعد، الإعلام أولاً، م.س. ٢٠٠٠، ص ٢٤ .

إن هذه المخرجات الإعلامية تعوق الحوار، وتقطع السبل إلى التواصل، وهذا أمر يشكو منه غربيون يقلقهم هذا الخطاب الإعلامي من بلدانهم لأنه خطاب يشوش الحقائق ويزرع العداوة. قال هيرفي بورج رئيس الاتحاد العالمي للصحافة الناطقة بالفرنسية، والرئيس السابق للمجلس الأعلى للسمعيات والبصريات في فرنسا: "خطر هو اليوم هذا الخلط الذي يقوم به الخطاب الإعلامي الغالب بين العرب أجمعين والارهابيين المرتبطين بين لادن، بل هو خلط بين المسلمين جميعهم والأصوليين الذي يأتمرون له. وليس هذا الخطر - ضرورة - ناتجاً عن إدارة مقصودة أو عن قرار يقضى بالتلاعب بالرأى العام، أو قل انقلاباً إعلامياً يحلو للبعض التشهير به، فالحقيقة أبسط من ذلك، إذ إن وسيلة الإعلام انعكاس لرأى عام، وهى تستجيب أول ما تستجيب لما ينتظره منها ذلك الرأى العام، وهو أن الهيئة الاجتماعية برمتها ترفض القول الناشز زمن الحرب.

... والأيديولوجيا هي التي تنجز - بخطابها المحسوس والرمزي معاً- تحويل القريب إلى غريب، والأخ الإنسانى إلى خطر محتمل، والجار المسالم إلى قوة شرسة تهددنا" (١).

الذى تم ذكره تشخيص لواقع حيث الرأى العام فى الغرب يمارس ضغطاً على الإعلام كى يصنع له خطاباً يرضى الأيديولوجيا عنده، هذه الأيديولوجيا التى تخلط بين الإرهاب وبين الإسلام والمسلمين والعرب، ولهذه الغاية ترسم خيالات أهل الأقلام عندهم هواجس لأخطار وهمية مصدرها الآخر العربى والمسلم.

يتصرف الغرب حضارياً وأمريكاً ملحق أوروبى حضارياً بناء لوهم مفاده أن الحضارة واحدة، والاقتصاد واحد، والسياسة واحدة، والنمط النموذج الواجب اعتماده

١ - بورج، هيرفي، الحوار الثقافى العربى الأوروبى: متطلباته وآفاقه، فى: وقائع المؤتمر العربى الأوروبى للحوار بين الثقافات، باريس (١٥-١٦) / ٢٠٠٢/٧، ص ٨٥.

هو ما يسود عندهم، وغطهم هو النموذج الصحيح فمن اتبعه كان حضارياً وإلا يكون متخلفاً ومتوحشاً إلى غير ذلك من النعوت الخشنة المقرونة بنظرة استعلائية تجاه الآخرين.

لقد عبّر عن هذه النزعة أرنولد توينبى منتقداً الموقف الغربى، حيث قال: "وما نظرية وحدة الحضارة هذه إلا رأى خاطئ تردى فيه المؤرخون الغربيون المحدثون تحت تأثير محيطهم الاجتماعى؛ وأوحى به منظر الحضارة الغربية الخداع، إذ استطاعت فى العصور الحديثة أن تلقى شبكة نظامها الاقتصادى على جميع أنحاء العالم.

وتلى توحيد العالم اقتصادياً على أساس غربى، توحيده سياسياً إلى نفس المدى تقريباً وعلى نفس الأساس الغربى... وإنه وإن كانت هذه حقائق ملفتة للنظر، إلا أن اتخاذها دليلاً على وحدة الحضارة، رأى سطحى؛ لأنه وإن اصطبغت المصورات الاقتصادية والسياسة بالصبغة الغربية إلا أن المصور الثقافى ما يزال فى جوهره على حاله... على أننا مع التجاوز عن الأوهام التى ترتبت على نجاح الحضارة الغربية مادياً على نطاق عالمى، نجاح قاد إلى الفكرة الخاطئة القائلة بوحدة الحضارة بما تتضمنه من افتراض نهر واحد للحضارة وليس إلا، وهو الغرب، وإن جميع ما عداه إما روافد له، أو ضائع فى رمال الصحراء، فإن لهذه الفكرة ثلاثة جذور:

الأول: وهم حب الذات.

الثانى: وهم الشرق الراكد.

الثالث: وهم التقدم كحركة تلتزم خطأً مستقيماً^(١).

هذا التشخيص الذى عرضه أرنولد توينبى للأفاهيم الغربية من زعمهم أن الحضارة واحدة، إلى اتهام الشرق بأنه راكد لا حراك حضارى فيه، إلى حالة الاستعلاء

١ - توينبى، أرنولد، مختصر دراسة للتاريخ، ج ١، ترجمة فؤاد محمد شبل، راجعه أحمد عزت عبد الكريم، القاهرة، الإدارة الثقافية فى جامعة الدول العربية، ط ١، سنة ١٩٦٠، ص ٥٩ وما بعدها.

التي تسيطر عليهم وصولاً إلى الادعاء بأنهم المتحذرون الوحيدون دون الناس، كل هذه وغيرها كثير تشكل عقبات كأداء في طريق أى حوار حضارى فى إطار النشاط الإعلامى أو سواه.

يضاف إلى ذلك أن الولايات المتحدة الأمريكية ومعها قوى غربية وأنظمة حكم يتعاملون مع المسلمين والعرب وكثيرين غيرهم بعقلية نفعية، يضاف إليها خيالات تتشكل فى "تصورات احتقارية كاريكاتورية، وتحاليل تبسيطية اتهامية حيرى، وذلك ما يبعث وضعية الصدام التى نحن فيها.

... وعلى غرار ما جرى زمن الحرب الباردة مع تصوير الاتحاد السوفياتى فى الاستديوهات الأمريكية، فإننا سنشهد عما قريب أخلاقاً تتوالى سنة بعد سنة تصور البلدان العربية تصويراً مشيناً، وستظهر مسلسلات تعكس حواراتها تخوفاً من الجاليات العربية، وسيوجد فيض من الإعلام المنتظم بشكل حزمة من النقد الضمنى الموجه ضد البلدان العربية" (١).

إن المتابع يرى كيف تنشط الولايات المتحدة الأمريكية، "لتعميم نموذجها فى التكوين الفوضوى اللاأخلاقى للأسرة وللعلاقات بين الناس، ناهيك عن الإفساد من خلال فنونهم الهابطة، وتقاليدهم البائسة التى وصلت إلى حد الدعوة إلى عبادة الشيطان والتقرب إليه كما هو معلوم، ومن نماذج ذلك تشجيع مطاعم الوجبات السريعة وما تفعله فى تفكيك الأسرة وضرب الترابط بين أفرادها" (٢).

تأتى بعد ذلك مخرجات "هوليوود" من الأفلام، ومعها محطة "فوكس نيوز" التى يملكها ويشرف عليها القس المتصهين بات روبرتسون، وغير ذلك من إعلامهم الذى يصور الإسلام على أنه إرهاب، والمسلمون بأبشع الصور.

١ - بورج، هيرفى، م.س.م، ص ٨٦.

٢ - السحمرانى، أسعد، ويلات العولمة على الدين واللغة والثقافة، م.س، ص ١٩.

هذا دون أن يغيب عن البال ما تناقلته الصحافة الدائرية من رسوم كاريكاتورية تنال من النبى ﷺ ، وكيف بررت السلطات عندهم الأمر بأنه حرية إعلامية علماً أن ذلك يتعارض مع مبادئ حقوق الإنسان ، وزاد في البلة طيناً ما فعلته المستشار الألمانية ميركل مؤخراً عندما كرمّت الرسام الذى خط ذلك الكاريكاتور . فهل يتيح هذا التصرف مجالاً للحوار؟

لقد شعر النصفون فى الغرب بما يخلفه هذا الإعلام الموظف ضد المسلمين والعرب من حالات التوتير ، وتعطيل أى حوار ، ومنهم السويدى أنجمار كارلسون الذى قال : " انتبه السياسيون ووسائل الإعلام فى الغرب ، غداً انهيار الكتلة الشيوعية إلى القيمة التسويقية للإسلام كخطر جديد يهدد الغرب . فظهر موجات وراء موجات من المقالات الصحفية والكتب والبرامج التليفزيونية ، تتلخص موضوعاتها فى (الخطر الأخضر) و (الأصولية العالمية) و (التحدى الإسلامى) و (سيف الله) و (الإسلام ضد الحداثة) و (الانتفاضة العالمية) ، وفى هذه المواد لاحظنا أن المؤلفين والمعدنين يتعاطون مع العالم الإسلامى ككتلة واحدة... كان هؤلاء المؤلفون يساؤون بصورة مباشرة أو غير مباشرة بين الأصولية والتعصب وينتهون إلى نتيجة تبسيطية مفادها هذا هو الإسلام الحقيقى . وبنفس المنهج كانوا يماهون بين العالم العربى والعالم الإسلامى " (١) .

هنا تكمن المشكلة التى تجعل الحوار الحضارى غير متاح ، والتى تجعل الإعلام الغربى فى معظمه إعلاماً مشحوناً بالأيديولوجيا العدائية ضد الإسلام ، وضد العرب والمسلمين ، وتجعله إعلاماً معوقاً للحوار والتواصل ، لا بل هو إعلام يولد التنافر

١ - كارلسون ، أنجمار ، الإسلام وأوروبا: تعايش أم مجابهة، ترجمة سمير بوتانى، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط١ ، سنة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ص ٢٧ .

والخصام، وهو إعلام غير موضوعي ولا صادق عندما يعمم التهم، ويطلقها دون سند مجافياً للحقيقة، وبعد كل هذا كيف سيكون حوار حضارى من خلال الإعلام؟ إن الإعلام الأمريكى والغربى يصور العربى والمسلم قاتلاً وإرهابياً وينعت الإسلام بذلك.

لقد عرض المعمار كارلسون فى كتابه الواقعة التالية: "تعتبر رواية (الحاج) للكاتب الأمريكى ليون يوريس مقارنة أدبية لفهم الشخصية العربية تتجاوز أقصى حدود العنصرية المكشوفة... ولا يترك الكاتب يوريس أية كليشيه عنصرية ممكنة إلا ويستخدمها فى روايته. فعرب فلسطين مجرد نفر من الفقراء الجهلة يفتقرون تماماً للحبوية أو لحسن المبادرة الشخصية. وتغلب عليهم الطباع العيفة والخشنة، وتشيع فى أوساطهم الميول للتطرف والشذوذ الجنسى. إنهم باختصار فى نظر هذا الكاتب الأمريكى: رعاغ متفسخون، متوحشون، يستولى عليهم دين جردهم من كل طموح شخصى فيما عدا قلة قليلة مستبدة متغطرسة تقود بقية الرعاغ كقطيع من الأغنام، إنهم مجتمع مجنون"^(١).

ونترك التعليق لصحيفة صهيونية هى "جيزوزاليم بوست" التى جاء فيها حول هذا الكتاب: "إنه يجعل متطرفاً يهودياً مثل مائير كاهان يحمر خجلاً". إن هذا الفكر العنصرى الذى صاغه قلم كاتب أمريكى هو نموذج لأدبيات كثيرة انتشرت وتنتشر فى الغرب فى أكثر من بلد، ويتناقلها الإعلام دون ضوابط ولا احترام لحقوق دينية أو اجتماعية أو قيمية، لا بل يتبجح بعضهم بها مستهتراً بكل القيم. يذكر المتابعون تلك الدعاية المقيتة لعصير "كوكا كولا" عام ١٩٩٨ عندما نشروا إعلاناً عبارة عن ستارة تغطى الحجر الأسود فى الكعبة المشرفة عليها اسم الشركة (coca cola) وأمام الإعلان فتاة مسلمة تصلى وتسجد أمام شعار الشركة.

١ - كارلسون، المعمار، م.س.٠، ص ٢٦ .

كما أن الإعلام الغربي قد اختزل الوطن العربي "في نمطية ضيقة، فهو مجرد صحراء جرداء تختزن في باطنها بحراً من البترول ويسكنه قوم لا توحى ملامحهم إلا بكونهم إما إرهابيين جنائز، وإما شيوخاً أثرياء مفرطي البدانة يلهون بإسراف وسط راقصات شرقيات يتمايلن ويهززن أردافهن. حتى ديانة العرب (الإسلام) لم تسلم من هذا التحقير، فحين أراد هؤلاء الرسامون التعبير عن الارتفاع الكبير في أسعار النفط لمصلحة المنتجين، عمدوا إلى تصوير المؤذنين للصلاة واقفين على المآذن وهم يتلقون آخر أخبار انهيارات أسعار الأسهم في البورصات العالمية بدلاً من كلمات الآذان" (١).

إذا كان الإعلام الغربي يتداول مثل هذه الصورة النمطية عن العربي وعن المسلم، فهل مثل هذه التصرفات التحقيرية تتناسب مع المواثيق الدولية التي تنص على حرمة الإنسان وحقوقه؟ وهل يمكن أن تنطلق عملية الحوار في مثل هذه المناخات.

إن العولمة التي هي هيمنة، واختراع، للمنظومات القيمية للأمم، ومحاولات لغزو الهويات الثقافية للشعوب، وهذا الغزو تقوم به الولايات المتحدة الأمريكية تحت ستار العولمة، وهي مشروع استعماري يريدون من خلاله تحقيق القيادة المنفردة للعالم، وهي ما يسمى: الأحادية القطبية. والعولمة هذه غير العالمية التي هي حاجة، وأساسها إقرار بالتنوع، وهي دعوة للتعاون بين الأمم مع احترام الخصائص والخصوصيات، وهي في جوهرها تبادل لمنجزات الحضارات، ولقاء حول المشترك الإنساني هذا مع احترام قيم الخير والحق والعدل والجمال.

لقد دفعت هذه العولمة إلى ردات فعل تندد الأمم ضد الأمريكي، وردات الفعل هذه كانت في الغرب كما كانت في العالم الإسلامي والأمة العربية، ومواقع أخرى في العالم.

١ - كارلسون، انجمار، م.س.، ص ١٤.

يأتى بين من تحدثوا عن هذه المسألة الإيطالية فرانسسكاماريا كوارو، وهى أستاذة الحضارة والآداب العربية فى مدينة نابولى، والتي قالت: "إن العولمة التى نحياها، تحاول أن تسيّر الثقافات ونظم العيش فى اتجاه التنميط، مما خلف ردود فعل رافضة، ومن ذلك جاء البحث عن توثيق العرى التى تشدّ كلاً منا إلى هويته الثقافية، وأن يجد المرء مبتغاه فى فكره" (١).

إن تمسك الأمم بهويتها الثقافية فى مواجهة التنميط الذى تحاوله الولايات المتحدة الأمريكية وملحقاتها باسم العولمة، قد عطل الحوار. هذا ما قرره فرانسسكاماريا كوارو قائلة: "ما أضرّ بمحاولات البدء فى الحوار وعطله، حملة قادتها الولايات المتحدة الأمريكية تبغى من خلالها تلميع صورتها لدى الأطراف المقابلة لها. بينما يتساءل الناس فى هذا البلد عن السبب الذى يجعل هذه التشكيلة الواسعة من الدول والأفراد تكنّ كرهاً مقيتاً لبلدهم، تقوم الطبقة الحاكمة بالترويج لحملة توزيع الغذاء على الشعب الأفغانى، وكذلك ترجم هذا البلد بالقنابل بغية ضرب الإرهاب" (٢).

لقد طرح الشكوى نفسها هوبير فيدرين وزير خارجية فرنسا الأسبق حين أعلن بأن المشكلة مع الولايات المتحدة الأمريكية هى أنها تسعى للتنميط الثقافى، ولا تحترم هويات الأمم؛ قال: "ما هو إذاً هدفنا الحقيقى؟ إنه المحافظة على الهويات الثقافية فى العالم أجمع، وبالتالى على تنوع هذا العالم. يقلق الأمريكيون من قيام حالات الاحتكار عندما تفسد المنافسة فى سوقهم الداخلى، كما حصل مع شركة ميكروسوفت. والحال إن الولايات المتحدة فى صدد التحول، على صعيد الصناعات الثقافية الجماهيرية، إلى ميكروسوفت على المستوى العالمى، تشكل الثقافة والمنتجات الثقافية مصدر خلاف رئيسى مع الولايات المتحدة سواء داخل منظمة التجارة العالمية أو

١ - فى: الحوار الثقافى العربى الأوروبى: متطلباته وآفاقه، م.س.، ص ١٤٥.

٢ - فى: الحوار الثقافى العربى الأوروبى: متطلباته وآفاقه، م.س.، ص ١٤٨.

منظمة التعاون والتنمية، أو فيما يخص البلدان المرشحة لدخول الاتحاد الأوروبى .
المؤكد أننا نطرح حول قضية التنوع الثقافى فى العالم سؤالاً كبيراً جداً يتخطى اللغة
والثقافة الفرنسيين، إنها أحد أكبر معارك الغد. " (١).

يعود السؤال مجدداً: إذا كان الإيطالى والفرنسى وهو غربى وأطلسى يطرح مثل
هذه الشكوى من العولمة / الأمركة، وضرورة مواجهتها حفاظاً على الهوية الثقافية،
فلماذا لا يكون الأمر نفسه عند المسلم والعربى الذى يشهد عدواناً سافراً على هويته
ودينه ومقدساته وأرضه واقتصاده وأمنه ووحدته الوطنية؟ وهل يمكن أن يكون حوار
حضارى من خلال إعلام يحمل مشروعاً فكرياً ينكر الآخر ويعمل لغزوه، والعدوان
على كل ما يخصه؟

إن الإعلام كان ولا يزال فى رأس قائمة الوسائل الأمريكية لبث الدعايات،
والتضليل، والكل يعلم أن الولايات المتحدة أصدرت قانوناً بعد ١١ / ٩ / ٢٠٠١ يبيح
الكذب فى الإعلام من أجل تحسين صورة الولايات المتحدة، أو من أجل تحقيق مصالحها
الاستعمارية. فالإعلام الأمريكى خاصة، والغربى فى غالبه ينتج منه معوقات للحوار،
وإن استخدام الإعلام بأسلوب ومنهج يبعده عن منظومة قيمه الإنسانية ومبادئه
الأخلاقية أضحى عملاً منظماً، وتقف الولايات المتحدة الأمريكية فى طليعة الدول التى
خرقت قوانينها الوطنية والتزاماتها الدولية وتجاوزاتها فى هذا الميدان. وقدمت الحروب
التي شنتها الولايات المتحدة خارج حدودها منذ الحرب العالمية الثانية ولغاية اليوم نماذج
صارخة لمدى التجاوز المتعمد الذى مورس من أجل أن توظف الدعاية للحرب، والإعلام
بشكل عام، فى إطار أهداف السياسة الرسمية" (٢).

١ - فيلدين، هوبير، فرنسا ومسار العولمة، ترجمة جيور الدويهي، بيروت، دار النهار، ط١، سنة ٢٠٠١،
ص ٥٥، ٥٦.

٢ - ياسين، صباح، الإعلام: النسق القيمى وهيمنة القوة، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١،
سنة ٢٠٠٦، ص ٣١.

هذا الإعلام الذي يسوق سياسة استعمارية لا يصلح ميداناً للحوار، وإذا أراد الغرب حواراً حضارياً من خلال الإعلام، فإن ذلك يوجب إعادة نظر في المادة الإعلامية، وأساليب عرضها.

هل المسلمون والعرب جاهزون للحوار الحضارى من خلال الإعلام؟

إن هذا السؤال يعبر عن إشكالية كبرى تحتاج وقفة تأمل مع الذات قبل التوجه لمحاورة الآخر الغربى أو الأمريكى أو سواهما. وإن المتابع يجد أن الكلام عن الحوار ومؤتمراته ومراكزه وأقسامه فى الجامعات، والكلام عن الوسطية ومؤتمراتها ومنتدياتها ومراكزها، قد كثر فى العقد الأول من هذا القرن الحادى والعشرين، وتحديدأ بعد أحداث ١١ أيلول / سبتمبر ٢٠٠١م، وكان هذه الفعاليات جاءت عملاً تبريرياً من قبل بعض الجهات أو الأفراد أو المؤسسات للقول للأمريكى والأطلسى والأجنبى: نحن دعاة حوار دينى أو حضارى، ودعاة وسطية فلا تصنفونا مع من تسمونهم إرهابيين.

لكن هذه الفعاليات تحت مسمى الحوار الحضارى أو الدينى أو الإعلامى أو الوسطية لم تغير من الأمر شيئاً. وكما سبق القول لا تزال صورة العربى والمسلم هى فى الإعلام الغربى، وفى كتاباتهم عموماً، ولا تزال النعوت الخسنة تنهال ضد المسلمين والعرب، وضد الإسلام والعروبة. ليس هذا فحسب وإنما لا تزال عمليات الغزو والاحتلال والاعتصاب سائرة فى طريقها، ولم تفعل هذه المؤتمرات شيئاً.

لقد كان لبعض هذه المؤتمرات مردودات سيئة وخطيرة حيث أعطت براءات ذمة مجرمين، أو قدمت لبعض الأعداء منابر يتحدثون من خلالها، وكان للمسلمين والعرب النتائج السلبية مما جنت يدا بعضهم.

إن أحداً لا ينكر أهمية الإعلام فى تصحيح الصورة المغلوطة التى نشرها بعضهم عن الإسلام سواء من الأعداء والخصوم، أو من أبناء الصف الذين حملوا أفاهيم ملتبسة،

وتأسس فكرهم من أفاهيم عمادها الغلر، وتعيش عند صاحب أفق ضيق. أو أن عدداً ممن تصدوا للحوار فعلوا ذلك بمبادرات فردية متناسين قاعدة الشورى: ﴿ وَأْمُرْهُمْ بِشُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ (٢٨) «الشورى»، كى يمارسوها قبل الإقدام على عمل كبير كالحوار. وفريق طرح عناوين للحوار ومراكز وملتقيات من موقع الضعف، والحوار يكون بين ندين، وأهم قواعد الحوار أن يكون كل منهما قد اعترف بالآخر. أما الحوار الذى يقوم من طرف واحد، أو بين ضعيف لا مشروع له، ولا مكنة أو حضور وقوة، وبين متغطرس يزعم أنه شعب مختار أو أنه دولة مختارة أو أمة متفوقة، فإنه حوار ضعيف مع ذاته لا يصفى إليه أحد، والدليل على هذا الكلام أن الكثير من مقررات المؤتمرات وتوصياتها، وعدداً من نصوص المواثيق وموادها لا تزال حبراً مسطراً على ورق، أو أنها مرقونة على أقراص مدمجة (C.D.) فى الحواسيب الآلية، ولم تكن لها بصمات تذكر.

وإذا خرجت بيانات وتوصيات من ملتقيات أو جلسات حوار إعلامى فإنها ستجد سداً أمامها هو الإعلام الأمريكى والغربى الذى فى مفردات خطابه ما يجعل الثقة به مفقودة، لا بل يؤسس للروح العدوانية وردات الفعل. والحقيقة هى أن "المغالطات المهنية والسياسية فى الموازنة بين متطلبات الأمن الأمريكى، وقضايا الديمقراطية وحقوق الإنسان، قد قادت الإعلام الأمريكى فى مخاطبته شعوب العالم إلى الوقوع فى مأزق الحقيقة والصدقية. ولم يعد الأمل لمستقبل مشرق يتوافق مع الواقع السلبى للعلاقة بين أمريكا والكثير من شعوب العالم... إن الصدمة التى ولدها الإعلام الأمريكى بتعامله مع تلك القضايا، قد ولد تشاؤماً مفرطاً فى إمكانية صياغة عالم تسوده العقلانية والمصالح المشتركة... تراكمت بسبب مواصلة سياسة التوسع والهيمنة الإمبراطورية الأمريكية بشبهة لا حدود لها" (١).

١ - ياسين، د. صباح، م.س.، ص ١٥٢ .

هذه الإنجازات الامبراطورية تضع الولايات المتحدة في حالة صدامية مع الآخرين في مختلف الميادين الفكرية والسياسية والأمنية والاقتصادية، ومع المسلمين والعرب خاصة لأن مشروعها الاستعماري المسمى: الشرق الأوسط الجديد يستهدفهم بشكل أساسي.

وأمام التحديات الكبرى يجد المتابع أن الإعلام العربي والإسلامي مقصّر في تصنيع المادة الإعلامية التي ترد التحديات وتستقطب المتلقي، وأبرز عامل هو الجانب السلطوي حيث توجه أنظمة الحكم الإعلام الوجهة التي تريدها، بالمقابل هناك إعلام وإعلاميون يبالغون في الحديث عن الحريات وعن الديمقراطية، ويدعون الجراءة في طرح المواقف، لكن الحصيلة لا تنم عن ذلك.

وهناك معوقات أخرى هي أن الإعلام الإسلامي والعربي لم يستطع حتى الآن امتلاك وكالة أنباء عالمية كبرى ينتشر العاملون فيها في أنحاء العالم كافة كي تكون له مصادره المستقلة، وما يحصل هو أن مصادر الوسائل الإعلامية العربية والإسلامية هي وكالات الأنباء الأجنبية التي تقدم لهم الخبر مبتسراً وربما مشوهاً أو موجهاً الوجهة التي قد تكون في خدمة مصالحهم.

يضاف إلى ذلك أن الغرب الاستعماري قد وظف الإعلام في خدمة مشاريعه الاستعمارية فكانت الإذاعات ومحطات التلفزة والصحف الناطقة بالعربية وهي تابعة لهم، وأضيف لها مواقع في الشبكة البينية (الانترنت)، من أمثال هذه المخططات: (B.B.C) و (C.N.N.) و (Fox News)، وسلسلة محطات حديثة تحمل اسم "الحرّة" وهي تابعة ومصنوعة... الخ. هذا الإعلام الاستعماري الناطق بالعربية يحتاج إلى معالجة وإلى خطة للتخفيف من مؤثراته السلبية.

كما أنه هناك وسائل إعلامية أنشأها مقاولون بالكلمة ومأجورون يحملون البضاعة الوافدة المسمومة باسم الإعلام العربي والإسلامي، يضاف إلى كل ذلك ضعف

الإمكانات عند وسائل الإعلام الإسلامية والعربية، وذلك يظهر من خلال الاستيراد العشوائى لأفلام وبرامج، وفقرات إعلانية لا تلتزم معايير قيم الإسلام ولا ترضى حرمانه ولا حرمان الإنسان عموماً.

إن هذا الواقع يزيد البلية طيناً ويعقد الأمور، ومما يزيد فى مشكلة التفكك الحاصل على المستويين العربى والإسلامى، أنه لا توجد قراءة واحدة أو مقاربة للأحداث والنوازل، ولا تعتمد معايير قيمية واحدة عندما تأتى تحديات على الأمة.

والمسؤولية فى هذا ليست على فرد أو دولة أو مؤسسة، وإنما المسؤولية جماعية، فالكل مسؤول، علماً أن إمكانية المعالجة غير مستعصية سواء من خلال منظمة المؤتمر الإسلامى والمؤسسات التابعة لها وأبرزها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، أو جامعة الدول العربية ومؤسساتها وأبرزها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، حيث يحتاج الأمر فى الإعلام وما يتعلق به إلى وضع استراتيجيات مدروسة تستجيب للتحديات، وتضع الخطط الكافية، وتعمل لامتلاك التقنيات والآليات اللازمة، هذا مع قدر من الاستقلالية والحرية بعيداً من قيود الحكام والحكومات، لكن طبعاً مع مسؤولية وحكمة، كل ذلك تحتاجه المرحلة قبل أن يقدم أحد على حوار حضارى من خلال الإعلام، إذ كيف يكون دور للإعلام الإسلامى والعربى فى الحوار الحضارى، وهو غير مجهز ولا جاهز لهذه المهمة؟ ثم كيف يكون حوار مع آخر لا يعترف بالأمة ديناً وثقافة وحضارة ووجوداً بل يستبيح أرضها بالاحتلال والاعتصاب والقواعد العسكرية والاقتصادية والإعلامية والثقافية؟

إن العرب والمسلمين بحاجة للكثير فى حقل الإعداد والاستعداد والتنسيق من خلال مؤسساتهم الإقليمية السابقة الذكر قبل النزول إلى ساحة الحوار أما أن ينبرى فرد ليتفرد، أو حكومة لتظهر بمظهر الحوار المتحضر، أو مؤسسة، فكل هذا لن يكون له وزن فى عالم متلاطم الأمواج، وفى واقع دولى مفتوحة الأطماع فيه على كل

الاحتمالات، ويوظفه الاستعماريون والصهاينة في مقدمهم جهودهم لخدمة مصالحهم وأطماعهم، وتبرير احتلالهم للأرض واستباحة المقدسات، وبعدها نشر إعلام هابط ماجن ينشر الرذائل والمفاسد والمخدرات والبدع الخطيرة.

لا يقصد هذا العرض أن يزرع الإحباط، ولا أن يشبط الهمم، وإنما هو قليل من كثير المعاناة عسى أن يكون مع هذه الكلمات رؤية وجدية للتأسيس لواقع أفضل، والكلمة يبقى لها فعلها، وتأثيرها ولو بعد حين.

توصيات واقتراحات:

إن الإعلام وحركة الحوار الحضاري يحتاجان على المستوى الدولي، ومن المسلمين والعرب خاصة إلى الأمور التالية:

١ - كل أمة لها هويتها الثقافية، وبالتالي لها مرجعيتها الفكرية التي توجه الإعلام وغير الإعلام، وبذلك تكون هناك خصوصيات، ومشاركات عامة بين الأمم، وهذه الأخيرة هي القابلة لأن يدور الحوار حولها.

٢ - الثقافات خاصة ولها ثوابت وأصول راسخة، والحضارات إنجازات، واستجابات لتحديات، وهي عامة قابلة للانتقال، وتصلح لكل مجتمع، وتحتاج عند دخول مجتمع جديد أن تلتزم خصائصه.

٣ - يحتاج الإعلام إلى التوظيف في سبيل التعاون بين الأمم، والمقاصد هي كرامة الإنسان وسعادته، وحقوقه. وهذا يعني أن يطرح الإعلام المشترك الإنساني وأن يلتزمه في برامجه.

٤ - لا يكون الحوار ما لم يوقف الإعلام الغربي ما يدور فيه، وهو إعلام - إلا القليل منه - مشحون بالتهم للمسلمين بأنهم إرهابيون ويستخدم العنصرية ضد كل عربي وإسلامي، كما أنه يستخدم للعرب والمسلمين أفاهيم هي عبارة عن مغالطات

وأحقاد تدفع إليها المصالح الاستعمارية، والأطماع التى تتمظهر بالاستعمار الاستيطانى الاحلالى الصهيونى، والاستعمار الاحتلالى من أجل السيطرة والسلب، وهذا الإعلام يؤسس للتنافر والأحقاد والمواجهات، ولا يوفر أى مناخ للحوار والتلاقى.

٥ - تصحيح المصطلحات والمفردات المستخدمة فى الإعلام، والتى تحدث التضليل وسوء الفهم، من ذلك: استخدام مفردة انتحار بدل استشهاد، وكلمة إرهاب بدل مقاومة، واسرائيل بدل فلسطين المحتلة... إلخ.

٦ - يحتاج العرب والمسلمون إلى تغيير ما هم عليه، وإلى امتلاك القوة والقدرات كى يفرضوا أنفسهم أنداداً على موائد الحوار وكى لا يكونوا محل تهميش أو لقمة للطامعين. وقد قال المفكر محمد عمارة بهذا الشأن ما يلى: "إن الغرب لن يغير من تصوّره لنا، وصورته عنّا إلا إذا غيّرنا نحن من وضعنا وثقلنا فى موازنات القوى والمصالح والإرادات الدولية... وعندما نكون فى الوضع المحترم، سيضطر الغرب نخباً وجماهير إلى تغيير تصوراته عنّا... وتلك هى تجربة الغرب مع اليابان والصين... وكذلك تجربته مع صلاح الدين الأيوبى (٥٣٢ - ٥٨٩هـ / ١١٣٧ - ١١٩٣م) فلقد أصبح فى الثقافة الغربية نموذج البطل الإنسانى النبيل لأنه قد أصبح - قبل ذلك - البطل الإنسانى والنبيل فى ميادين التدافع والصراع"^(١). فالمعادلة هى: إن الحق يغير القوة ضائع. والناس لا يصغون للضعيف، ولا يقبلون منه شيئاً، وبالمقابل تفرض الأمة نفسها على ساحة العمل الدولى فى الإعلام والحوار الحضارى، وتحتل مكانتها اللائقة. أما الساكنون والراكدون بلا حراك ولا حيوية وقدرة فلا يبالي بهم أحد.

١ - عمارة، د. محمد، فى فقه الواجهة بين الغرب والإسلام، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ١٦، سنة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، ص ١٤٢.

وقد قال الشاعر التونسي أبو القاسم الشابي:

هو الكون حتى يحب الحياة

ويكره الميت مهما كبر

٧ - إن الحوار الحضاري الجاد والمجدي يحتاج إعلاماً يتمتع بالصدقية، ويكسب ثقة الأطراف كلها، ويحترم خصائص الأمم وشرائعها، ويكون في رأس قائمة اهتماماته إسعاد الإنسان، ولهذه الغاية يكون هذا الإعلام في خدمة الحق في مواجهة الباطل، ونصرة قيم الخير لمحاربة الشر، ومساندة العدل في مواجهة الجور والظلم.

٨ - واجب الإعلام في التمهيد لحوار حضاري أن يتصدى لمعالجة الرواسب التاريخية للنزاع منذ حروب الفرنجة (الحروب الصليبية)، إلى الاستعمار والغزو الأجنبي ضد الأمة العربية والإسلامية، وصولاً إلى معالجة الاغتصاب الصهيوني الاستيطاني الاحلالي لفلسطين، ويكون ذلك بالانسحاب الكامل من الأرض المحتلة، وإعادةها إلى أصحابها الحقيقيين، وحديثاً سحب المشروع الامبراطوري الأمريكي من خلال إزالة الاحتلال من العراق وأفغانستان، ووقف انتشار السلاح التدميري هنا وهناك، وأن يتوقف التدخل في الشؤون الداخلية للبلدان الإسلامية والعربية ولغيرها من قبل الأمريكي أو سواه من الغربيين. كل ذلك لأن الحوار لا يكون مع بقاء هذه الأشكال من العدوان والاحتلال، والدليل ما يلاحظه أي متابع من انتفاء تأثير ما يعقد من مؤتمرات على أرض الواقع وفي ساحات العمل.

٩ - أما الإعلام العربي والإسلامي، فإنه يحتاج إلى حركة تصويب وترشيد لما يشاع حول الإسلام من صور مغلوطة. وهذا يقتضي مواجهة ظواهر الغلو في الداخل، وعمليات الافتراء من الخارج، وأن يعمد الإعلام إلى أطروحة إعلامية توحيدية على

المستوى الإسلامى، لأنه من غير الواقعى أن يسعى المسلمون لحوار حضارى مع الأمم، والحوار والتلاقى بينهم متوقفان.

١٠ - إن الإعلام المؤسس للحوار الحضارى يحتاج إعادة النظر فى المادة الإعلامية عند الجميع، وعندها يكون الأمر بصناعة إعلامية رشيدة لا تطاول فيها على أحد، ولا عدوان أو اتهام ضد الآخر، ولا وسيلة تنال من المقدسات والرموز.

obeikandi.com

القسم الثالث
الجامعات الأعضاء

obeikandi.com

التعريف بكلية الدراسات الإسلامية في قطر^(١)

إعداد: أ. مروة سلامة إبراهيم (*)

أنشئت كلية الدراسات الإسلامية في قطر عام ٢٠٠٧م، كعضو بمؤسسة قطر للتربية والعلوم وتنمية المجتمع لتحقيق التعدد الثقافي الذي يؤكد ثراء التراث الإسلامي وتنوعه. وتعد كلية الدراسات الإسلامية، مركزاً دولياً للحوار والفكر الإسلامي، يلتزم بتعزيز البحوث في مجال الثقافة الإسلامية. وتعد الكلية إحدى المنارات العالمية التي تسعى إلى تأصيل مفهومي الحوار والفكر الإسلامي، وتعزز مفهوم البحث في الثقافة الإسلامية الذي يرتكز على مبادئ قبول التعدد الفقهي والتسامح والفهم الصحيح للدين الإسلامي.

ويتولى عمادة الكلية فضيلة الأستاذ الدكتور / حاتم عبد الجليل القرناشوي.

تجدر الإشارة إلى أن كلية الدراسات الإسلامية في قطر، هي أحدث الأعضاء في عضوية رابطة الجامعات الإسلامية، وجاء قبول عضويتها في الرابطة؛ لأنها قد خرجت بالفعل دفعتين منذ تأسيسها عام ٢٠٠٧م، وتنامي دورها العلمي في المجتمع القطري، وإقبال الدارسين على الالتحاق بها. كما أنها قد قدمت عدة برامج للدراسات العليا غير مسبوقه في الجامعات الإسلامية، مثل برنامج العمارة الإسلامية، وبرنامج الحضارة الإسلامية.. بالإضافة إلى أنها تضم عددا وافرا من الأساتذة المتخصصين في الدراسات الإسلامية بصورها المتعددة، ويُقبل عليها الآن الدارسين من ٢٣ جنسية، من قطر

(*) باحثة في رابطة الجامعات الإسلامية.

(١) تم إعداد هذه المادة من خلال الزيارة المباشرة للكلية، ومن خلال أدبيات ووثائق رابطة الجامعات الإسلامية، ومن خلال موقع كلية الدراسات الإسلامية في قطر على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت).

والعالم العربي والإسلامي وأمريكا الشمالية وأوروبا وإفريقيا والشرق الأقصى، يعكس هذا التنوع في جنسيات الطلاب الطبيعة الخاصة للكلية.

وقد استضافت الكلية اجتماعات المجلس التنفيذي لرابطة الجامعات الإسلامية (الاجتماع الثاني / الدورة التاسعة) يوم الاثنين ٢٥ من ذى الحجة ١٤٣٢هـ / ٢١ نوفمبر ٢٠١١م، في رحابها بمدينة الدوحة عاصمة دولة قطر، والذي عقد برئاسة معالي الأستاذ الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي رئيس رابطة الجامعات الإسلامية، وأمانة سعادة الأستاذ الدكتور جعفر عبد السلام علي، الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية، وبحضور سعادة الأستاذ الدكتور حاتم القرنشاوي عميد كلية الدراسات الإسلامية في قطر.

وشارك فيه أصحاب المعالي والسعادة :

- أ. د. حسن عباس حسن، رئيس جامعة أم درمان الإسلامية - جمهورية السودان.
- أ. د. عبد الرحمن الماحي، مدير جامعة الملك فيصل الإسلامية - جمهورية تشاد.
- أ. د. عبد العزيز بن صقر الغامدي، مدير جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية بالرياض - المملكة العربية السعودية.
- أ. د. عبد الله بوخلخال، رئيس جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - جمهورية الجزائر.
- أ. د. عبد الله شكري زركشي، رئيس جامعة دار السلام كونتور الإسلامية جمهورية إندونيسيا.
- أ. د. محمد بن علي العقلا، مدير الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - المملكة العربية السعودية.
- أ. د. إبراهيم العناني، ممثل جامعة عين شمس - جمهورية مصر العربية.

أ. د. أحمد الدريويش، وكيل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - المملكة العربية السعودية.

أ. د. إسماعيل شاهين، نائب رئيس جامعة الأزهر - جمهورية مصر العربية.

أ. د. حسان حلاق، نائب رئيس مجلس أمناء كلية الإمام الأوزاعي - الجمهورية اللبنانية.

أ. د. حمزة ذيب مصطفى، ممثل جامعة القدس - فلسطين.

أ. د. عبد الله التطاوي، ممثل جامعة القاهرة - جمهورية مصر العربية.

كما نظمت الكلية بالتعاون مع رابطة الجامعات الإسلامية مؤتمراً دولياً بعنوان: (نقل التكنولوجيا وتوطينها في الدول الإسلامية) في مدينة الدوحة خلال الفترة من ٢٦-٢٨ من ذى الحجة سنة ١٤٣٢هـ / ٢٢ - ٢٤ نوفمبر ٢٠١١م، وشارك فيه نخبة من كبار العلماء والمتخصصين من عدة دول إسلامية.

برامج الكلية الأكاديمية :

تعكس برامج الدراسات العليا بالكلية خبرات عميقة، مرتبطة بالعالم الإسلامي والعالم ككل، وتعمل الكلية على أن تكون قلباً نابضاً للفكر والحوار يجمع الريادة في البحث والنقاش حول ما يتعلق بالإسلام والمسلمين من اهتمامات معاصرة أو قضايا تراثية وبما يؤدي إلى تخريج أجيال من الدارسين المتمكنين من أصول عقيدة الإسلام وحضارته، والنفثحين على كل نتاج حضارتهم وعلى كل حكمة وعلم قدمته الحضارات الأخرى. ويمكن الإشارة إلى تلك البرامج على النحو التالي:

برامج الدبلوم :

(أ) دبلوم التمويل الإسلامي :

الرياضيات في الأعمال والتمويل.

التقنيات الإحصائية للتمويل والاقتصاد.

مبادئ البنوك في التمويل .

مدخل إلى الفقه الإسلامي .

تعتبر صناعة الخدمات المالية واحدة من أكثر الصناعات نمواً في جميع أنحاء العالم. يوجد حالياً أكثر من ٢٥٠ مصرفاً إسلامياً دولياً في دول إسلامية وغير إسلامية، حيث لا يقل رأسمال أرصدها عن ٣٠٠ مليار باوند. وقد ارتفع هذا الرقم من ٥ مليار في العام ١٩٨٥م لينمو بشكل سنوي بنسبة ٢٠٪. ولكن من الناحية الأخرى، نلاحظ قلة في عدد الجامعات المتخصصة في دراسة برامج التمويل الإسلامي.

تقدم درجة الدبلوم مدخلاً عميقاً في التمويل الإسلامي، ليصبح الطلاب على علم بقوانين الشريعة وتعاليم الإسلام فيما يتعلق بالتمويل والاقتصاد، وتوسع معرفتهم فيما يخص علم التمويل والتحويلات المالية الحديثة وأدواتها تعتبر صناعة الخدمات المالية واحدة من أكثر الصناعات نمواً في جميع أنحاء العالم. يوجد حالياً أكثر من ٢٥٠ .

متطلبات التقديم :

خلفية قوية في الرياضيات والإحصاء .

لا تشترط الخبرة العملية في نفس المجال إلا أنها تعتبر تفضيلية .

لمزيد من المتطلبات، يرجى الرجوع الى متطلبات التقديم العامة لبرامج الدراسات العليا .

قد يفرض على الطلاب الذين لا تنطبق عليهم شروط التقديم، إضافة بعض المواد التأهيلية .

بنية البرنامج :

يبلغ مجموع الساعات المعتمدة في المواد الست (١٨ ساعة معتمدة) ، ٣ مواد أساسية (٩ ساعات معتمدة) و ٣ مواد اختيارية (بواقع ٩ ساعات معتمدة) .

للطالب حق الاختيار ما بين مساقين الأول إدارة الأرصد ، والثاني التدقيق .
الاستمرار اختياري للحصول على درجة الماجستير . بشرط حصول الطالب على درجة B في المعدل التراكمي ، ما يعادل (٣,٠ / ٤,٠)

تفاصيل البرنامج :

المتطلبات التأهيلية :

- الرياضيات في الأعمال والتمويل والتقنيات الإحصائية للتمويل والاقتصاد .
- مبادئ الاقتصاد .

- مبادئ البنوك في التمويل .
- مدخل إلى الفقه الإسلامي .

المواد الأساسية :

- مقاصد الشريعة الإسلامية وأهدافها .
- عقود التمويل الإسلامي .
- المصارف الإسلامية و التمويل : النظرية والممارسة .

المواد المتخصصة :

مسلك إدارة الأصول :

- أسواق و مؤسسات رأس المال الإسلامية .
- إدارة المخاطر في التمويل الإسلامي .
- إدارة الأصول .

مسلك المحاسبة ومراجعة الحسابات :

- إدارة المؤسسات المالية .
- المنهج القانوني والتنظيمي في القطاع المصرفي والمالي الإسلامي .
- المحاسبة ومراجعة الحسابات .

(ب) دبلوم عام في الدراسات الإسلامية :

قد صمم هذا البرنامج للطلاب الراغبين في توسعة معرفتهم بالفكر الإسلامي بتوازنه واعتداله وبساطته. إضافة إلى اكتشاف التنوع الذي ينطوي عليه هذا الدين. سوف تصبح ملمماً بأحدث التطورات في مجال الدراسات الإسلامية وكذلك تصبح ملمماً بربط المعرفة النظرية بالحياة العملية، وتشرى قدراتك من خلال التفاعل مع مختلف الثقافات والأديان .

بنية البرنامج :

يدرس الطالب تسعة مقررات، تشمل متطلب تأهيلي واحد و ٨ مواد يبلغ عدد الساعات المعتمدة في المواد الثمان (٢٤ ساعة معتمدة) من ضمنها ٤ مواد أساسية (١٢ ساعة معتمدة) و ٤ مواد اختيارية بواقع (١٢ ساعة معتمدة) .

تفاصيل البرنامج :

المتطلبات التأهيلية :

- فقه العبادات .

المواد الأساسية :

- دراسات في القرآن الكريم والحديث النبوي .
- تاريخ الفقه الإسلامي وأصوله .
- الحضارة والنظم الإسلامية .
- مناهج الفكر الإسلامي والبحث العلمي .

مواد اختيارية :

- مقارنة الأديان .
- العقيدة وعلم الكلام .
- العالم الإسلامي والغرب .
- التصوف الإسلامي .
- الفكر الإسلامي الحديث
- حقوق الإنسان في الإسلام .
- فقه المعاملات .
- القواعد الفقهية ومقاصد الشريعة .

برامج الماجستير :

برامج الماجستير التي توفرها كلية الدراسات الإسلامية تشمل ما يلي :

(أ) ماجستير التمويل الإسلامي :

يقدم برنامج الماجستير في علم المصارف الإسلامية في كلية الدراسات الإسلامية فهماً عميقاً لقوانين الشريعة وتعاليم الإسلام في مجال المال والاقتصاد . لقد صُمم هذا البرنامج ليزود المشاركين بالمعرفة والمهارات المطلوبة للمساهمة في المجالات العلمية والتطبيقية في المعاملات والتحويلات المالية الحديثة ، . وهذا قائم على الإيمان بأن التطبيق الصحيح لقوانين الشريعة يحتم فهماً لهذه المعاملات والمنتجات والآليات التقليدية كانت أو إسلامية . سيتمكن خريجوا البرنامج من التفاعل مع النظام المالي العالمي و تقديم بدائل أكثر حيوية وقدرة للنماذج والآليات المطبقة حالياً . إن وجود عدد كبير من الخبراء في الكلية ووجود الطلاب من أصحاب البحوث والتجارب العملية

سوف يدعم تطوير المنتجات الإبداعية الأصيلة والموجهة القابلة للتطبيق في مجال الصناعة المالية .

متطلبات التقديم :

- درجة البكالوريوس بحد أدنى ٣,٠ / ٤,٠ المعدل التراكمي في التمويل أو الاقتصاد أو الشريعة أو إدارة الأعمال .
- درجات بكالوريوس في مجالات أخرى إذا كانت مصحوبة بخبرة عملية في مجال الدراسة .
- خلفية قوية في الرياضيات والإحصاء وتقنيات الاقتصاد القياسي .

• لا يشترط الخبرة العملية في نفس المجال إلا أنها تعتبر تفضيلية إن وجدت .

- قد يُسأل الطلاب الذين لم يستوفوا الشروط، إضافة بعض المواضيع التأهيلية؛ حيث يجب أن يحصلوا على علامة لا تقل عن B للتقدم للبرنامج .

بنية البرنامج :

- ١١ مادة (بواقع ٣٣ ساعة معتمدة) ، ٨ مواد أساسية (بواقع ٢٤ ساعة معتمدة) و ٣ مواد اختيارية (بواقع ٩ ساعات معتمدة) .
- الاختيار ما بين كتابة أطروحة (ما يعادل ٦ ساعات معتمدة) أو دراسة مقررین اختياريين .

• شهر تدريب ويمكن إنجازها في مجال عمل الطالب .

• باستطاعة الطلاب مواصلة البرنامج بدوام كامل أو جزئي .

• تنظيم البرنامج، يتم بالتنسيق ما بين الطالب والمستشار الأكاديمي الخاص به / بها .

تفاصيل البرنامج :

متطلبات تأهيلية إضافية :

- الرياضيات للأعمال التجارية والتمويل والتقنيات الإحصائية للتمويل والاقتصاد.
- مبادئ الاقتصاد.

- مبادئ البنوك في التمويل.

- مدخل إلى الفقه الإسلامي.

مقررات أساسية :

- مقاصد الشريعة الإسلامية وأهدافها.

- عقود التمويل الإسلامي.

- المصارف الإسلامية والتمويل : النظرية والممارسة.

- الاقتصاد الإسلامي : النظرية والممارسة.

- أسواق و مؤسسات رأس المال الإسلامية.

- المحاسبة ومراجعة الحسابات.

- المنهج القانوني والتنظيمي في القطاع المصرفي والمالي الإسلامي.

- طرق البحث : تقنيات الكم والنوع.

المقررات الاختيارية :

- إدارة المؤسسات المالية.

- سياسات تطوير القطاع المالي.

- إدارة المخاطر في التمويل الإسلامي.

- التسويق وسلوكية التمويل .
- إدارة الأصول .
- الهندسة المالية من منظور إسلامي .
- استراتيجية الإدارة في التمويل الإسلامي .
- التأمين والتكافل الإسلامي .
- مواضيع مختارة في مجال التمويل الإسلامي .

(ب) ماجستير الدراسات الإسلامية تخصص الفقه الإسلامي المعاصر:

لقد صمم هذا البرنامج للدارسين الذين لديهم خلفية جيدة ومتنوعة في مجال الدراسات الإسلامية . سوف يصبح الطلاب قادرين معنوياً وتقنياً وفكرياً على تفعيل التراث الإسلامي بكل نصوصه ومنهجيته ومبادئه لمعالجة المشاكل الحديثة، وكذلك سوف يكون باستطاعتهم استخدام هذه المهارات لتحقيق أهداف تنمية المجتمعات الإسلامية بإبداع وتفاعل حضارى . مما يؤهلهم لأن يكونوا خبراء من ذوى الكفاءات العالية في أداء البحوث ذات المستوى العالمى فى مجال الدراسات الإسلامية .

متطلبات التقديم :

درجة البكالوريوس أو ما يساويها فى مجال الدراسات الإسلامية .

متطلبات تقديم أخرى مذكورة فى متطلبات التقديم لبرامج الدراسات العليا

بنية البرنامج :

مجموع الساعات المعتمدة (٣٦ ساعة) و ٤ مواد رئيسية (بواقع ١٢ ساعة

معتمدة) و ٤ مواد اختيارية (بواقع ١٢ ساعة معتمدة) .

اختبار شامل .

أطروحة (١٢ ساعة معتمدة) .

المواد الأساسية :

دراسات معاصرة في القرآن والحديث :

- أطلس الفكر الإسلامي المعاصر .
- قضايا المرأة وحقوق الإنسان .
- دراسات في العقيدة الإسلامية .

مواد اختيارية :

نصوص فقهية واصولية :

- المعاملات المدنية والتشريعات الجنائية .
- المؤسسات المالية الإسلامية .
- الاتجاهات الحديثة في الفكر القانوني .
- قضايا فقهية بيولوجية .
- قضايا من أصول الفقه .

(ج) ماجستير السياسة العامة في الإسلام :

إن برنامج الماجستير في السياسة العامة في الإسلام، هو برنامج متعدد التخصصات وصمم خصيصاً لمواجهة التحديات الاجتماعية والاقتصادية من وجهة نظر إسلامية. إن هدفه الرئيس هو المشاركة في الدراسة العلمية وتطبيق الإسلام في مجال السياسة العامة، والمواضيع ذات الصلة مثل الديمقراطية والفقير والتمويل والموارد البشرية والبيئة والإدارة العامة وما إليها.

تلتزم كليتنا بتعزيز قدرة الطلاب على القيادة والإدارة وفقاً لقيم وأخلاقيات الإسلام، والتي تهدف إلى تحسين نوعية الحياة لجميع المواطنين بغض النظر عن العرق أو العقيدة.

متطلبات التقديم :

أن يكون الطالب عاملاً في مجال السياسة العامة أو الإدارة أو أن يكون مطلعاً لبناء مهنة مستقبلية في مجال العمل العام.

أن يكون مهتماً بتقوية المعرفة فيما يتعلق بالسياسة العامة بالفكر الإسلامي نظرياً وعملياً.

بنية البرنامج :

٤٢ ساعة معتمدة متضمنة ٦ مواد أساسية (١٨ ساعة معتمدة)، و ٤ مواد اختيارية (١٢ ساعة معتمدة).

الأطروحة (ما يعادل ست ساعات معتمدة).

فترة تدريب في مجال ذي صلة بموضوع الدراسة (ما يعادل ست ساعات معتمدة).

المقررات الرئيسية :

- أساليب البحث في مجال السياسات العامة.
- نظرية السياسة العامة و المناهج التحليلية.
- الإدارة الاستراتيجية للمؤسسات العامة.
- أسس الحوكمة في الإسلام.
- مقدمة التمويل الإسلامي.
- مقاصد الشريعة.

المقررات الاختيارية :

- دور الدولة في الاقتصاد المفتوح.
- إدارة الموارد العامة في المجتمع الإسلامي.

- السياسة العامة و المؤسسات و الديمقراطية .
- العدالة الاجتماعية و المجتمع المدني و الديمقراطية من منظور إسلامي .
- الأسواق و المؤسسات المالية الإسلامية المعاصرة .
- العلاقات الدولية من المنظور الإسلامي .

يمكن للباحث اختيار موضوع من برنامج ماجستير آخر من البرامج المقدمة من قبل كلية الدراسات الإسلامية، وذلك من ضمن المواضيع الاختيارية المذكورة أعلاه بعد الحصول على موافقة مدير البرنامج .

برامج مستقبلية :

(أ) ماجستير في التصميم الحضري والعمارة في المجتمعات الإسلامية :

لسنا في حاجة للتدليل على الاهتمام السائد و المتزايد بالعمارة الإسلامية ، ومع هذا فإن هناك غياباً لمنهج شامل لدراسة هذا المجال الخصب و المبهر في آن .

إن العمارة الإسلامية و التخطيط الحضري في المدن الإسلامية العربية ، يعكس بصورة رائعة هذا الفهم العميق ، لدى المجتمعات الإسلامية ، لدور المدينة و العمارة و مفهوم المجتمع الحضري و التحضر . و تعكس العمارة الإسلامية مدخل المسلمين إلى التعامل مع البيئة ، من خلال احترام كامل للقيم الثقافية الإسلامية و العلاقات الاجتماعية ، و الدور المنوط بالمؤسسات المختلفة في النسيج العمراني .

إن تحليل هذه الاعتبارات و الاهتمامات المتباينة ، هو ما يعطى البيئة الحضارية الإسلامية و عمارتها ، الشكل و الشخصية المتميزة .

وستشكل هذه الاعتبارات و غيرها الكثير من محاور الدراسة في برنامج التخطيط الحضري و العمارة الإسلامية .

(ب) ماجستير الدراسات الإسلامية تخصص أديان وفكر معاصر:

وُضع هذا البرنامج على أساس إحداث نقلة نوعية في الدراسات الإسلامية على مستوى الدراسات العليا ، في ضوء التطورات المتسارعة في المجتمعات المختلفة والتي تشهد ازدياداً يومياً في التحديات الجديدة ، و هو ما يستدعي قيام الباحثين والمتخصصين من ذوى الخبرات الأكاديمية والتقنية المتسمين برؤية واضحة وبروح منفتحة تجاه الأفكار والثقافات الأخرى بالعمل على مواجهة هذه التحديات . سيكون الخريجون قادرين على مواجهة هذه التحديات والمشاركة في تطوير مجتمعاتهم في ضوء الاحتياجات الحضارية الحديثة .

متطلبات التقديم :

درجة البكالوريوس أو ما يساويها في مجال الدراسات الإسلامية .

بنية البرنامج :

يبلغ مجموع الساعات المعتمدة ٣٦ ساعة تشمل ٤ مواد أساسية (١٢ ساعة معتمدة) و ٤ مواد اختيارية (١٢ ساعة معتمدة)

أطروحة (بواقع ١٢ ساعة معتمدة) عند إكمال المواد واجتياز الاختبار الشامل .

المواد الأساسية :

- دراسات معاصرة للقرآن والسنة .
- الأطلس الفكرى للعالم الإسلامى .
- قضايا المرأة وحقوق الإنسان .
- دراسات فى العقيدة الإسلامية .

المقررات الاختيارية :

- دراسات فى الدين المقارن .

• نصوص كلامية (مقارنة) .

• الدين في النظريات المعاصرة .

• اتجاهات فلسفية معاصرة .

• تفاعلات الفكر الإسلامى .

• نصوص صوفية (مقارنة) .

• تاريخ الأديان .

مواد تحضيرية إضافية :

قد يطالب الطلاب بدراسة مواد تكميلية أخرى - بساعات غير معتمدة -

لضمان إكمال متطلبات أطروحة للماجستير بنجاح تبعاً للموضوع المختار .

(ج) ماجستير آداب في المجتمعات المسلمة المعاصرة :

من الصعب أن يوصف أحدٌ بالمبالغة، إذا تحدث عن الاهتمام المتنامى بدراسة

المجتمعات الإسلامية المعاصرة . وتبدو الحاجة ملحة لمناهج جديدة في هذه الدراسات ،

تأخذ في اعتبارها بصورة متكاملة، القاعدة المعرفية الواسعة المتاحة، والتي لم تدرس

بصورة كافية في الأغلب، والتشابك الذى يميز الفكر والممارسة في المجتمعات

الإسلامية المعاصرة . وفى عالم ما بعد الاستشراق، فإنه من المهم سد الفجوة بين

المناهج التقليدية لدراسة العالم الإسلامى، وبين المداخل التى يستخدمها علماء

الاجتماع وعلوم الإنسان والاقتصاد والعلوم السياسية، فى دراسة المجتمعات الإسلامية

المعاصرة . ويمثل هذا البرنامج خطوة أصيلة فى هذا الاتجاه .

الفكر الإسلامى والبحث العلمى :

تتمتع كلية الدراسات الإسلامية فى قطر باحتوائها على مرافق تعليمية على قدر

عالٍ من التميز، وتحظى بوجود نخبة مميزة من الخبراء المتخصصين فى توجيه الدارسين،

وهي تفسح المجال أمام طلاب الدراسات العليا والباحثين للبحث والاستقصاء والنظر في المواضيع البحثية.

مراكز البحوث،

تعتبر مراكز البحوث جزءاً أساسياً من البناء المتكامل لكلية الدراسات الإسلامية. وسواء كان النشاط هذا مرتبطاً بواحد من البرامج التعليمية أو ثمرة جهد فردي، أو جماعي، أو جزءاً من مشروع ممول من الخارج، فإن العمل البحثي يمثل التزاماً هاماً بالنسبة لكلية الدراسات الإسلامية. إنه متطلب أساس لتطوير المهارات عند الإنسان، كما أنه المحرك الأساسي لعملية التطور الاجتماعي بشكل أوسع.

إن الهدف الأساس لمراكز الأبحاث التابعة لكلية الدراسات الإسلامية هو تقديم الفرصة للخريجين وكذلك للمقيمين والزائرين من العلماء، للبحث في مجال تخصصاتهم واهتماماتهم في بيئة غنية بالوسائل والتوجيه المميز. وغنى عن القول إن هذه المراكز سوف تدعم بشكل خاص المجالات الأساسية المرتبطة ببرامج الدراسات في كلية الدراسات الإسلامية.

وستعمل المراكز على تنظيم جولات من الحوارات والمؤتمرات، ودعوة العلماء المرموقين والمشاركين المتميزين من منتديات داخل الوطن وخارجه، لتوسيع دائرة البحث ومجالاته. وفي الوقت المناسب، سيتم إصدار دوريات و مطبوعات مختلفة لتأكيد دور مراكز البحوث كمراكز متميزة في مجالات الدراسات الإسلامية وتمثل مرتكزاً للمناقشات العلمية والموضوعية في القضايا المعاصرة. وستعمل هذه المراكز أيضاً كمنطلق لكلية للتواجد الإعلامي العلمي. وهذا هو الدور الذي سيخلق حضوراً إعلامياً قوياً.

مركز القرضاوى للوسطية الإسلامية والتجديد :

هذا هو المركز المتخصص الأول للبحوث، قامت بتأسيسه كلية الدراسات الإسلامية بناء على قرار من صاحبة السمو الشيخة موزة بنت ناصر المسند، رئيس مجلس الإدارة لمؤسسة قطر.

إن التحديات والتعقيدات التي تظهر في المجتمعات المعاصرة، تستلزم إنشاء مركز بحث قوى، ملتزم بالعرف والتحليل والتوضيح الشامل لهذه التغيرات. سيكون المركز نشطاً في تقديم حلول بديلة للقضايا الاجتماعية والاقتصادية الملحة، كما سيكون صوتاً جديداً لاستمرارية الحوارات في الفقه الإسلامي ومساهمته الممكنة والمستمرة في تحسين حياة الإنسان. وسيركز البحث في هذا المركز على الحاجة إلى وضوح الرؤية والتسامح تجاه الأفكار والثقافات المختلفة. ومن خلال النشاطات والبحث، فإن المركز سيبذلور المواقف والتوجهات تجاه الأحداث بما يتفق مع الشريعة، والتي تتبنى إطار مفهوم الفكر الوسطى الذي يمثل التوجه الرئيس لمدرسة الدكتور القرضاوى الفكرية.

مركز الاقتصاد والتمويل الإسلامى :

التمويل الإسلامى من أسرع المجالات نمواً فى التمويل العالمى، وهو يجتذب الاهتمام الأكاديمى والعملى حول العالم. وتظهر منتجات جديدة باستمرار؛ ولذلك فعلى أولئك الذين يرغبون فى المشاركة فى هذا المجال الحيوى، أن يكونوا على علم بمفاهيم وأساسيات الاقتصاد والتمويل الإسلامى، وكذلك بالتطورات المعاصرة لصناعة التمويل العالمى.

والتركيز الكبير لمراكز التمويل الإسلامى فى منطقة الشرق الأوسط، يدعو إلى جهد قوى فى البحث يبين التغيرات العالمية ويقدم التحليل القوى لهذه الصناعة،

ويقدم أفكاراً جديدة واستكشاف لتطورات الفترات السابقة والحاضر والتطلع للمستقبل.

ومن هنا، فإن البحوث في التمويل والاقتصاد الإسلامي، سوف تركز على النواحي الثلاث الآتية:

منتجات مالية مبتكرة والسياسة النقدية والمالية والتجارة والاستثمارات الإسلامية البنينة.

مركز المجتمعات الإسلامية المعاصرة:

الزخم القوي والمتزايد لدراسة المجتمعات الإسلامية، لا يمكن وصفه بالمبالغة. إن الحاجة إلى مناهج جديدة تضع أساساً قوياً للمعرفة (لم تعط عناية كافية)، حول مظاهر الأفكار الإسلامية المعاصرة والممارسات، أصبحت ضرورية - وفي عالم ما بعد الاستشراق - أصبح من الضروري ردم الهوة بين المناهج الكلاسيكية في دراسة العالم الإسلامي، وبين العمل الذي تقوم به الانثروبولوجيا وعلم الاجتماع والاقتصاد وعلماء السياسة، حول المجتمعات الإسلامية المعاصرة.

إن البحث الآن في هذه المجالات سوف يزيد هذه الشفرة عندما نركز على التعددية والهوية والثقافة والتحليل الاجتماعية/السياسية/الاقتصادية، وعلى التفاعل مع الآخر.

مركز الحوكمة والسياسة العامة:

في السنوات القليلة الماضية، قفزت مواضيع الحكم والديمقراطية إلى واجهة الأبحاث والبرامج السياسية، في كل ما يتعلق بالعالم الإسلامي. إن الاهتمام بتأثير السياسة الإسلامية والثقافة الإسلامية، ما زال ينمو بثبات، مع أن العلاقة بين طرائق الحكم ومعايير المساءلة والشفافية من ناحية والإسلام من ناحية أخرى، يبقى في بؤرة

الاهتمام بشكل كبير. وأكثر من ذلك، فإن مساهمات الإسلام الماضية والمستقبلية في الأفكار السياسية المتكثرة وفي الميادين المتنوعة، لم تلق العناية الكافية ولم تنشر عالمياً رغم قابليتها للتطبيق.

إن هذا المركز سيبنى قاعدة متينة للبحث، عن طريق تقديم المفاهيم الإسلامية والنظريات والأساليب والقوانين وتقديمه منحاً دراسية للغربيين للدراسة والتصميم والتحليل ومواجهة السياسات العامة في مختلف الميادين. وسيتم التركيز في البداية على ما يتعلق: العلوم والتكنولوجيا والسوق والعدالة الاجتماعية والديمقراطية والعلاقات الدولية.

مركز التخطيط الحضري والعمارة الإسلامية :

العمارة الإسلامية والتخطيط الحضري في المدن التاريخية، تعكسان بشكل واضح، الفهم العميق من طرف المجتمع الإسلامي، لدور المدينة؛ بناياتها، هياكلها، مفهوم المجتمع الحضري وعملية التحضر. وهذه العمارة الإسلامية تشمل فهم المسلمين لإدارة البيئة من خلال الاحترام التام للثقافة والقيم الإسلامية والعلاقات الاجتماعية. إن انصهار هذه الاهتمامات المتعددة هو الذي يعطى المساحة الحضرية الإسلامية والعمارة الإسلامية، شكلها الفريد.

هذه الموضوعات وغيرها الكثير، ستشكل بؤرة البحث في هذا المجال الواسع. سيدعم هذا المركز كل طرائق البحث والبرامج الشاملة لدراسة العمارة الإسلامية والتخطيط الحضري، والذي سيكون جزءاً من برنامج الماجستير في هذا المجال.

مركز الشيخ محمد بن حمد آل ثاني لإسهامات المسلمين في الحضارة :

يسعى المركز ليقدم للعالم ترجمات علمية دقيقة وصادقة في اللغة الإنجليزية وغيرها لبعض أهم المعروف من مؤلفات السلف التي اكتسبت شهرة ومكانة في التراث

العلمى الحضارى للإسلام ، والتي تخطت آثارها عالم الإسلام والمسلمين . يختار هذه المجموعة من الكتب علماء أجلاء متخصصون فى العلوم والمعارف الإسلامية . وتنحصر الفترة التى يكون منها الاختيار فى الثمانمائة عام الممتدة من عام ٦٢٠م إلى عام ١٥٠٠م وهى الفترة المتعارف على أنها فترة ازدهار الحضارة الإسلامية التى يفضلها كانت عصور النهضة فى أوروبا ومن ثم فى كل العالم المعاصر والكتب المختارة تشمل إسهامات المسلمين فى شتى أنواع العلوم والمعارف ، وما كان منها فى شأن الدين ، وما كان منها فى سائر العلوم الأخرى الإنسانية منها والطبيعية .

مركز اللغات :

تمثل اللغة أداة التواصل الأساسية بين البشر ، وتعدد اللغات التى يتحدث بها المسلمون فى أرجاء العالم تبعاً لمواطنهم الأصلية . ورغم الأهمية المتزايدة للغة الإنجليزية كلفة سائدة عالمياً إلا أن من الضرورى الاهتمام باللغات الأخرى خاصة تلك التى تعكس الأوزان النسبية للمسلمين حول العالم .

ونظراً لأن إتقان اللغة العربية هو المدخل الأساس لدراسة الإسلام وما يتعلق به فإن مركز اللغات بدأ نشاطه الداعم للدراسة بالكلية فى هذا المجال . ويمثل البرنامج المتكامل الذى يقدمه المركز لدراسة اللغة العربية خطوة أساسية فى هذا الاتجاه ، وهو يقدم دروسه للمتحدثين بالعربية وغير الناطقين بها .

وفى ذات الوقت فإن المركز سيدعم أنشطة مراكز البحوث فى مجالات النشر والمؤتمرات وتقديم خدمات الترجمة الفورية .

وسيمتد نشاط المركز تبعاً للغات الأخرى ، وقد بدأ بالفعل تقديم برنامج دعم المهارات اللغوية لطلاب الكلية فى اللغة الإنجليزية .

المكتبة :

تعتبر مكتبة كلية الدراسات الإسلامية بوابة لأحدث تقنيات المكتبات ومقتنياتها وتوفر المصادر المتخصصة والمراجع العامة لدعم طلابنا وأساتذتنا والمجتمع ككل.

لقد صممت مكتبة كلية الدراسات الإسلامية لتقديم مدخل سهل وسريع لأحدث المعلومات والبحوث فيما يتعلق بالدراسات الإسلامية. وتوفر أيضا مدخلا لتشكيلة من الأعمال الرئيسة في اللغة العربية والتراث الإسلامي. وتشمل مجموعتنا أعداداً متزايدة من الكتب والكتب الإلكترونية وقواعد البيانات على الإنترنت والأقراص المدمجة. وتغطي هذه المصادر بشكل عام الاقتصاد والتمويل والاجتماع والقانون والأخلاقيات والصحة... الخ وغيرها من مواضيع مختلفة ترتبط بمجالات الدراسة والبحث في كلية الدراسات الإسلامية.

المنح الدراسية :

تقدم كلية الدراسات الإسلامية في قطر في كل عام عدداً من المنح الدراسية لأفضل الطلاب من دول العالم ممن لديهم الرغبة والدافع لدراسة العقيدة الإسلامية وتطبيقاتها. ويحتوى منهج الدراسة على التمويل الإسلامى والفقهاء المعاصر والسياسة العامة. ويفد الطلاب للدراسة من الشرق الأوسط وماليزيا وأندونيسيا.

الأنشطة خارج البرامج الدراسية :

لا تتوقف كلية الدراسات الإسلامية عند تحقيق التميز الأكاديمي فحسب بل إن هناك تنوعاً في النشاطات خارج البرامج الدراسية والتي تجعل الدراسة هنا تجربة مجتمعية حقيقية ، يقوم قسم شؤون الطلاب بتنظيم برامج اجتماعية وثقافية وترفيهية ، يهدف إلى زيادة الخبرة الحياتية للطلاب . لذلك فمن المهم بالنسبة لنا أن نحصل على فرصة لاستغلال أوقات فراغك في تقوية نفسك في المجال الذى ترغب فيه .

المتحدثون الزائرون :

إن كلية الدراسات الإسلامية هي بيئة مفتوحة للجميع ، حيث نتوق إلى الانخراط في مختلف النشاطات والمواضيع ، فالحرم الجامعي لدينا يرحب كل الترحيب بجميع الضيوف ، وذلك بتوفير أماكن كثيرة لإقامة المناسبات الخاصة في الحرم الجامعي في مؤسسة قطر .

النشاطات الرياضية :

إن الالتحاق بكلية الدراسات الإسلامية يهدف ليس فقط إلى تنمية المدارك العقلية و الذهنية فحسب ، بل إن لبدنك عليك حقا ؛ لذلك توفر الكلية للطلاب التجهيزات الرياضية الخارجية والداخلية التي تناسب احتياجاتهم .
تتضمن التجهيزات الداخلية قاعة جمنازيوم وبيلياردوا ونادى لياقة نسائي يحتوي على تجهيزات خاصة . بينما تحتوى منطقة النشاطات الرياضية الخارجية على ملاعب كرة سلة وكرة طاولة والكرة الطائرة وملعب كرة القدم . وسوف يقوم قسم شؤون الطلاب بتنظيم الألعاب الرياضية الداخلية والخارجية ومن ضمنها المباريات والمسابقات .

النشاطات التي تجرى خارج الحرم الجامعي :

إن تطوير وإثراء تجربة الطالب التعليمية هدف مهم بالنسبة لنا . لذلك فإن كلية الدراسات الإسلامية تعطي اهتماما خاصا للخبرات المكتسبة عمليا تحت إشراف أكاديمي والجولات الميدانية والنشاطات ومشاريع البحوث التي تمتد إلى خارج حدود الجامعة . إن التحفيز والتفاعل الريادي مع العالم الخارجي يعتبر واحداً من أهم الأدوار التي تلعبها الكلية .

الخدمات الطلابية :

تقع كلية الدراسات الإسلامية في المدينة التعليمية ، وهذا يعني أن طلابنا قادرون على التمتع بمرافق ذات مستوى عالمي ، وتشمل المرافق حوضاً للسباحة بالحجم الأولمبي

وغرف رفع الأثقال وملاعب التنس وغير ذلك كثير. بالإضافة إلى ذلك يقدم المركز الرياضى فى المدينة التعليمية تنوعاً كبيراً فى النشاطات التى تناسب جميع الأذواق. كما أن باستطاعة الطلاب أيضاً الاستفادة من تنوع الخدمات المقدمة داخل الحرم الجامعى التى تشمل: التنقل والسفر وخدمات تنظيف الملابس والخدمات البريدية والبنكية والهاتفية ومحلات التصوير الفوتوغرافى والخدمات الأخرى الكثيرة.

رابطة الطلاب:

تولى كلية الدراسات الإسلامية اهتماماً كبيراً بأراء طلابها وتمثل الرابطة وسيلة التواصل المفتوح بين الطلاب وإدارة الكلية وتشتمل أنشطة الطلاب على: فعاليات الحرم الجامعى، وأنشطة على المستوى الوطنى والدولى، والقضايا المرتبطة بشئون الأكاديمية.

تضم الرابطة ثلاث لجان رئيسية:

- لجنة الشؤون الأكاديمية: وهى مسؤولة عن الطلاب وتنمية وتفعيل دور الكلية فى المدينة التعليمية والمجتمع المحلى.
- لجنة الشؤون الاجتماعية: التى ستعمل على أنشطة الطلاب داخل وخارج كلية الدراسات الإسلامية لغرس روح التعاون والتقارب.
- لجنة شؤون الطلاب: التى ستمثل حلقة الوصل بين أعضاء هيئة التدريس والطلاب وعمادة الكلية.

وسائل الاتصال بالكلية:

هاتف: ٤٤٥٤٦٦٠٠ (٠٠٩٧٤)

البريد الإلكتروني: qfisinfo@qfis.edu.qa

<http://www.qfis.edu.qa/output/page160.asp>

obeikandi.com

القسم الرابع
حقائق الإسلام
وأباطيل خصومه

obeikandi.com

خطاب من امرأة مسيحية إلى المرأة المسلمة

ترجمة: أ. مصطفى أبو المجد (*)

فى ظل توالى الهجمات الإسرائيلية والصهيونية على الشعب اللبناني بدعوى "الحرب على الإرهاب" إلا أن قضية الإسلام باتت تخيم سقف كل منزل أمريكي. إننى أرى المذابح والموت والدمار الذى حلّ بالشعب اللبناني، كما أننى أرى أيضاً شيئاً آخر، فأكاد ألحظ بناظراى كل سيدة تعيش على أرض لبنان. أرى تقريباُ السيدة التى تحمل طفلها الرضيع وحولها أطفالها الصغار، إننى أحترم لباسها الذى يزينها ويبرز جمالها الخارجى برغم ملابسها المختشمة! إننى ألحظ ذلك جيداً، كما أننى أشعر بغيرة داخلية منها، ولكننى أأسف وأشعر بالحزن تجاه ما يرتكب ضدها من جرائم رهيبة.

إن ما يلاقيه الشعب اللبناني يدل على استهدافه حقاً من قبل عدونا المشترك. وبرغم ما هم فيه، إلا أننى معجبة بقوة تحملها، وبالتواضع الذى تعيشه المرأة حتى فى ظل ذلك القصف المستمر، وبرغم ما هم عليه إلا أنها فى سعادة أكثر مما نحن عليه. ذلك لأن المرأة هناك مازالت تعيش حياة طبيعية، الحياة التى فطرت عليها، حياة الطبيعة، والتى كان الغرب يعيشها حتى عام ١٩٦٠، إلى أن تم قصف معالم هذه الحياة بالذخائر الفعلية الحقيقية، وهى إفساد الحياة الأخلاقية بكل مكر وخديعة، تلك القذائف التى توالى علينا نحن الأمريكيات من نتاج صناعة السينما الأمريكية، وذلك بدلاً من القصف بالطائرات والدبابات الأمريكية الصُنع. إنهم يريدون تدميرك من هذا المنحى أيضاً، وهى خطتهم بعد الانتهاء من قصف البنية التحتية فى بلادكم، فأنا لا أريد أبداً أن يحدث لك هذا، فعندها ستشعرين بأنك مهزومة حقاً، مثل ما هو شعورنا

(*) مترجم برابطة الجامعات الإسلامية.

نحن الآن . يمكنك أن تتجنبى هذا النوع من القصف ، ولك أسوة حسنة فى الاستماع من أولئك الذين خسروا وعانوا كثيراً من هؤلاء الأشرار ، فكل ما يخرج علينا من نتاج السينما الأمريكية ، ما هى إلا مجموعة من الأكاذيب ، وتشويش للحقائق . إنهم يزينون لكن برامج ممارسة الجنس على أنها حرية ترفهية ثقافية ، وإنما تهدف فى حقيقتها إلى تدمير النسيج الأخلاقى للمجتمعات ، وأرجو أن لا تسرن خلف هذا السراب ، فإنه سم ، وتأثير الجرعة القليلة منه كالكثير ؛ فلذا أنصح لكن الابتعاد بالكلية عنه ، فإنه بعد تذوقه لا جدوى من الشفاء من أقل ضرر تسبب فيه . إنهم يعملون جاهدين على إغوائك من خلال ما يعرضونه من أفلام الإثارة وأشرطة الفيديو والموسيقى الماجنة ، كما سيصورون لك زوراً سعادة النساء الأمريكيات ورضاهن عن حياتهن فى ظل السفور ، والحياة التى تشبه حياة البغايا .

صدقينى أنا : فلسنا بسعداء كما يوهمونك ، فالملايين منا لا يعشن إلا بتناول الأدوية المضادة للاكتئاب ، بل إننا أصبحنا نكره أعمالنا ، وكم نصرخ من داخلنا من خداع هؤلاء الذين يوهمننا بأنهم يحبوننا وسرعان ما يرحلون عنا بعد قضاء ما يريدون . إنهم يريدون تدمير علاقاتكم الاجتماعية والأخلاقية ، بتقليل معدل إنجاب الأطفال لديكن ، وذلك عن طريق إيهامكن أن الزواج تقيد ، والأمومة عبودية وأسر ، وإن هذه الحياة لا تتفق مع المدنية والتحضر ، ولكنهم ما يريدون لك سوى إذلال نفسك وفقدك الثقة فى إيمانك . إنهم يغرونك كما أغوى الشيطان حواء بأن تأكل من الشجرة ، فلا تجيبهم لذلك سبيلا .

إننى أرى أنك معدن نفيس ، ذهب نقى ، "لؤلؤة ذات قيمة كبيرة" . (ورد كذلك فى إنجيل متى : ١٣ : ٤٥) . كل النساء لآلى ذات قيمة كبيرة ، فلا تتخذن معشر النساء بمن يشكك فى قيمتهن ، وكما قال يسوع فى إصحاح متى : "لا تحقروا من شأن كل ما هو مقدس ، بأن تلقونه للكلاب ، ولا تلقوا باللؤلؤ أمام الخنازير لئلا يطئونها

بأقدامهم لجهلهم بقيمتها، وإذا ذللتهم فارجعوا" (متى: ٦ : ٧). اللائى لدينا لا تقدر بشئ، لكنهم يحاولون إقناعنا بأنها رخيصة، ولكنى أقول لكى صدقيني: لا بديل عن أن تنظرين إلى المرأة بعين الطهارة والبراءة لتعرفين قيمة نفسك وتقديرين التعرف على قيمتك.

إن الموضة الغربية التى تخرج علينا، لتجعلك تعتقدين أن حياتك الخاصة بك هى أفضل منها، وأن ملابسك المختشمة وارتدائك للحجاب يجعلك أكثر جمالاً وجاذبية من أى تفنن غربى. إن الحجاب برغم ما يخفى من محاسنك، إلا أنه يضيف لناظرِكَ مظهر احترام الذات والثقة التى تفتقدها الكثيرات من النساء الغربيات كما أنه يصونها من أعين الذين يشغفون بالنظر إلى المرأة، فلذلك يجب الحذر من مثل هؤلاء. وإن نظرة الرجل يجب أن تكون قائمة على الاحترام والتقدير لك، ولا يريدك إلا بالزواج، وهذا ما نعانيه من نظرة الرجال الغربيين للمرأة. المرأة الغربية جهلت قيمتها كلؤلؤة ذات قيمة كبيرة ورضيت أن تكون حجراً صليداً مبهرجاً يلمع أمام الناظرين. إن التزامك بمبادئك وإيمانك هى سر جمالك وبراءتك الذى يسخر كل شئ لك، ولكن مع ذلك لاحظت أن بعض المسلمات تحاولن تقليد المرأة الغربية قدر الإمكان، حتى ممن يرتدين الحجاب. لكننى أأسف من تقليد هؤلاء النساء الساقطات، وأقول أن عاقبة هذا التقليد لن تكون إلا الندم وفقد الهوية، وعندها لا يمكن أن تعوض خسارتها بأى شئ كان. فأنت كالماس لا يشوبه شائبة، فلا تدعين هذه الحيل تنال منك وتصبحين كالحجر الصلد، وثقى بأن كل ما ترينه معروضاً فى المجلات والموضات وشاشات التلفزيون الغربية ما هى إلا أكذوبات وفخوخ شيطانية تريد أن تنال منك.

اسمحي لى أن أبوح لك بسرية عن شئ غريب كان ينتابنى منذ لحظة ذللت بممارسة الجنس وحتى انجرفت فيه، فإننا معشر النساء كنا نسلم أجسادنا رخيصة تحت هيام الحب والعشق لرجال معتقدين أنهم يحبوننا ويريدون الزواج منا كما نرى

ونشاهد على شاشات التلفزيون، ولكن ذلك كله كان سرايا، فهم يريدون الجنس ومجرد المتعة واللذة فقط دون أمن بالزواج وسرعان ما تكون المفارقة بعد قضاء الوطر، وتبقى الواحدة منا غارقة في البكاء والنحيب.

إنني أتحدث كامرأة لأختها: إنني أجزم لك بالفعل أن عليك أن تدركين أنه لا يتفهم ما بداخل المرأة إلا المرأة مثلها، وأن قلوب النساء جميعاً واحداً، إننا معشر النساء نعرف قيمة الحب، لذلك نبذل من أجله كل شيء، فتهتم المرأة بتنشئة أسرتها وتوفير المزيد من الراحة للرجال الذين نحبهم. لكننا نحن النساء الأمريكيات كثيراً ما نُخدع باعتقادنا أن المرأة تكون أكثر سعادة عندما تعمل خارج بيتها باسم الحرية، وتختار من تشاء من الأفراد الذين تحبهم ويحبونها. إن هذه ليست حرية، وهذا ليس بحب، وكيف يتوفر لها أن تأمن على قلبها وجسدها إلا مع الزواج الآمن الذي ينشأ الحب تبعاً له، فيجب ألا تقبل المرأة شيئاً غير ذلك.

نكران الذات :

إنها الخطيئة التي لم تُعفر، وإنني أراها خديعة لك، حتى وإن كان ظاهرها يوحي لك بأنك قد استرددت مكانتك، فنحن النساء الأمريكيات حدث لنا ما يشبه غسل الدماغ تجاه ما يُقال عن أن المرأة المسلمة مهيضة ومضطهدة، لكن عند النظر بعين الحقيقة، ستجدين أننا نحن المهيضات والمضطهدات لست أنتن. وإننا عبيد لكل جديد من الموضات المعروضة، لا نُثقل لنا ولا وزن، وإننا اللواتي يلهثن وراء الرجال بدعوى الحب والبحث عن السعادة، إننا نتحطم من داخلنا، ونصدق أنفسنا برغم أنه لا يخفى علينا خديعة الآخرين لنا. إننا بحق نغبطك أختي المسلمة على ما أنت عليه وإن كان البعض منا لا يعترف علناً بذلك؛ فلذا أرجوك: لا تحطى من قدر نفسك وأن تنظري للأمور على طبيعتها، ولا تكونين مثلنا، فما نحن عليه ليس نتاج خطأنا وحدنا، فلم

نحظى بوجود آباء لنا مثلكن يحفظوننا ويحموننا من الشتات، وذلك لأنهم دمروا عائلاتنا وصلاتنا، وعليك أن تعرفين من هم الذين خلف هذه المؤامرة؟

لا تتخذين أخواتي! ولا تدعينهم ينالون منك أيضاً، وحافظن على طهركن وبراءتكن. نحن النساء النصرانيات بحاجة حقاً إلى من يساندوننا في الحياة لنكونن مثلكن، ونريد منك أن تعطينا مثالاً لنحتذى به، إننا فقدنا القدوة الحسنة. تمسكى اختاه بعفافك وتذكرين جيداً: أن الذي يُفتقد لا يُعوض أبداً؛ فلذلك احذرى على نفسك! إننى يحدونى كبير أمل أن تتلقين هذه النصائح وترسخينها فى ذهنك جيداً، وتأكدى أننى ما قلتها إلا لما أكنه لك من الوفاء والاحترام.

من اختك النصرانية المحبة لك

(جوننا فرايسس - كاتبة صحفية)

obeikandi.com



obeikandi.com

بمضور علماء، ومفكرى الجامعات الإسلامية :

مؤتمر نقل وتوطنين التكنولوجيا يناقش

إمكانية نقل التكنولوجيا وتوطنينها فى العالم الإسلامى بالدوحة

إعداد: أ. عاطف مصطفى (*)

شهدت مدينة الدوحة عاصمة قطر مؤتمراً دولياً بعنوان "نقل وتوطنين التكنولوجيا فى الدول الإسلامية فى الفترة من ٢٦ - ٢٨ ذى الحجة عام ١٤٣٢ هـ الذى يوافق ٢٢ - ٢٤ نوفمبر ٢٠١١ م.

عقد المؤتمر بالتعاون بين رابطة الجامعات الإسلامية وكلية الدراسات الإسلامية بدولة قطر وشارك فيه ١٥ جامعة عربية وإسلامية فضلاً عن عدد كبير من علماء الأمة ومفكرينها، حيث يعد موضوع نقل التكنولوجيا وتوطنينها فى العالم الإسلامى من الموضوعات ذات الأهمية البالغة فى الآونة التى نعيشها الآن، لاسيما وأن التكنولوجيا هى أساس التقدم الذى تشهده معظم الدول فبقدر ما تكون الدولة بها درجة عالية من العلم والتكنولوجيا، بقدر ما تزداد أهميتها الدولية، وليس الأمر يتصل فقط بالمكانة الدولية التى تحتلها دولة التكنولوجيا فى عالمنا المعاصر، ولكن الأمر بالنسبة لعالمنا الإسلامى يفوق ذلك كثيراً.

تضمن المؤتمر عدة محاور كان من بينها: أهمية نقل التكنولوجيا بين دول العالم الإسلامى، والإمكانات المطلوبة لنقل التكنولوجيا، ومعوقات نقل التكنولوجيا وأسبابها، ووسائل نقل التكنولوجيا التى تتناول دور الجامعات ومراكز البحث العلمى والدورات التدريبية التى تقام فى الدول الكبرى والتعاون بين الدول الإسلامية

(*) المستشار الإعلامى لرابطة الجامعات الإسلامية.

فى شراء وتوطينها . وأما المحور الخامس فقد تناول تجارب نقل التكنولوجيا فى دول العالم مثل تجربة ماليزيا وتجربة تركيا وإيران والصين والهند .

وفى الجلسة الافتتاحية أكد معالى الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي - الأمين العام لرابطة العالم الإسلامى ورئيس رابطة الجامعات الإسلامية ، على أن التكنولوجيا تعنى الفنون المتعلقة بالمهارة والبراعة وحذق الصناعة ، وتعنى الجهد المنظم الرامى لاستخدام نتائج البحث العلمى فى تطوير أساليب العمليات الإنتاجية لتسخير البيئة المحيطة بالإنسان ، وتطوير ما فيها من مواد وطاقة ، لتحقيق مصالحه وتنميتها ، سواء الضرورية منها أو الحاجة أو التحسينية .

فإذا كان العلم يقدم النظريات والقوانين العامة ويكتشف خصائص الأشياء ، فإن التكنولوجيا تحول النظريات إلى تطبيقات وأساليب عملية فى مختلف ميادين الحياة ، كوسائل الاتصال والنقل ، والتصنيع والطب والأعمال العمرانية ، والفلاحة ، والإعلام والتعليم ، وإجراء الأبحاث ، وغير ذلك .

وأضاف قائلاً: إن التعامل مع التكنولوجيا سواء فى الحد الأدنى الضرورى الذى يتمثل فى استهلاكها واستخدامها ، أو فيما زاد على ذلك بإنتاجها إنتاجاً جزئياً أو كلياً ، أصبح من الضرورات فى هذا العصر ، إذ لا يستغنى مجتمع فى العالم عن التكنولوجيا ، فى إدارة شؤونه ومرافقه العامة .

موضحاً أن نقل التكنولوجيا وتوطينها فى البلاد الإسلامية ، أمر مرتبط بالتنمية الشاملة فيها ، ولذلك كان من أهم الموضوعات التى تركز عليها الدراسات المعاصرة ، والأبحاث الاستراتيجية ، إذ أصبحت الحياة الاقتصادية والاجتماعية تعتمد بدرجة كبيرة على ما تنتجه التكنولوجيا من أدوات ومواد عملية تطبيقية ، تعين على تذليل سبل المعيشة وتوسع نطاق أسبابها ووسائلها ، بالمزيد من استكشاف ما ادخر الله تعالى

في ظاهر الأرض وباطنها وفي المحيط الفضائي المتصل بها، من خواص العناصر ونواميس الأشياء التي تتصل بالحياة البشرية اتصال نفع وإنعام، مما سخره الله للناس: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ (٢٠) ولقمان.

الاعتماد على الغير حاجة مؤقتة :

وأوضح الدكتور التركي في كلمته أن استيراد الدول الإسلامية للتكنولوجيا، إذ تتساوى هذه الدول مع غيرها في الاستفادة من التكنولوجيا، باعتبارها منتجاً إنسانياً عاماً، وهذا الحق لا يتوقف عند حد استيراد هذه التكنولوجيا من دول تنتجها، بل يتعداه إلى توطينها على أراضيها، وتمكين أبنائها من إنتاجها، حيث إن الاعتماد على الغير حاجة مؤقتة يُستغنى عنها إذا توفرت الكفايات العلمية الوطنية، والقدرة المادية على إنتاج التكنولوجيا محلياً، وبذلك تتحول البلدان الإسلامية من بلدان مستهلكة معتمدة على غيرها، إلى بلدان منتجة منافسة معتمدة على نفسها، تسهم بإنتاجها في الثراء التكنولوجي وخدمة الإنسانية من خلال ذلك.

وقد خطت بعض البلدان الإسلامية، خطوات جيدة في توطين التكنولوجيا، وأمامها تجارب ناجحة تشجعها في هذا المجال من العالم الثالث، كاليهند والبرازيل.

وأبان الدكتور التركي أن هذا التوطين يوفر للبلدان الإسلامية طاقاتها البشرية التخصصية، بالتقليل من هجرة الخبراء المسلمين إلى بلدان تستفيد منهم وتستثمر علومهم في مراكز الأبحاث وشركات التصنيع.

فإذا أصبحت الدول الإسلامية بلداناً منتجة للتكنولوجيا، فإنها ستدخر بإذن الله بالمصانع والسلع، والخدمات التقنية، التي تراعى فيها المعايير الخاصة بثقافتنا ومجتمعاتنا، وتُستثمر فيها رؤوس الأموال الإسلامية محلياً، وتخفض من معدل البطالة

بدرجة كبيرة، باستيعاب قدر كبير من الأيدي العاملة. وستكون مشاركة في صناعة القرارات التي تتخذها الدول المصنعة إقليمياً وعالمياً.

واختتم معالي الدكتور التركي كلمته قائلاً: إن نقل التكنولوجيا في العالم الإسلامي نقلاً ذكياً، بحسن استخدام الإمكانيات والتغلب على المعوقات، ومراعاة المعايير التي تتفق مع البيئة الإسلامية، يعد خطوة مهمة في التقدم نحو توطين التكنولوجيا توطيناً آمناً، يتلاءم مع ظروفه الاجتماعية والاقتصادية والبيئية، فضلاً عن تهيئة البيئة العلمية والاجتماعية المساعدة، والتعاون بين دول العالم الإسلامي، وكذلك التعاون بين القطاعات المختلفة المعنية بهذا المشروع في داخل الدولة الواحدة.

ثورات الربيع العربي :

وخلال كلمته في الجلسة الافتتاحية أوضح الأستاذ الدكتور جعفر عبد السلام الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية أن التحديات والمشكلات التي تمر بامتنا الإسلامية كثيرة ومتعددة، ولعل أول ما يستحق أن نتحدث عنه من تحديات هي: ثورات الربيع العربي التي زلزلت أركان أنظمة عربية عديدة في مصر وتونس وليبيا ولا تزال تؤجج النيران في اليمن وسوريا، وهي تبشر بالخير، وتحتاج من كل أمتنا المؤازرة، لكي تعود شعوبها إلى الخير، وإلى الرشد.

واستكمل الدكتور جعفر أن التحدي الآخر المهم هو تحدي التخلف العلمي الذي يواجه مجتمعاتنا، وجامعاتنا بالتبعية، فالبنظر إلى الجامعات الإسلامية نجد أنها لم تحرز إلا قليلاً في السباق العالمي بشكل لا يرضى طموحاتنا ومجتمعاتنا؛ لذا اخترنا أن نناقش معكم في مؤتمر مواز للمجلس التنفيذي قضية نقل وتوطين التكنولوجيا إلى الدول الإسلامية، ونأمل أن نصل إلى نتائج مرضينا.

إن التحدي الثالث كما أبانه الدكتور جعفر هو التحدي الذي يتصل بالأسرة المسلمة ومحاولات تغريبها، فقد أراد الله أن يزيل الغمة في بعض بلادنا وأن ينهي حكم سنوات سارت وراء الأجنداث الغربية وحاولت أن تغير مجتمعاتنا؛ لذا فقد قادت رابطة الجامعات الإسلامية مسيرة مضادة بالعلم والفقه، من أجل هذا الموضوع، وعقدت مؤتمراً مطولاً دعت إليه علماء المسلمين من كل مكان، ألحقت به ندوات متعددة في بعض الجامعات الأعضاء وأخرجنا عدة مجلدات حول قضايا الأسرة فندت الكثير من التوجيهات التي تحاول تغيير الأسرة المسلمة على النحو التالي: (الاجتهاد في قضايا الأسرة - مكانة المرأة وحقوقها في الإسلام - صورة المرأة في الإعلام - حل عقدة النكاح في ضوء الشريعة الإسلامية - المرأة المسلمة ودورها في النهضة الحضارية).

وأشار أن التحديات التي لازالت تحيط بحقوق الإنسان تحيط بنا ومن هنا كانت الرابطة سباقة في إنشاء مركز لحقوق الإنسان، يهتم بدراسة هذه القضايا وجمع الوثائق المتصلة بهذا الموضوع، وأخرجت مجلدات علمية في ذات الشأن حيث أخرجت مؤلفاً لمجموعة من علماء الجامعات من مصر والإمارات وسوريا، والأردن بعنوان: القانون الدولي الإنساني وفي مجال التحديات الحضارية، وقامت الرابطة بإخراج عدة دراسات، وأدارت مجموعة من الندوات حول نفس الموضوع، كما ضمنت مجلتها الدورية الكثير من الموضوعات في نفس السياق.

كما أن الرابطة خصصت مرصداً علمياً لتتبع ما يكتب عن الإسلام وعقدت عدة حلقات علمية للمناقشة، ونجد في أعداد المجلة التي تصدرها الرابطة باباً جديداً بعنوان (حقائق الإسلام وأباطيل خصومه) يتصدى لكل ما يكتب بسوء عن الإسلام، واهتمت الرابطة كمعادتها بهذه القضايا.

ولما كانت الرابطة قد أولت قضايا تطوير المناهج أهمية كبيرة منذ تأسيسها، فقد استمرت في تنظيم مؤتمرات وعقد حلقات تستهدف جودة التعليم وتحسينه في جامعاتنا بالمشاركة مع مجموعة كبيرة من الجامعات الأعضاء.

لذا فقد استجابت كلية الدراسات الإسلامية بدولة قطر لدعوة الرابطة لاجتماع المجلس التنفيذي، ومؤتمر نقل وتوطين التكنولوجيا فوراً؛ لذا نتوجه إلى معالي الأستاذة شيخة المحمود وزيرة الدولة للتعليم ورئيسة مجلس أمناء كلية الدراسات الإسلامية دولة قطر الشقيقة.

وبعد ذلك قام الدكتور حسن عباس مدير جامعة أم درمان الإسلامية بالسودان بإلقاء كلمة الوفود، مشيراً إلى أن موضوع نقل وتوطين التكنولوجيا من الموضوعات التي لا تخلو من كثرة البحث فيها ومناقشتها في المؤتمرات والندوات والمحاضرات، ذلك أن التكنولوجيا هي الأداة والوسيلة الأساسية للتقدم والتطور والرقى الذي حققته الدول المتقدمة وبعض الدول النامية التي نخص بالذكر منها ما أصبح يعرف بالتمور الآسيوية.

وأوضح سيادته أن نقل التكنولوجيا يعد (المرحلة الأولى) في سلم التقدم والتطور وتحتاج الدول الإسلامية إلى نقل التكنولوجيا لأنها لا تملكها ولا غضاضة في ذلك، لافتاً إلى أن ديننا الحنيف يحثنا على التماس أسباب الحياة وابتغاء الرزق، لقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٥) ﴾ «الجمعة»، ويقول أيضاً جل من قائل: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (١٥) ﴾ «الملك»، وبالطبع فإن السعى هو الاستفادة من كل الموارد والإمكانات المتاحة لتعمير الأرض والعيش فيها بكرامة، فيقتضى نقل التكنولوجيا الاختيار السليم لنوعها الذي يتلاءم مع البيئة التي يراد استخدام التكنولوجيا فيها من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والمناخية حتى يتحقق الهدف من نقلها، مع العلم بأن الدول المصدرة للتكنولوجيا تفرض في كثير من الأحيان قيوداً على الدول المستوردة لها، ولذلك لا

ينبغي أن يكون نقل التكنولوجيا هدفاً في حد ذاته وإنما هو مرحلة الغرض منها تحقيق الاكتفاء الذاتي منها وتطويرها .

واستكمل الدكتور عباس حديثه قائلاً: إن (المرحلة الثانية) فهي: توطين التكنولوجيا بمعنى ابتكار أو تصنيع التكنولوجيا وإنتاجها، ولا يتحقق هذا الهدف إلا بالتركيز على العلم والبحث والتطوير، وقد رفع الله قدر العلم والعلماء قال عز من قائل: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ (٢٨) ﴿ فاطر ﴾، وقال ﷺ: «اطلبوا العلم ولو في الصين»، وربط الإسلام بين العلم والعمل فالعلم مقرون بالعمل والجامعات هي حاضنة العلم ومستودعها وبالتالي تقع على عاتق جامعاتنا الإسلامية خاصة مسؤولية القيام بواجب البحث العلمي، ويقتضى ذلك تنسيق الجهود العلمية وتبادل الخبرات وإجراء التجارب والبحوث المشتركة مما يؤدي إلى استغلال مواردنا البشرية والمادية المتاحة أفضل استغلال، ولقد اهتمت الدول المتقدمة وتلك التي حققت طفرة اقتصادية في البحث العلمي فرصت له ميزانيات كبيرة وصلت بعضها إلى ٦٪ من الناتج الإجمالي القومي بينما لا يتعدى ما تخصصه الدول العربية للبحث العلمي ٢٪ في المتوسط ويقل في بعضها عن ١٪ من الناتج الإجمالي القومي .

وفي ختام حديثه أشاد الدكتور حسن بدول مجلس التعاون الخليجي عامة وبدولة قطر خاصة لاهتمامها بالبحث العلمي، مشيراً إلى أنه لا سبيل لدينا للتقدم والازدهار إلا بالاهتمام بالعلم والتكنولوجيا في مجال الصناعة والزراعة والمعلومات والخدمات وسائر مجالات الحياة .

كما ألقى الأستاذ الدكتور / حاتم القرناشواي عميد كلية الدراسات الإسلامية بدولة قطر كلمة في ختام الجلسة الافتتاحية أكد فيها أن نقل وتوطين التكنولوجيا من أكثر الموضوعات التي يدور الحديث عنها في العالم المتقدم والعالم النامي على حد سواء، مضيفاً أنه في العالم الإسلامي ما زالت قضايا التكنولوجيا تراوح مكاناً بين ما

يسمى (استيراد التكنولوجيا) وبين (توطين التكنولوجيا) والحق أن الأمل الحقيقي في التقدم هو في التكنولوجيا المحلية التي تعكس استجابة من احتياجات حقيقية في المجتمع وتولد في التفاعل بين الباحث والمطور والمستخدم، فالحوار بين صانع الألة ومستخدمها هو في النهاية صانع التقدم الذي نأمل جميعاً في التوصل إليه على هدى كتاب الله وسنة رسوله، التقدم الذي صاغت لنا كلمات الله عز وجل وسنة رسوله معاملة وأحداثه وخطاه، وخير ما نبدأ به ندوتنا هو آيات من الذكر الحكيم قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١٠٢) وَاغْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴿ آل عمران ١٠٨﴾

اللهم اجعلنا ممن تبيض وجوههم ولا تسود وجوههم وقد اختلفوا، هذه الكلمات تحثنا دائماً بأن نعمل فمكانة أهل العلم هو وجوب إعادتنا إلى خارطة الطريق، وليس كما يرفع الشعار أحياناً بأن يجب أن نبدأ إلى ما انتهى إليه الآخرون وهو أمر ملحوظ في أماكن معينة، والأصل هو أن نبدأ من حيث بلغنا العلم.

ثم توالت جلسات المؤتمر بعد الجلسة الافتتاحية للمؤتمر، حيث بدأ المشاركون في عرض أبحاثهم على مدار يومين كاملين مساءً وصباحاً.

وكان أيضا من بين من تحدثوا في جلسات المؤتمر الدكتور سعد الدين مسعد هلالى أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر والذي تقدم ببحث عنوانه: "الإسلام والتقدم العلمى والفكرى وأهميته فى طلب توطين التكنولوجيا"، مؤكدا فيه على أن التكنولوجيا قد فرضت نفسها على الإنسانية حتى صارت جزءاً من البناء النفسى والاجتماعى والثقافى والاقتصادى والعلمى لأى فرد متصلح مع نفسه، ولأى مجتمع متعايش مع عصره.

وأبان سيادته مدى حرص الأمم المتحدة على نقل وتوطين التكنولوجيا إلى البلاد النامية، حيث أنشأت لذلك جهازاً متخصصاً هو (إلينكتاد) الذى يقوم بدراسة معوقات نقل التكنولوجيا من العالم الأول إلى العالم الثالث، ويحاول إزالة المعوقات التى تحول دون هذا النقل والتوطين، مضيفاً أن البعض قد يتهم الأمم المتحدة فى دعوتها لنقل وتوطين التكنولوجيا بأنها استعملت نفسها لخدمة الدول الصناعية المتقدمة التى تسعى لهذا النقل وفى المعايير الاقتصادية بحثة - دون مراعاة للجانب الإنسانى الذى ربما يأتى عرضاً- حيث يقدر الاقتصاديون بأن التكنولوجيا تساهم نسبة ٤٥% من الدول الغربية.

الشفافية والأمانة:

واستكمل الدكتور هلالى عرضه قائلاً: ومن هنا يأتى دور الشريعة الإسلامية لكلمة إنصاف وحكم عدل يجنب الأحقاد والحكم على الضمائر جانباً، ولا يمانع من فكرة توافق المصالح ولكن عن بينة وبصيرة. فإذا كانت الدول المتقدمة تعانى من فائض التكنولوجيا، فمن حقها أن تقوم بتسويتها إلى الدول النامية التى تعانى من عجز التكنولوجيات، فمن واجبها أن تسعى لجلبها وفقاً للأصول المرعية فى التحصيل.

ومن أهم أصول التسويق: الشفافية والأمانة، حتى جاء النهى الشرعى عن بيع الحاضر للبادى، وعن تلقى الركبان، وعن بيع المترجل.

واختتم الدكتور الهاللي بحثه: إن العلم هو سلاح الإنسان الأول وأداته الرئيسة ولفته المقنعة لتصدير التكنولوجيا واستيرادها، ولا يصح أن تستخدم النصوص الدينية لتسويق التكنولوجيا ضد أو مع؛ لأن الدين جاء فيما يتعلق بأمور الحياة محملاً للإنسان المسؤولية على قدر هذا العلم، ومنحه سلطة تقديرية في إنشاء العقود بالأصول المرعية.

التواصل بين الجامعات العربية والإسلامية؛

كما أشار الدكتور سلامة عبد الهادي أستاذ علوم الطاقة بجامعة جنوب الوادي من خلال ورقة العمل التي قدمها للمؤتمر بعنوان "الاستفادة بالعلماء في العالم الإسلامي الذين حازوا قدرا من العلوم والمعارف في عالمنا المعاصر"، إلى أنه يمكن الاستفادة بالعلماء في العالم الإسلامي بالبدا في إنشاء جمعيات خاصة لجمع المعلومات عن الخبرات العلمية والعلماء في العالم الإسلامي الذين حازوا قدراً من التقدم، والمبتكرين من المسلمين في العالم الإسلامي والغربي، وعناوينهم ومجالات بحوثهم، بالإضافة إلى إعداد دورات وندوات وورش عمل تجمع بين أهل الاختصاص الواحد دورياً، مع إنشاء جسور وحلقات للتواصل بين هذه الجمعيات والجامعات أو حكومات الدول العربية والإسلامية، ونبعث السبيل لتنشيط إبداع هؤلاء العلماء والسبل كذلك لاحتضانهم، وتحديد دور الحكومات وأصحاب الأموال والاستثمارات في رعايتهم وتشجيعهم على الابتكار والاختراع.

مقترحاً إنشاء مؤسسات للتطور التقني لكل صناعة وتجارة وتقنية حديثة تستوعب هؤلاء العلماء وتمنحهم الفرصة في استغلال إمكانياتهم مثل النانو تكنولوجي والهندسة البيولوجية والألياف البصرية، بحيث يتيح للعلماء فرصة المشاركة وتطبيق ما لديهم من علوم وابتكارات في جميع المجالات، ثم علينا إعادة هيكلة القطاعات التعليمية وبرمجتها بما يحقق الاستفادة من هؤلاء العلماء، وبما يخدم عملية النهوض والتنمية التقنية والاقتصادية المرجوة وذلك أيضاً باتخاذ تدابير

بعيدة المدى تبدأ بالاكشاف المبكر للمتفوقين والموهوبين في المراحل التعليمية الأولى، ومنحهم رعاية خاصة مروراً بالمراحل: التعليم الجامعية والدراسات العليا عن طريق ربط ما يتم فيها من أبحاث ودراسات وتدريبات بالحياة العملية وعدم الاقتصار على الجوانب النظرية فقط في التعليم، مع عمل برامج لتشجيع الكفاءات التي أدت دورها في توطين التكنولوجيا في العالم الإسلامي بمنح جوائز إسلامية تعادل جائزة نوبل التي يمنحها الغرب في بعض المجالات، بحيث تمنح في مجالات توطين التقنيات والعلوم الحديثة.

الشركات متعددة الجنسيات :

وقد أكد الأستاذ الدكتور جعفر عبد السلام الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية من خلال ورقة العمل التي قدمها للمؤتمر بعنوان "الشركات الكبرى كأداة لنقل التكنولوجيا" على سيطرة الشركات متعددة الجنسيات على اقتصاديات السوق في مختلف أنحاء العالم، ومسمى أصبح من أقوى وأهم الكيانات الاقتصادية، بل يعتبرها البعض أداة الدول الكبرى للسيطرة الاقتصادية على العالم، ومن ثم فهي البديل القوي للاستعمار التقليدي ..

وأضاف سيادته إن أفضل طريقة للتعامل مع هذه الشركات في مختلف القطاعات هو تكوين شركات ضخمة تستحوذ على الأسواق الرئيسية في الدول العربية والإسلامية، فهذه الشركات إذا سيطرت على أسواق واسعة في بلادها وتمكنت أموالاً كبيرة فيها يكون لها قدرات تفاوضية كبيرة، ومن ثم تستطيع أن تشتترط نقل التكنولوجيا بالتعليم والتدريب لكوادر من الدول المستوردة؛ لأن هذه الشركات الكبرى ترغب في النهاية في الربح، والربح لا يمكن أن يتحقق إلا بالبيع والتصدير وكلما كان حجم التعامل معها كبيراً، كلما أمكنه أن يحصل على شروط أفضل تمكنه

من نقل التكنولوجيا وتوطينها لدينا، وتستطيع الكيانات الكبرى في الدول الإسلامية والعربية أن تحصل على شروط ملائمة لنقل التكنولوجيا وتوطينها فيها.

وفي ختام كلمته أوصى الدكتور جعفر بعدة توصيات من أهمها، ضرورة وضع استراتيجية واضحة بين الدول الإسلامية جميعاً، لنقل التكنولوجيا وتوطينها في العالم الإسلامي من أجل تقوية القوة التفاوضية للمؤسسات والشركات الموجودة في العالم الإسلامي، مع الشركات الكبرى في العالم المتقدم. ووضع شروط التعليم والتدريب على التكنولوجيا الجديدة في عقود البيع والاستثمار. واللجوء إلى التحكيم في المراكز الوطنية للحد من الإجحاف الذي تتعرض له الدول الإسلامية عند اللجوء إلى التحكيم الدولي خارجها.

توطين التكنولوجيا والسياسات الدولية :

كما قدم الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم منصور مدير مركز الدراسات المستقبلية بمجلس الوزراء المصري بحثاً للمؤتمر بعنوان: "درجات التقدم العلمي والتكنولوجي التي عليها مختلف دول العالم الإسلامي" أوضح فيه قلة الدراسات التي حاكمت بميزان النقد تجارب نقل التكنولوجيا إلى دول العالمين العربي والإسلامي وخرجت بدروس مستفادة قابلة للتعميم وتدارك الأخطاء. وقد ارتبط معظم تلك التجارب بنقل التكنولوجيا المجرسة embodied المرتبطة بالصناعات التقليدية والمتضمنة في العمليات والمواد الداخلة في تركيب المصانع وآلات الإنتاج أو في السلعة ذاتها وهي تكنولوجيا غير ظاهرة. وعادة ما تكون هذه التكنولوجيا بسيطة وغير عالية.

وأضاف سيادته إن التكنولوجيا المنقولة إلى الأقطار العربية لا تتعدى في الواقع نقل المعدات والمنتجات التكنولوجية دون انتقال الخبرة والمعرفة معها. وعلى هذا فهي عملية تراكم رأس مال مادي دون تراكم خبرات فنية وقدرات اجتماعية على تطوير الإنتاج، وبمعنى آخر لم يكن لها سوى الحد الأدنى من المساهمة في تنمية القدرات

التكنولوجية العربية، كما أنه لم يتم ربطها بعد بالاقتصادات العربية. وهي لا تعدو أن تكون مجرد "صناعة متنقلة" تستخدم الأرض العربية، لكن ارتباطاتها الفعلية تمتد إلى خارج الوطن العربي.

وأبان الدكتور منصور أن توطين التكنولوجيا وإعادة توليدها لا يجرى فى جزر منعزلة، وإنما فى سوق عالمية مفتوحة تؤثر فيها السياسات الدولية، وقد تسعى تلك السياسات إلى تحطيم البنى التكنولوجية فى بلدان أخرى أو تكون بعض هذه السياسات محايدة، أو أن يتعاون المجتمع الدولى فى عملية النقل والتوطين وفق أسس تجارية أو تقديم المساعدات والخبرات المالية والفنية. وتعتبر الدول الإسلامية طرفاً ضعيفاً فى المفاوضات الرامية لنقل وتوطين التكنولوجيا، وإن حصلت عليها فتحت شروط مجمعة.

تهيئة البيئة لنقل وتوطين التكنولوجيا :

وجاءت ورقة العمل التى قدمها الأستاذ الدكتور محمد حسان عوض نائب رئيس جامعة الأزهر للدراسات العليا والبحوث، بعنوان "تهيئة البيئة لنقل وتوطين التكنولوجيا فى العالم الإسلامى" حيث أشار فيه إلى أن من أولويات تنمية البيئة فى الوقت الحاضر هى تهيئتها لنقل التكنولوجيا الحديثة، وقبل الحديث عن تهيئة البيئة لنقل وتوطين التكنولوجيا فلعلنا نتفق على نوعية التكنولوجيا التى يجب أن تُنقل وتوطن فى بيئاتنا تمشياً مع متطلبات العصر وللتنمية الحقيقية والمستدامة فى بلادنا التى يمكن تلخيصها فى أن تكون تكنولوجيا نظيفة وصديقة للبيئة.

وقال سيادته: إن تهيئة البيئة لنقل وتوطين تكنولوجيا تكون من خلال الإعداد الجيد والقيام بالدراسات المختلفة وعمل ورش عمل عن التغيرات المناخية وأثرها البيئى لأن التغيرات المناخية قد تؤدى الى قلب كل الموازين البيئية.

في حين قدم الأستاذ الدكتور نبيل السمالوطي عميد كلية الدراسات الإنسانية جامعة الأزهر سابقاً ورقته بعنوان "التكنولوجيا بين النقل والتوطين والاستنبات .. الأبعاد الاجتماعية للإنترنت في عالمنا العربي" والتي أشار فيها إلى تزايد اتجاه الحكومات في الدول المتقدمة نحو دعم ورعاية مراكز الإبداع التكنولوجي خاصة الحكومية، ونحو حماية الملكية الفكرية للشركات من خلال الاتفاقات الدولية في هذا الصدد، مرجعاً هذا الاهتمام والحماية والدعم إلى تعاظم قيمة المعرفة والقيمة المضافة لها داخل السلع الحديثة وداخل الخدمات المعاصرة (صحية أو تعليمية أو غيرها) وهذا يؤدي بدوره إلى تساؤل القيمة المضافة النسبية للمواد الأولية، واليد العاملة، وهذا يسير عكس مصالح الدول النامية المصدرة للمواد الخام واليد العاملة.

وأوضح سيادته أن أكبر دول تصدير للمعرفة في العالم - وفقاً للتقارير العالمية - وتصل إلى درجة احتكارها وحمايتها بكل السبل القانونية الدولية، عشرة دول وهي: أمريكا واليابان وألمانيا، وفرنسا وبريطانيا وروسيا وإيطاليا وكندا والسويد وسويسرا، في حين أن هناك مجموعة دول ناهضة في مجال إنتاج وتصدير التكنولوجيا ليس للأسف من بينها الدول العربية، وأهمها تايوان، وكوريا الجنوبية، وإسرائيل، وهونج كونج، والبرازيل، والصين، وسنغافورة، وفنزويلا، والهند.

وعن التجارة الإلكترونية ونموها بشكل ضخم ومتسارع بين دول العالم قال د. السمالوطي: إن أغلب جوانب الإنتاج والاستهلاك والتبادل تتم من خلال الشبكة الإلكترونية اعتباراً من معرفة تكنولوجيا الإنتاج إلى الشراء إلى الحصول على خدمات التسويق والشراء والبيع وتقديم الطلبات للجهات الحكومية وغير الحكومية ... وحتى حجز تذاكر الطيران والقطارات والباصات والفنادق ... إلخ.

مضيفاً إن سعة الاستخدام النسبي للإنترنت في عالمنا العربي لا يعد مؤشراً كافياً على حسن ورشادة الاستخدام، فالنسبة الأكبر منه تتم لأغراض ترفيهية وللتسلية

وللمعلومات واللعب، وإذا كانت أكثر من ٧٠٪ من الناتج الإجمالي في الدول الأوروبية واليابان وأمريكا وغيرها من الدول المتقدمة مبنية على المعرفة فإن النسبة في العالم العربي لا تصل إلى ربع هذه النسبة. وبشكل عام فإن هناك عدة مقومات يجب على دولنا العربية والإسلامية توفيرها حتى تتحول المعلومات الرقمية إلى سلع، وإلى إنتاج.

وقال الأستاذ الدكتور عبد الله التطاوى أستاذ الأدب والنقد بآداب القاهرة في كلمته التي ألقاها في المؤتمر: إن الزعم بمرجعية القيم الإسلامية الدافعة للتقدم يجعل من حقنا تحويله إلى حقائق عملية من خلال شهادة التاريخ، وتوثيق الأخبار التي تؤسس للمنهجية الحاكمة لهذه الأمة من خلال عشر مرتكزات كبرى لا مناص من تكاملها في ارتقاء درجات سلم الحضارة، وهي: قيمة القراءة، وقيمة العمل، وقيمة التنافسية في العمل واحترام الوقت، وقيمة التعاون والتكامل والتكافل الاجتماعي ووحدة الجماعة، والتذكر الدائم لنعم الله، وقيمة الحرية، وقيمة العدل والحق والخير والجمال، والاعتداد بقيم التميز والإبداع والابتكار، والانفتاح على الآخر تأثراً وتأثيراً، استمرار باب الاجتهاد.

كما عرض الأستاذ الدكتور رافت غنيمي الشيخ - أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بكلية الآداب جامعة الزقازيق، من خلال بحثه "تجارب نقل التكنولوجيا في العالم" الهند نموذجاً « ملامح تاريخية وجغرافية لدولة الهند، وكذلك دخول الإسلام بها، وبداية دخول التكنولوجيا في الهند منذ الخمسينيات من القرن العشرين.

حيث أوضح سيادته أنه عقب نيل الهند لاستقلالها، قرر رئيس وزراءها آنذاك جواهر لال نهرو أن تكون لبلده معاهد تكنولوجية من الطراز العالمي، مستشفاً من خلال هذه الخطوة الطموحة مستقبل بلاده الزاهر والرائد في مجال العلوم والتكنولوجيا بالنظر إلى ما تمتلكه من طاقات وإمكانات مادية وبشرية هائلة، فكانت

هذه الفكرة وراء بناء معهد الهند التكنولوجي والمعروف بـ Indian Institute of Technology (IIT)، ومنه تخرج أجيال فذة من الموهوبين الذين تعتمد عليهم كبريات الشركات العالمية في صناعة البرمجيات مثل ميكروسوفت وآي بي إم وإنتل و أوراكل و أدوبي وغيرها .

وأبان الدكتور رأفت أن نجاح الهنود لا يقتصر في إسهاماتهم في مجال تكنولوجيا المعلومات خارج البلاد فحسب، ولكن تعدى ذلك إلى وطنهم الأم، إذ تعتبر الهند ثاني أكبر مصدر للبرمجيات بعد الولايات المتحدة الأمريكية في العالم وتم فيها تطوير حوالي ٤٠٪ من البرمجيات المستخدمة في الهواتف الخلوية، كما تنظر إليها كالمورد الرئيسي (World's Power House) للمبرمجين والمهندسين الذين تعج بهم كبريات الشركات العاملة .

البيان الختامي :

وفي نهاية الجلسات المطولة التي قدم فيها المؤتمرون أبحاثهم، صدر البيان الختامي لمؤتمر "نقل وتوطين التكنولوجيا" والذي ألقاه الأستاذ الدكتور إسماعيل شاهين وكيل جامعة الأزهر، مؤكدا فيه أن المؤتمر قد تناول أهمية وضع استراتيجية واضحة أمام الدول الإسلامية لنقل التكنولوجيا وتوطينها، لاسيما وأن العديد من الدول الإسلامية قد حققت إنجازا ملموسا في بعض مناحي تكنولوجيا العصر، ويمكن أن تفيده الدول الأخرى من هذا الإنجاز، وأن تتعاون معا في سبيل النقل والتوطين، تأكيدا على أهمية التكامل بين الدول الإسلامية في ظل وحدة الهدف ووضوح الرؤية لآليات النقل والتوطين .

وأشار سيادته إلى اهتمام المؤتمر بالعنصر البشري باعتباره الوسيلة الأولى لتحقيق نقل واستيعاب التكنولوجيا وتوطينها في المجتمعات الإسلامية، كما نبه إلى أهمية اكتشاف المواهب وتنميتها، وعمل آليات لعودة العقول المهاجرة إلى أوطانها

الإسلامية تلك التي استفادت منها الدول المتقدمة، مع ضرورة العمل على أن يكون هناك جسر للتواصل بين دولهم الأصلية والدول التي هاجروا إليها.

مضيفاً إن ذلك يقتضى تطور مناهج الدراسة في بلادنا الإسلامية بحيث تنمى الملكات وتبرز القدرات والمهارات التي تساعد الشخص على الابتكار فى ضوء الاهتمام بالثقافة العلمية بوجه عام لدى تلك الشعوب والأخذ بمبادئ التعليم المستمر، والمهارات الحياتية، وغيرها من الأسس التي تمكن من التعليم الجيد فى بلادنا الإسلامية.

وأوضح الدكتور شاهين أن تطوير مناهج الدراسة فى جامعات الدول الإسلامية مسألة ملحة، وعلى الرغم مما بذل من الجهود فى هذا الاتجاه، تظل بحاجة إلى توطين التكنولوجيا من خلال الرابط الدقيق بين الجامعات والمجتمع، فضلاً عن جعل الجامعة فى خدمة القطاعات الإنتاجية والبحثية، وأن تكون الإنجازات التي تتم فى أى من الجامعات متاحة للجامعات الأخرى عملاً بالقول المأثور "العلم رحم بين أهله".

وفى ختام كلمته قال د. شاهين: لقد أخرجت حضارة الإسلام العالم من ظلمات الضلال والجهل والفتنة، وقادته إلى سبل الرشيد والتفوق والنبوغ، وإننا لنأمل فى استعادة أمجادنا العلمية، مع بعث هذه الحضارة لعلها تقودنا إلى مسيرة التقدم والازدهار والنماء فى تلك المرحلة الصعبة التي تمر بها أمتنا فى مواجهة تحديات المرحلة، وتحقيق متطلبات الفترة ووضوح رؤى المستقبل.

مضيفاً أنه بعد عرض الأبحاث التي أعدت من قبل أكثر من عشرين باحثاً وخبيراً من الجامعات الإسلامية وما دار حولها من حوارات ومدخلات، فإن المؤتمر أسفر عن التوصيات التالية:

١ - الاهتمام بتفعيل القيم الدافعة للتقدم، والكامنة فى معارفنا وعلومنا الإسلامية، والتي تشجع على تعظيم ثقافة الإبداع والتفوق والإحسان: «إن الله يحب إذا عمل

أحدكم عملاً أن يتقنه، بما يعد المدخل الناجز لثقافة الجودة بالمعنى العصري في أفضل صورته.

٢ - إنشاء مركز أبحاث في كل شركة صناعية أو مؤسسة تهتم بتطوير منتجاتها، وتكون طريقاً للتواصل بينها وبين مؤسسات البحث العلمي في الجامعات ومراكز البحوث.

٣ - الاهتمام باكتشاف المواهب والقدرات، وتنمية المهارات، والسعي لاستيعاب العلوم الحديثة وأساليب تطبيقها في الحياة العملية، ورعاية الموهوبين، وتشجيعهم على الإبداع والابتكار، والدعوة إلى الاهتمام ببراءات الاختراع، ورعاية الشباب ودعمه في سبيل تحقيق إنجاز أفضل.

٤ - التعاون مع المنظمات الإسلامية قصداً إلى تعميم الاهتمام بالثقافات العلمية بين المسلمين، مع دعوة العلماء لتذكيرهم بأهمية الأخذ بالعلوم العصرية والمستقبلية، ونقل خبراتهم وتجاربهم إلى الأجيال الراجعة.

٥ - تعظيم التبادل العلمي بين الجامعات ومراكز البحث العلمي وتشجيع الإشراف المشترك تحقيقاً لمبدأ (الماجناكارنا - بولونيا) وأن تكون النتائج العلمية التي تتوصل إليها الجامعات متاحة للجامعات والمؤسسات البحثية الأخرى ببسر وسهولة.

٦ - الربط بين مؤسسات البحث العلمي في الدول الإسلامية من خلال جهاز تقني يعمل على عدم تكرار الأبحاث العلمية، مع إتاحة تبادلها للانتفاع بها على مستوى النظرية والتطبيق.

٧ - تطوير برامج التعليم في الجامعات والمؤسسات التعليمية، مع الربط بينها وبين مؤسسات المجتمع وقطاعاته الإنتاجية، والعناية بما تحتاجه مجتمعاتنا وبما يلبي تطلعاتها نحو بيئة أنقى ومجتمع أفضل.

٨ - الابتعاد قدر الإمكان عن التكنولوجيا الملوثة للبيئة، مع احترام أخلاقيات البحث العلمي وإنسانية المعرفة.

٩ - تشجيع الابتكار والإبداع بإقامة المهرجانات والمعارض، وتسجيل براءات الاختراع من جانب المنظمات المعنية، مع السعي إلى تحويل الأفكار الإبداعية إلى مشروعات عمل بما يصدر عنها من منتجات وصناعات تعود بالنفع على أصحابها وعلى المجتمع ..

١٠ - إيفاد النابهين وتشجيع تبادل العلماء مع الدول المتقدمة لاستيعاب أحدث ما وصلت إليه التكنولوجيا في مختلف فروع المعرفة تمهيدا لنقلها وتيسيرها لتوطينها.

١١ - إعداد مسابقات وجوائز عالمية تمنح للمؤسسات والعلماء المبدعين، مع تحكيم الأعمال العلمية في المراكز الوطنية للحد من إجحاف التحكيم الدولي من جانب وتعميق الثقة في المؤسسات الوطنية من جانب آخر.

١٢ - تدريب الفنيين والعمال على استخدام التكنولوجيا في إطار دورات تدريبية على المستويات المناسبة.

١٣ - استخدام اللغة العربية في مختلف العلوم الطبيعية والإنسانية، تأليفاً ونشراً، وترجمة في كافة المجالات من خلال مشروع إسلامي للترجمة بما يفتح المجال للاطلاع على أحدث نتائج البحوث العلمية، وبما يسمح بالإضافة والتجديد من خلال تفعيل مشروع معمل اللغة العربية باعتباره مدخلا حاكما لتطوير مناهج اللغة العربية، وتعزيز حركة تعريب العلوم ونقل نظرياتها وتطبيقاتها.

١٤ - وضع استراتيجية موحدة لنقل التكنولوجيا وتوطينها في العالم الإسلامي والمحافظة على الكفاءات الإقليمية واستثمارها، مع الدعوة إلى تعاون الجامعات

ومؤسسات التقنية مع اتحاد مجالس البحث العلمي في الجامعة العربية في وضع برامج وخطط تعين على تنفيذها .

١٥ - إنشاء مؤسسات خاصة في الدول الإسلامية لمتابعة برامج الجودة وتحقيق معاييرها الدولية في الجامعات والمؤسسات العلمية والإنتاجية، مع دعوة البنك الإسلامي للتنمية إلى تقديم العون المالي للمؤسسات المعنية بالجودة وتطوير التقنية .

١٦ - إيجاد بيئة علمية واجتماعية تساعد على استيعاب التكنولوجيا وتسهيل توطينها في العالم الإسلامي، ووضع الأنظمة التي تشجع الاستثمار في هذا المجال، وتزيد القوة التفاوضية مع الشركات الكبرى في العالم المتقدم، وتلزمها بتعليم الكفاءات الإسلامية وتدريبها على التكنولوجيا الجديدة بموجب عقود البيع والاستثمار.

١٧ - زيادة الإنفاق على التعليم، وتخصيص نسبة ملائمة من دخل الدول الإسلامية للإنفاق على البحث العلمي، وترشيد الإنفاق لتحقيق الاستفادة القصوى من هذه الموارد، والانتقال بالعالم الإسلامي إلى مرحلة الإسهام والإبداع التقني .

١٨ - زيادة الحوافز المادية والمعنوية للباحثين والعلماء لتشجيعهم على البحث والإبداع والابتكار، البحثية والمدن العصرية للعلوم والتقنية والبحث .

١٩ - إنشاء جامعات وكليات متخصصة في مجالات التكنولوجيا والبحث والتطوير في البلدان الإسلامية، وتوجيه طلاب الدراسات العليا إلى إعداد رسائلهم في مجالات العلوم التطبيقية والتكنولوجية .

٢٠ - اعتماد قيم الشفافية والمحاسبة في الشركات والهيئات التي تعمل في صناعة التكنولوجيا، واختيار الخبرات والكفاءات النزهاء للإشراف عليها، وحماية منجزاتها، وتحقيق أهدافها .

- ٢١ - تحقيق التكامل بين دول العالم الإسلامي، والاستفادة من التجارب الدولية والإقليمية التي حققت قدراً من السبق العلمي والتقني، وإبرام اتفاقيات تسهل نقل الخبرات وتبادل المصالح بين دوله.
- ٢٢ - إقرار حوافز تشجع على عودة العقول المهاجرة إلى العالم الإسلامي، وتقلل من استنزاف طاقات الأمة ومقدراتها.
- ٢٣ - تكوين هيئة علمية إسلامية للتنسيق في مجالات نقل التكنولوجيا وتوطينها، تشارك فيها الهيئات المتخصصة في العالم الإسلامي.
- ٢٤ - دعوة وسائل الإعلام إلى الاهتمام بالعلوم والتكنولوجيا، وتخصيص مساحات مناسبة في برامجها للتوعية بأهمية نقل التكنولوجيا وتوطينها، وتشجيع الإبداع ودعم المبتكرين.
- ٢٥ - تشكيل لجنة بمعرفة رابطة الجامعات الإسلامية وكلية الدراسات الإسلامية بقطر؛ لمتابعة تنفيذ التوصيات الصادرة عن المؤتمر، مع إبلاغها لكافة الجامعات والجهات المعنية.
- وشكر المؤتمر دولة قطر ممثلة في كلية الدراسات الإسلامية على استضافة هذا المؤتمر، ورابطة الجامعات الإسلامية على جهودها في تنظيمه، وحسن اختيار موضوعه بما يمثل نقلة نوعية تستحق أن تتحول إلى مشروع موسع في العالم الإسلامي بما يحتاجه بالفعل من صيغ الإنجاز الحضاري وصناعة التقدم في ضوء أخلاقيات البحث العلمي، ومتابعة مناهجه المعاصرة.
- كما شكر المؤتمر جهود الباحثين المشاركين بأوراقهم وخبراتهم ومدخلاتهم الثرية بما ينم عن ثقافة التعددية وصدق الانتماء للأمة مع تعميق نشر الثقافة العلمية لتحقيق مشروع التنمية البشرية التي تتوقعه الأمة في مواجهة كل تحديات المرحلة بكل أبعادها وتداعياتها.

obeikandi.com



obeikandi.com

عرض كتاب

الصحوة الإسلامية

تأليف: الدكتور / على أكبر ولايتي

عرض وتقديم: د. وهاء فاروق محمد حسنى

مقدمة :

إن الدين الإسلامى الحنيف هو الديانة الوحيدة التى بقيت على حيويتها الأولى منذ بزوغ فجرها وحتى اليوم رغم تعرضها لضربات قاسية منذ بداية نشوئها وإلى الآن .

وقد أبدع الكاتب فى تناوله للحقب المأساوية فى التاريخ وكيف خرج الإسلام مرفوع الهامة من خضم كل الأحداث الهدامة التى عصفت به طوال القرون الماضية وذلك من خلال كتابه الذى اختار له تسمية جامعة وشاملة جديدة بذلك ألا وهى عبارة (الصحوة الإسلامية) والتى تعنى العودة إلى القيم الإسلامية وإلى حكم الإسلام فى مختلف شؤون الحياة .

ويتضمن الكتاب دراسته لمسار التطور التاريخى للصحوة الإسلامية ورقعتها الجغرافية . وقد حاول الكاتب أن يقدم إلى القارئ وفى إطار تحليلى نبذة إجمالية وحيادية فى حدود الإمكان عن مسار هذه الصحوة على صعيد العالم .

ولا شك أن الكتاب لم يتناول ما عاشته الشعوب المسلمة خلال الأشهر الأخيرة من تطورات ثورية وصحوة . لكنه يؤكد بأن الصحوة الإسلامية قد بدأت منذ تصاعد الحملة الاستعمارية وانكشاف نوايا المستعمرين .

وهذا الكتاب الذى بين أيدينا مقسم إلى تسعة فصول وتلك الفصول مقسمة

بالتالى إلى أقسام تحيط بمزج مسار الصحوة الإسلامية إحاطة السوار بالمعصم .
وتعالج كافة القضايا المتعلقة بالموضوع .

ففى الفصل الأول - طرح المؤلف قضية الصحوة الإسلامية فى العالم العربى :

وقد ارتكزت الصحوة الإسلامية فى العالم العربى على إيقاظ الأمة لجابهة
السيطرة الغربية ومحاربة ما لديها من فساد وضعف داخلى أضر على شعوبنا الإسلامية
تأثيراً كبيراً .

وعلى هذا الضوء يمكن تقسيم اتجاهات حركة الصحوة الإسلامية إلى أربعة
اتجاهات على أساس طريقة الحل الذى يؤمن به كل اتجاه وهذا التقسيم آتاه المفكرون فى
قالب الخطاب الإسلامى .

الاتجاه الأول - الحضارة العربية : ظهرت أولى أمواج الصحوة الإسلامية على
يد الطهطاوى فى مصر وخير الدين باشا فى تونس ويتميز بالطابع الإصلاحى والرقى
دون مناهض للأنظمة الحاكمة ويؤكد على الهوية .

الاتجاه الثانى - الحضارة الإسلامية : يطلق هذا الاسم على الجيل الثانى من
دعاة الصحوة الإسلامية ويمثله كل من السيد جمال الدين الأسد أبادى والشيخ محمد
عبده ويتميز بالحدائث والتجديد ولا يتعارض مع التقاليد الإسلامية والهوية .

الاتجاه الثالث - الإسلام التقليدى : يمثل هذا الاتجاه السيد رشيد رضا ويرى أن
إحياء الإسلام فى العودة إلى السلف والخلافة السنية .

الاتجاه الرابع - الإسلامية الأصولية : وتمثل حركة الإخوان المسلمين هذه
الأصولية وتؤكد على الإسلام التقليدى فى قالب حركة دينية سياسية مسلحة وهذا ما
يمثل جوهر الأصولية الإسلامية . وإذا كان حسن البنا زعيماً سياسياً للإخوان المسلمين
فإن سيد قطب ومحمد الغزالي من أبرز مفكرى هذه الحركة .

وتعتبر مصر نموذجاً للعالم العربى فى قيام الصحوة الإسلامية فقد قال البنا : كان السيد جمال الدين إنذاراً ومحمد عبده فيلسوفاً ورشيد رضا مؤرخاً أما الإخوان المسلمين فهى تمثل الجهاد وقد بلغ الاتجاه الإسلامى ذروته بالإمام الخمينى وتفوقت الحركات الإسلامية فى سائر أرجاء العالم بعد تأثرها بانتصاره ونجاحه فى تأسيس جمهورية إسلامية .

وأما فى الفصل الثانى - فقد تناول المؤلف موضوع الصحوة الإسلامية فى إيران :

هاجمت روسيا شمال إيران فى عام ١٨٠٣ لتفرض على إيران حرباً طالت عشرة أعوام وكان الإيرانيون يصمدون أمام محاولات الروسى الطامعة والرامية إلى تنفيذ الوصية المنسوبة إلى بطرس الكبير حول ضرورة الوصول إلى المياه الدافئة ، ولم يمض على نهاية تلك الحرب أكثر من ١٣ عاماً حتى اندلعت الجولة الثانية من الحروب الإيرانية الروسية عام ١٩٢٦ م .

فقامت صحوة إسلامية فى ذلك الوقت وصدرت الرسالة الجهادية الموقعة من قبل أكثر من مائة وأربعين شخصاً من علماء ومرجعيات الشيعة . وخرج آية الله الطبطبائى حاملاً البندقية فاتجه إلى قفقار أمام طوابير المجاهدين المسلمين لمحاربة الروسى . لكن هذه الصحوة باءت بالفشل . وتم فعلاً احتلال أجزاء من الأراضى الإيرانية (١٧ مدينة) من قبل جيوش القيصر الروسى . لكن مع ذلك خيبت آمال ورثة البطرس الكبير فى الوصول إلى مياه الخليج الفارسى الدافئة . ورغم ذلك فنحن نعتبر هذه الملحمة التى سطرها المسلمون بداية لظهور الصحوة الإسلامية .

وفى عام ١٣٠٩ هـ . أصدر الاجتهاد الكبير " ميرزا الشيرازى " فى سامراء فتواه بتحريم التبغ ففرض الهزيمة على شركة بريطانيا (تاليوت) لأول مرة وبريطانيا فى ذروة قوتها .

ومن النجف الأشرف رفع "آية الله أخوند الخراساني والطهراني والمازندراني" راية الحركة الدستورية الإيرانية التي انتهت بإصدار مظفر الدين شاه لرسوم مشروطة عام ١٣٢٤ هـ.

وظلت الصحوة الإسلامية في إيران مستمرة إلى أن توجت بانتفاضة عام ١٩٦١م التي جاء بها "الإمام الخميني" وظلت الصحوة متأججة إلى أن انتصرت الثورة الإسلامية وقامت الحكومة الإسلامية في إيران عام ١٩٧٩م لتكمل قرنان من نضال الصحوة الإسلامية بالنجاح لأول مرة، فأصبحت إيران أسوة تقتدى بها الشعوب المسلمة من جهة كما دفعت القوى الغربية للتحرك من جهة أخرى للإطاحة بالنظام الإسلامي المزهري في إيران بأية طريقة ممكنة لذلك دأبوا على تفعيل عملاتهم في بلادنا تحت مختلف العناوين اليمينية واليسارية، كما حاولوا تدبير انقلاب عسكري من خلال القوات المسلحة ضد الحكومة الجديدة وأخيراً لجأوا إلى أسلوب معروف هو حث دولة مجاورة على مهاجمة إيران عسكرياً. فشجعوا نظام صدام حسين على شن الهجوم على إيران وفي هذه المرة تجسدت الإرادة الإلهية في عزيمة الشعب الإيراني المسلم الذي واصل الصمود تحت لواء الولي الفقيه إلى أن حققت النجاح وحافظت على حكومة الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

وفي الفصل الثالث - يتعرض المؤلف لموضوع قيام الصحوة الإسلامية في تركيا :

فخلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وهي الفترة التي تصاعدت فيها حدة الغزو الغربي للشرق، واجه العثمانيون ذلك الغزو بأسلوبين :

(أ) أسلوب يُعرف بالرجعية .

(ب) وأسلوب يُعرف بالإصلاحيون . والذي أسسه السلطان سليم الثالث وسار على نهجه السلطان محمود الثاني وعمل هذا الأسلوب على حرمان علماء الدين من

الاستقلال وربطهم بالحكومة وخلق فاصل بينهم وبين الجماهير . فظهرت بعض ردود الأفعال ذات الصيغة الإسلامية وعارضوا السلطان وطالبوا بالحكومة الدستورية عملاً بقوله تعالى: ﴿ وَأْمُرْهُمْ بِشُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ (٢٨) الشورى .

وبذلك أتاحت للإصلاحيين الجدد كتابة أول دستور للبلاد عام ١٨٧٦م ولكنه لم يستمر طويلاً بظهور العهد الاستبدادى لعبد الحميد الثانى الذى ظل فى الحكم ٣٠ عاماً لم تظهر خلالها أى صحوة إسلامية . إلى أن وجد السيد جمال الدين فى استنبول فكان له تأثير فى حركة الصحوة الإسلامية فى تركيا . حتى جاءت فترة الدستورية الثانية وظهرت جمعية "الاتحاد والترقى" التى اصطبغت بالصبغة الإسلامية من أجل الحصول على الشرعية إلا إنها تعرضت لانتفاضة ضدها من جمعية الاتحاد المحمدى إحدى المجموعات الإسلامية المتطرفة التى تشن حملات قاسية على الحزب الحاكم والتى رفعت شعار "نريد الشريعة" ، ثم زحفت إلى استنبول الفرقة الثالثة المعروفة بـ (فرقة الحركة) عام ١٩٠٩م ، فقمعت تمرد وانتفاضة الجمعية المحمدية وخُلع السلطان عبد الحميد بفتوى صدرت بإصرار وضغط شيخ الإسلام محمد ضياء الدين ، وفضلاً عن الانتفاضات والتمردات الإسلامية لبعض الفصائل والحركات (كالجمعية المحمدية وانتفاضة مصطفى قياقجى وواقعة كوليلى) ، كانت تجرى أيضاً حركة إسلامية فكرية وكتابية متأثرة بالسيد جمال الدين وأتباعه كالشيخ محمد عبده ، ومع تقدم الزمن وبفعل تصاعد الخلافات بين التجديديين والحافظين الدينيين انقسم الاتجاه الإسلامى إلى (مقلدة) كانت تحالف النزعة نحو الغرب وتطالب بإلغاء القوانين المتعارضة مع الشرع والتجديدية التى كانت تطالب من جديد وعدم التقوقع فى قالب التقليد ، ولكنهم واجهوا بعض العوائق والعقبات حتى قامت حرب الاستقلال التى بدأت منذ ١٩١٩م وانتهت بإعلان الجمهورية عام ١٩٢٣م ، فتجلت الصحوة الإسلامية فى قالب

الانضمام إلى جمعية الدفاع عن حقوق الأناضول بزعامة مصطفى كمال باشا أتاتورك وساهم عدد كبير من العلماء والمشايع في هذه الصحوة وظل الوضع في تركيا لفترة طويلة ما بين الانتفاضات والانقلابات والسكون حتى ظهرت عدة أحزاب أهمها حزب " العدالة والتنمية " الذي يتزعمه " رجب أردوغان " رئيس وزراء تركيا الحالي والذي اكتسح جميع الأحزاب البرلمانية اليمينية واليسارية عام ٢٠١٢م وحصل على قدر كبير من الأصوات والآراء تؤهله لتشكيل حكومة بمفرده دون الحاجة للائتلاف مع أى حزب آخر .

ولا ريب في أن السياسة الإسلامية للحكومة التركية كانت ولا زالت تواجه المعارضة الصريحة والخفية . ورغم ذلك فقد استمرت الصحوة الإسلامية في انطلاقتها كحركة متساهلة ومائلة إلى قبول التعددية في المجتمع التركي الذي تعد تجربته إنجازاً على مدى تاريخه ذى المنعطفات الكثيرة .

وفي الفصل الرابع - يعالج المؤلف موضوع الصحوة الإسلامية في شبه القارة الهندية :

ففي أعقاب انحطاط الإمبراطورية الغوركانية أو ما يعرف بمغول الهند وما أعقبها من اضطرابات داخلية لا سيما الماراتا والسيخ في شتى مناطق الهند اغتنتم بريطانيا تلك الظروف وهاجمت البلاد عن طريق شركة الهند الشرقية إلى أن دخلت الهند بذريعة الأعمال التجارية ثم نجحت في ترسيخ وجودها السياسى والعسكرى .

أثار ذلك ردود فعل المسلمين الهنود وبدأت عملية مجابهة القوى الاستعمارية وتحرك المسلمين بشكل جاد خلال ثلاثة مراحل :

المرحلة الأولى - تحرك المسلمين ما قبل ١٨٥٧م : عن طريق الطبقة المسلمة

الحاكمة (كحركة سراج الدين وحركة حيدر وحركة تيبو سلطان) إلا أن هذه الحركات بائت بالفشل ورغم ذلك فقد برهنت على عدم انصياع المسلمين الهنود للمستعمرين .

فقامت الحركات الدينية لمسلمى الهند وكذلك حركات الإحياء الدينى فى البنغال والتى ظهرت من خلالها الحركة القرائضية وحركة تيتومير والطريقة المحمدية . ورغم أن المسلمين لم يحققوا انتصاراً واضحاً من خلال تلك الحركات إلا أنهم نجحوا فى إنقاذ هويتهم الدينية وأعدوا الأرضية لعملية الجهاد التى قام بها من بعدهم .

المرحلة الثانية - تحريك المسلمون خلال ١٨٥٧ - ١٩٤٧ م : فى تلك الفترة قامت ردود فعل متباينة من المسلمين الهنود ولكن يجمعها هدف مشترك هو الانصراف عن النضال العسكرى واللجوء إلى أسلوب التعليم والتربية من خلال ثلاث حركات هم :

(أ) الحركات الدينية للمسلمين : كحركة سيد أحمد خان وحركة عليكر وحركة ديوبند وحركة ندوة العلماء وحركات متفرقة أخرى . هذه الحركات إلى جانب التمسك بالدين استطاعوا القيام بشتى النشاطات السياسية .

(ب) الحركات السياسية للمسلمين : قام المسلمون فى ولاية بنجاب بانتفاضة دامية ضد الاستعمار البريطانى الزاحف ومع أنه قمع من قبل قوات الاحتلال البريطانية إلا أن حركة مقاومة المسلمين ظلت مستمرة فانتفاضة بنجاب كانت بداية ظهور الصحوة الإسلامية فى شبه القارة الهندية فتأسس حزب (مسلم ليغ) الذى لعب دوراً كبيراً فى تجزئة الهند وتأسيس دولة باكستان عام ١٩٤٧ وكان الحزب السياسى الأول للمسلمين .

(ج) تسييس التيارات الدينية المسلمة : فكانت الحركات والتيارات الدينية للمسلمين فى الهند بزعامة علماء الدين بعيدة عن النشاطات السياسية حتى نهاية القرن التاسع عشر عندما أسس (أبو الكلام آزاد) حركة الخلافة التى عملت على اتحاد مسلمى الهند سياسياً وبدأ الهندوس تعاونهم مع هذه الحركة بزعامة غاندى . ولكن هذه الحركة انتهت دون أن تحقق أى هدف إلى أن ظهر

إقبال اللاهوري كداعية مجاهد عمل على وحدة الأمة الإسلامية ونهوضها من خلال شعره الحماسي فأخذ يذكّرهم بالمكانة الحقيقية للإسلام ورسالته التي لا يمكن أن تتزعزع بزوال الحكومات والدول.

المرحلة الثالثة - حركة مسلمي القارة بعد عام ١٩٤٧م : يمكن تقسيم الحركات

الدينية لمسلمي باكستان إلى المجاميع التالية :

١ - حركة الديوبندية : وتعد من الحماة الأوائل (لطلابان) ويعتقد الشيعة أنها تدعم الإرهاب في العالم سراً.

٢ - الحركة البريلوية : وتعمل على إيجاد الجبهة المتحدة للأحزاب الدينية.

٣ - أهل الحديث : وهم الذين يتبعون القرآن وأحاديث الرسول ﷺ ويرفضون الفقه .

٤ - التيار الشيعي : وقد لعب دوراً بارزاً في تأسيس باكستان بزعامه حزب (مسلم ليغ) .

٥ - الجماعة الإسلامية : تأسست على يد (أبي الأعلى المودودي) وكان يرى أن الحكومة الإسلامية التي لا تقوم على ثورة إسلامية لا بد وأن تنهار وتتقوض .

٦ - الجماعة التبليغية : انتشرت هذه الجماعة في بقاع عديدة من العالم اليوم لاسيما الهند وباكستان .

وأما في الفصل الخامس والسادس والسابع : فيتكلم المؤلف عن الصحوة الإسلامية في كل من أفغانستان وآسيا الوسطى وجنوب شرقي آسيا، ويمكن القول أن أفغانستان لم تخضع في يوم للسيطرة الاستعمارية الأوروبية بشكل مباشر ولكنها كانت شبه مستعمرة لاسيما في الفترة التي حكم فيها عبد الرحمن خان وهيمنت فيها القوة الاستعمارية على المثقفين المتأثرين بأفكار السيد جمال الدين الأفغاني .

ويعد السيد جمال الدين الحسيني أحد رواد الصحوة الإسلامية في أفغانستان

وكان يتبنى مبدئين أساسيين فى كفاحه وهما : التصدى للاستبداد الداخلى وتغيير أوضاع المنطقة والعالم ولاسيما العالم العربى وشبه القارة الهندية وآسيا الوسطى . وبعد عدة عقود ولدت حركة الصحوة الإسلامية المعاصرة فى أفغانستان . ومن عوامل نمو هذه الصحوة ما يلى :- (الحريات القانونية - تأثير الدارسين خارج أفغانستان - نشاط الأحزاب اليسارية والانقلاب الماركسى - الهجرة الواسعة وتأسيس الأحزاب والتنظيمات الجديدة - ظاهرة طالبان - الأحزاب الشيعية وموضع الائتلاف) . نلاحظ أن هذه العوامل ولاسيما الانقلاب الشيوعى واحتلال أفغانستان من قبل القوات السوفيتية وإن قادا الشعب إلى كفاح مرير إلا أنه زرع بذور الحرية والاستقلال فى قلوب الشعب الأفغانى المسلم . كما طرأت تغييرات كثيرة على آسيا الوسطى بفعل تأسيس الروس للمعسكرات وتطبيق سياسة تعليمية وثقافية روسية على سكانها المسلمين وعمل الروس على تقليص دور الصوفية واحتفظوا بصلاحيات تعيين الشيوخ كى يتاح لها الإشراف على المسلمين ومراقبتهم .

فى ظل هذه الظروف كان الوضع الاقتصادى متردى جداً بسبب ظلم الروس من جهة وظلم الخوانين أنصار الروس المتمتعون بالحكم الذاتى من جهة أخرى .

هذا ما دفع المثقفين المسلمين إلى البحث عن حل لذلك فأسسوا حركة أطلقوا عليها اسم (الجديدية) والتي قامت بنهضة اجتماعية وثقافية سرعان ما انتشرت فى أرجاء آسيا الوسطى كما وفرت هزيمة روسيا أمام اليابان والانقلاب البلشفي عام ١٩١٧ الأرضية لقيام الصحوة الإسلامية وعززت الإسلام فى ذلك الحين .

ظهرت بعض الأحزاب الإسلامية المناهضة للحكومات فى آسيا الوسطى نظراً للظلم وشن الحروب على الأصوليين الإسلاميين . وكان من أهم هذه الأحزاب حزب النهضة الإسلامية فى طاجيكستان الروسية وكان يشبه حركة الإخوان المسلمين فى

مصر والجماعة الإسلامية في باكستان . كما تأثر هذا الحزب بالثورة الإسلامية الإيرانية .

لذلك حاولت القوى العربية والمتحالفين معها من دول المنطقة كتركيا واسرائيل في الحيلولة دون تقارب بلدان آسيا الوسطى والتحامها مع إيران وسعت هذه القوى ولاسيما أمريكا لتسليط الضوء على تركيا في مقابل إيران كنموذج للتنمية في منطقة آسيا الوسطى فأدى ذلك إلى الإقبال على النموذج العلماني التركي . وقد انتقل الإسلام من الهند وشبه جزيرة العرب إلى إندونيسيا بواسطة التجار والمتصوفة إلى سائر أرجاء جنوب شرقي آسيا . وواصلت الحكومة والنخب السياسية في تلك المناطق حكمها بعد اعتناقها للدين الإسلامي وعملت على نشره مما أدى إلى دخول المزيد من العناصر غير الإسلامية إلى الحضارة الإسلامية .

دخول الاستعمار وتأثيره على المنطقة : احتل البرتغاليون بعض مناطق جنوب شرق آسيا مما أدى إلى حدوث معارك بينهم وبين المسلمين وفي القرن السابع عشر دخل الهولنديون إلى ميدان التجارة في هذه المنطقة ونجحوا في إنهاء الوجود البرتغالي وسيطروا على الدول الإسلامية . ثم تزامن تأسيس المجتمعات الإسلامية مع دخول الاستعمار البريطاني إلى المنطقة وتأسيسه قاعدة جديدة في السنغال عام ١٩١٨م ، أدى دخول الدول الاستعمارية إلى انتفاضة الوطنيين والإسلاميين ضد هذه التدخلات الأجنبية في بلادهم ولاسيما ماليزيا وأندونيسيا . كما ذهب الوطنيون والعلمانيون والتقليديون الإسلاميون وكذلك الحركات الإسلامية الإصلاحية لمعارضة السلطة الهولندية والبريطانية مع الصراع فيما بينهم لتحديد شكل المجتمعات الأندونيسية والماليزية ، وقد مهد ذلك لظهور عملية إحياء الفكر العقائدي والسياسي في هذه المنطقة وتأسست عدة حركات أدت إلى الصحوة الإسلامية في كل من أندونيسيا - ماليزيا - الفلبين - تايلاند - وفي بروناي أيضاً .

وفى الفصل الثامن - يتعرض المؤلف أيضاً لقضية الصحوة الإسلامية فى الغرب ؛ لقد رسم الأوروبيون صورة قميئة للمسلمين إما للارتفاع بمعنويات الصليبيين أو لتدبير التوسعة الاستعمارية أو بسبب عقدة النقص التى يعاننون منها . ورغم ذلك فقد انطلق بعض الكتاب الأوروبيون أنفسهم وأكدوا على أن الحضارة الأوروبية مدينة للحضارة الإسلامية .

وأما بالنسبة لوضع المسلمين فى الغرب فإنه يختلف اختلافاً جوهرياً مما هو الحال عليه فى البلدان الإسلامية . فالبلد الأوروبى لا يعد إسلامياً إلا إذا كان المسلمون فيه أغلبية . وقد دخل الإسلام إلى أوروبا والغرب عن طريق الهجرة ودخول عدد كبير من المهاجرين إليها بأفكار السيد جمال الدين الأسد آبادى قائد الصحوة الإسلامية فى ذلك الحين . فأصبح الغرب ملجأ ومهداً لنمو واتساع المنظمات والحركات الإسلامية فى الوقت الذى فشلت فيه التيارات السياسية والاجتماعية المنافسة للإسلام فى الغرب لاسيما فى أعقاب هجرة الإمام الخمينى من العراق إلى باريس مما أدى إلى تضاعف نشاط الفصائل والتنظيمات الإسلامية ونشر الإسلام فى الغرب .

كذلك من العوامل المؤثرة على قيام الصحوة الإسلامية فى الغرب وتوسعها روح العداة والمنافرة للإسلام ويكتفى بذكر مثالين :

الأول : صدور كتاب الآيات الشيطانية فى إنجلترا .

الثانى : موضوع حجاب المسلمات فى فرنسا . فقد تحول هذان الحدثان على عكس إرادة السياسيين الغربيين وأقبل الكثير لاسيما الشباب على التنظيمات ذات الاتجاه الإسلامى . كل هذه العوامل السابقة كانت منعطفاً مهماً ومؤثراً فى قيام الصحوة الإسلامية فى كل من (بريطانيا - فرنسا - البلقان «ألبانيا») كما كان لها تأثيراً كبيراً على قيام الصحوة الإسلامية فى أمريكا لاسيما مع اتساع المنظمات والجمعيات الإسلامية متعددة الأهداف .

ورغم أن أحداث ١١ سبتمبر سببت مشاكل كثيرة للمسلمين سواء في أمريكا أو أوروبا والغرب بصفة عامة إلا أن المسلمين توصلوا إلى نتيجة هامة ألا وهي أن عليهم أن يكونوا أكثر فاعلية في الميدان السياسي من أجل ضمان بقائهم وهذا ما سعت إليه المؤسسات الإسلامية لاسيما في أمريكا وبالفعل أسسوا (مجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية) الذي يهدف إلى مشاركة المسلمين في النشاطات السياسية.

وأخيراً يتناول المؤلف في الفصل التاسع موضوع الصحوة الإسلامية في

شرق أفريقيا :

كانت الديانة الإسلامية تُعد قبل دخول الاستعمار إلى أفريقيا أمراً تشريعياً وعبادياً وكان المسلمون يؤكدون عليها أكثر من تأكيدهم على القوانين الاجتماعية. لذلك وجد الإسلام حياته السياسية بين أبناء أفريقيا الذين أخذت تنبعث فيهم روح الصحوة الإسلامية وأصبحوا على يقين أن خلاصهم يتمسك بالإسلام ونشر أصوله ومبادئه. لذلك فمنذ أن بدأت أفريقيا بالاستقلال أخذ الإسلام ينتشر فيها وأخذت تتبلور معالم صحوة إسلامية واضحة على صلة بالاستياء من الاستعمار والعودة إلى الذات والحفاظ على الهوية الإسلامية.

ويشكل المسلمون أغلبية في (شرق أفريقيا والصومال والسودان) وقد أمسكوا بزمام الحكم بعد زوال الاستعمار. وفي (تنزانيا) أسقط المسلمون الساحليون البرتغال وأسلم رؤساء القبائل وتعاونوا مع المسلمين الساحليين وانتشر الإسلام فيها كما دخلوا في شتى المجالات السياسية بعد الاستقلال، ويعد مجلس قراءة القرآن في (تنزانيا) (بالوكتا) أهم منظمة إسلامية. كما تأسست في (أوغندا) منظمة الدعوة الإسلامية بعد أن امتدت إليها الصحوة الإسلامية وكذلك (ملاوي وموزمبيق) كما امتدت أيضاً إلى (كينيا).

وتعترف الدول والحكومات اليوم بمنظمات من قبيل باكواتا (مجلس علماء تنزانيا) وسوبكم (مجلس علماء كينيا) والمجلس الأعلى لعلماء (أوغندا وملاوي وزامبيا وموزمبيق) وتتولى هذه المنظمات إدارة الكثير من شؤون المسلمين.

الخاتمة

وما سبق يتضح أن التحدى المهم الذى يواجه الاتجاه الإسلامى فى العصر الراهن هو موقفه إزاء الأنماط الديمقراطية ويمكن أن يقال أن الديمقراطية قد تحولت وفق القراءة الإسلامية الخاصة إلى جزء لا يتجزأ من فكر وعمل الحركات الإسلامية وبادرت هذه الحركات فى كثير من البلدان الإسلامية إلى تأييد الديمقراطية ودعمها كقيمة أساسية باتجاه مساهمة الفصائل الإسلامية ولكن لا زال الهم الأكبر لشطر كبير من الفصائل والحركات هو الحفاظ على الهوية الدينية، فضلاً عن التأكيد على التنمية، ويمكن القول إنه بفضل مقاومة وسمود المسلمين فى إيران لمدة ٣٢ سنة للحفاظ على حكومة الجمهورية الإسلامية وإفشال جميع مؤامرات التحالف الغربى - الصهيونى ترعرعت شجرة الأمل المغروسة فى قلوب مسلمى العالم فأتت أكلها حيث أننا نشهد اليوم سلسلة جديدة من الثورات التى يقوم بها المسلمون فى الدول العربية.

فسقوط نظام حسنى مبارك فى مصر بفضل عزيمة الشعب المسلم فى هذا البلد الذى يشكل العمود الفقرى للثقافة والعقيدة على مستوى العالم العربى إلى جانب سمود الشعوب المسلمة فى كل من (تونس والعراق وأفغانستان واليمن والبحرين وسوريا) ومقاومتها أمام إرادة الأجانب وعملائهم المحليين. كل ذلك يبشر بتحقيق النصر النهائى للتطلعات الإسلامية ونجاح الإسلاميين على أرضية التيارات الجديدة من الصحوة الإسلامية على صعيد العالم الإسلامى بأسره.

obeikandi.com

عرض كتاب

المكون المعرفي ودوره في توجيه الحضارات

تأليف: الأستاذ الدكتور/ إبراهيم أبو محمد - مفتي أستراليا

عرض: أ. أحمد على سليمان (*)

شهد العالم في الفترة الأخيرة تقدماً هائلاً في ثورة المعلومات والمواصلات والاتصالات، وتحول كوكبنا إلى قرية كونية، لا يكاد يقع الحدث في مكان إلا وينتقل خبره في لحظات إلى كل بقاع الأرض، مع التفاصيل لما جرى في دقائق معدودة، وكان يفترض أن تُحدث هذه الثورة قرباً في المشاعر مثلما أحدثت قرباً في الزمان والمكان، غير أن الذي حدث عكس ذلك تماماً، فثورة الاتصال قوبلت بثورة "انفصال" .. انفصال بالذات في اهتماماتها وحتى في مشاعرها وأحاسيسها عن الآخرين، فلم يعد الشأن العام همّاً يتحمل الفرد بعض مسؤولياته، أو يحظى باهتمامه، أو حتى يفكر فيه .. ومع سيل المعلومات المختلفة تداولت مصطلحات جديدة وانتقلت بسرعة البرق إلى كل مكان في العالم عبر فضائيات في سماء مفتوحة ومملوءة بأقمار صناعية مملوكة لأغلب الدول المتقدمة، ومن ثم سمع الناس عن أسماء ومصطلحات لم تكن متداولة من قبل مثل: "الشمال والجنوب"، "الجات"، "صندوق النقد"، "البنك الدولي"، "الدول المانحة"، "العولمة"، "صراع الحضارات"، وغير ذلك من الأسماء والمصطلحات ..

ويأتي كتاب "المكون المعرفي ودوره في توجيه الحضارات" للأستاذ الدكتور/ إبراهيم أبو محمد مفتي أستراليا، ورئيس مجلس إدارة المؤسسة الأسترالية للثقافة الإسلامية، ورئيس إذاعة القرآن الكريم - أستراليا، لمناقشة هذه القضايا بدقة ومنهجية علمية، ويغوص من خلال كتابه في خبايا العولمة ومكوناتها، بأسلوب موضوعي، ليوضح أثر الثقافة والعقيدة والأيدولوجيات والمصالح في الحوار والصراع، ثم يقدم

(*) المدير التنفيذي لرابطة الجامعات الإسلامية.

رؤية لعلاقة متزنة بين الشرق والغرب تقوم على أساس من الحوار المرتكز على الفهم المتبادل لطبيعة الطرف الآخر .. ولا شك أن الكاتب الذى تتلمذ على يد كبار العلماء فى الأزهر الشريف ومعايشته الطويلة للمرحوم الشيخ محمد الغزالي فترة طويلة، ومعايشته لهموم المسلمين فى استراليا منذ أكثر من عقد من الزمان، وحواراته المتعددة على الجانب الآخر، وخبرته الطويلة بالإعلام، قد أنتجت فكرا متميزا ورسينا فى فهم العلاقة بين الإسلام والآخر من خلال كتبه وأبحاثه، ومن ثم جاء الكتاب مليئا بالأفكار والتحليلات النافعة فى فهم العلاقة بين الحضارات .. فضلا عن الإرشادات العلاجية التى تسهم فى علاج القضايا الشائكة بين الإسلام والآخر ..

هذا ويقع الكتاب فى ١٠٤ صفحة من القطع الكبير، وهو صادر مؤخرا عن مكتبة الكيلانى بالقاهرة، ويشتمل على مقدمة، وفصول ثلاثة وخاتمة، وجاء الفصل الأول تحت عنوان: المصطلحات بين المرسل والمتلقى، أما الفصل الثانى فيتناول: أثر المكون المعرفى على العلاقة بين الإنسان والكون، وأما الفصل الثالث فيتحدث عن: الآخر من هو، وما موقفنا منه ..؟

ويقصد المؤلف بالمكون المعرفى: "مجموعة المعارف والخبرات التى يكتسبها الإنسان من مصادر متعددة، منها: المشاهدة والتجربة والأخبار المتواترة التى تصب فى نهاية الأمر فى العقل ليُكوّن تصوّره وحكمه على شئ ما"

وفى الفصل الأول يشير المؤلف إلى أن المصطلحات ليست دائما بريئة، ولا تنشأ من فراغ، وإنما تحمل الخلفيات الثقافية والمكون المعرفى للبيئة التى نشأت فيها، محملة بطبيعة الصراعات والمصالح لتلك البيئة بشرا ومكانا، ومن ثم تجب عملية الحذر وأخذ الحيطة فى تداول وانتشار وشيوع تلك المصطلحات؛ لأن الأمر هنا لا يتعلق فقط بمصدر هذا المصطلح بقدر ما يتعلق بالهوية الفكرية للمتلقى لهذا المصطلح، محذرا من الثقافة الفاسدة التى تفعل بالعقول والأفكار ما يفعله الطعام المسموم بالجسم، ولذلك كانت

العافية الفكرية والثقافية للأمة لا تقل خطراً وأهمية عن العافية البدنية والجسدية لأبنائها، كما أن التشوش وغياب النموذج خلال فترات الضعف الفكرى يعرض الهوية لتداخلات مضرّة، تسبب تميّعا فى التصور وازدواجاً فى السلوك للمجتمع الذى يشيع وينتشر فيه هذا المصطلح . ويقول المؤلف : وكان ضمن ما طرح من هذه المصطلحات مصطلح حوار الحضارات، أو صراع الحضارات، وهو مصطلح جديد بدأ انتشاره منذ ألقى صموئيل "هنتنجتون" مستشار الإدارة الأمريكية، محاضرة تحدث فيها عن صدام الحضارات، واقترح خلالها على الإدارة الأمريكية أن تبدأ بكسر شوكة الحضارة الإسلامية المقاومة والمستعصية على الذوبان، ثم تعرج بعدها على الحضارة الكونفوشيوسية وهى الحضارة الصينية فتحطمها، ثم تستدير إلى مصالحتها بتفجير بؤر للصراع لتبقى مصانعها تدفع للجيش والشعوب والأمم بمزيد من مخزون السلاح، وراحت تلك الدوائر مدفوعة بخيالها الجامح فى مزيد من الريح، وتحت سكرة الغرور بالقوة تروج لهذه المحاضرة وتقدمها على أنها أحدث النظريات الاستراتيجية فى إدارة الأزمات الأيديولوجية على مستوى كل الحضارات الراضة لقيمها ونمطها، لتنفرد بزمام الكرة الأرضية، وتقرر مصير العالم وما يجب أن يكون عليه وفق رؤيتها، وهكذا وقع العالم فى فوضى، ظهرت فيها مفاهيم ومصطلحات جديدة، فضفاضة المعنى، تُفصّل بالمقاس دون تحديد أو تعريف لأى منها غير المزاج الشخصى للدول الكبرى. وأصبحنا نقرأ قوائم تتحدث عن محور الشر، ورعاية الإرهاب، والسلوك المعتدل أو المتطرف لبعض الدول، ونظرية الفوضى الخلاقة، وهى نظرية تختلط فيها كل الأوراق، ويضرب فيها الكل فى الكل، دون أن يحكمها قانون غير مصالح الدول الكبرى، على ألا تخرج الضربات عن نطاق الجنوب الفقير البائس. ثم كانت العولمة بأبعادها المختلفة إحدى وسائل هذه الدوائر فى تحقيق الأهداف.

ويؤكد الباحث أن الإسلام كالشمس لا يستطيع أحد أن يخفيه أو يحجبه عن

الناس، وأن الإسلام يعيش بمكوناته الذاتية وسط كل تلك العواصف ولا يحتاج إلى دفاع؛ لأنه دين تكفل الله بحفظه وأن الغرب لم يستطع منذ الحروب الصليبية، وبداية عصر الاستعمار - رغم كل التفوق - أن يمحو الشرق من الوجود أو أن يكسر شوكة الإسلام، ربما سيطر على أنظمة واحتلّ بلاداً، وربما أن أدمى من الإسلام بعض الأطراف، ولكنه لا يمكن أبداً أن يمحو هذا الدين من الوجود، وأن سنة الله جرت في هذا الدين أنه لا ينتصر إلا من ضعف، ولا ينتشر إلا من قلة "بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ غريباً فطوبى للغرباء"، مشيراً أنه يجب أن نفرق بين الإسلام وبين المسلمين، فالإسلام شيء والمسلمون شيء آخر.

ويشدد الدكتور أبو محمد أنه يجب أن نفرق بين الغرب كشعوب وبين الغرب كمؤسسات للقرار، فالغرب كشعوب ليس لدينا معهم مشكلة، ولا يجب أن تكون، ومن ثم فيمكن تقسيم المجتمع الغربي إلى فئات ثلاث:

● الأولى - فئة العامة من الناس؛ وهؤلاء يستقون معلوماتهم عن الإسلام من خلال الإعلام، فهم ضحايا التديس المتعمد والتشويه المدلس من ناحية، ثم هم ضحايا غيابنا نحن المسلمين في الشرق والغرب عن الحضور والتأثير إعلامياً وسياسياً واقتصادياً، وليس هناك ميدان واحد لنا فيه إسهام مؤثر تجاه تعديل الصورة وإنصاف الحقيقة وإنقاذ هؤلاء.

● والثانية - فئة المثقفين والباحثين والعلماء؛ وهؤلاء لا يكتفون بما يقدمه الإعلام الغربي عن الإسلام، بل يشكون فيه ويعرفون أن أغلب ما يقدم إنما يصدر عن رؤية كارهة ومغرضة؛ ولذلك فهو في نظرهم يفتقد الموضوعية والحياد، ولهذا فبعض هؤلاء يحرص على القراءة عن الإسلام، ويبحث عن الكتاب الإسلامي باللغة التي يجيدها من المصادر المضمونة والقريبة منه فلا يجده...!! وربما يحاول تعلم اللغة العربية حتى لا يقع ضحية الفكر المغشوش والثقافة المسمومة، التي تملأ الأسواق عن

الإسلام والمسلمين ، مشيراً أن الإنسان الغربى لا زال لديه من رصيد الفطرة ما يمكنه من تقبل الحقيقة إذا عرضت عليه بذكاء ، وقدمت له فى صورتها النقية ، كما أن مساحة الحرية المدنية تجعلهم يدافعون عن الفكرة التى يؤمنون بها ..

● والثالثة - الغرب كمؤسسات للقرار: وهؤلاء لهم أهدافهم وأطماعهم ، ولهم أجندتهم الخاصة ، ولهم أيضاً رؤيتهم للإسلام والمسلمين ، ولذلك فالمشكلة الحقيقية مع هؤلاء ، لأنهم هم الذين يمثلون الغرب المستعمر المستغل .. الغرب صاحب مشروع السيطرة والتقسيم والعدوان على الآخرين .. الغرب صاحب منظومة الكذب التى تشوه الآخر وتحط من قدره ، وتحاول إشاعة الخوف منه وتلصق به أبشع الاتهامات ، ولا تكف عن الهجوم عليه ، واستعداد الشعوب ضده ، هذا هو غرب الصراع والصدام والمواجهة والبحث عن الفريسة دائماً ..

ويقول : فى استفتاء قامت به كل من جريدة "سيدنى مورننج هيرالد" (Sydney Morning Herald) بالتعاون مع إذاعة الـ B.B.C البريطانية ما بين "نوفمبر ٢٠٠٦ إلى يناير ٢٠٠٧" على عدد من الناس بلغ ثمانية وعشرين ألف نسمة فى ٢٧ دولة من دول العالم حول أسباب الصراع بين الإسلام والغرب وقد نشرته جريدة (Sydney Morning Herald) فى عددها الصادر بتاريخ الاثنين ١٦ فبراير ٢٠٠٧م .

وقد وجدوا أن الغالبية تؤمن بأن المصالح السياسية والاقتصادية ، وليس الاختلاف فى الدين ولا الاختلاف فى "التقاليد" هى الأسباب فى النزاع والعنف الدائر فى العالم حالياً ، ثم كانت محصلة الاستفتاء ما يأتى :

- ٥٢% يرجعون أسباب التوتر بين الإسلام والغرب إلى القوى السياسية والمصالح الاقتصادية .

- ٥٨% يرجعون سبب التوتر إلى الأقلية المتشددة من الجانبيين .

- ٢٩ - % الاختلاف في الدين والتقاليد .

- ٢٦ % اختلافات أساسية .

- ٢٥ % يعتقدون أن النزاع بين المصالح هو السبب الرئيس في التوتر بين الإسلام والغرب .

- ٢٩ % يعتقدون أن الدين والتقاليد هما سبب هذا التوتر .

وأن الغالبية العالمية يرفضون فكرة الكاتب "صموئيل هنتنجتون" الذي يقول بأنه لا مفر من حدوث تصادم الحضارات (ويقصد الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية) بناءً على الدين والتقاليد .

وفي استراليا أظهر الاستفتاء أن : ٦٨ % من الأسترال يلومون الأقلية المتشددة من الجانبين الإسلامي والغربي في خلق هذا النزاع .. وأن واحداً من كل عشرة استراليين يلومون المسلمين المتشددين في هذه القضية .. وأن اثنين من كل ثلاثة استراليين يتفهمون أنه يوجد أشخاص من كلا الجانبين ، الغربي والإسلامي على السواء يحبون خلق هذا النزاع .. ومن كل الذين اشتركوا في هذا الاستفتاء أكثر من نصفهم ، وبالتحديد ٥٦ % يعتقدون أنه يوجد أرضية مشتركة للتعايش بين الحضارتين ، ٢٨ % فقط يعتقدون أنه ستحدث مواجهة بين الغرب والمسلمين .. وأنه بالرغم من أحداث سبتمبر ٢٠٠١ وغزو العراق ومحاولة السياسيين الغربيين والإعلام الغربي في إظهار وجود صدام بين الغرب والإسلام ، فإن معظم الأشخاص في الاستفتاء ما زالوا متفائلين .

ويمضى بنا المؤلف للحديث عن مصادر تكوين التصورات والرؤية ، موضحاً أن العامل الحاسم الذي له دور كبير في توجيه السلوك نحو الحوار أو الصراع في الأفراد والأمم ، وحتى في الحضارات ، إنما هو المكون الثقافي والذي هو الناتج الطبيعي والثمرة المرّة أو الحلوة للمكون العقدي . مؤكداً أن علماء التربية وعلماء النفس وعلماء

الاجتماع يقررون بأن رؤية الإنسان لذاته ودوره ورسالته، ورؤيته للبيئة المحيطة، وكذلك رؤيته للكون والحياة، تتشكل من خلال مصدرين اثنين، هما: العقيدة التى يعتمدها الإنسان ويدين بها، والثقافة التى تربى عليها، وتكون عقله ووجدانه من خلالها.

مشيرا أن القيمة عندما تستمد قداستها من العمق الدينى، فإن حرية ممارستها تنبعث من أقوى المشاعر تأثيراً فى حياة الإنسان، وبذلك يكون المكون المعرفى الصحيح - لا نقيضه - هو النبع للشعور بالالتزام الأخلاقى، أى بالواجب تجاه الجماعة والأمة والتضحية فى سبيلها. كما أنه من المعروف أيضاً أن أقوى أنواع الضبط للسلوك الإنسانى هو الضبط الإرادى، وهذا الضبط لا يمكن أن ينتج إلا من الأخلاق التى ترتبط بقيم يدعمها الإيمان الجامع بها، وهى أخلاق لا تتبدل حسب الطلب، وإنما تبقى ثابتة؛ لأنها هى التى تحفظ للجماعة الحد الأدنى من التوازن، كما أنها تمد المجتمع بالقواعد التى تضبط سلوك الناس وتوجه ممارساتهم.

ويمضى المؤلف للحديث فى الفصل الثانى الذى جاء تحت عنوان: المكون المعرفى وأثره على العلاقة بين الإنسان والكون، موضحاً أننا حين نتحدث عن المكون المعرفى يجدر بنا أن نبحث فى اللغة باعتبارها الرعاء الذى يتشكل من خلاله وجدان الأمة وفكرها ورؤيتها، قائلاً: إن لصاحب كتاب الفروق فى اللغة بيان فى الأمر جدير بالتدوين والنظر، فهو يقول: "المعارف الضرورية على أربعة أوجه: أحدها ما يحدث عند المشاهدة، والثانى عند التجربة، والثالث عند الأخبار المتواترة، والرابع أوائل العقل". فالمكون المعرفى إذاً هو محصلة مجموعة من المعارف والخبرات الضرورية التى تبدأ بالمشاهدة، ثم التجربة، ثم الأخبار المتواترة، وكل هذه المعارف والخبرات يستقبلها العقل ويحللها فى نهاية الأمر ثم يكون من خلالها رؤيته وتصوره وحكمه على الموضوع المطروح للبحث، لكن أخطر ما يؤثر فى العقل ويحرك وجهته هو ما يستقبله من مصادر العقيدة - بصرف النظر عن الصحة والفساد - ومن ثم فحين نتحدث عن

المكون المعرفى وعلاقتة بتوجيه الحضارات، تبرز أمامنا مستويات متعددة من العلاقات، بعضها ينبع من تصور ذاتى فرضه الواقع الذى عاشه الإنسان الأول، وبعضها أثر لتراكمات تاريخية تمتزج فيها الحقيقة بالخرافة والأسطورة بالرمز، لكن أوضح هذه المستويات على الإطلاق ما كان نابعاً من فلسفة وأيديولوجية ودين. مؤكداً أن المكون المعرفى هو انعكاس للمكون العقدى، وعلى ضوئه يتشكل عقل الإنسان ورؤيته، ويتشكل وجدانه العام وفق هذه الأيديولوجية..

وينبه الكاتب عن خطيئة الأيديولوجية الرأسمالية بإهمال المكون المعرفى لديهم، للجانب الروحى والغيبى الذى لا يقل إهماله فداحة وخطورة فى آثاره عن الماركسية حين جحدت الألوهية وتنكرت لآثار الإيمان بها فى صلاح الفرد والمجتمع والأمة، كما أن الرأسمالية لم تنفك يوماً عن أطماعها الواضحة حيناً والمستترة حيناً آخر، وكثيراً ما سمع العالم عن شعارات براقه ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب.. وكعادتها فى اختراع المصطلحات وتسويق المفاهيم ابتكرت مفهوماً جديداً يوسع دوائر الخضوع والسيطرة وبدلاً من أن تكون السيطرة لجهة واحدة معروفة ومحددة ويمكن التعامل معها إما بالبعد أو المقاومة نشأ مفهوم آخر يشترك فيه كل الأقوياء فى النهب والسيطرة، ويشترك فيه أيضاً كل الضعفاء فى الخضوع والهوان والفقر ومن ثم كان الشمال والجنوب، والدول المتقدمة والدول النامية، والاتحاد الأوروبى فى مقابل التمزق والكيانات الصغيرة، والدول الصناعية المانحة والدول الأخرى النائحة وهكذا وضمن هذا كله بدأت الشركات العملاقة فى شراكة متعددة الجنسيات ليكون الاختراق أقوى والمقاومة أقل، وتمت عملية فرض الشروط والاستجابة من أغلب الدول لتلبية مطالب السادة الكبار، وهكذا تفقد الدول استقلالها وسيطرتها، ويتحول دورها إلى مجرد حامل للبريد الذى يأتى من الخارج، ربما ليس من حقه أن يفتح الرسالة القادمة إلا بعد استئذان المرسل إليه فى الداخل، وهى الشركات المتعددة الجنسيات والمؤسسات التابعة

لها، أو فى أحسن الأحوال تأخذ دور المنسق بين مطالب السادة الجدد فى الداخل ومظاهر أهبة الدولة ذرا للرماد فى عيون الحاسدين . وهكذا يظهر أثر ودور المكون المعرفى فى الفلسفة الرأسمالية فى توجيه حضارات الغرب نحو إخضاع الآخر والسيطرة عليه واختراقه تحت تهديد السلاح، وكأن العالم لا يعيش حضارة عصر إنسانى وإنما يعيش حالة أشبه ما تكون بالقرصنة والسطو المسلح، ومن ثم يظهر الوجه الحقيقى لمظاهر النهضة فى تلك الحضارة وهو وجه لا يستطيع أن يختفى بعيدا وراء كل الأقمعة التى تدارى البثور وتخفى تحتها أنواع شتى من العلل والسخافات، ومن ثم فأسطورة النهضة الأوروبية التى تخفى وراءها زوال صفة الإنسانية أدت فى الواقع إلى سيطرة السوق وتفرده وإلى تقديس المال وانقسام العالم عن طريق النهب الاستعمارى والاستقطاب المتزايد حتى فى أوروبا إلى قسمين : من يملك، ومن لا يملك .

وإذا كانت الرأسمالية فى مكوناتها المعرفى - السالف - ترتكب من الخطايا ما تسود به وجه الحضارة، فإنها لم تتوقف عند التنكر لأثار الإيمان وإهمال البعد الغيبى فى حياة الإنسان فقط، وإنما بدأت تجتر روح العداء القديم، وتحبى أسبابه من جديد، فبعد سقوط الشيوعية وذهاب ربح القطب الماركسى راحت أوروبا عموماً، والولايات المتحدة بشكل خاص، تبحث عن عدو بديل حتى لا ترتخى إرادتها وتفتر هممتها وتذوب إرادة التحدى فى كينونة وقلب استراتيجيتها، ولم يكن بين العقائد والثقافات وحتى الحضارات من بقى مستعصياً على الذوبان والفناء غير الإسلام، فهو المتفرد فى الجنوب بالبقاء رغم كل محاولات العدوان عليه .

وينتقل بنا الكاتب بالحديث عن دور الآلة الإعلامية فى الخداع وتأجيج الصراع، مشيراً إلى أن الآلة الإعلامية عملت عملها فى تهينة المناخ وتجهيز النفوس وشحن الرأى العام بطاقة من الغضب تجعله يؤمن بضرورة التخلص من هؤلاء الأشرار البرابرة الذين يسمون بالمسلمين ويعتقدون فى إله الخراب الذى يعبدونه...!! وعندئذ يكون للانتقام

ما يبرره، ويصبح سحق هؤلاء ضرورة لحماية السلام العالمي يفرضها مجلس الأمن، ويقوم على تنفيذها بأيدي طليقة وعدالة مطلقة البطل الواحد والوحيد، وبذلك يتخلص الغرب من المنافس الاقتصادي والبديل الحضارى، وينتهى من هذا العدو الأزلى؛ لتخلو له الساحة مرة أخرى، بعدما خلت من قبل بسقوط الشيوعية، ويتمكن من بسط نفوذه وسيطرته على كل منابع الثروة بغير منازع، وفي نفس الوقت يكون النموذج العراقى جاهزاً للتطبيق فى أى وقت وفى أى مكان.. مؤكداً أنه قد اعترف بذلك صراحة قادة الفكر وقادة الجيوش العسكرية، "فإدوارد مورتيمر" يعترف قائلاً: "إن الإسلام مقاوم للعلمنة، وسيطرته على المؤمنين به أقوى الآن مما كانت قبل مائة سنة مضت، ولذلك فهو - من بين الثقافات الموجودة فى الجنوب - الهدف المباشر للحملة الغربية الجديدة، ليس لسبب سوى أنه الثقافة الوحيدة القادرة على توجيه تحدٍ فعلى وحقيقى لمجتمعات يسودها فتور الهمة واللامبالاة، وهى آفات من شأنها أن تؤدى إلى هلاك تلك المجتمعات مادياً، فضلاً عن هلاكها المعنوى". وكانت تصريحات "ويلى كلايس" الأمين العام لحلف الأطلنطى فى منتصف تسعينات القرن العشرين دليلاً آخر على العداء القديم وسوء النية، حيث أعلن أن الإسلام هو العدو الذى حل محل إمبراطورية الشر الشيوعية" ومن ثم كان الانتشار الواسع لمصطلحى "حوار الحضارات" أو "صراع الحضارات" ومن ثم فهذه هى المكونات العقيدية التى حكمت وتحكم الحضارة الغربية بشقيها الماركسى والليبرالى.

ثم يتحدث المؤلف عن الحضارة الإسلامية والحاضر الغائب، مشيراً إلى أنه على الرغم من التحديات التى تواجهها داخليا وخارجيا إلا أنها لا زالت تعيش وتقاوم، تتخلص حيناً لدرجة أنك تظن أنها ماتت أو كادت تموت، ولكنها لا تلبث أن تنتفض.. تتآمر الدنيا عليها بعد أن أدبرت عنها، ولكنها أيضاً تفاجئ الدنيا بقيمتها التى تصحح الأخطاء وترتفع بالإنسان والدنيا لتذكر كليهما بما يجب أن يكون عليه الإنسان

والدنيا، مؤكداً أن السر فى حيوية هذه الحضارة وتجدها يكمن فى المكون المعرفى الذى استبقاها وسط العواصف شامخة وإن انصرف الناس عن أهلها وتكرت لهم سبل الحياة.

ثم يتحدث عن المكون المعرفى ودوره فى البناء الحضارى: مشيراً أن القرآن الكريم يوجهنا إلى استثمار الطاقات والقدرات بالتفكير والتعقل والتذكر: وهى معالم ثلاثة تشكل الأساس السليم لكل بنية حضارية علمية، لا يجوز نسيانها أو التغافل عنها، خاصة عند الحديث عن الخروج من دائرة العجز والتخلف والتبعية، والأمل فى بعث حضارى إنسانى، يسهم فيه القلب والعقل بطهارة الروح من العبودية لغير الله، وطهارة الفكر من خرافة الإلحاد والشرك، وشتى أنواع الوثنيات السياسية والفكرية والاقتصادية التى تستخدم منجزات العلم فى تدمير الحياة والمجتمعات، بسطاً للنفوذ، ومداً للسيطرة والاحتكارات إلى عبادة الله، مشيراً أن المنهج الإسلامى منهج يوظف عنصر الزمن ممثلاً فى العمر، ويوظف طاقة التغيير والقدرة على العطاء والبذل ممثلة فى الشباب، ويوظف عنصر المادة ممثلاً فى المال من حيث الاكتساب والإنفاق، ويوظف الطاقات العقلية والفكرية لخدمة المجتمع وترقية الحياة ممثلة فى العلم... فأى حماية للحياة أرقى وأعز من هذه الحماية؟ وأى ضمان لطهارة السلوك أشرف من هذه الدعوة؟ وأى أمان لتوظيف القدرات والملكات ونظافة النوايا من الداخل أقدس من هذا الضبط الإرادى والذى تمتد المسؤولية فيه بالسؤال عن ذلك كله حتى يوم الحساب.

ثم يتحدث المؤلف عن ضوابط العلاقة بين الإنسان والكون مضبوطة بمجموعة من الأطر، فى مقدمتها تحقيق السلام للإنسان والكون معاً كغاية من غايات الوجود الإنسانى والكونى، من خلال التعامل من منطلق الإحسان، والكف عن فعل الفساد، والتعرف على سنن الله تعالى فى الكون ومعرفة القوانين التى تحكم حركة المجتمعات، وضرورة الخروج من التخلف كشرط للإقلاع الحضارى، ذلك أن المسلم الحق يرى فى

الزهرة جمالاً ينبغي ألا يدمر ، ويرى في العدل جمالاً ينبغي ألا يغيب ، ويرى في الحرية جمالاً ينبغي ألا يصادر ، ويرى في الكرامة جمالاً ينبغي ألا يسلب ، ويرى في المساواة جمالاً ينبغي ألا يعكس ، ويرى في الأخوة جمالاً ينبغي ألا يزول ، ويرى في الشرف جمالاً ينبغي ألا يستباح ، ويرى في الطهر والاستقامة جمالاً ينبغي ألا يلوث ، ويرى في العمل الجاد جمالاً ينبغي ألا يبدد ، ويرى في الإبداع البشري جمالاً ينبغي ألا يهمل ، ويرى في الحق جمالاً ينبغي ألا يخترق ، ويرى في إعمار الكون وترقية الحياة جمالاً ينبغي ألا يهمل ، ويرى في الإنجاز العملي جمالاً ينبغي ألا يحقر ، ويرى في المروءة جمالاً ينبغي ألا ينسى ، ويرى في إخلاص العمل جمالاً ينبغي ألا يضيع ، ويرى في الإنسانية جمالاً ينبغي ألا يذل ، ويرى في أمن الناس وحمائهم جمالاً ينبغي ألا يفزع ..

ثم تحدث عن نتائج وآثار علاقة المسلم بالكون وفق ضوابط المكون المعرفي في حضارتنا ، وأجملها في الالتزام الأخلاقي تجاه الإنسان ، وحدوث التحولات الحضارية وعودة الحياة إلى موازين الاستقامة والاعتدال ، وتحقيق التوافق والانسجام في المنظومة الكونية ..

وفي الفصل الثالث من الكتاب يتحدث المؤلف عن الآخر من هو؟ وما موقفنا منه؟ مشيراً أن بعض المؤسسات في الغرب ومعها جماعات معينة يعرفها الباحثون والمتابعون لحركة الصراع يصبون جام غضبهم على الإسلام باعتباره في نظرهم المصدر الأساس لشقافة العنف والتطرف لدى المسلمين ، ويوصف هذا الدين بأنه لا يعترف بالآخر ولا يقبل بوجوده في الحياة ، وتشيع آلة الإعلام بوسائلها المختلفة باستخدام مفهوم لتكنولوجيا الإديتنج Editing بالصوت والصورة المختزنة التي تستدعي عند الضرورة ولو بعد عشرات السنين لتوظف في خدمة الحدث الجديد ، ولتعطي الإيحاء المطلوب ترسيخه في عقلية المشاهد ونفسيته ، ومن ثم فالإسلام محل هجوم مستمر من

قبل الغرب دوماً ، وفى كل مناسبة وأحياناً بغير مناسبة .. حتى تولد لدى القوم ما يسمى بالإسلام فوبيا Islamophobia أى مرض الخوف من الإسلام .

ويوضح المؤلف أن الآخر فى المدلول المعرفى لدينا ليس فقط هو المخالف لنا فى العقيدة والدين ، أو فى الجنس أو الوطن ، وإنما الآخر هو من يفعل الشر ولو كان مسلماً ، ويؤكد على أن قضية الصراع بالنسبة لنا نحن المسلمين تحديداً قضية كريمة جداً فى كل الظروف والأحوال ؛ لأننا نؤمن أن الله تعالى خلق الأرض للناس .. كل الناس : ﴿ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴾ (١٥) ﴿ وَالرَّحْمَنُ ﴾ ، ونحن أمة لها دور ورسالة ، ونشكل من حيث العدد خمس سكان العالم ، ومن ثم فعلى كل منا أن يحسن علاقاته - على الأقل - بأربعة آخرين ليسوا على ديننا . ويطالب الكاتب بضرورة البحث عن القواسم المشتركة وتجنب خطاب التقاطع ، من خلال عدة محاور أهمها : محور المصالح المشتركة فى حماية الكوكب الأرضى مما يتهدهده من تغييرات مناخية نتيجة اختراق طبقة الأوزون ، وهو محور يمكن أن تلتقى على أرضيته كل شعوب الكرة الأرضية . ومن خلال المحور الإنسانى ، ذلك أن البشر جميعاً يشتركون معاً فى أصل الشجرة الإنسانية ، أى فى المعنى العام للإنسان بغير تحديد للون أو الجنس أو الدين . وكذلك من خلال المحور الدينى وهو مطلق الخضوع والانقياد لله تعالى ، وإن اختلفنا بعد ذلك فى الفروع والتفاصيل ، وهذا بُعد جديد فى توسيع الدائرة الإيمانية ينفرد به الإسلام ويمتاز ، ولقد شكل هذا البعد قفزة نوعية فتحت الأبواب والنوافذ لأفق أوسع وأرحب فى عالم العلاقات الإنسانية ، ومن خلال فكرة أن الحضارات تراكمية ، فكل حضارة تأخذ من غيرها ، تؤثر فيها وتتأثر بها ، تأخذ من سابقتها وتعطى لاحقتها . كما أنه على مستوى القيم الفاعلة والمؤثرة فى دفع حركة المجتمع إلى الأمام والضابطة لسلوكيات الأفراد فيه ، وهى قيم ثابتة لم يطرأ عليها تغيير أو تبديل ، يعتبر شرع من سبقنا شرع لنا ما لم

يرد ناسخ، يقول ربنا تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ (١٤) ﴿ الشورى،، وهنا تلتقى وتتعاقد في انسجام تام ثوابت القيم في كل النبوات والرسالات السابقة مع منظومة ثوابت القيم في منهج الإسلام، فهو مصدق لما بين يديه من الكتب التي لم يطرأ عليها تبديل أو تحريف، ومهيمن عليها أيضاً، أى حارساً أميناً عليها.

ويؤكد المؤلف أن المكون المعرفى فى حضارتنا الإسلامية لا يعترف فى تقويم البشر بالطبقيات المقنونة، ويرفض أن يتميز الإنسان مجرد أنه من جنس معين، أو أنه يملك المال فقط، فموازنته لا تعتمد لون البشرة أو العصبيات أو الجنس، كما لا تعتمد العرض الفانى فى تقويم الرجال، وإنما تعتمد صلاح النفس ونظافة الضمائر، والإحسان إلى الناس كمييار فى التقويم، وكأساس فى التمايز، وذلك هو المفهوم من مصطلح (التقوى) فى النص الكريم: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (١٣) ﴿ الحجرات،.

ويحذر الدكتور إبراهيم أبو محمد من أنه فى مقابل هذا التسامح الرحب فى الإسلام تبرز فلسفة العداة والكراهية تجاه الإسلام وأهله وإنكار الآخر الإسلامى، بثقافته وحضارته.. ومحاولات نفيه من الوجود لم تتغير كثيراً بين العصر القديم والعصر الحديث، كل ما هنالك أن الآليات قد تطورت، مؤكداً أنه لم يكن بدعاً ما قرره الإسلام حين جعل الحب شرطاً فى كمال الإيمان وصحته، فقال عليه الصلاة والسلام: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُوْمِنُوا، وَلَا تُوْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَمْرٍ إِذَا أَنْتُمْ فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؛ أَفَشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»، كما قرر أن وسيلة المحبة إنما هى إفشاء السلام، وهذه العبارة تتسع لتشمل أمن الناس فى دمايتهم وأموالهم وأعراضهم، بل تتضمن أيضاً سلامة البيعة بكل مفرداتها من كل من تلوث مادى أو معنوى يخرج الأشياء عن طبيعتها ويتسبب فى شيوع الفساد، كما تضمنت شريعة

الإسلام السمحاء كمأ هائلاً ورائعاً من التشريعات ، هدفها وأساسها وغايتها رعاية الحق وإقامة العدل فى تحديد العلاقة بين أتباع الديانات الأخرى ممن يعيشون فى مجتمع المسلمين ، فالأحقاد الطائفية والحروب الدينية غريبة على البيئة المسلمة ، وقد تعلم المسلمون من أصل دينهم وتوجيهات نبيهم أن يعاملوا غيرهم ببسر وحسن معاشرة ، ورعاية للجوار الذى وجهت إليه سماحة الإسلام فيما شرعته من قوانين وفيما وضعته من تقاليد ، ذلك أن الإسلام فى ميدان الحياة العامة حريص على احترام شخصية المخالف له ، ومن ثم لم يفرض عليه حكمه ، أو يقهره على الخضوع لشرائعه ، ولم يقم بمصادرة حقوقهم أو تحويلهم بالإكراه عن عقائدهم أو المساس بأموالهم وأعراضهم ودمائهم ، ؛ بل ترك أهل الأديان وما يدينون ، فليس من أهداف الإسلام إذاً أن يفرض نفسه على الناس فرضاً حتى يكون هو الديانة العالمية الوحيدة ، فنبى الإسلام هو أول من يعرف أن كل محاولة لفرض ديانة عالمية وحيدة هى محاولة فاشلة ، بل هى مقاومة لسنة الوجود ، ومعاودة لإرادة رب الوجود ، كما أن الإسلام يجعل الاعتقاد الصحيح ثمرة الإرادة الحرة ، وبالتالي فمن لا حرية له فلا تكليف عليه ، وكما أن المكروه على فعل عمل ما لا يتحمل نتائجه ؛ لأن إرادته استعبدتها قوة قاهرة ، فذلك المكروهون بالعنف على الدخول فى دين ما ، فهم لا يعتبرون متدينين به موضوعياً ، وإن خضعوا له شكلاً ، كما أن الإسلام لا يكتفى منا بهذا الموقف السلمى السلبي وهو عدم إكراه الناس على الدخول فيه ، بل يكرم الإنسان فى شخص غير المسلم ، حتى ولو كان من الوثنيين الذين يدينون بديانة هى أبعد الديانات عن الإسلام ، فضلا عن الديانات الأخرى التى تربطنا بها أوامر الوحي السماوى ، يقول تعالى فى سورة التوبة : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾ (٦) «التوبة» ، فأنت تراه لا يكتفى منا بأن نجيرهم ونؤويهم ونكفل لهم الأمن فى جوارنا فحسب ، ولا يكتفى منا بأن نرشدهم إلى الحق ونهديهم طريق الخير وكفى ؛ بل يأمرنا بأن نكفل لهم الحماية

والرعاية في انتقالهم حتى يصلوا إلى المكان الذي يأمنون فيه كل غائلة، ثم هل ترى عدل وأرحم وأحرص على وحدة الأمة وتماسكها من هذه التعاليم التي لا تكتفى بأن تكفل لغير المسلمين في بلاد الإسلام حرية عقائدهم، أو عوائدهم، وحماية أشخاصهم وأموالهم وأعراضهم فقط، بل تمنحهم من الحرية والحماية، ومن العدل والرحمة قدر ما تمنحه للمسلمين من الحقوق العامة فيكون (لهم ما لنا وعليهم ما علينا) وفق القاعدة المعروفة .

ويمضى بنا المؤلف للحديث عن عقد الذمة بين الحقيقة والتشويه المتعمد، مؤكداً أن الإسلام قد رفع من قداسة هذا العقد ليجعله عقداً ليس في ذمة الوالي أو الحاكم فحسب، وإنما جعله في ذمة الله تعالى، وذمة رسوله ﷺ؛ ليحظى بأعلى مستوى من التقدير والتوقير والوفاء، لذلك تضافرت النصوص، قرأنا سنة في توكيد هذا العقد، ثم كانت ممارسات المسلمين في شتى عصورهم، تطبيقاً حياً وعملياً يجسد حالة الالتزام في أرقى درجاتها رعاية وعناية، وأعلى تجلياتها كراماً وتسامحاً. فالله تعالى يأمر في دينه بالعدل والإحسان، ولا يجرد المسلم من العواطف سلباً وإيجاباً (عواطف الحب أو الكره) حين يمارس هذا العدل، ولكنه يفرض عليه بذل أقصى الجهد في تحرى العدالة المطلقة، فلا يجوز له أن يميل مع الهوى أو يحيف مع الشنان، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ... ﴾ (١٣٥) ﴿ النساء، يروي أبو داود والبيهقي في السنن قول الرسول ﷺ: «من ظلم معاهداً أو انتقصه حقاً أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس منه، فأنا حجيجه يوم القيامة»، وقال عليه الصلاة والسلام: «من آذى ذمياً فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله». وتوالت النصوص على حماية حرية أهل الذمة الدينية وحرمة معابدهم، وشعائرتهم وقد فصلت ذلك وثيقة عمر بن الخطاب التي أعطاها لأهل إيلياء (القدس) حيث جاء فيها: (هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من

الأمان : أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ، وكنائسهم وصلبانهم ، وسائر ملتها ، لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ، ولا ينتقص منها ، ولا من حيزها ، ولا من صليبتها ، ولا من شىء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم ، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود) . وبناءً عليه فيجب على الإمام أو ولى الأمر بما له من سلطة شرعية ، وما لديه من قوة عسكرية ، أن يوفر لهم سبل هذه الحماية باعتبارها جزءاً من واجباته الدينية بموجب عقد الإمامة بينه وبين الأمة ، وذكر الإمام القرافى - وهو من أئمة المالكية - فى كتابه الفروق ، نقلاً عن الإمام ابن حزم الظاهرى فى كتابه مراتب الإجماع ما نصه : " أن من كان فى الذمة ، وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكرع والسلاح ، ونموت دون ذلك صوناً لمن هو فى ذمة الله تعالى وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فإن تسليمه دون ذلك إهمال لعقد الذمة " وقد علق الإمام القرافى على هذا الكلام بقوله : " فعقد يؤدي إلى إتلاف النفوس والأموال صوناً لمقتضاه عن الضياع لعظيم " . فهل عرفت الدنيا أو وعت ذاكرة التاريخ مثل هذا الأفق الرحيب فى التسامح ورعاية الأقليات غير المسلمة فى مجتمع المسلمين ؟! موضحاً أن هذا هو مصدر المكون المعرفى لدينا وموقفه من الآخر .

ثم يتساءل الكاتب : فماذا عندهم ؟ وما الذى يحمله المكون المعرفى لديهم تجاه الآخر ؟ موضحاً أن الغرب ينطلقون من نظريات حديثة قال بها فلاسفتهم ومفكروهم من أمثال فوكوياما ونظريته عن نهاية التاريخ ، وكذلك صموئيل هنتنجتون ونظريته عن صراع الحضارات وينطلقون أيضاً من عقيدة ، كما يؤكد الكاتب والمفكر الإنجليزى جوليان هاكسلى بقوله " إن الغرب ينطلق فى ثقافته من عقيدة تختلط فيها الحقيقة بالأسطورة ، ولا زال الوجدان الأوروبى محكوم بالأسطورة الرومانية القديمة أسطورة بريميسيوس سارق النار المقدسة " ، وهى أسطورة تتحدث عن الصراع بين الإله والإنسان والشيطان ...

وفي نهاية الكتاب يخلص الكاتب الدكتور أبو محمد إلى مجموعة من النتائج ، أهمها : أن الإسلام هو الذى استبقى الحضارة الإسلامية وسط العواصف شامخة وإن انصرف الناس عن أهلها وتنكرت لهم سبل الحياة . وأن البعد المعرفى ينشئ لدى المسلم التزاماً أخلاقياً تجاه الكون وتجاه البيئة والوجود كله . وأن الحضارات بقدر ما تحمل من قيم العدل والكرامة والمساواة والحرية ، بقدر ما تكون مناعتها ومقاومتها لعوامل الفناء . وأن أخطر ما يصيب الحضارة بشيخوخة مبكرة تهددها بالتفتت والزوال ، هو سيطرة المطامع وسعار الشهوات حين ينطلق بغير حدود أو قيود ، ومن ثم تبدأ عمليات الانحسار والانكسار فى الخط البيانى نحو الهبوط والتدننى ، وهذه هى مرحلة الأفول ومن ثم تعقبها مرحلة السقوط ، منها أن شرط الإقلاع الحضارى والخروج من التخلف أن يتعرف المسلم على سنن الله فى الكون ، وأن يتعرف على سنن الله فى الخلق ، كما يتعرف على الأمر التكليفى . وأن القوانين التى تحكم مسيرة الأحياء والجمادات والأمم والحضارات ، لا تنفصل ولا تناقض القوانين التى تحكم الفطرة الإنسانية ، وأنه لا بد من العمل على محور المصلحة المشتركة فى حماية الكوكب الأرضى مما يتهده من تغييرات مناخية نتيجة اختراق طبقة الأوزون ، وهو محور يمكن أن تلتقى على أرضيته كل شعوب الكرة الأرضية ، كما أنه لا بد من العمل على المحور الإنسانى الذى يؤكد على أن البشر جميعاً يشتركون معاً فى أصل الشجرة الإنسانية ، وأن الأديان السماوية الثلاثة تتمتع بوحدة المصدر ، وأن الإلهام فيها يكاد يكون واحداً ، وأن الغاية منها مطلق الخضوع والانقياد لله تعالى ، وأن المكون المعرفى فى الحضارة الإسلامية حريص على تكريم الإنسان فى شخص غير المسلم ، واحترام شخصية المخالف له ، ورعايته حتى ولو كان مشركاً وليس من أهل الكتاب ، مؤكداً أن المكون المعرفى فى الحضارة الإسلامية هو سر بقائها وهو سر مقاومتها لكل عوامل الفناء والذوبان ، حيث يشكل فى الإسلام اللب والقلب ، ذلك أنه يوجه الحضارة صوب الوفاق والتعايش بل والتناغم مع الحضارات الأخرى باعتبارها نتاجاً إنسانياً لا يجوز أن تحرم منه المجتمعات ..

كما يؤكد المؤلف أن الحضارة الإسلامية بمكوناتها العقدية والثقافية لا تتناقض ولا تتصادم مع الثقافات الأخرى، بل إن التاريخ يثبت أنها احتوت وتضمنت واحتضنت الثقافتين اليهودية والمسيحية، وقد نبغ فى ظل الحضارة الإسلامية عباقرة من شتى البلاد والأجناس، قدمتهم الحضارة الإسلامية للعالم، وعرفت بهم وترجمت أعمالهم، حتى بعد أن مات بعضهم، وكاد تراثه الفلسفى والعلمى أن يضيع فى ذاكرة النسيان، فلما جاءت الثقافة الإسلامية بما تحمله من تسامح وتقدير للمواهب قدمت هؤلاء للعالم برغم اختلاف الجنس واللغة والدين.

ويذكر المؤلف أن أول خطوة نحو صياغة فلسفة حياة أكثر تفاهما وتسامحا يجب أن تكون فى إعادة اكتشاف كل منا للآخر، كما أن عملية تبادل المعلومات والخبرات حول الذات والآخر تعنى لا محالة تبديلا مستمرا فى أفكار الاثنين معا، وعندما يكتشف كل منا أخاه سنكتشف جميعا كم هى واسعة وشاسعة ورائعة حجم الشراكة الحياتية بين الإنسان والإنسان، وكم يمكن أن تكون تلك الشراكة متناسقة ومتوافقة ومنسجمة، وبعيدة أيضا عن الميل المندفِع نحو الإخضاع والسيطرة، برغم تنوع واختلاف الثقافات والديانات والأجناس.

ويحذر من خطورة الإعلام غير المنضبط بضوابط القيم والموضوعية، الذى ساهم ولا زال يساهم بنصيب ضخم فى حدوث سوء الفهم، وسوء الظن، مطالباً بضرورة الانفتاح على الآخر، والاقتراب منه، ومعرفة مكوناته ومقوماته ودوافعه وبواعثه، وألا تترك تلك القضايا الكبرى لمؤسسات إعلامية معروفة بتحييزها وكراهيتها للمسلمين تشعل فتنة الصراع بالتحريض وإثارة الكراهية ضد الآخر، كما يحدث مع المسلمين منذ الصباح الباكر وحتى ساعة متأخرة من الليل فى كل يوم، وتلك حقيقة يعانى منها كل مسلم يعيش فى مجتمعات الغرب أيضا، ومن الغريب أن يحدث هذا تحت سمع وبصر كل أجهزة الرقابة، الأمر الذى يوحى بأن هناك اتفاقا ضمنيا على هذا الهجوم،

أو على الأقل فإنه يحظى برضى بعض الشرائح السياسية المتعصبة لأنه يتوافق مع هواهم السياسى ، وإن كان يناقض الصالح العام والمبادئ التى يدعو إليها كل العقلاء ، وهى المبادئ التى يقوم عليها ويتميز بها كل مجتمع متحضر يحترم التعددية الثقافية ويعمل من أجل التناغم الاجتماعى والانسجام الحضارى بين الشعوب . ، مع الأخذ فى الاعتبار أن الحرص على إثارة الصراع بين الحضارات يمثل علامة من علامات الانتكاس الحضارى ، الذى يهدف إلى نفي الآخر ، وقولته تحت القهر والضغط والإكراه ، وإنه لمن العار والخداع أن يظهر هذا النوع من العنصرية واغتيال الخصوصيات فى وقت تمتلئ فيه الدنيا بضجيج وهتاف حول الديمقراطية وحقوق الإنسان .

ويختتم المؤلف كتابه بالتأكيد على أن الإرهاب ليس له دين أو وطن أو جنس ، فهو يهدد كل هذه القيم النبيلة ، وأنه ليس جديداً ، وإنما هو قديم قدم الإنسان ذاته ، فمنذ اعتدى قبايل على أخيه هابيل بدأت بذور الشر فى أرض الحياة ، ومن ثم فليس من المقبول ولا من المعقول أن يجتهد الخطاب السياسى لبعض الدول ، ومعه أيضاً الخطاب الإعلامى فى بعض البلاد ، ليحدث ارتباطاً شرطياً فى نفس المتلقى بين المسلم والإرهاب ، ويصبح لزاماً على كل مسلم فى الصباح والمساء أن يستغفر من ذنب لم يرتكبه ، وأن يعتذر عن فعل لم يفعله ، وأن يشجب ويستنكر الإرهاب ، كى يثبت أنه مسلم معتدل وليس لديه قابلية الإرهاب فى يوم ما .

وهكذا استطاع المؤلف بفكره المتقد وذكائه الكبير أن يشخص لنا العلاقة بين الحضارات وما يجب أن يسود بينها من تعارف وتفاهم وتعاون لخدمة الإنسانية كلها ، ومن ثم يعد هذا الكتاب إضافة متميزة للمكتبة العربية والإسلامية بشكل عام ، وهو زاد نافع لكل المهتمين والباحثين فى هذه القضايا . .



obeikandi.com

البيان الختامي للمؤتمر الدولي

حول دور الدولة العثمانية وتركيا الحديثة

في الحضارة والثقافة الإسلامية

انطلاقاً من الدور الرائد في الحضارة الإسلامية التي قادت الإنسانية إلى مرآشدها، وأنقذت العالم من ظلمات الضلال والجهل والفتنة إلى نور الإسلام وعدله ورحمته.

وعطفاً على قيام الخلافة العثمانية بالدور الرائد في قيادة العالم لمدة تزيد على ستة قرون قبل أن تتكاثر عليها الأمم، وتتمكن في النهاية من إسقاطها.. وتذكيراً بالدور الراشد الذي صححت به المسار وأخذت بأساليب ووسائل التقدم العلمي، مع عدم إهمال عوامل تفوقها في الماضي، والذي استند أساساً إلى مبادئ الإسلام وقيمه الأساسية. اتفقت رابطة الجامعات الإسلامية مع جامعة مرمره - ممثلة في كلية الإلهيات، ومع مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية "أرسىكا" في عقد مؤتمر دولي بعنوان: (دور الدولة العثمانية وتركيا الحديثة في الحضارة والثقافة الإسلامية) حيث عقد المؤتمر - برئاسة الدكتور جعفر عبد السلام - الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية، والدكتور رشدي كوجك عميد كلية الإلهيات جامعة مرمره، في الفترة من ٥ - ٧ جمادى الأولى ١٤٣٢ هـ - ٨ - ١٠ أبريل ٢٠١١ م، في رحاب جامعة مرمره بمدينة اسطنبول بالجمهورية التركية.

وناقش خلال عشر جلسات أكثر من أربعين بحثاً، قدمها أساتذة وباحثون من الجامعات الإسلامية في العديد من دول العالم، دارت حول القضايا التالية:

- التراث الذي ورثته الدولة العثمانية.

- الجغرافية العثمانية وتجربة التعايش مع الآخر في البلدان الإسلامية.

- تجربة الدولة العثمانية فى حماية البلاد الإسلامية والدفاع عنها .
- الدعائم الاقتصادية للدولة العثمانية .
- تجربة الدولة العثمانية فى التربية والتعليم .
- تجربة الدولة العثمانية فى الإعمار والفنون الجميلة .
- جمهورية تركيا وعلاقتها العلمية والثقافية والاقتصادية والسياسية مع الدول الإسلامية .
- عوامل النهضة فى الحضارة والثقافة الإسلامية .

وبعد مناقشات مكثفة، استمرت لمدة ثلاثة أيام، أصدر المؤتمر التوصيات التالية:

أولاً: يوصى المؤتمر الدول والشعوب الإسلامية بضرورة التواصل مع ماضيها التليد، والبناء عليه ليكون الماضى والحاضر والمستقبل سلسلة متصلة الحلقات، تستفيد كل حلقة من الأخرى، حتى يكون البناء شاهقا ومتينا .

ثانياً: يوصى المؤتمر الشعوب الإسلامية بضرورة البحث عن عوامل التضامن والتعاون والتوحد فيما بينها، والبدء بالمجالات الأسهل والأسهل حتى نصل إلى مرحلة الوحدة الكاملة بإذن الله تعالى .

ويشيد المؤتمر بالخطوات التى اتخذتها الحكومة التركية لإلغاء الخواجز المصطنعة بين الدول الإسلامية، خاصة تأشيرات الدخول، وضرورة العمل على انطلاق الأشخاص والبضائع بين الدول الإسلامية بغير قيود .

ثالثاً: يقدر المؤتمر الدور الثقافى والعلمى والاقتصادى والسياسى للدول العثمانية وتركيا الحديثة، الذى وضعها على طريق التقدم العالمى، ويبارك خطواتها الرائدة فى التواصل مع العالم الإسلامى، والإسهام فى حل المشكلات العربية والإسلامية، وعلى رأسها مشكلة القدس وفلسطين، والمشكلة العراقية، ويثمن

جهودها ومواقفها في التدخل لمناصرة المستضعفين في كل مكان، اهتماماً بمبادئ الإسلام وقيمه الأساسية .

وأبغاً ، يشيد المؤتمر بالدور التاريخي الذي قامت به دولة الخلافة العثمانية في التعامل العادل مع غير المسلمين ، ومنحهم كافة الحقوق ، كما يوصى بإظهار الوثائق والعهود التي عقدتها وأصدرتها هذه الدولة للاستفادة بها في حياتنا المعاصرة .

خامساً : يوصى المؤتمر كافة الدول الإسلامية بإبراز الفنون والآداب ، وسائر الفنون التي أبدعتها قريحة الفنان المسلم في مختلف العصور والأماكن والأزمان ، مع بعث هذه الفنون والاستفادة منها في حياتنا المعاصرة ، والمزج بينها وبين ما يلائم حضارتنا الإسلامية من وسائل الفنون الحديثة .

سادساً : يوصى المؤتمر الدول الإسلامية بتعميم التجارب العلمية الرائدة في التربية والتعليم مع الاستفادة بالتجارب الإسلامية ، والتمكين لها في حياتنا المعاصرة .

سابعاً : يوصى المؤتمر اتباع الأسلوب الناجح للأترك في إقامة درجات علمية مشتركة في البكالوريوس والماجستير والدكتوراه في التخصصات العلمية المشتركة مع الجامعات الأوروبية والأمريكية وإدخال مصر كشريك ثالث في هذه المنظومة مما يعطى زخماً لكل الأطراف حتى الأوروبيين .

ثامناً : يوصى المؤتمر بتفعيل فكرة المشترك الثقافي التي تتبناها الرابطة ، بين الجامعات الإسلامية وجامعات العالم أجمع ، لتدعيم فكرة تلاقى الحضارات .

تاسعاً : يدعو المؤتمر إلى ضرورة الأخذ بالوسائل الحديثة في التربية والتعليم ،

وعلى رأسها :

- نقد الذات .

- فعل المراجعة .

- ربط التعليم بالحاجات الأساسية والمستقبلية للمجتمع

والله ولي التوفيق ...

obeikandi.com

البيان الختامي لمؤتمر الدعوة الإسلامية

الحاضر والمستقبل

بمكة المكرمة

اختتمت فعاليات مؤتمر مكة المكرمة الثاني عشر، الذي عقدته رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة بعنوان "الدعوة الإسلامية: الحاضر والمستقبل"، وذلك في الفترة من ٤ - ٦ / ١٢ / ١٤٣٢ هـ الموافق ١٠ / ٣١ - ٢ / ١١ / ٢٠١١ م.

وقد شارك فيه نخبة متميزة من العلماء والدعاة والباحثين المهتمين بشؤون الدعوة الإسلامية. وقد توصل المؤتمر إلى ما يلي:

أولاً - أصول الدعوة الإسلامية وواقعها:

بحث المؤتمر واقع الدعوة الإسلامية، وما يصادف مسيرتها من عقبات، وما حققته من نجاحات، وأكد على جملة من المبادئ المهمة:

(أ) أن الدعوة إلى الله فرض على المسلمين، كل بقدره، قال ﷺ: «بلغوا عني ولو آية»، والعلماء الداعون إلى الإسلام هم ورثة الأنبياء وحملة الخير إلى الإنسانية جمعاء.

(ب) الدعوة إلى الإسلام هي الدعوة إلى الخير، وهي علامة خيرية الأمة المسلمة واستمساكها بدينها: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (١١٠) ﴿ آل عمران، وقد أمر الله بالدعوة إلى دينه، ووعد بعاقبة الفلاح: ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١٠٤) ﴿ آل عمران،.

(ج) الدعوة إلى الإسلام دعوة إلى الإصلاح الشامل، وذلك بربط الناس بخالقهم، وإرشادهم إلى دينه بالحكمة والموعظة الحسنة، وتلبية حاجات الإنسان الروحية

والمادية ، وذلك بترسيخ القيم الروحية وتخليص المجتمعات الإنسانية من عبء المادية والتردى فى منزلقاتها ، والدعوة إلى الإسلام دعوة عالمية تتجاوز حدود الزمان والمكان ، وتحمل فى أكنافها الرحمة والخير للجميع : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧) ﴾ [الأنبياء] .

(د) من واجبات الدعوة العلم بأحكامها وفقهها ، والإدراك العميق لحقيقة الإسلام ومقاصده وغاياته ووسائله ، مع المعرفة الواعية بأحوال المجتمع وثقافته وقيمه : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨) ﴾ [يوسف] .

وأكد المشاركون فى المؤتمر على أهمية حرص العلماء والعاملين فى مجالات الدعوة على ما يلي :

١ - التأسى بمنهاج النبى ﷺ فى الدعوة إلى دين الله تعالى بوسطيته وعدله ، والبعد عن الإفراط والتفريط ، قال الله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا (١٤٣) ﴾ [البقرة] .

٢ - تصحيح الصورة المغلوطة المشاعة عن الإسلام ، وبيان حقائقه السامية ومنهجه الوسطى القويم فى التعامل مع المسلمين وغيرهم ، ومكافحة التيارات التى تزرع الفتن بين المسلمين .

٣ - تأصيل فقه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والتعريف بأدابه وضوابطه ، والتحذير من منزلقاته ومحظوراته ، والأخذ بفقه السياسة الشرعية فى الموازنة بين المصالح والمفاسد وانتهاج الحكمة فى تحقيق أهداف الدعوة .

٤ - التنسيق فى برامج الدعوة وخططهم للإصلاح وفق المنظور الشرعى الصحيح ، والعمل على تعميق ثقافة الحوار والأسلوب المناسب عند الاختلاف فى الرأى .

ودعا المؤتمر رابطة العالم الإسلامي لإعداد وثيقة تتضمن هذا السادى، لتكون عوناً للمؤسسات والمراكز الإسلامية، وطلب من الرابطة التنسيق فى ذلك مع الجهات الإسلامية المعنية؛ الرسمية والشعبية.

ثانياً - تطوير العمل الدعوى ووسائله :

وصولاً بالدعوة الإسلامية إلى آفاق أرحب، وتخفيفاً من آثار الهجمة المستعرة عليها، وتجاوزاً للمنعطقات الصعبة التى تعرقل مسيرتها؛ فإن المؤتمر يدعو إلى تعزيز العمل الدعوى ورفده بالطاقات المبدعة، وتطوير وسائله، وذلك وفقاً لما يلي:

- ١ - التنسيق بين مؤسسات الدعوة فى وضع الخطط والبرامج المتكاملة.
- ٢ - تأهيل الدعاة وتزويدهم بالثقافة والمعرفة المناسبة لتطوير وسائل الدعوة والتعامل مع التقنية الحديثة ووسائل الإعلام الجديد، وإنشاء مراكز رصد بحثية للتعرف على الهجمة على الإسلام، ووضع الخطط الناجعة للتعامل معها.
- ٣ - تثقيف الدعاة وتبصيرهم بأداب الدعوة وأهمية مراعاة ظروف المدعىين، ومخاطبتهم بما يناسب أحوالهم، والتعاون مع الجهات ذات العلاقة فى سد حاجة بعض المجتمعات إلى الدعاة.
- ٤ - تشجيع الدعاة على تعلم لغات المدعىين، ومخاطبتهم بلسانهم، وإنشاء مراكز ترجمة لإطلاع مختلف شعوب العالم على كنوز التراث والثقافة الإسلامية.
- ٥ - الاستفادة من شبكة الإنترنت فى المؤتمرات والندوات واذتساعات، وتنشيط برامج التعليم الافتراضى عن بُعد، لما فى ذلك من حشد الخبرات التى يصعب اجتماعها عبر البرامج التقليدية، ولما فى ذلك من توفير تكاليف السفر والذات الدعوية؛ والحث على استخدام وسائل التواصل الحديثة فى التفكير والتسيير والمتابعة والإرشاد للدعاة فى أنحاء العالم.

- ٦ - إقامة المسابقات والمهرجانات والمعارض التي تعرف بالإسلام ومصادره ، وتذبُّ عنه ، وتخدم أغراض الدعوة الإسلامية ، وتمنح جوائز للأعمال الدعوية المتميزة .
- ٧ - دعوة وزارات التعليم فى الدول الإسلامية إلى تطوير مناهج التعليم بما يتواءم مع الإسلام وحضارته ، ومطالبتها بإلغاء ما يتعارض معه .
- ٨ - دعوة الهيئة العالمية للإعجاز العلمى فى القرآن والسنة إلى الاهتمام بموضوع الإعجاز التشريعى فى الإسلام ، وما فيه من الحلول الإسلامية للمشكلات العالمية الراهنة .
- ٩ - دعوة رابطة العالم الإسلامى إلى عقد مؤتمر عالمى للدعوة الإسلامية ، لوضع ميثاق للعمل الدعوى ، وتحديد يوم عالمى للدعوة الإسلامية لحشد طاقات الأمة المسلمة وتذكيرها بواجب الدعوة ، ووضع الخطط الاستراتيجية التى توائم بين مشروعات العمل الدعوى ، وتستخلص الدروس من تجارب هذا العمل ، وتعالج سلبياته ، وتستثمر نجاحاته ، وترشد مسيرته .
- ١٠ - تشجيع المرأة المسلمة على الإسهام فى الدعوة إلى الله عبر وسائل الاتصال الرقمية الحديثة ، ومن خلال المؤسسات النسوية ، ودعوة الهيئة العالمية للمرأة والأسرة المسلمة فى الرابطة بذلك .
- ١١ - العناية بشباب الأمة ، وحثهم على المشاركة فى مشروعات العمل التطوعى ، والإفادة من جهودهم وطاقاتهم ، ودعوة الندوة العالمية للشباب الإسلامى وغيرها من المنظمات الشبابية إلى دراسة التحديات التى تواجه الشباب المسلم فى زمن المتغيرات السياسية والثقافية والاجتماعية وتقديم الحلول لها .
- ١٢ - تكثيف اللقاءات الحوارية مع أتباع الأديان والحضارات ، وتنفيذ مشروعات تعريفية بالإسلام ، تستهدف تصحيح الرأى العالمى ، وذلك بمشاركة القيادات الإعلامية والثقافية والدينية والأكاديمية المؤثرة .

١٣ - دعم الأقليات المسلمة في جهودها في التعريف بالإسلام في مجتمعاتها، والعمل على صيانة حقوقها المشروعة بالمحافظة على خصوصيتها الدينية والثقافية من التلاشي والذوبان.

ودعا المؤتمر الرابطة إلى تنظيم مؤتمر حول: الشباب والمتغيرات في العالم الإسلامي، وذلك بالتعاون مع الندوة العالمية للشباب الإسلامي وغيرها من المنظمات المعنية بالشباب.

ثالثاً - الخطاب الديني:

يؤكد المؤتمر على أهمية فقه الدعوة وآدابها ومسيرتها عبر التاريخ، ويدعو الجامعات والمعاهد الإسلامية إلى الاهتمام بذلك، وعرض التجارب الناجحة التي تمثل نموذجاً إسلامياً يستفيد منه الدعاة والعاملون للإسلام، وحث المؤسسات الدعوية على ما يلي:

١ - الاهتمام بالخطاب الإعلامي وتطويره بما يتلاءم مع ثقافة الأمة ويواجه متطلبات العصر، وضبط أسسه وقواعده، وتأصيله على نهج قوي، وعدم الانجرار إلى الخطاب الانفعالي المتسرع.

٢ - العناية بإيجاد رأى عالمي صحيح حول الإسلام والمسلمين، تستثمره المؤسسات الإسلامية في علاج قضايا المسلمين وحل مشكلاتهم، وفي التصدي لظاهرة الإسلام فوريا التي تسعى إلى تشويه الإسلام.

٣ - معرفة الدعاة بواقع مجتمعاتهم ومشكلاتها، والعمل على إيجاد الحلول الشرعية المناسبة، وترتيب أولويات العمل الدعوى بما يخدم قضايا الأمة، وينأى بها عن التفرق والانشغال في المسائل الثانوية.

٤ - الحذر من الخطط الهادفة إلى إحداث شرخ في العلاقات البينية في المجتمع المسلم،

وضرورة تحصيل الشباب من التيارات والأفكار التي تتناقض مع قيم الإسلام وتوجيهاته.

٥ - مواجهة النزعات الطائفية في المجتمعات الإسلامية ؛ والتصدي لعوامل الفرقة والنزاع، وترسيخ ثقافة الوحدة الإسلامية: ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (٩٧) ﴾ [الأنبياء].

ودعا المؤتمر الدول الإسلامية إلى تشجيع مؤسسات العمل الدعوى والإغاثي، وعونها في الوفاء بحاجات مجتمعاتها، وطالب منظمات المجتمع الدولي بمراجعة إنسانية شاملة لمواقفها من قضايا المسلمين ومؤسساتهم الدعوية والإغاثية.

ودعا المؤتمر الدول الإسلامية إلى اتخاذ الوسائل الجادة لتحكيم الشريعة الإسلامية، واستبدالها بالنظم الوضعية، فالشعوب الإسلامية تتطلع إلى العيش في كنف الإسلام وشريعته العادلة التي تضمن حقوقها، وتقدم الحلول الناجعة لمشكلاتها، قال الله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥) ﴾ [النساء].

رابعاً - المؤسسات الدعوية الإسلامية :

بحث المؤتمر أحوال المؤسسات الدعوية الإسلامية حول العالم، واستشعر التحديات التي تواجهها والعاملين فيها، ودعا المسلمين إلى دعم نشاط الدعوة الإسلامية بتنمية مواردها بما يكفل استمرارها في عملها بكفاءة ومسؤولية، ودعا المؤسسات الإسلامية إلى ما يلي:

١ - تأسيس مراكز بحثية متخصصة لتنسيق جهود العلماء في التخصصات المختلفة، وتحويل هذه البحوث النظرية إلى مشروعات عملية، تكفي الأمة حاجاتها، وتحقق لها الاكتفاء الذاتي.

- ٢ - وضع استراتيجية مشتركة حول ثوابت العمل الدعوى، وتنسيق الجهود والبرامج حول أولوياته؛ بما يؤدي إلى لمّ الشمل وتجسير العلاقات وتحقيق المصالح العليا للدعوة الإسلامية، والبعد عن كل ما يثير العداوة والبغضاء ويؤجج الفتن بين المسلمين ويضعف شوكتهم ويبدد طاقات الأمة.
- ٣ - التواصل مع مؤسسات المجتمع المدني الاجتماعية والثقافية، والحوار مع مسؤوليها في تحقيق الصالح العام.
- ٤ - تطوير أنظمة المؤسسات الإسلامية بتطبيق المعايير الإدارية والعلمية المناسبة في التنظيم والتسيير، والإفادة من وسائل الاتصال الحديثة في إدارة نشاطاتها وفق أسس علمية دقيقة.
- ٥ - التنسيق بين القنوات الفضائية الإسلامية، لتحقيق رسالتها في الدعوة إلى الإسلام؛ وضبط مناشطها بالضوابط الشرعية، ووضع استراتيجية للإفادة منها جميعاً، وتبادل الخبرات بينها، وتكوين وحدات إنتاج إعلامي إسلامي، وتوظيف ما يصدر عنها في حقل الدعوة الإسلامية، وتكليف الهيئة العالمية للإعلام الإسلامي بمتابعة ذلك.
- ٦ - التنسيق وتبادل التجارب والخبرات في مجال العمل الإسلامي بين المؤسسات والمراكز الإسلامية والمنظمات الدولية الإسلامية، ومطالبة هيئة التنسيق العليا للمنظمات الإسلامية التابعة للرابطة بتقوية برامجها وتحقيق أهدافها في العمل الإسلامي المشترك.
- ٧ - تأسيس قناة فضائية تابعة لرابطة العالم الإسلامي؛ تعرض الإسلام للعالم بلغاته الحية؛ ليقف العالم على سماحة ديننا ورحمته وإشاعة روح المودة، وتتصدى للشبهات والافتراءات المشارة عن الإسلام في وسائل الإعلام والدراسات الاستشرافية.

٨ - تطوير مؤسسات العمل الخيري الإسلامي، وتدريب كوادرها ودعمها، وتنظيم العلاقة بين الدعوة والإغاثة، بما يتجاوز الحساسيات الثقافية والاجتماعية التي يواجهها العمل الإسلامي، ودعوتها للتواصل مع المنظمات الدولية المعنية بالإغاثة؛ والاستفادة من خبراتها وتجاربها.

ودعا المؤتمر المجلس الأعلى العالمي للمساجد إلى إنشاء هيئة عالمية للمساجد والأوقاف، تعمل على إشاعة التكافل بين المسلمين واستغلال الأوقاف الإسلامية في النفع العام، واستعادة الأوقاف المسلوقة والمصادرة؛ وفق الطرق القانونية والمشروعة.

القسم الثامن
الإفرنجي

obeikandi.com

The Islamic Universities League published in the 44th number of the magazine "Al Jami'a Al Islamiya", The Islamic University, the first theme of the International Conference: "The religion and the life, Islamic Christian discussion" which contracted in Amsterdam University in 22 - 24 November 2010 under the title: "The Islamic Education in the Western". The league will complete the second theme of Conference which titled with: "The Medical Ethics". This second theme discuss the cases of the Euthanasia, Abortion and the get rid of life for any reason from the viewpoint of the Islamic and Christian religion. This dialogue depend on studying the theme by the distinguished scientists and physicians from both inside and outside Egypt Muslim and Christian such as: The General Secretary of the Islamic Universities League, Professor; Ja'far Abdul Salam, The former Minister of Health Professor; Ibrahim Badran, professor of Sociology Nabil Al Samaloty, Professor Khadeja Raghieb, Professor Hussien Bashier, Professor Dehiya Methqan and the others.

Religious self-socialization

How are young people influenced by the peer-group and electronic media in their (non-) religious development?

By Manfred L. Pimer

Young people are influenced in their world-views and religious opinions by the life-world they experience outside religious education at schools or in religious communities. In the modern world, youth cultures and the media have become increasingly important for them and function as agencies of socialization. However, as research shows, young people tend to use youth cultures and the media culture in quite individual and self-determined ways, which has prompted sociologists to speak of 'self-socialization?'. The paper explores some main areas of religious self-socialization with a focus on western culture. It tries to show that religious self-socialization constitutes an important context for any efforts of religious education which should be taken into account by religious educators.

1. Socialization - self-socialization - religious socialization

Socialization is generally understood as the process by which young people find their identity as participating members of a society. Although there are many socialization theories the following core definition by German sociologist Klaus Hurrelmann certainly represents a broad consensus. He defines socialization as the process of generation and development of the human personality depending on and interacting with the social and material life conditions" in a certain society (Hurrelmann 1995, 114 [translation: MP.]). While in the 1970. the emphasis in socialization theory and research was on the influence society exerts on individuals, the emphasis has shifted to the *(inter-)active and constructive aspect of socialization* over the past thirty years. Researchers point out, in particular, that young people are not "passive recipients of external social forces" but rather active participants in the construction of their own social lives and identities? (Buckingham 1993, 14). Hurrelmann has coined the influential notion of the young person as "a subject who productively processes reality" (Hurrelmann 1983). Since the 1980. the concept of "self-socialization" has been used by some authors in order to indicate this general shift of perspective in socialization theory on the one

hand, and on the other hand to point to specific areas in which young people acquire cultural knowledge and social behaviour quite autonomously - without adult educators - such as in popular culture and in diverse youth cultures (Zinnecker 2000). The notion seems to be more prominent in the German than in the Anglo-American context.

Looking at religious socialization in Western Europe, the empirical evidence over the past decades has shown a significant decline of the importance of the family and the church communities as socializing agents. This development is generally seen to be linked with processes of secularization as well as increasing pluralism and individualism. However, it sometimes seems that in such analyses new fields of religious socialization such as popular media culture and youth cultures are neglected. I will argue in this paper that religious education discourse and research should devote more attention to the religious self-socialization processes in those two areas (see also Pimer 2009d).

2. How the media influence young people's religious views - an example

Let me present an illustrative example. In her famous international bestselling book, *The Best Christmas Pageant Ever*, Barbara Robinson tells the story of the Herdmans, the "absolutely worst kids in the history of the world", who nevertheless are supposed to take part in this year's Christmas pageant. However, as they have never heard the biblical Christmas story, it has to be read out to them and some other children by the mother of one of the latter.

"And, lo, the Angel of the Lord came upon them," Mother went on, "and the glory of the Lord shone round about them, and -"

"Batman!" Gladys (Herdman) yelled, flinging her arms out and smacking the kid next to her.

"What?" Mother said. Mother never read "Amazing Comics".

"Out of the black night with horrible vengeance came Batman-"

"I don't know what you're talking about, Gladys," Mother said. "This is the Angel of the Lord who comes to the shepherds in the fields, and -"

"Out of nowhere, right?" Gladys said. "In the black night, right?"

"Well ..." Mother looked unhappy. "In a way."

So Gladys sat back down, looking very satisfied, as if this was at least one part of the Christmas story that made sense to her.

This fictional episode illustrates nicely what is a frequent experience in 'real-life' religious education classes in Germany: A lot of children and youngsters today lack basic knowledge of religious traditions, and when they encounter religious figures and stories they make sense of them from the background of their experiences with media figures and stories which are so familiar to them. Sociological and educational studies point out that the socialization of young people in modern western societies today is to a considerable extent media socialization, and that their life-world is partly a media world. Consequently, the media influence their way of looking at the world and understanding it. Or, to put it differently, they actively use their media experiences to make sense of the world.

Looking at the Herdman episode more closely, it becomes clear, that Gladys' association of Batman with the Christmas angel is not entirely incidental. As is well known, Batman - just as his 'brothers' Superman, Spiderman or He-Man - is not just a secular comics or film figure but has himself quasi-religious dimensions: with the help of supernatural powers he continually rescues good from evil and eventually, almost sacrificing his own life, saves the world. In this light, it seems that Gladys' way of understanding the Christmas angel in analogy to Batman was not that misleading. Numerous hermeneutic and analytical studies from various scholarly disciplines over the past decades have shown that the Batman figure is only one of many examples of religious or quasi-religious elements and structures in popular media culture (for overviews see e.g. Pimer 2001; Cobb 2005; Forbes/Mahan 2005; Mazur/McCarthy 2010). A high number of media stories tend to be structured like religious redemption dramas with good superheroes like Batman fighting the evil. Media stories also tend to deal with the great human questions that are usually regarded as religious questions and are generally not discussed in our rational everyday communication: Where do we come from? Where do we go? What is the meaning of life? Is there a meaning in suffering? Is there something like destiny? Is there a reality beyond the one we can perceive?

What is right or wrong and how can we know? - Furthermore, media stories deal with basic human feelings such as fear, aggression, and love, often using symbolic language that is derived from religious traditions. Recent studies show that the presence of religion in popular culture refers not only to Christianity but extends to Islam and Eastern religions as well (see Weintraub 2010).

However, it would be too simple to say that the media directly influence their users into adopting the world views or moral attitudes presented in them. In order to gain a deeper understanding of the role of the media in young people's lives and religious development, it will be necessary to take at least a short look at some major results of empirical media studies.

3. How do the media influence young people? Some results from media research

3.1 Media reception is an active, constructive process

Media users are not as passive as we are usually inclined to think. Research shows that they approach the media with their individual predispositions, pre-conceptions, experiences, social contexts and habits of reception, with their subjective questions and needs, so that everyone interprets and constructs meaning for him- or herself differently. Especially children and youngsters actively use the media for coping with life situations and with the challenges of their biographical development, e.g. for working on their identity formation, developing their attitude towards the other sex, finding and retaining friendships or dealing with problematic family situations. Often unconsciously, they look for orientation in the media also in respect to moral and religious issues and *choose* those media productions or elements which they feel meet their needs best (see e.g. Bryant/Oliver 2009).

3.2 Family and friends first, then the media

Unanimously, research findings point out that close social relationships such as family and friends are in general still more important for young people than the media and media persons. This means that for religious and moral questions the family and the peer group still remain the first and most informing influences. However, the media can have reinforcing, moderating and sometimes even decisive impacts on young people. And media persons can play a considerably

important part for young people's lives as role models or dream figures into which they can project their wishes and longings. They can identify with certain media persons and ask themselves what this or that film hero would have done in the situation they are in now. Media researchers call the special relationship some people develop towards media persons "para-social interaction", which means that those people tend to interact with media persons in their minds almost as if they were real (see e.g. Barthelmes/Sander 2001).

3.3 Media influences are neither uniform nor irresistible

Especially in the research about the effects of media violence, scholars found that there is no direct one-way effect which makes all viewers of media violence more aggressive and violent. Empirical studies have shown that some viewers, mainly males, mainly those who are less intelligent and those who come from a problematic social background, tend to become more aggressive when watching violent films. But others, mainly females, mainly those who are intelligent and those who come from a positive social background, when watching the same violent films tend to become even more peaceful and despise violence even more than before. The latter seem to identify more with the victims of violence and develop more sympathy with them than with the violent person (see Kunczik/Zipfel 2006; Kirsh 2006). This empirical evidence again emphasizes the importance of the individuals' social contexts, their biographies, experiences and attitudes for the kind of effects certain media productions have on them.

One preliminary conclusion for religious education which can be drawn from the media research results is that educational processes do seem to have the chance of supporting the young people in developing a more reflective, pro-social and media-competent way of dealing with the media culture that surrounds them. Social learning and ethics education, which are both a substantial part of religious education, can influence young people's predispositions for using media. Together with the integration of media education into school education in general and into religious education in particular, the cultivation of a more reflective, pro-social and competent use of media seems possible.

4. How do the media influence young people's religiosity? Some more results from empirical research

Although empirical studies on the relationship between media use and religiosity are still few, there has been some progress in this field over the past twenty years. In general (German) religious education research, there have been some hints recently that children use the media as a source for constructing their religious ideas. For instance, the qualitative study of Hanisch (1996) on the development of children's ways of drawing pictures of God shows that some children use pictures from cowboy or war films to draw their image of God (Hanisch 1996, 128), and Freudenberger-Loetz (2006, 187) found that some children refer to ghost films when they try to express their idea of life after death.

Based on George Gerbner's cultivation theory (Gerbner 1984) and building on a Scottish study done by Gibson (1992) I conducted a quantitative investigation among 302 German 14-15 year-olds (Pimer 2004; 2009b). The youngsters were asked about their TV preferences including genres such as mystery, horror and fantasy films, and about a range of para-religious and religious ideas and attitudes. The study showed that there were several significant correlations between TV preferences and religious orientation. What was particularly striking was that we found by far more correlations among the girls than among the boys. This may indicate that the girls tend to be more strongly influenced by television in their religious attitudes than the boys, which is supported by findings that, in general, more girls than boys believe in horoscopes, ghosts, and so forth. However, the results may also be interpreted as showing that the girls tend to select more reflectively those television genres that correspond with their religious beliefs than the boys do. Most correlations clustered around the genre horror/mystery and tended to show the highest values there: Those girls who showed a preference for horror/mystery films were more likely to believe in supernatural phenomena, in ghosts, in possible contact with the dead and in aliens already living on earth and had a more negative image of God than the others (Pimer 2009b, 285). There was also a correlation between myster/horror-preference and belief in aliens among the boys, whereas preference for information and news shows correlated negatively

with para-religious beliefs among girls and boys. A quite plausible interpretation of these results can be based on the cultivation theory perspective that the strongest effects of television on viewers can be expected in those cases where television reality differs most from everyday reality, which obviously applies for the fantastic film genres. In horror and mystery films mostly wicked supernatural powers and extraterrestrial beings play an important role. On the other hand, it is also quite intelligible that information genres contribute to an enlightened, rational view of the world and thus hamper the development of para-religious beliefs.

The study design, with only one testing point, does not permit to claim the verification of an effect of the media on their users in a strict sense. It can only support the hypothesis that there are such effects by pointing to the reported correlations. Remembering that media users in general are not passive recipients but actively choose and construct meaning from what they perceive in the media, any influence from the media should not be regarded as a uni-directional effect, but rather as the result of an interdependent process of selection, media effect, and active acquisition by the recipient.

The reported results from quantitative investigations can be supported by the findings of some qualitative studies. In her book *From Angels to Aliens*, Lynn Schofield Clark reports on her study that is based on in-depth interviews and focus groups with about 100 American teenagers (Clark 2003). During the research process she was lead to concentrate on the supernatural in the media, which means that she focused on precisely those film genres that showed the most and highest significant correlations in my investigation. Clark concludes that the media can clearly be seen as one source of religious identity formation among young people today and that this source becomes increasingly important for those young people "with the least interest in formal religion." (Clark 2003, 224).

Also, Clark's results reaffirm the view that the relationship between media and religious beliefs is not simply one of media effects but a more complex, reciprocal, and multi-faceted one having to do with what she calls "the blurring of boundaries" between the stories of traditional religion and those of popular media culture (Clark 2003, 230). Relying mainly on the young people's self-interpretation,

she emphasizes the tendency that the media stories are not taken seriously by the young viewers and that most of them "do not consciously seek information about the supernatural from the media." (Clark 2003, 227). Perhaps my own findings can contribute to challenging even more than Clark does the teenagers' conviction that "they are unlikely to have their minds changed about what they do believe" by the media (Clark 2003, 227f.).

Another piece of evidence for media effects on their users' beliefs is offered by studies in the field of TV fan clubs. It seems obvious that whenever media users identify strongly with a certain TV series or film, watch it regularly and enthusiastically, and form social communities around it, this media product's influence on its fans can be expected to be especially strong. The probably most prominent example of this is the fan community of the American science fiction TV series "Star Trek". On internet sites or in fanzines in the USA as well as in Germany some of them "confess" that Star Trek has literally changed their life and helped them through troubles and depression, and that Star Trek "was and will always be the most significant influence in my life" (Jewett/Lawrence 1977, 30; see also Hellmann/Klein 1997, 25 - 44). In particular, the TV series seems to convey a positive, hopeful utopian perspective that in the future all nations and peoples can live together in freedom, peace, mutual respect and helpfulness. This includes respect for the other's religion or non-religious world view. An empirical study at the University of Bonn found evidence that fans strongly endorse typical Star Trek values such as tolerance, helpfulness and respect toward strangers including respect for diverse religions (Volkskundliches Seminar der Universität Bonn 2005).

In 2007 two major German qualitative studies were published that were also able to demonstrate influences of the media on young people's religious orientations. Astrid Dinter investigated adolescents' use of computers and found that general user experiences, as well as the contents of some computer games, can imply religious dimensions in a wide sense (Dinter 2007). Jörg Herrmann (2007) conducted biographical interviews with 20 young adults on possible religious aspects in their reception of television, movie films, and books. Many of the interviewees seem to use the media as a source of dealing with the existential, moral and religious questions of life. Mostly this media use appears to constitute a

functional equivalent of religion which substitutes religion, but sometimes the media also seem to offer bridges to religion. For instance, Herrmann reports the case of 39-year-old Hans, whose regular viewing of the TV series "Kung Fu" in his adolescence lead him to read books on Buddhism, attend seminars, and practice Buddhist meditation up to the present day (Herrmann 2007, 257).

Two recent *experimental* studies support the assumption that the findings concerning media violence, as reported above (section 2), also apply to religious aspects in the media: The way in which religion in the media is perceived and consequently which effects media have on religious views seems to depend much on the predisposition of the recipient. Zywek (2007) showed the film "The DaVinci Code", based on Dan Brown's bestselling book, to 58 Persons, about half of them practicing Catholics, the other half non-Catholics or agnostics. In a prae-post design (interviews before and after the film) it turned out that, faced with the church-critical tendencies of the film, the pro-Church attitude of the Catholics was reinforced while the non-Catholics and agnostics saw the church clearly more negatively after the film (see also Pirner 2009c).

BirtePlatow (2008) showed two films about God, "Dogma" (USA 1999, directed by Kevin Smith) and "Bruce Almighty" (USA 2003, directed by Tom Shadyac), to an audience of thirteen persons. With the help of subsequent narrative and guided interviews she found out that the test persons were stimulated by the films to think about their own conceptions of God, to differentiate and modify them in very individual ways, but also to reaffirm their own views by critically rejecting some elements or even the main intention of the films.

5. How do peer cultures influence young people's religiosity?

As mentioned above, the concept of self-socialization has gained increasing plausibility in the sociological context in the face of youth cultures or "scenes" which are largely independent from adults and often imply an anti-establishment impetus. In such mostly loose and temporary forms of community, young people organize themselves, choose certain elements from pop culture or historical cultural traditions to form a more or less coherent subcultural orientation and define borderlines against the cultural mainstream as well as other subcultural groups. It

is in such contexts that self-socialization takes place, which means that young people acquire cultural knowledge and cultural “capital” in a very self-determined way through informal learning processes and without educational assistance. In youth cultures young people learn almost exclusively from their peers. That this also touches on the field of religious socialization, should find more attention in the field of religious education scholarship.

As one telling example of a youth culture with a well recognisable profile in Germany I will sketch some characteristics of the Gothics or the “black scene” as they are sometimes called. The Gothics are known for wearing black clothes and emphasizing death and human transience in their symbolic self-representation. Their style in clothing, hairdressing, music and dance serves as a means of distinction against the “normal”. Characteristic symbols are the cross, skulls, vampires and skeletons, which indicates that within Gothic youth culture mainly medieval and romantic traditions are used as resources for creating a specific symbolic universe. The Gothics' favourite meeting places are ruins, old buildings, cemeteries and of course also discos and youth clubs that offer a Gothic-style environment. The perhaps most substantial characteristic of the Gothics scene is the ideal of reflectivity, which means that the scene members claim to reflect more deeply and without taboos about life including its existential and religious dimensions. This ideal is upheld against perceived tendencies of a superficial kind of “happiness” or feel-good mentality in mainstream culture or other youth cultures such as the Techno or HipHop scene. Two exemplary quotations from two qualitative studies among Gothics can demonstrate this point.

“Perhaps Goths think more intensely about things and reflect more about events than normal people do.” (Sprio 2008, 48; interviewee: Anne, 20 years old; translation: MP).

The Gothic scene “do not shut their eyes against painful or complicated themes and still have a feeling for the beautiful things in life. But they do not accept taboos, not with regard to sexuality, not with regard to religion, not with regard to ideology, there are no taboos for the black scene, except if something is hollow, meaningless, superficial. Superficiality is a taboo in the black scene.” (Schmidt/Neumann-

Braun 2008, 207; interviewee: Manfred, passage 39; translation: MP)

In the context of this kind of taboo-less reflectivity which includes religious questions and topics, there is a great tolerance as to the Goths' different religious or non-religious orientations as the following quotations illustrate:

"No question we also have Christians among us and the fewest of us don't believe in anything. True, not only in God but also in ghosts or similar things ..." (Sprio 2008, 38; interviewee: Sina, 20 years old; translation: MP).

"What is another general fact across all Goths is that they try to find something that is between heaven and earth and that cannot be proven by touching, seeing or similar scientific methods. They all look for something else [...] and that doesn't have to be Jesus Christ. It could be, they wouldn't exclude that, and some say: for me, that's my thing, and still they are Gothic ..." (Schmidt/Neumann-Braun 2008, 245; interviewee: Manfred, passage 27; translation: MP).

To sum up, three main aspects can be found in the Gothic youth culture. Firstly, the search and openness for some kind of belief in a higher or deeper reality belongs to core of the Gothic identity in line with the emphasis on reflectivity and existential depth. Secondly, in the field of religion as well as in other thematic fields, Gothics appreciate and underline the individual's autonomy, which implies a largely critical stance towards institutionalized religion, religious authorities and "ready-made" religious answers. Thirdly, research reveals a remarkably tolerant, open and appreciative attitude towards personal religious faith or religiosity which is perceived to contrast with superficial or anti-religious attitudes in mainstream culture or other youth cultures.

Schmidt and Neumann-Braun (2008) conclude from such findings that the Gothics scene mainly serves as a temporary home for young people with a more traditional (Christian) and bourgeois kind of background who look for their own way in life beyond unquestioned conformity with their traditional social, religious or anti-religious background. The Gothic scene is thus one example of a kind of religious self-socialization that takes place among peers in youth cultures. And it should be noted that in most popular youth cultures besides the Gothic scene, such as techno or hip-hop, religion or religious elements play an important role.

However, obviously the different youth cultures are attractive for different milieus of young people. For instance, Claudia Lübcke (2007) points out that young muslims in Germany can hardly be found in the Gothic or techno scenes but rather prefer the Hip Hop culture, because it seems to be a better cultural frame to allow for ethnical and religious variety. Up to now there is some literature on the religious dimensions of youth cultures (see e.g. Hitzler/Niederbacher 2010; Lüthe 2008; Göttlich 2007; Szagun 2002), but little empirical research on their effect on the religious (self-)socialization and development of young people.

6. Conclusion

How are young people in western countries influenced in their religiosity by the peer-group and the electronic media? The answer to this question and some consequences can finally be summed up in five empirically supported hypotheses.

- 1 - As a sphere of life that is not under educational control, media culture and youth cultures contribute to the young people's autonomy by constituting a space of self-socialization. This self-socialization clearly includes religious dimensions and aspects.
- 2 - The influence of media and peers on the young people's religious development should not be regarded as a one-way effect, but rather as an interactive, constructive and social process: The young persons choose to use certain media products, they select and interpret what they perceive in the media, and these choosing, selecting and interpreting processes are moderated by their social contexts in families, peer-groups and youth cultures.
- 3 - As general tendencies of media culture and most youth cultures concerning religion we can identify individualization, transformation and pluralization. Individualization is based on the possibility of individual choices and is therefore connected with pluralism. It generally also goes along with distancing processes from traditions and institutions. However, the empirical evidence shows neither complete individualization (but rather new forms of community) nor complete secularization (but rather the transformation of religious elements and perspectives, so that in some sense "religion" is transmitted outside institutionalized religion).

- 4 - The media culture as well as youth cultures can take a two-fold role concerning traditional and institutionalized religion: They can serve as substitutes of it; because young people can use media culture as a resource of dealing with existential and religious questions, they no longer need religion; or also: because they are not familiar with religion any longer, they use the media culture as a resource. Or media culture and youth cultures can serve as bridges to religion; because media culture and youth cultures keep young people's religiosity alive outside institutionalized religion, so that they retain an openness towards it.
- 5 - Religiosity in media culture and youth cultures often takes on experimental, provocative, syncretistic and para-religious shapes. To some extent they mirror the situation of religion in a post-secular society, but they also constitute a "liminal" space for young people to find their way in the transitional process from childhood to adulthood, from their family traditions into an open, pluralistic society. It is my conviction that religious education should regard it as one major task to accompany such self-socialization processes in a critical and constructive way (see Pirmer 2009a).

References

- Barthelmes, Jürgen / Sander, Ekkehard (2001), *Erst die Freunde, dann die Medien. MedienalsBegleiter in Pubertät und Adoleszenz*, Opladen.
- Bryant, Jennings / Oliver, Mary Beth (Eds.) (2009), *Media effects. Advances in theory and research*, 3rd ed., New York / London: Routledge.
- Buckingham, David (1993), *Children Talking Television. The Making of Television Literacy*, London: Falmer.
- Clark, Lynn Schofield (2003), *From Angels to Aliens. Teenagers, the Media and the Supernatural*, New York: OxfordUniversity Press.
- Cobb, Kelton (2005), *The Blackwell Guide to Theology and Popular Culture*, Malden, MA (USA): Wiley-Blackwell.
- Dinter, Astrid (2007), *Adoleszenz und Computer. Von Bildungsprozessen und Religiöser Valenz*, Göttingen: Vandenhoeck & Ruprecht.

- Forbes, Bruce David / Mahan, Jeffrey H. (Eds.) (2005), Religion and popular culture in America, Berkeley, Calif.: University of California Press.
- Gerbner, George et al. (1984), Religion and Television, Philadelphia: Annenberg School of Communications.
- Gibson, Harry M. (1992), The Influence of Television on Adolescents' Attitudes towards Christianity, in: Journal of Empirical Theology Vol. 5, 18-30.
- Göttlich, Udo (Ed.) (2007), Arbeit, Politik und Religion in Jugendkulturen: Engagement und Vergnügen, Weinheim / München: Juventa-Verlag.
- Hellmann, Kai-Uwe / Klein, Arne (Eds.) (1997), "Unendliche Weiten ..." - Star Trek zwischen Unterhaltung und Utopie, Frankfurt a.M.
- Herrmann, Jörg (2007), Medienerfahrung und Religion. Eine empirisch-qualitative Studie zur Medienreligion, Göttingen: Vandenhoeck & Ruprecht.
- Hurrelmann, Klaus (1995), Einführung in die Sozialisationstheorie. Über den Zusammenhang von Sozialstruktur und Persönlichkeit, Weinheim: Beltz.
- Hurrelmann, Klaus (1983), Das Modell des produktiv realitätsverarbeitenden Subjekts in der Sozialisationsforschung, in: Zeitschrift für Soziologie der Erziehung und Sozialisation (ZSE), Vol. 3, 91-103.
- Jewett, Robert / Lawrence, John S. (1977), The American Monomyth, Garden City, N.Y.: Anchor Press / Doubleday.
- Kirsh, Steven J. (2006), Children, Adolescents, and Media Violence: A Critical Look at the Research, New York / London: Sage Publications.
- Kunczik, Michael / Zipfel, Astrid, Gewalt und Medien. Ein Studienhandbuch, 5., völlig überarb. Aufl., Köln u.a. 2006.
- Lübcke, Claudia (2007), Jugendkulturen junger Muslime in Deutschland, in: Wensierski, Hans-Jürgen von / Lübcke, Claudia (Eds.), Junge Muslime in Deutschland, Opladen: Budrich, 285-318.
- Lütke, Martin (2008), "We missed a lot of church, so the music is our confessional?". Rap and religion, Berlin: Lit.

- Mazur, Eric / McCarthy, Kate (2010), *God in the Details: American Religion in Popular Culture*, 2nd edition, New York / London: Routledge.
- Pimer, Manfred L. (2001), *Fernsehmythen und religiöse Bildung*, Frankfurt a.M.: GEP Verlag.
- Pimer, Manfred L. (2004), *Religiöse Mediensozialisation. Empirische Studien zu Zusammenhängen zwischen Mediennutzung und Religiosität bei SchülerInnen und deren Wahrnehmung durch LehrerInnen*, München: kopaed.
- Pimer, Manfred L. (2009a), *The Media Culture Approach to Religious Education. An Outline with a Focus on Interreligious Learning*, in: S. Miedema, W. Meijer & A. Lanser-van der Velde (Eds.), *Religious Education in a World of Religious Diversity*, Münster/Berlin/New York/Munich: Waxmann, 149-164.
- Pimer, Manfred L. (2009b), *Religious Socialization by the Media' An Empirical Study and Conclusions for Practical Theology*, in: *International Journal of Practical Theology*, Vol. 13, Issue 2, 275-292.
- Pimer, Manfred L. (2009c), *An der Oberfläche des "DaVinci Code" kratzen. Was bürgerliche Erwachsene thrillt*, in: Michael Wermke (Ed.), *Erwachsen werden - erwachsen sein*, Jena: IKS Garamond, 113-129.
- Pimer, Manfred L. (2009d), *Religion*, in: Ralf Vollbrecht/Claudia Wegener (Eds.), *Handbuch Mediensozialisation*, Wiesbaden: VS-Verlag für Sozialwissenschaft, 294-301.
- Platow, Birte (2008), *"Du sollst dir kein Bildnis machen" - oder wie Menschen sich Gott vorstellen. Eine qualitative Studie zu individuellen Gotteskonstruktionen, untersucht am und mit dem Medium Film*, Neukirchen-Vluyn: Neukirchener Verlag.
- Schmidt, Axel / Neumann-Braun, Klaus (2008), *Die Welt der Gothics. Spielräume düster konnotierter Transzendenz*, Wiesbaden 2. Aufl.
- Sprio, David (2008), *Religiöse Aspekte in der Jugendkultur des Goth. Pädagogische Herausforderungen für den Religionsunterricht in Realschulen (Wissenschaftliche Hausarbeit zur Ersten Staatsprüfung für das Lehramt an Realschulen an der PH Ludwigsburg)*.

- Szagun, Anna-Katharina (Ed.) (2002), Jugendkultur - Medienkultur. Exemplarische Begegnungsfelder von Christentum und Kultur, Münster: Lit-Verlag.
- Volkskundliches Seminar der Universität Bonn (2005), Report on empirical study among Star Trek fans, at: www.uni-bonn.de/Aktuelles/Presseinformationen/2005/417.html (download: 24.10.2006).
- Weintraub, Andrew (2010), Islam and Popular Culture in Indonesia and Malaysia, New York / London: Routledge.
- Zinnecker, Jürgen (2000), Selbstsozialisation - Essay über ein aktuelles Konzept, in: Zeitschrift für Soziologie der Erziehung und Sozialisation, Vol. 20, 272-290.
- Zywek, Katrin (2007), Ein Sakrileg? Zum Einfluss eines religionskritischen Films auf die Einstellungen zur Heiligen Katholischen Kirche (unveröffentlichte Magisterarbeit an der Westfälischen Wilhelms-Universität Münster).

Summary of the research
The group of friends and its effect
Upon youth's thoughts, notions & Conduct

Dr. Nabil Alsamaloty

Prof. of sociology - Al Azhar University

Importance and positive & negative insights, concentrating upon gradual deviation.

This research discusses some insights as follows:

- 1 - The sociological educational institutions.
 - 2 - The group of friends or companions and its effect upon forming its members' characters.
 - 3 - The friendship and the sociological & physiological needs.
 - 4 - The importance and the risk factor of such groups in the adolescence period.
 - 5 - The reason for which the adolescents and youth respond to the group pressure (concentrating on negative points).
 - 6 - The Differential Association theory and facilitating deviation.
 - 7 - The importance and seriousness of friendship in Islamic thoughts.
 - 8 - How do we interpret the deviation of some of the youth, away from the moderate correct path of the religion, towards fanaticism, violence, and terrorism?
- In the first article, I discuss the important social educational institutions that are responsible for forming the character of the child, the adolescent, and youth, stressing the importance of the groups of companions or friends.
 - In the second article I discuss the results of the field studies about the mutually exchanging effects among the friends inside the same group upon forming and reforming of the belief, ethics and conduct, as well as upon the educational level and the degree of sticking to the religious notion and conduct.
 - I also discuss the personal, social and environmental factors that affect the manner of the adolescent's responding to the collective pressure of the group.
 - In the third article, I discuss the needs of the children and the adolescents for these groups for fulfilling their psychological and social needs, and also for the

completion of forming their characters; for example the need for love, for association, for expression, for appreciation, for respect, for independence (getting rid of the parental & social authority), the need for insurrection against the community of the adults. This constitutes a response to the physiological changes during the period of attaining puberty.

- I also discuss the familial factor (the word familial can also mean the small community of relatives) that prevents - or hastens - the deviance of the adolescent with the group away from the religious and cultural ethics of the adults.
- In the fourth article, I discuss the seriousness of the group of companions during adolescence clarifying the negative effects, and spotlighting the important factors reported in the field studies, that have role in the child's and the adolescent's response to the pressure of the group towards immoral deviation (opposing the religious and cultural ethics).

Among these factors:

- 1 - Neglecting the parental educational role.
- 2 - The powerful leading personality of the leader of the group.
- 3 - Lack of ethical and religious education.
- 4 - Repeated familial disputes, and disjunction of the family.
- 5 - The child's or the adolescent's feeling of deprivation inside the family (lack of right fulfillment of their needs), and consequently, their turning to fulfill them in the group of companions.
- 6 - Communal pressure and at the same time the natural attraction of the children to join such groups for obtaining respect and support.
- 7 - Corrupted mass media such as films, series, and programs that urges deviation and leaving religious ethics by presenting the heroes in forms of deviant people.
- 8 - The retreat of the supervisory, educational, and instructive role of the educational social institutions.
- 9 - The instinctive inclination - during adolescence - to disobey the adults, experience everything by themselves, and to play the adventurous roles of heroes.
- 10 - The imperfection of notions of the adolescents as seeing manhood exemplified in smoking, drinking, molestation and leaving the religious and cultural rules etc.

- 11 - Group dynamics that compels its members to abide by the group's own rules otherwise they would be expelled out of the group and loose support.
- 12 - Some adolescents have deviant inclinations as a result of physiological or psychic abnormality; so they seek these groups to fulfill their deviant abnormal needs.
- 13 - Weak educational and parental authority caused by either exaggerated severity of excessive indulgence.
- 14 - Loosing self confidence and lacking of the warm relationship with parents.
- 15 - Absence of the educational and social supervision.

In the fifth article, I answered an important question: Why do people normally respond to friends' pressure (concentrating upon negative points)? And hereafter is a summary of the real field studies' results:

- 1 - Being at, approximately, the same age gives a feeling of freedom, absence of pressure, preaching, orders etc.
- 2 - Relations among friends are free of responsibility and of those restrictions between a boss and employee and a person and his follower etc.
- 3 - Communal thoughts, choices and conduct give a feeling of power and support.
- 4 - Many of the parents are no more good examples to be followed, and that's why the adolescents search for good models outside the family. These desired models could be found in some members of the group.
- 5 - Unlike the family and the community of relatives, everything is optional in the group.
- 6 - Also, unlike the family, the adolescent can fulfill, in the group, many different needs that may be forbidden inside the family.
- 7 - Sometimes there could be a charismatic member of the group who is admired by the rest of the members, and therefore, he can easily attract them to deviation if he is so.
- 8 - Frequent watching of modes of deviation on TV channels, internet, or inside the group turns them to be normal for the adolescents who will not feel any rejection or seriousness in such deeds.

In the sixth article, I discuss the differential association theory of 'Southernland' and 'krissy' which clarifies the reason for deviation of the children and adolescents. Such a theory that I applied on 1996 upon some deviants (juvenile delinquency) in specialized institutions in Egypt, where I added certain modifications to it.

I also prove that the most important issue of the theory is that deviation is an acquired conduct, and that any person usually deals with numerous groups and interacts with several relationships, but they are, actually, differential dealings and interactions that have different effects upon forming the child's or the adolescent's character. This effect depends on four matters:

- A. Repentant dealing or relationship
- B. Constant dealing or relationship
- C. The precedence of the relationship
- D. The depth of the relationship

I explained all these insights in details because the more frequently the child or the adolescent deals with the group, the more effect it has upon his feeling and appreciation towards the members of the group. Thus appears the importance of such primary groups and relationships.

In the seventh article, I discuss the Ever Glorious Qur'an's and Sonna's point of view- being the essential sources of Islam- about friends.

The *Qur'an* and *Sonna* stress the importance of dealing with good friends following God's methodology, ethics, prayers, dealings etc. They also clarify that bad companions constitute great danger upon the believer both in our world and in the world of eternity: in our world, they push him to commit crimes and does forbidden deed, which will lead him to be in hell in the other world (I mention some of the Qur'anic and Sonna texts proving this concept.

In the eighth, and final, article, I try to answer and important question:

Why do some youth join what is called groups of fundamentalism or religious aberrations?

I clarify that Islam is the real birthday of human rights, freedom and dignity; and that It is the religion of tolerance that gives everyone the chance to choose his

religion. This concept - freedom of notions- is numerously stressed in the Ever Glorious Qur'an (1) ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ (٢٥٦)﴾ here is no compulsion in Religion' (Zidan 1993). Islam is a religion that respects the Other and his notions. It stresses applying justice to all human beings with no discrimination among people. But the case is that some deviants try to attract youth to fanaticism and terrorism which are strictly forbidden by Islam.

So, what are the characteristics of the young people who could be victims of such groups? The features that distinguish such youth, and the reasons for being attracted to such unacceptable groups, are summarized as follows:

- 1 - Religious illiteracy.
- 2 - Parents' failure to teach their children the right religious ethics.
- 3 - Lack of models both at home and at school.
- 4 - Failure of schools in planting religious and educational ethics in their pupils of students.
- 5 - Absence of the important roles of the religious institutions as mosques, different religious organizations, civil society, etc.
- 6 - Unemployment and leisure time of the youth.
- 7 - Severe poverty related to the deprivation of fulfilling the basic needs.
- 8 - The wide gap between the very rich people living in palaces and the severely poor ones living in tombs (graves) or unplanned areas.
- 9 - Social and economical corruption prevailing allover the community.
- 10 - Mass media especially TV channels that either urge to deviation or fanaticism while the young people lack the wise critical thinking; and the result is deviating youth and fanatic tendencies which are both wrong "افراط وتفریط" (strictness and negligence) and opposing the core of the real religion.
- 11 - Some internet sites urge to many of the prohibited practices such as sex, violence, fanaticism and terrorism.

Economical and Social factors

and their importance in clarifying the negative effect Of friends

The friends effect, especially in the youth period (the period after adolescence), depends on many factors, among which are the economical and the professional states. It also depends upon the educational level and the existence of chances for employment, beside the above mentioned (the familial, educational, and religious insights, represented in the correct -or incorrect- religious understanding and knowledge).

No doubt that severe poverty is one of the most important factors that push the groups of friends or companions to adopt the criminal thoughts and the aggressive trends against the society and the Others (the word Others indicates the different people in religion, in race, in color, etc.); yea, against one's self. This extreme deprivation that young people suffer, leads them to deep depression: They will see no hope in future, in forming new families by legitimate marriage, or in any legal promising projects.

Another highly important factor is the unemployment and the lack of companies, factories etc. that provide different jobs for the newly graduated young people. This will result in an entire depression, which, by turn, will provoke these groups of young people to envy the community, and therefore could be easily victims of the groups of terrorists and fundamentalists. Moreover some friends use to justify having what they are craving for by violence, and stealing the rich people's homes, cars, etc. They even facilitate seduction of women, and deceiving young girls by some terms like 'illegal marriage' which could not be called real marriage (according to the marriage conditions in Islam). Islam never approves except the normal ethical marriage sticking to the rules of legislation.

Thus, poverty, unemployment, and deprivation of hope in future, are considered the main reasons for aggression against the society with all its parties and religions although they claim that they are adopting religious thoughts, and they give wrong exegesis of some Sonna and Qur'anic texts, especially if the leaders of the new deviating groups give the youth generous promises of solving all their problems whether economical, social, dealing with daily life etc.

Political insights of Youth-deviation

In addition to the above mentioned economical and social insights, there is another factor that deals with the youth-right to express their points of view and openly discuss their problems with real and entire freedom. There also appears the effect of the political compulsion and suppression that cause the youth deprivation of their legal rights in having good education and good salaries suitable for dignified life. Political suppression also deprive the youth of electing their representatives in the parliament and the local assemblies.

All these sufferings of the youth (of corruption everywhere, of low wages, of prevailing of bribery and injustice), evoke wrong ideas and aggressive attitudes that are inserted into their minds by external groups of terrorism and fundamentalism.

The net and the hypothetical deviating groups

Some young people are turned to be addicted to chatting with different groups of friends with different nationalities, religions, sexes etc. And as adolescence is characterized by rebellion, rejection of the parental authority, vague ethics, endeavoring to stick to such groups either real or hypothetical, so some leaders of these groups catch the opportunity to impose their domination upon the rest of the members of the groups. Such effect or domination may be good or bad, positive or negative; and sometimes young people are obligated to leave their notions, cultures and ethics to gain the acceptance inside the group, especially in case of friendship between a males and females.

Conclusion

Finally, I would like to end with the fact that terrorism, violence, fundamentalism, and aggression have no religion; and deviation could exist everywhere allover the world. And as there are Muslem extremists, there are also Christian, Jewish, budist extremists, etc.

So, we can conclude that peer groups play an extremely important role in shaping the personality, thoughts, and behavior of their members either positively or negatively.

Islamic education of Muslim children at home and in the mosque

Stella van de Wetering

Islamic education and socialization in Muslim families

Muslim families differ of course as all families do. And all different families have their own specific way in raising and educating their children. There are differences in migrant families, who only recently have arrived in the Netherlands and families of second and third generation Muslims. Families differ also concerning their social economic status, the level of education of the parents and their country of origin. But also the religious attitude of the parents and the family can make a difference.

One can for example divide on the one hand between *traditional families*, who follow mostly the pattern of the country of origin. In those families the culture of the country of origin is predominant. Yet those traditional families can differ a lot in their measure of religiosity. Some are quite religious or even orthodox and keep up to religious practices in their culture and some are not. On the other hand there are the modern westernized families, who are to a certain level integrated in the society of the country of migration i.e. the Netherlands. Also those modern families can be very religious or not religious at all or secular.

The question we would like to answer is however: what religious attitudes and rituals do children growing up in an average Muslim family experience.

One can for example think of food-prescriptions. In most Muslim families it is important to eat and serve only halal food. This means that meat will be bought from an Islamic butcher i.e. meat from animals slaughtered in the Islamic way. Pork will not be on the menu at all. Also the consumption of alcoholic drinks is very rare in most Muslim families.

In more strict families also food-additives containing alcohol in chocolate or pudding or spurs from meat that is not halal like gelatin in ice cream or candy and coagulium in cheese will be avoided.

When children are still small they will be used to the food patterns and meals at home and they will not ask questions about it. But when they start consuming food outside their homes, they will get instructions on what food they are allowed to eat

and what food they are not. Some parents try to explain to the children why they should avoid certain food and others will restrict to telling them that it is not allowed in Islam.

When my son was 5 years old I tried to explain to him why he could not eat pork. I told him that God has forbidden it to us, because pigs tend to like to crawl in the mud and therefore it is not healthy to eat. Later on when he grew up he told me that in that time he saw a classmate with bacon on his bread and was astonished, because he associated it with mud and dirt.

When children grow older they will be asked more frequently why they have to obey certain prescriptions. So they are in need of logical answers to explain. The answer that it is a religious prescription can however also be logical and acceptable.

Other prescriptions have to do with cleanliness and hygiene in an Islamic way. Islam is not only a belief and conviction, but it is also a culture and way of life. Cleanliness is very important in Islam. It concerns the ritual of prayer. One should perform the ablution or ritual washing, wear clean clothes and pray on a clean floor or prayer rug *sajjâda*. That is why in Muslim homes, shoes will be left at the door so that dirt from outside will not be walked into the apartment or the house. Also washing the genitals after visiting the toilet is important as well as washing the hands. A dog is considered a dirty animal at least his mouth and his but. Therefore it is unusual to keep dogs inside the house and most Muslim will avoid contact with dogs also outside the house.

This means that children encounter at home other cultural and social rules and codes than they encounter in the "outside world", while some cultural prescriptions are sanctioned by religious rules. This can throw hindrances for them to act and participate fully in the wider society. When children for example visit non Muslim friends or neighbors at their house it can give problems, when they have a dog as a pet or when not halal food is offered to them. The ideal way of getting those hindrances out of the way is that the parents of the children have good relations with their non Muslim neighbors and other parents of the school so they can communicate effectively to give their children the opportunity to live and participate with non Muslims in the neighborhood. (Wetering & Bakker, 1998, p. 147-148)

Another important ritual children in Muslim families often experience at home is the ritual of prayer. Many Muslims keep on to their duty to perform the ritual prayer five times a day. The prayers should be performed on strict times according to the position of the sun. The first prayer (*fajr*) can be performed two hours before sunrise, the second after the sun has passed its summit (*zuhr*) until the shadow of an object is as large/ long as the object itself. After that the noon prayer (*‘asr*) can be performed until about half an hour before sunset. A few minutes after sunset the sunset prayer (*maghrib*) is performed and the last prayer (*‘ishā*) is about 1.45 hour after sunset when it is all dark. Children see their parents pray and from their early childhood get acquainted with it. Of course most parents also explain to their children how and why they pray.

To learn more about prayer and the Qur’an verses and chapters (*sura’s*) recited in prayer many parents send their children to the mosque, because they find it difficult to teach their children themselves. The imam or the teacher at the mosque can explain best and can show the children how to read and recite the Qur’an verses in Arabic.

Also an important ritual is of course fasting during the month of Ramadan. Even Muslims who will not fulfill the duty of the daily prayer, will very often keep up to the duty of fasting in *Ramadan*. This means that adults and children from about the age of puberty in the month of Ramadan have to refrain from eating, drinking, smoking and sexual intercourse during the day from dawn (*fajr*) until sunset. Especially in Northern Europe the space of fasting differs considerably in summer (in Amsterdam a maximum of about 19 hours of fasting a day) and winter (in Amsterdam a minimum of about 10 hours of fasting a day).

Fasting in families is often experienced as a special time with a high spiritual connotation. Also the meals shared together in the month of *Ramadan* are special and a kind of festivity. Most Muslims share the meal at the end of the fasting day at sunset (*iftār*) and in the middle of the night or early morning before dawn (*suhūr*) with their family. After the *iftār* many Muslims will visit the mosque to participate in the extra Ramadan prayer (*tarāwih*) and many children will join their parents.

This month also gives Muslims the feeling that they should do their best to be better persons and try to live up to the expectations of their faith. One can compare it with the spiritual feelings many Christians get at Christmas.

Small children don't have to fast because it is too heavy a burden for them, just like people who are ill, on journey or find themselves in difficult circumstances. Yet the children experience during the month of Ramadan that something special is going on and are eager to take part in it and are generally also stimulated to do so. They might try to fast for one day or more even if they are not yet obliged to fast and then they will also be awakened before dawn to eat together with the family, which feels special for them of course.

The main celebrations in Muslim families are at the end of Ramadan (*'Idu 'l-Fitr*) or at the end of the pilgrimage (*Hajj*) in Mecca, the Feast of Immolation (*'Idu 'l-Adhã*) in remembrance of the sacrifice of Abraham (*Ibrahim*), when every family will buy their own sheep or goat to be slaughtered. The meat of the sacrificed animal will be shared with the family, the guests visiting for the holiday and can also be shared with the neighbors and the poor.

At religious celebrations parents will mostly buy new clothes and presents for their children. Many children will also pay a visit to relatives with or without their parents and will collect money and sweets.

Besides the above mentioned two main celebrations of the Muslims there are also minor celebrations like the birthday of the prophet (*Mawlid an-Nabi*) or *'Ashûra* on the tenth day of the first Muslim month *Muharram* i.e. 10 days after the Islamic New Year.

Some of those celebrations are controversial (because the prophet Muhammad is not reported to have celebrated at those occasions) but also with certain ethnic groups and various denominations very popular.

'Ashûra for example has a quite different meaning in *Shi'a* families because on that day they remember the martyrdom of the grandson of the prophet Imam *Huss-ein* on the battlefield at *Karbala*. It is also the day of mourning processions and gatherings in the *Shi'a* communities.

For children of course those celebrations at home will have a huge impact on them, especially when they get gifts and presents and there is extra attention for them. On the other hand those celebrations do not correspond with the celebrations in the non Muslim environment and schools like Santa Claus (*Sinterklaas*), Christmas, Easter, birthday parties etc.

Traditionally Muslim families did not celebrate birthdays, but many have taken this tradition from the Western environment into their homes and even if they haven't they generally allow the children to celebrate their birthday at school and give them candy or cake to distribute to their classmates and teachers.

From an ethical and social viewpoint relations between family members and relatives are very important in Islam. Many pay a weekly visit on Saturday or Sunday to parents, grand parents, uncles and aunts. In this way many Muslim children experience an important social life with nephews and nieces.

In the relation with relatives and family members good behavior and respect are very important. In most families thus a warm social surrounding is offered, in which relative care for each other, keep in touch and are acquainted with each others difficulties and situations.

In the social surrounding of the children the mother tongue also provide them with numerous religious Islamic expressions with a strong spiritual and ethical connotation like: *as-salâmu alaykum* (peace be upon you), *al-hamdu li 'llâh* (may God be praised), *bismillah* (in the name of God), *in sha' Allâh* (so God wishes), *Allâh yahfaz* (may God prevent), *'a`ûdhu bi 'llâh* (I take my refuge to God) and in case of the dead of a person: *Innâ li 'llâh wa innâ 'ilayhi râjî`ûn* (we are of God and to him we will return) etc. etc. The Islamic culture is therefore not a secular culture at all.

In families where Dutch has become the main language of conversation we see either a terrible loss of Islamic ways of expression or we see that Arabic expressions are incorporated into the Dutch language spoken at home. The problem is that the Dutch modern language as it is used in many secularized Dutch homes lacks those kinds of religious expressions and children therefore are not able to communicate those expressions and all kinds of religious language to non Muslims, because they don't know the exact words or translation in Dutch. Especially children who have never attended religious education in Dutch schools are not able to express their religious feelings in that language. This is quite complicated for them in a situation, in which as we have mentioned above the non Muslim surrounding will ask them questions on certain behavior or social codes common in the Muslim community.

Therefore it is important for Muslim children to get acquainted with a religious vocabulary in Dutch so they can express their religious feelings and explain their religious habits. Especially in a multi religious and multi cultural society in which there are so many misunderstandings.

The mosques could play a role on their part, but unfortunately in most mosques religious education is offered in the mother tongue of the children or in Arabic, although religious education in Dutch is expanding as will be explained below.

Islamic Education In the Mosque

The mosques in the Netherlands are almost without exception divided on an ethnic base. One will find Turkish, Moroccan, Surinam/Hindostan and Pakistan mosques. Beside this ethnic division, there is also a division based on political and religious mainstreams within the ethnic groups. Within the Turkish community for example the mosques are divided in three mainstreams: the mosques of the Diyanet, following the Turkish Ministry of Religious Affairs, the Milli Görüs following the Justice and Development Party of President Recep Tayyip Erdoğan and the Sulaymanlis following the Islamic educational system of Süleyman Hilmi Tunahan (1888-1956). (Amirdihi, 2010)

The Surinam community is divided in Sunni and Ahmadi Muslims each of those groups of course having their own mosques. The small Arab *Sunni* communities mostly share the mosques of the Morrocans. And the *Shi'a* communities of course also have their own mosques.

As to the ethnical division of the mosques this also has a very practical reason i.e. the language. Most visitors of the mosques are still the first generation of Muslims and they generally do not master the Dutch language very well just like the *imams* who are mostly recruited from the country of origin.

Because of this situation the curricula of Islamic education in the mosques differ a lot as to what the parents are used to in their home countries.

For example in the Moroccan mosques the mastering of the Arabic language plays a very important role. Arabic is not only the language in which the Quran is read and recited but it is also the language in which Islam in the Arabic countries is usually transmitted. Furthermore for the Moroccans it is also their national lan-

guage although most Moroccans in the Netherlands speak Thamazight as their mother tongue and their children' mastering of even the spoken Moroccan dialect is poor. Besides the pupils in the Moroccan mosques learn to recite the Quran by heart beginning from *Sûratu 'l-Fâtiha* (the first *Sûra* of the Quran) and thereupon *Sûratu 'n-Nâs* (the last *Sûra* of the Quran)⁽¹⁾, *al-Falaq* and *al-'Ikhîlâs* and so on. The ultimate goal is that the pupil will learn the whole Quran by heart and become Hâfiz, but only very few pupils will reach that level. Along with the Arabic language teaching they will also learn the main Islamic rules as to the rituals, the confession of faith (*Shahâda*), the ablution (*Wudû'*) and the prayers etc. as well as the doctrines of faith (*Aqîda*). The teachers will learn them also the stories of the prophets, the main Islamic ethics and give them information about the main celebrations. All this teaching is usually in Arabic (Stichting de Meeuw, 2004, 7-13).

In the Turkish mosques pupils will also start learning how to read the Arabic alphabet to know how to read and recite the Quran, but they will not be taught Arabic as a language. Religious transmission in general takes place in Turkish (Pels, 2006, p. 107-142). Pupils learn about the rituals of the ablution (*Abdes*) and the prayers (*Namaz*). How the ablution and the prayers are performed and what Arabic texts one should learn by heart to perform the daily prayers. The teachers also will give them information about also the rules concerning the five pillars: the confession of faith (*Shahâda*), the prayers, fasting, obligatory alms (*Zakat*) and the pilgrimage (*Hajj*) as well as just like in the Moroccan mosques stories of the prophets, the main Islamic ethics and the main celebrations.

In most Surinam mosques the lessons take place in Dutch just as is the habit in Surinam. They learn the Arabic alphabet to be able to read and recite the Quran. They also learn Quran verses and chapters (*sura's*) in Arabic by heart, just like the Arabic texts they need to perform the ritual prayers. Furthermore they are made acquainted with the rituals and rules of Islam, the five pillars and good Islamic behavior and ethics.

Apart from the Surinam mosques and some mosques that concentrate more on the youth like the Tawheed mosque in Amsterdam, religious education in the mosques is rarely in Dutch. Yet more and more voices plead for Islamic education in Dutch, because the pupils mastering of Arabic and Turkish might be very poor.

Main goals of Islamic education in the mosques are as we have mentioned above:

- Learn how to read and recite the Quran.
- Learn how to read out Arabic.
- Learn how to perform the main religious rituals concerning the five pillars.
- Get information about Islam as a faith and way of life.
- Learn about Islamic etiquettes and ethics.

In the modern curricula another goal is added. As to the Dutch environment it is considered important that the pupils learn that respect and decency towards others, whatever religion or ethnicity they might have, is Islamic and important social behavior.

The problem we observe here is how to teach children to be respectful to persons of another religion, life view or culture while in the same time they learn that the faith and behavior of those is reprehensible or *harâm*. Like denying the existence of God or drinking alcoholic drinks or get drunk. But this is of course a pedagogical challenge in many faiths, religions and life views.

Some mosques also see it as important that pupils learn to develop an assertive attitude about their own Islamic faith and culture in an environment that is seen as islamophobe. Pupils should learn to defend their own religion and identity.

In a research of the Verwey-Jonker Instituut as to the pedagogical approach in the Turkish Milli Görüs Aya Sofya mosque, the coordinator of Islamic education and a teacher in the same mosque stress that educational activities in the mosque should learn children to answer questions on jihad, the headscarf, homosexuality etc...

In the conclusion of the same research report the following items are mentioned as starting points for pedagogic innovation:

In short the Aya Sofya mosque concentrates in her activities on transmitting knowledge of Islam and the religious, social and moral education of the pupils. The didactical approach shows a combination of transmitting knowledge and dialogical learning. In the first place the goal is to achieve that the pupils feel part of the own religious community. A further goal is to achieve a good connection of the pupils with the Dutch society. But the view in this perspective is very much defensive:

knowledge of Islam is the tool of the child to defend him self in a surrounding that is ignorant of Islam or even islamophobe.

In the same time pupils are impregnated with the fact that respect and decency are very important values. (Pels et al., 2006, p. 185)

The same research is done in two other Moroccan mosques in Rotterdam. From the research it seems that this type of bridging is also generally used in the Moroccan mosques that were subject of the research.

Furthermore it is mentioned in the research that the climate in the lessons was overall friendly to the pupils. This as a response to the very strict climate that is known from education in the mosques in Turkey and Morocco and also in Turkish and Moroccan mosques in the Netherlands in the 70's, 80's and 90's of the 20th century. It shows that the mosques in the Netherlands probably have become more aware of the importance of a child friendly and effective pedagogical climate in Islamic education.

Yet as we have stated above educational material is almost without exception in Arabic or Turkish and this is also the language used to communicate with the pupils. For this reason the lessons do not refer to the Dutch context at all. It depends on the teacher whether he will bring it into the discussions with the pupils or not.

The research also concludes that in the three mosques that were subject of the research the didactical approach is following the IRE model of teaching i.e. the Initiate - Response - Evaluation - model: The teacher poses a question; the pupils respond and the teacher evaluates the answers. This kind of approach is a one direction communication between the teacher and the pupils. Although the researchers also found that in the Turkish mosque the communication was more open and there was more opportunity for especially the older pupils to suggest topics or items to be discussed in the lesson and to bring in their own questions (Pels et al., 2006, p. 92-93).

Yet as we have stated above while describing Islamic education at home we see that the educational situation and environment of Muslim children and youth is quite complex. Therefore the demands as to the Islamic education in the mosque are considerable.

As Tariq Ramadan has said in his book *Western Muslims and the Future*:

As is stated also by Tauhidl (2001) and Khan et al. (2005) traditional Islamic education does not succeed in learning the Muslim youth to master the critical skills they need to resist the difficult moral and social dilemma's they are confronted with (Tariq Ramadan, op. cit. Pels et al., 2006, p. 16).

Conclusion

At the one hand we have stated above that religious education in Muslim families in the Netherlands varies considerably as tot the ethnic background, the educational level of the parents and the level of integration in the Dutch society.

At the other hand however we see that the culture in almost all Muslim families differs from the culture of the surrounding Christian and secular society, because the Islam is not only a philosophical religious system, but also a way of life with daily rituals, religious prescriptions and own celebrations. This is why Muslim children from the early youth will be confronted with questions and need guidance of adult Muslims (parents and teachers) to answer those questions in a reasonable way for them and for others in their surroundings.

Islamic education in the mosque seems through the decennia to have been improved in a pedagogical sense. Teachers are less strict and have a friendly attitude to the children and the lessons and materials are more attractive, although most materials are still in Arabic or Turkish. The means that the context of the Dutch society is not reflected in the materials. It depends on the initiative of individual teachers weather they discuss the daily life situation of the children in classroom. The communication of the teachers with their pupils is still very much a one way communication.

The complex situation of Muslim children and youth however is very exigent as to Islamic education in the mosque. It is also important for the children that Islamic education should be in Dutch so they will learn to discuss about their religion with others in the Dutch society and explain it to them.

We noticed that Islamic education in Dutch is usual in Surinam mosques in the Netherlands as well as in Surinam and in some Moroccan mosques that concentrate more on the youth.

The future will show whether Islamic education at home and in the mosque will be able to overcome the huge challenges in transmitting Islam as a religion in the indigenous Dutch society to Muslim children and youth who often feel lost and not understood not by significant others in the Dutch society and not by the own family and teachers in the Muslim community (Alaoui, 2009, p. 37).

Literature:

- Alaoui, Hafida, *Islam in reëel perspectief. Integreren van moslimjongeren vanuit hun religieuze identiteit*, Hogeschool Inholland, lerarenopleiding Islamgodsdienst, eindschrift, augustus 2009, begeleidt drs. Bahaeddin Budak.
- Amirdihi A. R., *Country Profile: Turkey* in: Al-Taqrīb, a Journal of Islamic unity, Number 6 March 2010:
<http://www.islamfrominside.com/pdf/Taqrīb%20Journal%206.pdf>
- Karagül, Arslan, *Een Turkse imam over koranschool en islamitisch godsdienstonderwijs*, in: K. Wagtendonk (red.), *Islam in Nederland. Islam op school*, Coutinho, Muiden, 1987.
- Pels, Trees, Gülsen Dogan en Halim el Madkouri, *Pedagogiek in de moskee Aya Sofya*, Verwey-Jonker Instituut/ Forum, Utrecht, 2006.
- Stichting de Meeuw, *Arabische les aan kinderen in Noord, Marokkaanse Vereniging Centrum Noord. Evaluatieonderzoek naar de lessen vanuit het project op eigen kracht*, Rotterdam, November 2004.
- Türk, Ayşe, *Juf, wat is de islam?.....Een onderzoek naar de invloed van de islamitische basisscholen op de levensbeschouwelijke identiteitsontwikkeling van moslimkinderen*, Masterthesis Vrije Universiteit, afstudeerrichting 1: Levensbeschouwelijke Vorming en 2: Islamitische Geestelijke Verzorging, begeleiders: dr. Stella van de Wetering en prof. Dr. Siebren Miedema, juli 2008.
- Wetering, W.B.S. van de, *Dissertatie: Onderwijs in eigen taal en cultuur aan Marokkaanse kinderen in Nederland. Het OETC als resultante van een maatschappelijk krachtenspel.*- Utrecht, 1990.
- Wetering, W.B.S. v.d., e.a., *Meisjes zijn toch ook mensen! De levensbeschouwelijke beleving van kinderen van een interreligieuze een islamitische basiss-*

chool. Interimrapport II. Interne publikatie C.I.L. Faculteit der Godgeleerdheid, Universiteit Utrecht, 1994.

- Wetering, W.B.S. v.d., Andree, T.G.I.M., *Ik ben blij dat ik moslim ben! De levensbeschouwelijke beleving van kinderen van een interreligieuze een een islamitische basisschool*. Interimrapport III. Interne publikatie C.I.L. Faculteit der Godgeleerdheid, Universiteit Utrecht, 1995.
- Wetering, W.B.S. v.d., T.G.I.M. Andree, C. Bakker, *Moslim-jongeren tussen de identiteitsversterkende basisschool en het Voortgezet Onderwijs*; Verslag van een onderzoek naar de levensbeschouwelijke beleving van kinderen van een interreligieuze een een islamitische basisschool, interim-rapport III, Interne publikatie C.I.L. Faculteit der Godgeleerdheid, Universiteit Utrecht 1997.
- * Wetering, Stella van de, *Values and Norms in the Education of Muslim Pupils in a Plural Society*, In: Vroom, H.M. en Jerald D. Gort, *Holy Scriptures in Judaism, Christianity and Islam. Hermeneutics, Values and Society*, Amsterdam/Atlanta, 1997.
- * Wetering, Stella van de, *The life-views of Muslim pupils of an inter-religious (Christian-Islamic) and an Islamic school*, In: Trees Andree, Cok Bakker, Peter Schreiner (eds), *Crossing Boundaries. Contributions to Interreligious and Intercultural Education*, Utrecht/Münster&Berlin, 1997.
- * Wetering, Stella van de en Cok Bakker, *Tussen legitimatie, integratie en conflict. Onderzoek naar de waardenoriëntatie/religieuze identiteit van moslimleerlingen*. In: Cok Bakker en Hans-Georg Ziebert (red.) *Imaginatie en de constructie van identiteit. Visies op religieuze vorming*, Tilburg University Press, 1998.
- De Jonge, Karin, Stella van de Wetering en Cok Bakker, *Proeven van Interreligieuze Leren, Utrecht, Universiteit Utrecht, Faculteit der Godgeleerdheid, 1999.*

(1) This presentation is partly based on research and literature on the topic and partly on own research for many years and own experiences as a mother in a Muslim Dutch-Moroccan family in the Netherlands.

DYNAMIC OF PONDOK PESANTREN AS ISLAMIC EDUCATIONAL INSTITUTE IN INDONESIA

By:

DihyatunMasqon, M.A., Ph.D

Presented at:

Religion and Life: A Christian-Islamic Dialogue
VU University Amsterdam - November 22-25, 2010

Introduction

Pesantren, school and madrasah are three kinds of the National Educational System in Indonesia. Different from school and *madrasah*, *pesantren* has been identified with Islamic and indigenous originality, in fact *pondokpesantren* is the oldest educational institution known in Indonesia.

In the early development, many *pondokpesantren* only focused their program on religious learning (*tafaquh fiddin*) and reading a variety of Islamic classical books such as in the field of *fiqh* (Islamic law), theology and *tasawwuf* (Islamic mysticism). The main reason for attending *pondokpesantren* was to gain the blessings of Allah. Therefore, a certificate of learning graduation was not given adequate attention, and there was not a precise regulation regarding the study program.

In *pondokpesantren*, *santri*, student of *pesantren*, would learn to become Muslims who obey God's commands, have good characters, show strong and comprehensive personal features, possess intellectual capability and are independent. Upon returning to their community, *santris* have been projected to be good examples for them to spread Islamic message as *rahmatan li al'alam*. There are a number of principles adopted by *pondokpesantren* such as sincerity, modesty, peace, wisdom, accountable freedom, autonomy, togetherness, harmonious relationships (among *santris*, teachers, parents, and community).

Element of PondokPesantren

First, the *Kiai*. The *Kiai* is always a central figure in *pondokpesantren*. The *Kiai* is not only a spiritual leader, but also a holistic leader in all aspects of life in *pondokpesantren*. In traditional *pesantren* The *Kiai* teaches classical Islamic text-

books with a *sorogan* method, i.e. a teaching - learning process in which the *kiai* personally addresses individual students (known as *santri*) or a small group of *santri* at elementary level. Another popular method employed by the *kiais wetonanor bandongan*, that is what in modern terms is called "lecture". The *kiai* gives specific, scheduled lectures on certain topics of some classical textbooks (*kitabkuning*) in front of a large number of intermediate audiences (Martin van Bruinessen 1990: 226-269). As for more advanced *santri* or *takhasus*, usually the *kiai* employs a teaching-learning method called *musyawarahin* delivering his lecture, which is similar to a conference.

Second, the *Santri*. The *santris* someone or a group of people who pursue knowledge in *pondokpesantrenis* usually accounted as an indicator of its progress and popularity. *Santri* usually have a strong solidarity and familiar bond among themselves or between them and the *kiai*.

Third, *Pondok*. *Pondokis* a dormitory where *santri* live and study under the guidance of the *kiai*. In a number of *pondokpesantrenit* is *santris* themselves who take care of their *pondok* and all their other needs under the supervision of senior *santri*.

Fourth, Mosque. Mosque constitutes a main resource and space in which the *kiai* carries out his obligation to educate and train his *santri*, to perform *ibadah* (divine certitude), learning Islamic textbooks and conducting social activities. Functionally, the mosque is not only for praying, but it is usually can be used for empowering muslims in a broad sense (Imam Zarkasyi 2009: 3-5).

According to Education Management Information System (EMIS), Directorate General of Islamic Institution. The total number of *PondokPesantrenin* Indonesia 14.361, 1.381 located in Sumatra, 11.664 in Java, 336 in Bali & Nusatenggara, 294 in Kalimantan, 661 in Celebes, and 25 in Papua (Directorate General of Islamic Institution 2004: 17).

It is worth mentioned that traditional *pondokpesantren* give more attention to the Islamic classical textbooks, known as *kitabkuning* (yellow books), the reservoir of the intellectual richness inherited from previous Muslim scholars from the early and medieval periods of Islamic history. These textbooks in fact contain analytical

thoughts of earlier *ulamases* pondering to religious, political, economic as well as social and cultural problems of their time and places. Mean while modern *pondokpesantren* have departed to study more recent books, and treat the classical ones as complementary subjects.

In any case, *pondokpesantren* have contributed a lot in developing the quality of Islamic education and of religious and national life where the government can fight ignorance and solve the universal human programs.

The Spirit of *Pondok Pesantren*

As it was mentioned before that the silent features of *pesantrenas* a religious educational institution is the presence of a learned Muslim scholar, usually called *Kiai*, who plays the role of central figure in the system, the availability of dormitories, named *Pondok*, the presence of students, called *santri*, and the existence of a mosque as the center of activities and religious education. It is within those pillars along with its spirit that pesantrene education was very effective in developing morality and mentality, as well as intellectuality of the students.

This spirit, according to Imam Zarkasyi, can be simplified into five spirits, PancaJiwa, namely: Sincerity (*al-ikhlas*), Simplicity (*al-bas'wah*), Self-Reliance (*al-'itimad 'ala-l-nafsi*), Islamic Brotherhood (*al-ukhuwah al-Islamiyah*), Freedom (*al-huriyah*) (Imam Zarkasyi 1965: 5-9).

Sincerity is a principle for work, it is the spirit of all activities, the Holy Qur'an suggests that one should follow those who do not ask for salary and they are among the guided people.

Simplicity is a way of behaving that is applicable to an individual conduct in his or her daily life, it is very positive conduct towards every situation of life. This implies that one should live based on his or her basic needs and not on demand, because this spirit will cultivate strength, courage, determination, and self control.

Self-Reliance is an important spirit applicable for both individual and institutional principle. This means the students of *pesantren* do not depend on others, each student manages his extramural activities independently, while students as a whole are given total responsibility to manage all their students' activities in the boarding system.

The *pesantren* self as an education institution is managed to be self-reliance which means it does not depend on the help of others. People may give financial or material support but *pesantren* develops not because of supports of others, *pesantren* has to rely on its own resources without having to be dependent on others for aids or assistance.

Islamic Brotherhood is a principle through which every student learns how to build strong friendship and empathetic solidarity towards others, and how to respect each other. Fighting, quarrel, or other types of dispute among students are regarded as a crime.

As far as **freedom** is concerned, it is a mental attitude in which one should be free of group fanaticism. This spirit makes santri optimistic in facing the problem of life, freedom in shaping his future and selecting his way of life.

There were, in fact, more than those five spirits taught to the students in the *pesantren* system, both traditional and modern one. These were reiterated in various occasions inside as well as outside the class, pasted on the walls of the campus, and written in books, brochure and guide-book of the *pesantren*. The Arab maxim *man jaddawajada* (whosoever works hard will get), for example, is the famous spirit of work that none of the *santri* will ever forget. Other maxims like: *Hidupsekali, hiduplah yang berarti* (you live once hence live meaning fully), and: *wa ma-l-lazatuillaba'da-l-ta'abi* (no gain without pain), *man yazra' yahshud* (who so ever sows he will reap) are learned by heart. It means that *pesantren's* system of education is values-oriented which are mainly derived from the teachings of Islam.

The Ideal Model of Pesantren

The expectations towards the role of *pondokpesantren* amongst the Muslim community in Indonesia move on since the early twentieth century. *PondokPesantren* in this due regard, has in many different ways responded to the demands of the modern Islamic education and social economic changes of Indonesian society, it is not only to perform its three traditional roles as a locus for transforming Islamic learning, preserving Muslim traditions and reproducing scholars. Further more, as we shall discuss in the case of *Pondok Modern Darussalam Gontor* (Darussalam Modern Islamic Institution Gontor, commonly known as Gontor), it becomes center

to educate leaders of tomorrow with specific qualities, namely: noble character, sound body, broad knowledge, and independent mind.

It is worth noted that *pondokpesantren* can maintain its development and progress not only because it has flexibility to make adjustments and readjustments to the ever-changing situations and needs, but also due to the face that *pondokpesantren* has a strong bond and proximate relationships with its surrounding community. This closeness may be traced back through the historic account that education in *pondokpesantren* is community oriented education and therefore it serves as community based learning center.

Pondok Modern Darussalam Gontor located at Gontor, Ponorogo, East Java, 200 km from Surabaya, the capital of East Java Province. Historically Gontor founded on September.20.1926 by three brothers; K.H. Ahmad Sahal (1901-1977), K.H. ZainuddinFanani (1908-1967) and K.H. Imam Zarkasyi (1910-1985). They were known as Trimurti. The main characteristic of Gontor is its distinct approach towards modernizing Islamic education by using integrated system of *pondokpesantren* and *madrasah* into a new system of Islamic education. The *madrasah* was a good system for formal education but not for non-formal and informal education. Students may learn well in the class but what happen outside the class was beyond the system. The *madrasah* is precisely like the modern school system and is not sufficient to inculcate other Islamic teachings that are not covered by the *madrasah* curriculum. The positive aspect of *pondokpesantren* was to be found in its boarding system where non-formal and informal education and activities can be carried out within the spirit and bound of Islam. Imam Zarkasyi, one of the founding fathers and a real architect of Gontor system of Islamic education, tried his best to integrate both of them in one system by adopting the positive aspects of both the *madrasah* and the *pesantren* system assimilating them within a specific identity (Hamid FahmyZarkasyi 2009: 9). The nature of this new system is discernable from his statement below:

"This *pondokpesantren*, Gontor, is an Islamic educational institution like any other institution. The difference is only in its teaching method. We use modern teaching method but do not teach something new in religion. This *pondokis* a waqf

for the Muslim ummah and is not the property of Kiaianymore. This pondokis not inclined to any political party; therefore its motto is *Berdiridiatasdanuntuksemuagolongan* (stand above and for all groups). Its educational goal is to produce a Muslim who has noble character, sound body, broad knowledge, and independent mind. The final objective of this *pondokis li l'la'ikalimatilla*" (Imam Zarkasyi 1976: 7)

In the mean time, to actualize this integrated system Gontor has adopted the best prototype of educational institution in the world. There were four ideal institutions in this regard, namely: *al-Azhar* University in Egypt, *Shinquitin* Mauritania, *Aligarh* Muslim University and *Shantiniketan* both were in India.

Al-Azhar University is known as the center of Islamic knowledge in the Muslim world and was highly reputed with its survival for centuries due to its waqf property. Al-Azhar University could give scholarship to Muslim students from all over the world.

Shinquit was a well known institution, not only for its boarding system but also for the sincerity of its founders and teachers, and their hospitality as well. Located in a remote area in Mauritania and under the guidance of its founding father Sidi Abdullah, it could accommodate around 3000 to 5000 students with full scholarship. Allegedly, the graduate of this institution played a pivotal role in the spread of Islam in North West Africa in 19th century.

Shantiniketan was basically a traditional boarding school that belongs to Rabindranath Tagore, a Hindu philosopher and nobel prize winner. Located in a village and under the authoritative figure of Tagore, this institution inculcated the philosophy of life, the most important of which is the principle of simplicity of life with peaceful atmosphere, shantiniketan etymologically means abode of peace. In this institution teachers and students learn together in a milieu that is fully designed for education.

The fourth and the last model is Aligarh Muslim University (AMU) which was and is still an Islamic university in the history of India. It was founded in 1920 under the name Mohammedans Anglo Oriental Collage by Sir Syed Ahmad Khan but later it became first university in India, its main objectives was to revive the Muslim ummah by the inclusion of knowledge through education. It was because of its objec-

tive that Gontor made it a model for the future of Islamic education. (PanitiaPenulisan 1996: 476-480).

So the ideal educational institution envisioned by Gontor was an Islamic educational institution that was to be the center of learning for Islamic studies, which could generate its own fund and able to give scholarship to its students. This institution should be driven by the spirits of sincerity, simplicity, brotherhood, self reliance and accountable freedom, and other Islamic spirits which are instrumental for one's religious and worldly life. By this spirits and principles the institution could hopefully be a world class educational institution.

The Characteristic of Gontor Institution

We shall discuss this point only on certain important matters pertaining two important aspects, namely: new Islamic educational system and new institutional system founded by Trimurtito reform *pondokpesantren*.

1. New Islamic educational system

In Gontor's eyes there is no dichotomy of knowledge in Islam, santri learns religious subjects, *fiqh, aqida, nahwsarf, balagha, hadith, tafsir* with modern teaching method, and studies social-natural sciences, method of teaching, mathematics, biology, algebra, physics and cosmography with religious approaches. When former President Soeharto visited Gontor in 1971, he asked Imam Zarkasyi about the ratio of social-natural sciences and religious sciences in the curriculum. Imam Zarkasyi replied: 'Here the curriculum consists of 100% religious and 100% social-natural sciences.' By this new curriculum model Gontor intended to produce Muslim intellectual who are conversant of not only religious knowledge but also social-natural sciences. The ideal out put for this system, as reiterated by Imam Zarkasyi in many occasions was: 'to produce Ulama with high intellectual capacity and not intellectual who knows little about religion (*Ulama yang intelek dan bukan intelek yang tahu agama*) (Hamid Fahmy Zarkasyi 2009: 11). The implication of Imam Zarkasyi's obsession is quite clear that in the future there should be Muslim scientist who speaks about their expertise from Islamic perspective.

Beside this new curriculum system, Gontor also applied new instructional methods, especially in teaching Arabic and English (Dihyatun Masqon 2001: 320-

348). The main idea of this principle was that the method of teaching is more important than the subject taught (*al-tariqahahammu min al-maddah*), however the teacher is more important than the method (*al-mudarrisahammu min al-tariqah*). To simplify this maxim Imam Zarkasyi used to draw the parable of the knife and the apple. The skill of cutting the apple is more important than the knife, yet knowledge about the skill is not important for someone who is already skillful. So, the personal factor of a teacher is the most important one, and that is the spirit of the teacher (*r,h al-mudarris*). To improve the spirit of teachers, Gontor employed the religious approach by enforcing the spirit of *pesantren* that the teacher should have, for example the spirit of sincerity (*ikhlas*) when he teaches his students.

c). Apart from the enforcement of Islamic spirit by utterance or verbal and written words, Gontor designed student activities with the objectives of inculcating mental skill. Imam Zarkasyi asserted that mental skill is more important than job skill. On this point he disagreed with the national education system that emphasizes on job skills. True Islamic education should be directed for worshipping Allah (*ibadah*), for seeking knowledge (*talab al-'ilmi*) not for becoming government servant. Imam Zarkasyi used to say that it is better to become an entrepreneur who manages his own business and employs many officers rather than to become government servant. This is what he meant by self-reliance (*al-i'tim'd 'al' an-nafsi*) as one of the spirits of the *pondokpesantren*. The learning strategy for inculcating mental skill, according to him, is 'learning by doing' which can be carried out by involving all students through informal and non-formal education. In this system students are given the responsibilities to manage their own activities under the umbrella of Student Organizations. The guiding principle in this regard is that everyone should be 'ready to lead and ready to be led' (*siapmemimpindansiapdipimpin*) sincerely based on the spirits of *pesantren*. As a result, from early morning of *Subuh* prayer, four o'clock in the morning, until ten a clock at night, all students are preoccupied with activities. Imam Zarkasyi is of the opinion that young men should be kept busy and should not be free from any meaningful activities. 'Take break or rest is no other than shifting from one activity to another' (*al-rahatuhiya al-intiqal min 'amalinila 'amalinakhar*). That is the best way for inculcating the mental skill to the students,

such as the spirit of team works, leadership and sense of responsibility, entrepreneurship and management, beside, of course, cultivating discipline habit.

2. New Institutional System

Another innovative and reformative step taken by Gontor is concerning the status of the institution, its organization and its future. As a matter of fact, the traditional *pesantren*s mostly plagued with stagnancy and ineffective educational management. Kiai, the central figure, and his family were so dominant that when he died, he would be substituted by his son or son-in-law, otherwise the *pesantren* would cease to operate. This indicates that the weak point of *pesantren* system was its regeneration process and the structure of its organization.

Trimurti the founding fathers of *Pondok Modern Darussalam Gontor* have initiated a new *pesantren* system, which applied effective and efficient management, and adopt modern ideas of progress as well as modern system of education. At the outset, they endowed almost all the land inherited from their parent for the sake of *pesantren*. They started with a small step in educating the illiterate villagers that was in 1926 but they have in their minds big aspirations, great idealism of building a world class education institution. The real institutional system began three decades after the establishment of *pesantren* that was in 1958, when they declared that they endowed sincerely in writing all their inheritance to the Muslim ummah. From that moment the *pesantren* was no longer the property of the founders or their descendents. The waqf declaration also mentioned that survival of the *pesantren* should be the responsibility of the fifteen appointed members of Waqf Board. Another point of the declaration asserted that the *pesantren* should be developed further to qualify as an Islamic University and become major center for Arabic Islamic Studies that offers its service to the ummah (Piagam Penyerahan Wakaf 1958: 15-17).

At present, after the death of the last *Trimurti*, K.H. Imam Zarkasyi in 1985, Gontor has survived well and has been properly maintained under the dynamic leadership of Dr. K.H. Abdullah Syukri Zarkasyi, M.A., K.H. Hasan Abdullah Sahal, and K.H. Syamsul Hadi Abdan. Its property has been successfully developed.

Gontor today has fifteen branches to fulfill the demand of society using the

same curriculum, the same method and inculcate the same values as well with total students more than 20.000, these are:

Gontor 2, at *Madusari, Ponorogo, East Java.*

Gontor 3, at *Gurah, Kediri, East Java.*

Gontor 1 for girls, at *Mantingan, Ngawi, East Java.*

Gontor 2 for girls, at *Mantingan, Ngawi, East Java.*

Gontor 3 for girls, at *Widodaren, Ngawi, East Java.*

Gontor 4 for girls, at *Konda, Konawe Selatan, South East Celebes.*

Gontor 5 for girls, at *Kandangan, Kediri, East Java.*

Gontor 5, at *Kaligung, Banyuwangi, East Java.*

Gontor 6, at *Sawangan, Magelang, Middle Java.*

Gontor 7, at *Podahoa, Konawe Selatan, South East Celebes.*

Gontor 8, at *Labuhan Ratu, Eastern Lampung.*

Gontor 9, at *Kalianda, Southern Lampung.*

Gontor 10, at *Seulimeun, Nangroe Aceh Darussalam.*

Gontor 11, at *Sulit Air, Padang.*

Gontor 12, at *Tanjung Jabung Timur, Jambi.*

Presently, Gontor has no less than 29 business enterprises in various sectors such as book store, pharmacy, mini market, rice field, publishing house, radio station, packing mineral water and the likes. Not less than 828,05 Ha of land possessed by Gontor, and its system had been developed and modeled by its graduate in about 215 pesantren (Tim Redaksi Wardun 2010: 25-65).

Conclusion

Until today, *Pondok Pesantren still* and always implement its commitments to be the center for community development by cultivating positive moral attitude and character building of the muslim community, for a man to be successful in life character is more essential than erudition. This is becomes so significant keeping in mind that cultivating good ethics has to include developing desired attitude, comprehending values system as well as personal appreciation which must be manifested in people's behavior.

At this very point, in modern Indonesia *Pondok Pesantrenwork* hand in hand with the government to prepare qualified human resources who are pious, virtuous, intelligent, and meaningful for the sake of better tomorrow.

Bibliography

- Bruinessen, Martin van, 'KitabKuning: Books in Arabic Script Used in the Pesantren Milieu', *Bijdragen tot de Taal-, Land- en Volkenkunde*146 (1990), 226-269.
- Dasuki, A. Hafidh, *Sejarah Pondok Modern Gontor*, vol.I, Gontor, Pondok Modern Gontor, 1960.
- Departemen Agama, *DinamikaKehidupanPesantren di Indonesia*, (Jakarta 2004).
- Dhofier, Zamakhsyari, *Tradisipesantren: Studitentangpandanganhidupkyai*. Jakarta: LP3ES. 1982.
- Koentjaraningrat "IkhtisarSejarahPendidikan di Indonesia" in Koentjaraningrat (ed), *Masalah-masalahPendidikan di Indonesia*, Jakarta, LP3ES, 1982
- Masqon, Dihyatun, *al-Ittihat al-Haditsah fi Ta'limi al-Lughah al-'Arabiyah Li ghairi-l-Nathiqienbiha fi Indonesia*, Thesis presented as partial fulfillment for Ph.D Degree in the faculty of Humanities and Language, JamiaMilliaIslamia, (New Delhi, unpublished, 2001).
- PanitiaPenulian, Biografi KH. Imam Zarkasyi, Dari GontorMerintisPesantren Modern, Gontor Press, 1996.
- *Piagam PenyerahanWakaf Pondok Modern Gontor*, Ponorogo, 1958.
- RasyidRida, Muhammad (1350 H/1931 M), *Tarikh al-Ustadz al-Imam Muhammad 'Abduh*, (Egypt: Matba'ah al-Manar, n.d.).
- Tim Redaksi, *Wardun, Warta DuniaPondok Modern Darussalam*, TahunAjaran 2008-2009, vol. 62, Sya?ban 1430.
_____ vol.63, Sya?ban 1431 (TahunAjaran 2009-2010).
- Yunus, Mahmud, *Sejarah Pendidikan Islam*, Jakarta: HidakaryaAgung, 1985.
- Zarkasyi, AmalFathullah, *KonsepTauhidIbnTaymiyahdanPengaruhnya di Indonesia KajianKesTerhadapPenggubalan KurikulumPengajianAkidah di*.
- *Pondok Modern Darussalam GontorPonorogo Indonesia*, Thesis presented as partial fulfillment for doctoral degree in the faculty of Usuluddin, department of Theology and Islamic thought, Academy of Islamic Studies, University Malaya, (Kuala Lumpur: unpublished, 2005).

- Zarkasyi, Imam, *Pelajaran Fiqh 1*, Gontor: Trimurti Press, 1995.
- Zarkasyi, Imam, *'Pembangunan PondokPesantrendan Tata Usaha untukMenghidupkannya'* Working paper in the national conference of PondokPesantren. Yogyakarta, 1965.
- Zarkasyi, Imam, *Diktat Pekan Perkenalan*, (Gontor: Darussalam Press, n.d.).
- Zarkasyi, Imam, *Pidatopada ResepsiK asyukuran Setengah Abad Pondok Modern Darussalam GontordanPeresmian Masjid Jami' Gontor.*(Gontor: unpublished text of Speech, 1976).
- Zarkasyi, Hamid Fahmy, Imam Zarkasyi's Reform of Traditional Pesantren in Indonesia, article presented at 7th World Conference on Islamic Education, International Islamic University Collage of Selangor, (Kuala Lumpur, 2009).

Ref Ed 3. Christian Education in Lebanon

By Rima Nasrallah

Introduction

Christian education in Lebanon has successively functioned as identity maker and marker, tool for evangelization and conversion, and means for ecumenical harmony and peace building among religions. It stands at the core of the educational system in the Church owned schools, it is very dynamic in parishes through small group activities and scout-like teams and it is increasingly becoming visible in private initiatives of independent spiritual or charismatic groups. The Middle East Council of Churches (MECC) has since its emergence in 1974 given special attention to the subject of Christian education and worked towards developing and harmonizing the various strands in it. In this paper, I will be focusing on Christian education in the Lebanese schools, both private and public. Before explaining the historical development of Christian education in schools, I start by sketching the general Lebanese religious situation. Both the background and the history are needed for the understanding of current initiatives and plans in the field.

The Lebanese Confessional System

Lebanon has a particular religious situation that distinguishes it from other Arab countries. Much of the Christian communities in it have inhabited its mountains and cities since the early Christian centuries. Due to its mountainous geography it has historically functioned as a refuge for persecuted or migrating Christian communities in the area. In it we find a Christian population that is concentrated on a small space and does not live with the minority complex that other Christians in the Arab world suffer from. On the contrary the present Lebanon in its current borders and structure exists largely thanks to the efforts of its Christian community, particularly its Maronite (Catholic) constituency (Valognes 1994: 636). Therefore, as we look at Christian education in Lebanon we should bear in mind that this is not the work of a minority but of a sizable and varied group of organized Christian institutions with a long history in the field of education.

Moreover, religion in Lebanon has never been a mere private matter of per-

sonal faith and conviction. It is and has been an essential identity marker for the various communities. Ever since the Ottoman times, the inhabitants of today's Lebanon have been organized in separate religious communities (known as *Millet*) gathered around one religious leader (i.e. a Patriarch). They formed self-governed communities and enjoyed a degree of autonomy to practice their religious beliefs and mold their own cultural, educational, and legal institutions. These ancient divisions along sectarian lines were incorporated in Lebanon's governmental structures. After its independence in 1943, the parliamentary republic fixated this confessional belonging by allocating political power and positions based on the denominational percentages of that time. In this system every Lebanese citizen has to belong to one of the seventeen officially recognized confessions. There is no space in the Lebanese constitution for secularism. Therefore, every Lebanese belongs to a religious group even if privately or publicly he or she does not have faith. Being baptized, getting married and buried in Church are the minimal contact points everyone must have with his Christian denomination. For example, if a Christian is not baptized then he or she cannot get married since civil marriage is not available in Lebanon. The Muslim, Druze and Jewish communities have their own requirements as well.

Belonging to a denomination goes beyond the personal status of the individual to his or her political and economic rights and practices. The seats in the parliament are divided according to denominations and so are many governmental offices. The unwritten National Pact of 1943 stipulates that only a Maronite can become president of the Republic, only a Muslim Sunni can become Prime Minister, and only a Shiite can be speaker of parliament. Belonging to a denomination decides much more than one's set of doctrines and manner of worship, it decides one's future career and possibilities. Commercial and financial positions are also ruled by this logic and rest in the hands of the elites denominations (Schultze 1998: 152).

This sectarian fixation, although intended for securing peace among the various groups has led to an explosion of hatred when the religious percentages changed. As the numerical balance tipped in favor of the Muslim population, the Lebanese resorted to solving the political equation in the streets. Sixteen years of war between the various political and religious groups intensified the suspicion and alienation between the communities. Religion, political aspirations and identity al-

most collapsed into one entity. Belonging to a certain religion automatically attributed to the individual the sins of the community. Regions that were once of mixed religious character became homogeneous as one or the other community was expelled by force or migrated willingly.

After the war has officially ceased private initiatives were made for peace and reconciliation among the various groups. The topic of peace building preoccupied Christian schools and Church leaders for a long time. Many attempts were made to fashion educational systems that promote “religious” peace.

It is with this background in mind that we should look at Christian education in the Lebanese school. The long presence and important influence of the Christian community in Lebanon, the Lebanese confessional system, the experience of the war and the post-war situation all shaped and influenced the fate of the educational system.

Schools prior to the twentieth century

The Ottoman Empire schooling system

The general education system in the ottoman empire was an Islamic one, Qur’anic schools, *kuttabs*, *madrassahs* as well as sufism were means of education. The *Kuttabs* originally taught children reading, writing and memorization of the Qur’an. The *madrassahs*, were a more advanced system comparable to modern secondary level education institutions responsible for training the Ulama, and the *Qadis*. As the Ottoman state developed, education became more organized and formal, and higher education was implemented in the big cities intended for the education of the military. Besides religion, these institutions taught languages and eventually replaced the strictly religious schools in the cities. By the beginning of the nineteenth century the ottoman empire introduced a number of reforms, *tanzimat*, in order to revitalize a declining empire. The introduction and modernization of secular education was one of them (Lattouf 2004: 51).

However, this was by no means the main schooling option. On the contrary the educational system mirrored the *millet* system. The various communities organized their own educational systems basing them on their religious and cultural values. Traditionally, schooling in the Christian communities was the responsibility of Churches and parish priests. By the late eighteenth century, capitulation agree-

ments between the Ottoman Empire and Western countries, originally intended for commerce reasons, opened the door for Western missionaries to increase the activities in the eastern Mediterranean. Invited by the local Christian rulers, French Jesuite missionaries were sent to help expand the educational activities in Lebanon. Ties between the Maronite-Catholic community and the Europeans were strengthened based on religious, educational and economic alliances with Rome and many young Maronites were trained in Rome as clerics and teachers and then administrators (Moosa, 1986).

The Era of Western Missionaries

The establishment of advanced schools, the equivalent of secondary education, goes back to the early seventeenth century when the first monastic schools were founded in northern Mount Lebanon. They taught both religion and secular subjects. These schools were known to be great centers for learning and were highly instrumental in the development of the Arabic language and grammar. In the eighteenth century, the Synod of Louaize, a conference between Maronite and Roman Catholic clergy, had as one of its main aims the establishment of Catholic schools that would teach secular subjects alongside religious education. It is however, the nineteenth century that saw the largest and most massive missionary educational activity.

By the beginning of the nineteenth century, American Presbyterian missionaries (ABCFM) arrived to Beirut. Though education was not part of their missionary plan it soon became one of their main and most successful activities. Their main target was to revive the existing Eastern Church, considered a misguided Church with a marred spiritual life. Through the revived Eastern Church they hoped for the conversion of the East. However, this plan did not take place and instead the missionaries established a Protestant community made up mostly from proselytized Eastern Christians and some Druze converts. Nevertheless, the schools established by the Protestant missionaries were attended by children and young people from almost all denominations and had a great impact on the society at large (Badr 1992, Badr 2005, Murre-van den Berg 2006, Makdisi 2008).

As the century progressed, many other Protestant missions followed and established schools as well. In addition to the American Presbyterian schools, British

and Scottish Presbyterians as well as Prussian Deaconesses of Kaiserwerth were all active in the educational domain. Having seen a need for education and sensing the eagerness of the Lebanese for learning, especially in the Western modern style, the missionaries went to great lengths to establish as many institutions as possible. The Schools were at first necessary for literacy and were seen as the prerequisite for reading and understanding the Bible. "When the American Protestant missionaries began to establish schools, the aim was not simply to educate the 'natives' as they called them, but to educate native helpers for the missionary work" (Sabra, 2009: 14). In time they hoped the graduates will become assistants in the work of the mission and then eventually take over and spread the message.

However, soon missionary schools became considered as "entering wedges" (Jessup, 1910: 592) for the spread of the Gospel and their main aim was converting the pupils and the teachers to the true Gospel. By 1897, the British Syria Mission (BSM) alone had established 52 schools, with 3789 pupils and 105 national teachers (F.E.Scott 1960: 36).

The European workers who worked in those schools aimed at touching the hearts and molding the souls (Murre-van den Berg 2001). In boarding schools much effort was put in private preaching, invitation to soul searching, Bible studies and spiritual retreats. The amount of public confessions was the measuring rod for the success of the schools. Whereas the early schools were using the New Testament as a textbook (Tibawi, p.33), the curriculum of the schools soon became more varied but still included the subject Bible as the core subject. The children had to attend chapel services of evangelistic character led by Western or local preachers. Bible clubs were established as noon or evening activities. Moreover, the teachers were highly involved in the life of the pupils outside school time. The drive behind this total immersion was character formation and the cultivation of spiritual and personal values among the students? (Sabra, 2009: 15).

Shortly after the arrival of the Protestant missionaries, the Jesuites returned. Alarmed by the activities of the Protestants they set off to strengthen the existing Catholic schools and establish new ones to counter balance the Protestant advance. The Maronite religious authorities warned its members from the Protestant institutions and forbade them to attend their schools under threat of

ex-communication (Makdisi 2008: 97). The Greek Orthodox took the same steps but were not as widely obeyed as the Maronites since they themselves had no Orthodox schools. This situation would change towards the end of the nineteenth century thanks to the help of the Russian Orthodox Church.

Aided by the Jesuites, the Maronite and Eastern Catholic community strengthened their schools which were run by local and foreign priests, monks or nuns. Catholic education was indispensable to clarify to the members of the community the religious errors of the 'others' and prohibit their fall. Catechism classes were enforced as well as regular masses in schools. Education became a weapon in the hands of the religious communities who kept opening new schools and institutions to compete with each other. Soon after the American Presbyterian mission established its University, the Syrian Protestant College (today known as AUB), the Jesuites opened theirs (Université Saint Joseph). More Colleges and Universities were established by the various religious communities and were run for a long time by members of the clergy or foreign missionaries. During that early phase in the nineteenth century, an atmosphere of mutual suspicion and antagonism reigned between the Protestants on one side and the Maronites and Orthodox on the other. These Church or mission owned schools were the most attended schools. Though they were considered private schools, they were open to all stratas of the society as the schools often facilitated payments of fees, offering scholarships or financial aid. In those schools the pupils and students were immersed in a highly religious atmosphere both educationally and spiritually and were made aware of the differences that separated them from the other communities.

Private and Public Schools in modern Lebanon

The rise of nationalism in the twentieth century, the emergence and independence of the Republic of Lebanon and the relative prosperity that was witnessed halfway the century, affected the schooling system. With the birth of the Republic of Lebanon in 1943, a unified public schooling was given higher attention. The question of education gave rise to many controversies and debates centered around the opposition between public and private school, language of education, schooling fees etc. While opposing Lebanon's cultural pluralism, Arab nationalism saw in public schooling the hope for a new Arab nation. Nevertheless, public schooling was

never really void of religious education. Public schools with a uniform Christian or Muslim student body offered religious education matching the religion of the students. Schools that have a mixed student body would separate the children during hours of religious education. Christian pupils would be given Christian lessons by a priest or lay teacher delegated by the local diocese and the Muslim students would be given Islamic lessons given by a Sheikh appointed by the local Muslim community. Today religious education in public schools is supposed to be optional yet in many schools it is still obligatory.

Nonetheless, private schooling, and Church owned schools in particular, continued to be widely attended and highly influential. The prosperous network of Catholic schools continued to flourish and offer a distinguished level of education throughout the country. It is estimated that Catholic schools alone provide education to thirty per cent of school student in Lebanon. The secular as well as the religious curricula were imported from France. It is not until the 70s that a locally developed religious education program was suggested. This heavy reliance on French and other Western material explains the accusation Catholic schools received of creating Western-minded generations. Due to war circumstances, it is only in the 1990s that Vatican II's recommendations for inculturalization started to take shape in the Lebanese Catholic schools.

As for the Protestant schools, the twentieth century saw a clear reduction in their number. Due to financial problems in the funding Churches in the West, and changes in mission policies, the many small village schools were closed in favor of fewer larger city schools. The later liberal trends in the American mission together with its focus on attracting wealthier students and being competitive in the academic field led to the slow recession in the religious education that became more lax and more optional towards the 1960s. In fact, even when the American administration still demanded it, the missionaries themselves gave in to local pressure and gradually secularized their curriculum (Munn-van den Berg 2006: 14). The subject "Bible" became but one of the topics taught and weekly chapels became optional for non-Christians and even sometimes for non-Protestants. This was not the case in English schools where the teaching of the Word of God continued to be central to the curriculum. The atmosphere in the English schools was more pietistic and focused

on individual choice, public confession of faith and soul winning. Both American and English schools used imported anglo-saxon educational material in their secular as well as their religious education. Though translating the Bible into Arabic was one of the first endeavors achieved in the nineteenth century by the missionaries, much of the material used in Christian education was American or British though sometimes translated to Arabic. During the 1960s, the foreign missionaries who until then were running the Protestant schools and were mostly in charge of the Christian education in them, left Lebanon and handed the reins of the missionary apparatus to the local national Protestant community. This in turn affected religious education as the national Church lost much of the human resources involved in it. Today, both Protestant and Evangelical schools cooperate within the Fellowship of Evangelical Schools in Lebanon but remain diverse as far as their policies concerning education in general and Christian education in particular.

Following the revival in the Greek Orthodox Church, born out of the Orthodox Youth Movement, several Orthodox schools were opened in the second half of the twentieth century. The schools were built in proximity of Orthodox churches and reviving the Orthodox spirituality and tradition as well as keeping the Orthodox youth in the confines of the Orthodox church were some of their aims (Khodr 1992).

Alongside these Church-owned schools, one should not forget the *Makasids* or Muslim schools started in many mosques and in big cities and supported by wealthy Islamic nations such as Saudi Arabia and other Gulf states. All these religious schools, Christian and Muslim were accused of having led to and fostered division and barriers among the Lebanese which have been very difficult to break and in turn fueled the Lebanese Civil war. Lebanon also has a number of private secular schools not belonging to any religious group and not offering any religious education, but those remain a small minority.

All those schools follow a more or less general structure. The total duration in school is 12 years, divided into six years of primary school, three years of intermediate school and three years of secondary school. Though the government imposes on all students two sets of official exams, one at the end of the intermediate phase and one at the end of the secondary phase, private schools offer in addition

either the French Baccalaureate (through the French Embassy), the International Baccalaureate, or the High School system.

Civil War

The Lebanese educational system suffered greatly during the Lebanese civil war (1975-1990). The governmental paralysis engendered a void in the public sector and the private schools had to take over and fill the gaps. Each confessional community had to develop its educational structures and even create new ones to accommodate and meet the new reality. Many schools were destroyed and some relocated, both students and teachers faced difficulties commuting, the economy crashed and the demographical structure of the country changed. Yet despite all this, Church-owned schools flourished and absorbed great numbers of students dropping from the now sub-standard public schools. It is thanks to the private sector that the Lebanese educational system could maintain its high academic standing. Only after the war has ended could attention be given to the rehabilitation of public schools, though not always successfully.

After the war ended, Church-owned schools and Universities realized the weight of the challenge the new demographic and political situation brought to their doors. Many Christian schools found themselves operating in areas where only Muslim students remained. Some had to deal with a mixed student body fueled with hatred towards each other's religion. Urgent steps had to be taken by those schools to meet this new situation.

Christian education was then a theme to be reconsidered. Some Protestant, Catholic and Orthodox schools now operating in mainly Muslim areas dropped Christian education altogether and opted for teaching ethics instead (Annahar, Riashi, 2004: 21). Other schools coupled Christian education with peace education. However, the majority of Church owned schools saw an even greater need for Christian and Spiritual education in post-war Lebanon. Stemming from a need to restructure a shattered identity or as a reaction to the painful political losses, the Christian community found refuge in charismatic and mystical movements evidenced in a revival of monastic life (Picard 2003: 157). Catholic schools in particular focused more intensely on religious education and spiritual revival by offering

regular masses, spiritual retreats and heavy presence of clergy in schools. In 2004, the aim of education in Maronite schools was summed up as “so that they grow in wisdom and in stature and in divine and human favor” after the example of Jesus. Spiritual growth was underlined as one of the essential elements as well as a rediscovery of the Maronite heritage (Annahar, Costantine 2004: 4).

In light of the general situation in the Middle East, Church-owned schools gathered their forces under the umbrella of the MECC, Christian Education Unit, in order to think together and plan for the future of the Christians in the area. The situation of the Church-owned schools and Christian education in them was seen as a key element in redefining the situation and role of the Christians in a tumultuous Middle East. In the context of the MECC and within the increasingly ecumenical spirit in Lebanon, the various Churches have voiced the need for unity and tolerance among the various Christian denominations. Between 1986 and 1994, intense meetings and workshops were organized to help Church leaders and especially those involved in Christian education in schools and Churches to evaluate, plan and coordinate efforts. Some of the suggestions ensuing from these years of consultations were: first the eminent need to develop adequate tools for peace education by which children and young people from the various religious groups can learn to coexist peacefully in the schools and the society; second, the need to reform the Christian education material used so far in order to make it more attractive to the new generation; third, the necessity of developing locally made Arabic curricula for Christian education that meet and address the local situation and fourth the need for an ecumenical curriculum that would introduce the students to the other Christian denominations (Jarjour and Masarra 1995).

New steps in Christian Education

The Ecumenical Curriculum

In this same spirit, Orthodox and Catholic patriarchs met in 1996 to address some of the issues pertaining to situations in which Orthodox and Catholic believers co-exist. Since in many cases, Orthodox and Catholic students attend the same private and public schools and participate in the same Christian religious education classes, in most cases Catholic education, there was a felt need for a unified and

ecumenical curriculum. The Churches involved in this meeting were the Eastern Catholic Churches (Maronites, Greek Catholic, Syriac Catholic, Armenian Catholic, Coptic Catholic, Chaldean, and Latin), the Antiochian Greek Orthodox Church, the Antiochian Syriac Orthodox Church, and the Armenian Orthodox Church (Cilicia). The new ecumenical curriculum would be based on a common Antiochian heritage and would include a Christocentric approach to salvation history, the liturgy where the sacraments of Christ are lived, the Church fathers and in particular the ascetics among them, iconography and finally the experience of the sanctified life in the Holy Spirit. The idea is to provide a common basic book accompanied by illustrations and examples from the respective traditions. Comments would be added in the margins to highlight the differences and particularities of the traditions concerning the various topics when needed (CPCO 1996: 2).

A committee was born out this meeting representing the different traditions and was called "The Committee for Common Christian Education in Lebanon". The Protestant Church joined the project at a later stage. The Protestants were "warned" by the committee that some of the material could be unacceptable for them such as the intercession of the Virgin Mary, the saints, the sacraments, and the icons. Yet the Protestants agreed to participate as long as a chapter would be added at the end of every book to clarify the position and faith of the Protestant Church. The Churches agreed not to mention in the book the historical disagreements between the traditions but to focus on the common elements. (Annahar, Homs, 2010: 11)

The work on the books started in 1997 and is still ongoing. It includes a teacher book and a student book for every school grade until the secondary classes. After being written the books are being revised by each Church tradition and then put in use for testing. They include passages from the Bible, passage from the liturgy, prayers from each tradition, passage from the writings of the Church fathers, and application exercises for the children. The project was funded by the various Churches and some issues were already translated into French thanks to private funds. This project was meant for Lebanese schools but has found its way to other Arab countries as well. Though it was launched and monitored by the Lebanese Churches, it has not yet been widely adopted. Catholic

schools still use their own Catholic books, the Protestants have their English or American curricula, and many Orthodox schools still use their own system. However, it stands as a sign of hope for the ecumenical body in Lebanon and its full adoption could take some time.

First Communion

In addition to the ecumenical curriculum, the Patriarchal meeting of 1997 decided to stop the habit of celebrating first communion in schools. It has been the habit so far that in Catholic schools, all children would be given catechism classes and then would, once in a certain grade, receive first communion in school. This has always created difficult situations for other Christian and non-Christian children who would either be forced to participate or be completely excluded from this central school event. The Patriarchs agreed that inter-communion is not acceptable for all parties and thus out of sensitivity for the others, the schools should refrain from celebrating first communion. In addition, the Orthodox faithful receive "first" communion at baptism and therefore do not need to have first communion the way the Catholics celebrate it. As a result, first communion is now celebrated in the parishes instead of in the schools (CPCO 1996: 4).

The Unified Religious Education Book

As a reaction to the religion-based conflicts and discrimination in Lebanon, the *Lebanese Movement for Human Rights* suggested an alternative for Religious education in public and private school. A curriculum for unified religious education books was launched in 2002 and proposed to the Ministry of Education. The Movement hoped that the books would become the only books used in public and private schools for religious education. The movement believes that schools are not the place for evangelism and religious preaching but for education and culture. In this context students should be taught about all religious faiths. Reacting to the fact that the first lesson children receive about religion is their separation in Christian and Muslim sub-groups, the Movement proposed a unified book that would be taught to both groups at the same time. The hope is that religious education would become optional and that parents would retain the right to ask that their children would be exempted from attending the lessons. The books were the product of a very com-

plicated process of writing and revising by a committee made of three Christian representatives and three Muslim representatives in addition to three representatives from Lebanon Educational Center for Research and Development. Once the books were launched, reservations were voiced from both the Christian side and the Muslim side towards the books. The ministry of education, in turn, did not follow up the implementation of the project and the unified curriculum was never put in place. (Annahar, R.F, 2002: 19).

Conclusion

Religion and religious education in turn, have been the source of much tension between the various political and religious groups in Lebanon. Tensions among the Christians themselves such as was the case between the Maronites and the Protestants in the nineteenth century or the Catholics and the Orthodox. Tensions between Arab nationalists who campaigned for an all Arab and preferably secular education and institutions that relied heavily on Western Christian sources and orientations. And most importantly, tensions between Christian, Muslim and Druze communities who emerged wounded from years of civil war and open hostility. The efforts done towards easing these tensions have to be acknowledged and applauded. Religious peace education, ecumenical Christian education and attempts to offer religious cultural education have all made a positive impact in the general atmosphere. However, the implementation of these initiatives remains limited to select groups in big cities and the problems will continue to persist on all levels as long as complete trust is not established between the various existing communities.

Bibliography

- Badr, H., *Mission to "Nominal Christians"*, (Unpublished Dissertation, 1992).
- Badr, H., 'Evangelical Missions and Churches in the Middle East: Lebanon, Syria and Turkey', in H. Badr (ed.), *Christianity: A History in the Middle East* (Beirut: Middle East Council of Churches, 2005)
- Fleischmann, E., "Evangelization or Education: American Protestant Missionaries, The American Board, And the Girls and Women of Syria (1830-1910)", in H. Murre van-den Berg (ed.), *New Faith in Ancient Lands. Western Missionaries - in the Middle East in the Nineteenth and Early Twentieth Century*, (Leiden, Boston: Brill, 2006).

- Jarjour, R., and Masarra, A., *Al Tajaddoud al Tarbawi fi ?alam Moutaghayyer (Educational Renewal in a Changed World)*, (Limasol: MECC publications, 1995).
- Jessup, H., *Fifty-Three Years in Syria, Volume II*, (New York: Fleming H. Revell Co., 1910).
- Khodr, G. "أنطاكية تتجدد، شهادات ونصوص" (*Antioch in Renewal, Testimonies and Texts*), (Beirut: Annour Publishing, 1992).
- Lattouf, M., *Women Education and Socialization in Modern Lebanon: 19th and 20th centuries Social History*, (Maryland: University Press of America, 2004)
- Makdesi, U., *Artillery of Heaven: American Missionaries and the Failed Conversion of the Middle East*, (New York: Cornell University Press, 2008)
- Moosa, M., *The Maronites in History* (Syracuse, New York: Syracuse University Press, 1986).
- Murre-van den Berg, H., "Dear Mother of my Soul", Fidelia Fisk and the Role of Women Missionaries in Mid-Nineteen Century Iran', (*in Exchange 30:1*, January 2001).
- Murre-van den Berg, H. (ed.), *New Faith in Ancient Lands: Western Missions in the Middle East in the Nineteenth and Early Twentieth Centuries*, (Leiden: Brill, 2006).
- Murre-van den Berg, H., "Simply by Giving them Macaroni...: Anti-Roman Catholic Polemics in Early Protestant Missions in the Middle East (1820-1860)", in Tamcke M., and.
- Marten, M., (eds.), *Christian Witness Between Continuity and New Beginnings: Modern Historical Missions in the Middle East*, (Berlin: LIT, 2006)
- Picard, E., "A L'épreuve de la Guerre du Liban", in Heyberger, B. (ed.), *Chrétiens du Monde Arabe: Un Archipel en Terre d'Islam* (Paris: Editions Autrement, 2003).
- Sabra, G., *Truth and Service: A History of the Near East School of Theology*, (Beirut: Library Antoine S.A.L., 2009).
- Schultze, K., "Communal Violence, Civil War and Foreign Occupation: Women in Lebanon", in Wilford, R., and Miller, R.L., (eds.), *Women, Ethnicity and Nationalism: The Politics of Transition*, (London and New York: Routledge, 1998).

- Scott, F.E., *Dare and Perservere: A Century of Evangelism in Lebanon and Syria*, (London: The Camelot Press Ltd, 1960).
- Tibawi, A. L., *American Interests in Syria 1800-1901, A Study of Educational, Literary and Religious Works*, (Great Britain: Oxford University Press, 1966)
- Valognes, J. P., *Vie et Mort des Chrétiens D'Orient, des Origines à nos Jours* (France: Librairie Arthème Fayard, 1994).

Articles from Annahar Newspaper:

Costantine, S., الكنيسة المارونية والتربية، التعليم العام والتقني (The Maronite Church and Education: General and Technical Education), in *Annahar Daily Newspaper* (Beirut: Annahar, issue 22118, 24/10/2004, p.4).

R. F., مشروع قابل للتنفيذ أم قبضة من الخيال؟ ندوة حول كتاب التعليم الديني الموحد، (A seminar

about the unified religious education book: a viable project or fantasy) in *Annahar Daily Newspaper* (Beirut: Annahar, issue 12237, 19/04/2002, p.19).

Homsy, H., كتاب التعليم المسيحي المشترك مبادرة مسكونية فريدة من لبنان إلى العالم (The common Christian education book, an ecumenical initiative from Lebanon to the world), in *Annahar Daily Newspaper* (Beirut: Annahar, issue 24045, 16/05/2010, p.11)

Riashi, J., التعليم الديني في المدارس المتعددة الطائفة، التصديق هو الدرس الأول في الرسمية، والخاصة علمانية أو ذات أكثرية

دينية غالبية (Religious education in multi-denominational schools: separation is the first lesson in public and private schools, secular or with a religious majority, in *Annahar Daily Newspaper* (beirut: Annahar, issue 22136, 11/11/2004, p.21).

وثيقة الاتفاق الكاثوليكي-الأرثوذكسي، دير سيدة النجاة، الأشرافية ١٤ تشرين الأول ١٩٩٦

(The Catholic-Orthodox Agreement Document: Monastery of Sayydet al Najat in Ashrafieh), (Zouk Mousbeh: CPCO, 1996).

No Editor, *The Maronite Patriarchal Council, Texts and Recommendations*, (Bkerke: Bkerke, 2006).

**The Standards of the Content
of Islamic Religious
Education for Pre-College
Education (Grades 1-12) In Egypt
DR. HUSSEIN BASHIR MAHMOUD**

Institute for Educational Studies

Cairo University

**I - Theoretical Framework of the Standard Levels of the Content
of Islamic Religious Education**

Introduction :

Religious education curricula have occupied a prominent position among the curriculums of formal education. Those curriculums recognize people their creator and the universe around them. They present a principle role in forming the values and ethical system which direct the individual in his relation with his relatives, society and all mankind.

Standard levels of Islamic religious education curriculums are defined according to the general attitudes of the great Islamic religion and the bases of its instruction which represent in the following domains:

- Faith in Allah (Glory to him), His angels, His Messengers, His books, The Resurrection Day and Fate for better or for worse.
- Creeds which include purification (Taharh), prayer (Salat), alms (Zakat), fasting (Sawm), pilgrimage (Hajj).
- Treatments in its different forms (financial, international, social).
- Ethics, values and Islamic humanities .
- Prophetic biography and Islamic personalities.

- Islamic civilization
- Sources of legislation (The holy Qur'an, honorable, prophetic tradition) (The Sunna of the Prophet).

1. The Domain of Creeds:

Islamic creed is an essential support to theoretical and ideological construction. It provides with a complete conception to the universe, man and life. Moreover, the source of Islamic creed is the inspiration and its evidences.

2. The Domain of Worship:

Islamic doctrine is necessary to know the legitimate rules which organize the Muslim's relation with his Creator, himself and society. They also organize the relation between Islamic society and other societies.

3. The Domain of Behavior and Treatments:

Man is created as an honorable and successor in this earth. He is free and the master of this universe. He distinguishes by mental abilities and religious energies.

4. The Domain of Values, Ethics and Humanities:

The confirmation on human fraternity and openness on the world in its all parts and on all people. So Islam is an invitation to the good which invites people to believe in Islam without coercion.

5. The Domain of the Prophet Mohamed's Biography (P.b.U.H) and Islamic Personalities:

The prophetic biography to our Prophet Mohamed (peace be upon him) is a biography to a model and perfect man who worshiped His Creator rightly. He endeavored proceeding to Allah (Great and Almighty). We consider him a model in our life and inspire the solutions from his biography to solve our problems. Islamic personal-

ities are considered a model for priding and modeling by what they had achieved in their achievements, righteous deeds and eternal heroisms in all ages.

6. The Domain of Sources of Legislation:

The Holy Qur'an is the eternal book of Allah (Glory to him). It came to bless man in the present life and in the afterlife. It is the first source for the legislation. The honorable prophetic Sunnah (Mohamedan teachings) is the second source in legislation. The pretense of Sunnah is actual and stable by the texts of the inspiration and consensus. It is related to The Holy Qur'an to explain the ambiguity, to clarify the problems, to interpret the general and to restrict the infinite.

7. The Domain of Islamic Civilization:

The Islamic history and Islamic civilization are sources of its pride, coherence and strength. However, any negligence of both, is considered a negligence in the constants which distinguish the Islamic nation.

Islam is considered intermediary and it is an ideal curriculum to human life in every time and place. It is a comprehensive curriculum to the system of the whole life. Islam meets the human and legal needs. It is also capable of remaining, donation and continuity in different ages and environments by its stable rules and dynamic branches with democratic system (Shura) and trusty sedulity.

**II- A Schedule of Standards, Benchmarks and Indicators to
the Domains of the Content of Islamic Religious Education
(First Domain: Faith)**

No	Standard	Benchmarks			Grades 10 -12
		Grades 1 - 3	Grades 4 - 6	Grades 7 - 9	
1	Faith in Allah	To recognize some attributes and names of Allah (Glory to him) through some species of the universe which surround the child such as: plants, birds, trees and animals.	To recognize the importance of faith of Allah (Glory to him) to Muslims.	To deduce by the indications of Allah's creation (Glory to him) in the souls and in the furthest regions on the existence of Allah (the great and almighty) and describing Him by attitudes of the perfection as ability, hearing, seeing and knowledge. Knowing those attributes by faith and knowledge.	To criticize some theoretical attitudes which endeavor to weaken the faith creed in Allah (the great and almighty).
		Indicators			
		8	10	10	10

ENGLISH SECTION

Benchmarks					
No	Standard	Grades 1 - 3	Grades 4 - 6	Grades 7 - 9	Grades 10 -12
2	Faith in Angels	To recognize some information about the Angels from the Holy Qur'an and Prophetic Sunna.	To recognize the tasks to some Angels.	To deepen the faith in Angels and repulse the suspicions around them.	
Indicators					
		5	5	8	-
3	Faith in Celestial Books (Torah, Gospel and Qur'an) which fulfills them.	To recognize the Holy Qur'an.	To recognize the Celestial Books and the position of the Holy Qur'an among them.	To believe in the Holy Qur'an and its mastery on the other Celestial Books.	To strengthen his relation in the Holy Qur'an.
Indicators					
		4	5	6	3

Benchmarks			
No	Standard	Grades 1 - 3	Grades 4 - 6
4	Faith in Messengers	To recognize the earliest determined Messengers (Awli Alazm).	To recognize the tasks of Messengers and Prophets (peace be upon them).
			To recognize the prestige of Messengers and Prophets (peace upon them) to Allah and their attributes and the duties of believing them.
Indicators			
		5	5
5	Faith in the Day of Resurrection.	To recognize the fate of the obedient and disobedients in the Day of Resurrection	To recognize prospectives of the Day of Resurrection in the light of guiding the Holy Qur'an and Prophetic Sunna.
			To have faith in the Day of Resurrection and its actions.
Indicators			
		5	6
			3
			5
			5
			5

No	Standard	Benchmarks			Indicators
		Grades 1 - 3	Grades 4 - 6	Grades 7 - 9	
6	Faith in Fate (Qadar)		To thank Allah for better or for worse.	To satisfy the fate (Qadar) of Allah in good and bad times.	To correct some creeds and ideas which contradict the faith of fate (Qadar).
		-	5	7	10

Second Domain: Worship

No	Standard	Benchmarks			Indicators
		Grades 1 - 3	Grades 4 - 6	Grades 7 - 9	
1	Purification (Taharah)	<ol style="list-style-type: none"> To keep on cleaning his body, clothes and the place where he lives. To perform the ritual ablution for prayer 	To recognize the favor of ablution and its obligations, Sunna and its contradictions	To recognize the fact of other kinds of purification as rubbing on clean sand (Tayammum) Taking a bath (Ghusul), rubbing on slippers or splint.	To recognize the easiness of Islam in the legislation by giving religious permissions.
		9	7	13	3

Benchmarks			
No	Standard	Grades 1 - 3	Grades 4 - 6
2	Prayer (Salat)	To recognize the meaning of prayer and its performances and how to perform it rightly.	To keep on performing the obligatory and Sunna prayers.
			To recognize the role of the mosque and the effect of congregation prayers (Gama'ah) in the society.
			To recognize the wisdom of legislation of supererogatory prayers (Nawafil) as "nightly prayers" (Tarawih), "prayer of rain" (Estisqa), "supplication prayer" (Estikhara). (asking God for guidance).
Indicators			
		8	7
3	Alms (Zakat)	To recognize that alms (zakat) is a pillar of the pillars of Islam.	To value the social and economic effect to alms (zakat)
			To realize the importance of alms (zakat) and charity.
			To realize that alms (zakat) has a good role in solving the problems of the society.
Indicators			
		5	5
			7
			7

		Benchmarks			
No	Standard	Grades 1 - 3	Grades 4 - 6	Grades 7 - 9	Grades 10 -12
4	Fasting (Sawm)	To recognize that Fasting is a pillar of the pillars of Islam.	To keep the politeness of fasting (Sawm).	To recognize the psychological and social effect to fasting through understanding the legitimate rules.	
Indicators					
5	Pilgrimage (Hajj)	To recognize that the pilgrimage is pillar of the pillars of Islam.	To reduce the social and psychological effect to the religious duty of the pilgrimage (Hajj).	To recognize the procedures of the pilgrimage (Hajj) and minor pilgrimage (umrah) .	To repulse the suspicion around the pilgrimages and the behaviours which don't agree with its legislation.
Indicators					
6			5	6	6

Third Domain: Treatments

		Benchmarks			
No	Standard	Grades 1 - 3	Grades 4 - 6	Grades 7 - 9	Grades 10 -12
1	Social Treatments	-	To recognize some rights of the child towards his parents.	To recognize the rights of the husband and wife towards each other.	To recognize the intention of the Islamic law (Shariah) in keeping progeny and building families. To keep the society through legislations of family doctrin (Fekh)
Indicators					
		-	4	9	15
2	Civil and Financial Treatments	-	To realize the Islamic Solidarity in legitimating the civil and financial treatments.	To recognize the wisdom of legislation in some images of current and financial treatments.	To recognize the opinion of legislation in some images of current and financial treatments.
Indicators					
		-	5	6	6

No	Standard	Benchmarks		
		Grades 1 - 3	Grades 4 - 6	Grades 7 - 9
3	Issues and Borders	-	-	-
To recognize the purpose of Islam in protecting the society from the crime.				
Indicators				
-	-	-	-	6

Fourth Domain: Values and Humanities

1	His relation with his relatives and tribe.	To cooperate with others by respect and love.	To respect his parents presenting good humanities.	To deal politely with relatives, population and friends.	To respect the others in his treatments.
Indicators					
7	8	7	6		

Benchmarks			
No	Standard	Grades 1 - 3	Grades 4 - 6
2	His relation with his society and environment	To keep the public utilities in his society.	To cooperate with others in keeping and protecting his environment.
			To keep to be polite during speaking with others in addition to value and respect them.
			To recognize the fraternity of Faith, nation and humanity and his duty toward them.
Indicators			
		5	7
3	His relation with human society	To recognize the mankind unity in Islamic religion.	To recognize keeping the agreements and conventions.
			To recognize the factors of spreading Islam.
			To live in peace and security with who believe in other religions.
Indicators			
		3	7
		3	7

Fifth Domain: Prophetic Biography and Islamic Personalities

		Benchmarks			
No	Standard	Grades 1 - 3	Grades 4 - 6	Grades 7 - 9	Grades 10 -12
1	Biography of the prophet Mohamed (peace be upon him).	To recognize the conditions of the Prophet (p.b.u.h) and the conditions of Arab before the mission.	To recognize some sides of the Prophet's life (p.b.u.h).	To consider the Prophet as a model in planning and taking with the reasons into his consideration.	To clarify the bases which the Prophet depended in establishing the Islamic nation.
Indicators					
		5	7	7	6
2	Biography of his friends, followers and Islamic masters	To recognize sides of morals to Prophet's friends and mothers of believers.	To recognize sides of biography to friends of the Prophet Mohamed (peace be upon him).	To elicit lessons, sermons and preachments from the Islamic conquests in guided successors age (Khofafa'a Rashedin).	To recognize the efforts of some Islamic personalities in spreading Islam.
Indicators					
		3	4	6	6

Benchmarks					
No	Standard	Grades 1 - 3	Grades 4 - 6	Grades 7 - 9	Grades 10 -12
3	Biography of prophets, messengers and righteous people.	To recognize the stories of our masters Adam, Nuh, Saleh and Houd.	To recognize the stories of our masters Ibrahim, Ismail, Yousef and Lokman.	To elicit the cermons and preachments from stories in the Holy Qur'an.	To elicit the cermons and preachments from stories in the Holy Qur'an.
Indicators					
		5	4	3	7

Sixth Domain: Islamic Civilization

1	The concept of civilization and its components.	-	To recognize some images of Islamic architecture.	To recognize the components of Islamic architecture.	To recognize the effect of Islamic civilization in other civilizations.
Indicators					
		-	7	6	11

Seventh Domain: Sources of Islamic Legislation

		Benchmarks			
No	Standard	Grades 1 - 3	Grades 4 - 6	Grades 7 - 9	Grades 10 - 12
1	Sources of Islamic Legislation.	To keep some of the Holy Qur'an and prophetic Sunna and clarify the relation between them.	To recognize the contents of the Qur'an and Sunna.	1. To recognize some of the characteristics of the Holy Qur'an. 2. To respect the efforts of scientists in keeping the honorable Sunna. 3. To recognize some traits of the Islamic legislation and its stages.	1. To recognize some aspects of the miracle of the Holy Qur'an. 2. To recognize the term of the knowledge to Prophetic teachings (Hadith). 3. To verify the tributary sources of legislation.
		Indicators			
		8	10	9 / 6 / 3	5 / 7 / 6

III- Indicators of the Cognitive Structure of Islamic Religious Education:

(A) By the end of the 9th grade (Basic Education Stage)	(B) By the end of the 12th grade (Secondary Education Stage)
<p>The graduate should be able to:</p> <ol style="list-style-type: none"> 1. Recognize characteristics of the Holy Quran and the Prophet's purified Sunnah 2. Recognize the relationship between the Holy Quran and the Prophet's purified Sunnah. 3. Recognize significant characteristics of Islamic jurisprudence. 4. Recognize God's fairest names and attributes and the requirements of believing in Him. 5. Deduce the existence of God and His attributes of perfection and majesty. 6. Recognize the reality of angels and their nature through texts of the Quran and the Prophet's purified Sunnah. 7. Recognize Divine Books and the position of the Holy Quran among them. 	<p>The graduate should be able to:</p> <ol style="list-style-type: none"> 1. Elaborate some indicators of miraculous nature of the holy Quran and the Prophet's purified Sunnah. 2. Provide evidences that the Holy Quran and the Prophet's pure Sunnah are the foundations of Islamic jurisprudence resources. 3. Elaborate some sources of Islamic jurisprudence collective agreement (such as consensus, comparison, benefits, and applause. 4. Differentiate between the requirements of faithfulness, Islam and charity. 5. Refuse contradictory attitudes that aim at weakening the creed of faithfulness in Allah. 6. Believe in the existence of angels and the tasks allotted to them from Allah. 7. Strengthen his relation with the Quran through learning it by heart, reciting and understanding it.

(A) By the end of the 9th grade (Basic Education Stage)	(B) By the end of the 12th grade (Secondary Education Stage)
<p>8. Specify the attributes and tasks of messengers and Muslims' duty toward having faith in them.</p> <p>9. Clarify/state the wisdom behind sending messengers and prophets to people.</p> <p>10. Recognize the incidents of the Last Day and the requirements of believing in them.</p> <p>11. State some indicators of believing in fate and divine decree.</p> <p>12. Keep thanking God in good and in evil.</p> <p>13. Perform actions of purification correctly.</p> <p>14. Recognize the meaning of prayer and its actions, kinds and its rules.</p> <p>15. Keep performing prayers on time correctly.</p> <p>16. Recognize the meaning of zakat (almsgiving), its importance and its rules.</p> <p>17. Recognize the reality of fasting, its importance and its rules.</p>	<p>8. Elaborate what is permitted and prohibited in relation to the prophets, (peace be upon them).</p> <p>9. Appreciate faith values mentioned in messengers' revelations.</p> <p>10. Compare between events of tomb life and the events of the Last Day.</p> <p>11. Accept God's fate and divine decree either good or bad.</p> <p>12. Correct wrong ideas those contradict having faith in fate and divine decree.</p> <p>13. Recognize the legitimate rules of purification.</p> <p>14. Clarify the wisdom behind Fardh (obligatory) and Sunnah prayers.</p> <p>15. Appreciate the flexibility of Islam in enacting religious permissions in prayers.</p> <p>16. Recognize the role of Zakat (almsgiving) in achieving social solidarity.</p> <p>17. Appreciate the spiritual, psychological, physical and social effect of fasting.</p>

(A) By the end of the 9th grade (Basic Education Stage)	(B) By the end of the 12th grade (Secondary Education Stage)
<p>18. Recognize the actions of Pilgrimage and Omra, their importance and the rules related to them.</p> <p>19. Identify rights and duties of parents, spouses and children.</p> <p>20. Enumerate some materialistic and civil dealings in Islamic jurisprudence.</p> <p>21. Recognize some rules of limitations and offenses and the wisdom behind them.</p> <p>22. Cooperate with his colleagues, family and neighbors respectfully and politely.</p> <p>23. Comply with ethics of conversing with others.</p> <p>24. Preserve public ownerships and utilities.</p> <p>25. Respect others' creed.</p> <p>26. Know Prophet's Seira (peace be upon him) before and after revelation.</p> <p>27. Imitate Prophet Mohammad (peace be upon him) in his morals and politeness.</p>	<p>18. Recognize the wisdom behind enacting pilgrimage and Omra.</p> <p>19. Summarize the aims of jurisprudence in preserving family and society.</p> <p>20. Infer the legitimate wisdom behind recent civil and financial dealings.</p> <p>21. Recognize the aims of Islam in securing self, family, society and the nation.</p> <p>22. Adopt the manners and values of Islam in his relation with his family, neighbors, parents and teachers.</p> <p>23. Give his opinion without intolerance, fear or subjection.</p> <p>24. Participate in developing his environment and society.</p> <p>25. Believe in the importance of peaceful coexistence among humans.</p> <p>26. Recognize learned lessons from the Prophet's Seira.</p> <p>27. Refute fabrications about the Prophet, (peace be upon him), and his noble Sunnah.</p>

(A) By the end of the 9th grade (Basic Education Stage)	(B) By the end of the 12th grade (Secondary Education Stage)
28. Know some moral aspects of Prophet's companions, God bless them.	28. Appreciate the role of Prophet's companions in the spread of Islam.
29. Know some Islamic conquests.	29. Infer the lessons and examples learned from Islamic invasions and conquests.
30. Know some prophets' stories mentioned in the Holy Quran.	30. Infer the lessons and examples learned from Quranic narrations.
31. Know the characteristics of Islamic civilization.	31. Appreciate the role of Islamic civilization in enriching human civilization.
32. Know some models of ancient and modern civilizations and their relation to Islamic civilization.	32. Feel proud of his religion, nation, country and civilization.
33. Understand human rights in Islam.	33. Compare the Islamic view of human rights issues with those of the western view
34. Know the position of Islam towards some current issues.	34. Take a suitable stand towards current issues in light of Islamic jurisprudence.
35. Know that Islam does not recommend squandering resources, especially water resources.	35. Understand the wisdom behind the rationalization and investment of available world resources.

This paper has been based on data from the document of standard levels of the content of Islamic religious education for pre-university instruction. It included domains of religious education which is useful for establishing the standards. Standards help in building the curriculums especially religious education which takes part in the quality of instruction. Moreover, domains of religions education help the young people recognize the opinion of Islam towards current ideas and issues. In this respect, Islam plays an active part in implementing human values, ethics and cultural role. So, the learner prides Islam and its civilization.

In addition Islam highlights the tolerance among people to show that it is a religion of peace, right, justice fraternity, equality, freedom, dignity and moderation.

Last and not least, those who seek knowledge about Islam are welcomed into circle of light and guidance till such guidance may enter their hearts. Islam is not only knowledge but it is a practical system in life.

References:

- 1- Egyptian Ministry of Education (2008). The National Strategic Plan for the Reform of pre-university education in Egypt. Cairo: Ministry of Education.
- 2- The National Authority for Quality Assurance and Accreditation of Education (2009). Standards of the Content of Pre-University Education Graduate. Cairo: The National Authority for Quality Assurance and Accreditation of Education.